

كتاب

الكتاب

في

اخلاق المثلثين

للحفظ

بمطبعة

الاسلامية في مكة

سنة 1344

أعاد طبعه الأئمة منسختة من نسخة

لصاحبها

مكتم محمد الرشيد



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

71-961252

کتاب

البحار

1000

۱۰۰۰

al-Jāhiz, 'Amr ibn Bahr.

/ Kitāb al-tāj. /

كتاب التاج

في

أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ

للحفظ

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكي بشا

كاتب أسرار مجلس النظار

(الطبعة الأولى)

بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣٢ هـ

م ١٩١٤

ولنا بركة

شهادة الامانة

Near East

المخطوط

JC

375

J3

1968

e-1

تصنيف

المكتبة العامة

الاسلام

(الاسلام)

المكتبة العامة

1968

فذلکة المضامین

۱ - فهرس التصدير

لاحمد زکی باشا محقق هذا الكتاب

(انعام هذا الفهرس برمزیه فی اسفل الصفحات)

۲۳	نظرة عامة في الكتاب ومؤلفه
۲۶	النسخة المخطوطة الأولى لهذا الكتاب (ومنها يعرف بها)
۲۹	تحقيق بشأن هذا الكتاب
۳۰	ما كرم هذا الكتاب
۳۱	تحقيق في اسم "التاج"
۳۱	النسخة المخطوطة الثانية لهذا الكتاب (ومنها يعرف بها)
۳۲	مرد الالف في اسم "التاج"
۳۴	مرد الكلام على اسم "التاج" والكتب المشابهة بهذا الاسم
۳۷	من هو المؤلف لهذا الكتاب
۳۷	قائمة في أساليب التفسير تحت الإسم
۴۱	القائمة في أساليب التفسير
۴۲	مراجعة العيون التاريخية
۴۲	إسعاد ابن السمع، ومحقق بشأن الفروع من كتابه
۴۶	إسعاد ابن عبد الحميد
۴۷	بحث عن الكتب المشابهة "أخلاق الملوك"
۴۷	تحريف الفهرس في هذا الكتاب

پولستان بانک

C لفصل

375
شماره 3

1968

51

فذلكة المضامين

١ - فهرس التصدير

لأحمد زكي باشا محقق هذا الكتاب

(أرقام هذا الفهرس موضوعة في أسفل الصفحات)

صفحة	
٢٣	نظرة عامة في الكتاب ومؤلفه
٢٦	النسخة المخطوطة الأولى لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٢٩	تحقيق بشأن هذا الكتاب
٣٠	ما أسم هذا الكتاب
٣١	تحقيق في أسم "التاج"
٣١	النسخة المخطوطة الثانية لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٣٢	عود إلى التحقيق في أسم "التاج"
٣٤	عود الكلام على أسم "التاج" والكتب المسماة بهذا الأسم
٣٧	من هو المؤلف لهذا الكتاب
٣٧	نظرة في أسلوب الكتاب من حيث الإنشاء
٤١	الناقلون السارقون
٤٢	مراجعة العيون التاريخية
٤٢	إستفتاء ابن النديم، وتحقيق بشأن المطبوع من كتابه
٤٦	إستفتاء أبي حيان التوحيدى
٤٧	بحث عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك"
٤٧	التعريف بالفتح بن خاقان

فهرس التصدير

صفحة	
٥٠	كلام عن محمد بن الحارث ...
٥٢	استفتاء الكتاب نفسه لمعرفة مؤلفه ...
٥٢	أسلوب الجاحظ ...
٥٣	أمثلة من صياغته ...
٥٧	بعض مصادره ...
٥٧	تكرار الجاحظ وترداده ...
٥٨	إشارته إلى كتبه المتقدمة ...
٥٩	تصريحه بكتاب معين له ...
٥٩	تأكيد هذا التصريح ...
٥٩	النتيجة والحكم ...

٦١	بعد التحرير (تعريف بنسخة ثالثة من "التاج" مكتوبة في حلب) ...
٦٧	صورة كتاب من الأستاذ كروتشوفسكى، المستشرق الروسي ...
٦٩	جدول بيان بعض المؤلفات التي نقلت عن "التاج" ...
٧٠	بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة ...
٧٣ - ٨٣	روايز لتمثيل بعض الصفحات المنقولة عن الثلاث النسخ الأصلية ...

(يليه فهرس كتاب "التاج")

٢ - فهرس كتاب "التاج"

للبحاظ

صفحة

١

المقدمة

٤

إهداء الكتاب إلى الأمير الفتح بن خاقان الوزير العباسي

٥

الفاتحة

٧

باب في الدخول على الملوك

٧

فيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

٧

الأشراف وسلامهم وقعودهم وأنصرافهم

٧

الأوساط: سلامهم وقعودهم وأنصرافهم

٨

استقبال الملك للساوین له وتشيعه إياهم

٩

مقدار الإقامة بحضرة الملك

باب في مطاعمة الملوك

١١

تخفيف الأكل بحضرة الملك

١٢

ما فعله حاجب المنصور العباسي مع الفقيه الهاشمي، لتأديبه

١٣

تخفيف الندماء والخواص على مائدة الأكاير

١٣

عقوبة الشره عند الفرس

١٤

مباسطة الملك لمؤاكله

١٤

بين معاوية والحسن بن علي، بشأن دجاجة

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٥ ضيافات معاوية في عاصمته وسائر قواعد مملكته
١٥ إختبار سابور لرجل ، رشحه لقضاء القضاة ...
١٦ عدم النظر للملك عند مؤاكلته
١٦ التسوية بين الملك وبين مدعويه
١٧ غسل اليد بحضرة الملك
١٧ إيناس الملك لمدعويه
١٧ مباينة الملوك لمن سواهم
١٧ قيام الملك عن الطعام
١٧ منديل النعمر [أى منشفة الدفر]
١٨ حديث الملك ومحادثته على المائدة
١٨ زمزمة الفرس على الطعام، وأمتناعهم عن مطلق الكلام
٢٠ ما كان يفعله عبد الأعلى القرشي لإكرام ضيوفه ...

باب في المنادمة

٢١ مراتب الندماء، وأحتياج الملوك لجميع الطبقات
٢٢ آداب الخروج من حضرة الملك، والرجوع إليها
٢٢ كمية الشرب وكيفية موكولتان للملك، وعليه العدل بين الندماء
٢٢ طبقات الندماء والمغنيين عند الفرس، وفي الإسلام
٢٥ أقسام الناس عند الفرس أربعة
٢٥ مقابلة كل طبقة من الندماء بمثلها
٢٦ إحتفاظ الفرس بهذا الترتيب
٢٧ معاقبة أردشير لنفسه ، لمخالفته هذا القانون ...
٢٨ إختلال هذا النظام أيام بهرام جور، وإعادة أنوشروان له

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٢٨	احتجاب ملوك الفرس عن الندماء بمقدار المسافة بين الطبقات
٣٠	التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك الأموي
٣٠	أول خليفة سُتيم في وجهه، هنزلاً
٣١	أحوال الأمويين في الشرب واللهمو
٣٢	معاوية، ومروان، وعبد الملك، والوليد، وسليمان، وهشام، ومروان الجعدي
٣٢	يزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد
٣٣	عمر بن عبد العزيز
٣٣	أحوال الخلفاء العباسيين في الشرب واللهمو
٣٣	السفاح
٣٤	المصور
٣٤	(كلمة المصور في الشكر والصنعة والمودة وقضاء الحاجة)
٣٤	المهدي
٣٥	المهادي
٣٧	الرشيد
٤٢	الامين
٤٣	المأمون
٤٥	مبايطة الملك لندمانه
٤٥	حد الإغضاء عن الزلات
٤٥	مواطن المعاقبة عليها
٤٦	الآقتصاد في العقوبة
٤٦	تفرد الملك بالتطيب والتجمل ونحوهما
٤٧	سنة ملوك الفرس في ذلك
٤٧	سنة سادات العرب والخلفاء في ذلك

٤٩	...	عَدْلُ الْمَلِكِ فِي مَجْلِسِ الشَّرَابِ
٤٩	...	مِكَالَةُ النِّدْمَاءِ لِلْمَلُوكِ
٥٠	...	مَنْ الْمَلُوكُ بِنَعْمِهِمْ عِنْدَ الضَّرُورَةِ فَقَطْ
٥١	...	عَدَمُ الْمَعَاوِيَةِ فِي حَالِ الْغَضَبِ
٥٢	...	آدَابُ الْبَطَّانَةِ عِنْدَ قِيَامِ الْمَلِكِ
٥٢	...	عَدَمُ الدُّنُوقِ مِنَ الْمَلِكِ، إِلَّا بِشُرُوطٍ
٥٣	...	الِاسْتِمَاعُ لِحَدِيثِ الْمَلِكِ
٥٣	...	(كَلِمَةُ لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ عَنِ جَلِيسِهِ وَثَوْبِهِ وَدَابَّتِهِ)
٥٤	...	(كَلِمَةُ لِلشَّعْبِيِّ عَنِ قَوْمِ يَنْتَاقِدُونَ وَيَنْفَاهُمُونَ)
٥٤	...	كَلِمَةُ الْمَأْمُونِ لِسَعِيدِ بْنِ سَلْمِ الْبَاهِلِيِّ عَنِ حَسَنِ إِفْهَامِهِ وَحَسَنِ فَهْمِهِ
٥٤	...	مَا حَصَلَ لِرَجُلٍ كَانَ أَنْوَشِرُوَانَ يَسِيرُهُ
٥٥	...	مَا وَقَعَ لِأَبْنِ شَجَرَةِ الرَّهَاقِيِّ حِينَ حَدَثَتْهُ مَعَاوِيَةُ
٥٨	...	مَا وَقَعَ لِأَبْنِ بَكْرِ الْهَذَلِيِّ حِينَ حَدَثَتْهُ السَّقَّاحُ
٥٩	...	(كَلِمَةُ أَبِي عِيَّاشِ الْمَتَوَفِّ فِي آدَابِ الْمَحَادَثَةِ)
٦٠	...	(كَلِمَةُ رَوْحِ بْنِ زَيْبَاعٍ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ)
٦٠	...	(كَلِمَةُ أَسْمَاءِ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ)
٦٠	...	(كَلِمَةُ مَعَاوِيَةَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ)
٦١	...	آدَابُ أَهْلِ الرَّفْقِيِّ بَعْدَ الْمُضَاحَكَةِ مَعَ الْمَلِكِ
٦١	...	تَنْكَرُ أَخْلَاقِ الْمَلُوكِ
٦١	...	صَبْرُ الْمَلُوكِ عَلَى مَضَضِ الْحَقْدِ حَتَّى تَحِينُ الْفُرْصَةُ لِلْإِسْتِقَامِ
٦٢	...	مَعَاوِيَةُ أَنْوَشِرُوَانَ لِمَنْ خَانَهُ فِي حَرِيمِهِ
٦٥	...	نَكْبَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِنِ قَازِعِ الْمَلِكِ
٦٦	...	نَكْبَةُ الرَّشِيدِ بِالْبَرَامِكَةِ

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٦٦ مراعاة حرم الملك
٦٨ إغضاء البصر بحضرة الملك
٦٩ غضُّ الصوت بحضرة الملك
٦٩ تأديب الله للصحابة في هذا المعنى
٦٩ حرمة مجلس الملك في غيبته
٧٠ الرُّقبا على مجالس ملوك العجم عند غيابهم
٧٠ مواطن المكافآت
٧٠ بيان المكافآت، وخصوصها وعمومها

باب في صفة ندماء الملك

٧١ صفة خلقُ النديم
٧١ آداب النديم في المزاملة، وعلومه
٧٢ عُدّة الملك في خروجه لسفر أو نزهة
٧٢ خلال الندماء
٧٢ مساواة الملك للملاعبه
٧٢ حق الملاعب على الملك
٧٣ ملاعبة سابورلنديه على أمر مجهول
٧٣ آداب الملاعبة بالكرة وغيرها
٧٤ لُعبة الشطرنج بحضرة عبد الله بن طاهر
٧٥ آداب الندماء، إذا أخذت الملك سنة من النوم
٧٦ إمامة الملك للصلاة
٧٧ آداب مساورة الملك
٧٧ سنة أكابر العجم عند تهيئهم للمساورة

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٧٨	ماحصل للوبد أثناء مسيرته لقباًذ
٧٩	ماحصل لشرحيل أثناء مسيرته لمعاوية
٨٠	تحذير لمن يسير الملوك
٨٠	تطير العجم من مسيرة الملك المتصلة
٨٠	ماحصل من صاحب الشرطة وهو يسير بين يدي الخليفة الهادي
٨١	ماقاله عبد الله بن الحسن للشفاح عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة
٨٢	ماقاله الهاشمي لأبي مسلم الخراساني عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة
٨٣	عدم تسمية الملك أو تكنيته
٨٧	الأدب في حالة مشابهة الأسم لإحدى صنمات الملك أو لاسمه
٨٩	الأمر التي يتفرد بها الملك في عاصمته
٩٠	الحجامة - الفصد - شرب الدواء
٩٠	عدم تسميت الملك، وعدم التأمين على دعائه
٩١	عدم تعزية الملك
٩١	سرعة الغضب وبطء الرضا
٩٢	غضب الشفاح على أحد رجاله
٩٢	غضب الرشيد على أحد قواده
٩٤	كتم الملك أسرارَه
٩٤	امتحان أبرويز رجاله في حفظ السر
٩٥	امتحانه رجاله في حفظ الحرم
٩٦	امتحانه من يطعن في المملكة
٩٩	تغافل الملك عن الصغائر
١٠٠	تغافل بهرام جور عن سرقة اللجام المحلى بالذهب
١٠١	تغافل أنوشروان عن سرقة جام من الذهب

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٠١	تغافل معاوية عن كيس الدناير
١٠٢	الرد على قولهم: "المغبون لا محمود ولا مأجور"
١٠٣	كلمة معاوية في هذا المعنى
١٠٣	كلمة الحسن بن علي بن أبي طالب في المعنى أيضا
١٠٣	سليمان بن عبد الملك والأعرابي الذي أخذ رداءه
١٠٤	جعفر بن سليمان وسارق الدرّة الزائفة
١٠٤	إكرام أهل الوفاء وشكرهم
١٠٥	قباز ومادح الجاني على الملكة
١٠٦	وفاء سعيد بن عمرو المخزومي في مجلس السفّاح لمروان بن محمد الجهمي ، بعد قتله
١٠٩	كتاب قيس بن سعد بن عبادة والى مصر إلى معاوية
١٠٩	الإسكندر والأساورة المتقرّبون إليه بقتل ملكهم
١٠٩	شيوخه ومادحه على قتل أبيه أبرويز
١١٠	المصور العباسي والضارب رأس ابن عمه الخارج عليه ، بعد قتله
١١١	المصور العباسي ومادح هشام الأموي
١١٢	الادب عند ما يتكلم الملك
١١٢	الأدب في تحديث الملك
١١٣	عدم الضحك من حديث الملك
١١٣	عدم إعادة الحديث مرتين على الملك
١١٣	كلمة رّوح بن زبّاع في المعنى
١١٤	كلمة الشعبي في المعنى
١١٤	كلمة السّفّاح في المعنى
١١٤	كلمة ابن عيّاش المتوف في المعنى
١١٥	مواطن إعادة الحديث على الملوك

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١١٧	(عود إلى) الأدب في تحديث الملك ...
١١٨	أمارات الملوك للجلساء بالانصراف ...
١٢٠	عدم ذكر أحدٍ بالعب في حضرة الملك
١٢٠	تحريش الملك بين رجاله ...
١٢١	آداب السفير ...
١٢٢	سنة ملوك العجم في اختبار السفير ...
١٢٢	كلمة أردشير في حق السفير
١٢٢	كلمة ثانية له في المعنى
١٢٣	ما فعله الإسكندر بسفير كذب عليه
١٢٤	احتياط الملك في منامه ومقبله ...
١٢٤	سنة ملوك القرس في النوم
١٢٤	السنة النبوية في النوم
١٢٥	إطلاع والدين فقط على منام الملك
١٢٥	معاملة الآبن للملك
١٢٥	ما فعله يزيد مع آبنه بهرام، وما فعله الحاجب مع بهرام أيضا
١٢٦	ما فعله معاوية مع آبنه يزيد
١٢٦	ما فعله المهدي مع آبنه الهادي
١٢٦	ما فعله الحاجب بولد المأمون
١٢٧	ما فعله الحاجب بولد المعتصم
١٢٧	واجبات آبن الملك
١٢٩	شهوة الاستبدال عند الملوك
١٢٩	الحيلة في معالجتها

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٢٩	ما صنعه ماز يار المضحك مع أحد ملوك العجم
١٣٠	ما صنعه رّوح بن زنباع لإضحاك عبد الملك بن مروان وأستعادة رضاه عليه
١٣٢	ما فعله جرير الشاعر مع عبد الملك للتخلص من غضبه ولأخذ جائزته
١٣٤	ما فعله عبد الملك بن مهامل الهمداني لأسترضاء سليمان بن أبي جعفر المنصور في أيام الهجاء
١٣٥	تلون أخلاق الملوك
١٣٦	ثمرات التأديب بالحقوة
١٣٧	صفات المقترين
١٣٨	كلمة أنوشروان ، وأمثولة "كلمة ودمنة"
١٣٩	سخاء الملك ورحمته
١٤٠	الرد على من وصف المنصور بالبخل
١٤٣	الأدب في أعتلال الملك ، ونظام التشريفات
١٤٤	جوائز البطانة وصلاهم
١٤٥	سنة ملوك ساسان في الجوائز
١٤٦	هدايا المهرجان والنيروز ، من الملك وله
١٥٠	أمير مسلم آفتدى بالفرس في تفریق كسوته
١٥٠	لهو الملوك
١٥٠	ترك الإدمان في الملاذ
١٥١	سيرة الملوك والخلفاء في الشرب
١٥٣	نفس الملوك
١٥٥	نطيب الملوك
١٥٦	زيارة الملوك تكرماً لرجالهم ، وأنواعها
١٥٩	استقبال الناس في الأعياد
١٦٠	التظلم من الملك إلى القاضي

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٦٣	العقوبة الربانية للملك الظالم
١٦٤	ما صنعه بهرام جور لأخذ ملك أبيه
١٦٧	استقصاء الملك لأحوال رعيته
١٦٧	الملوك والخلفاء الذين آسثهروا بذلك
١٧١	التميز بين الأولياء والأعداء
١٧٢	بماذا تطول مدة الملك
١٧٣	واجبات الملوك عند الأحداث الخطيرة
١٧٣	سنة الأعاجم إذا دهمتهم الكوارث والعظام
١٧٥	ما فعله معاوية أيام صفين
١٧٥	ما فعله عبد الملك بن مروان عند خروج ابن الأشعث عليه
١٧٥	ما فعله مروان بن محمد عند ظهور العباسيين
١٧٧	مكايدة الملوك في الحروب
١٧٧	خدعة بهرام للعدو الذي قصد دار ملكه
١٨٠	مكايد أبرويز (ملك الفرس) في حرب الروم، قبيل الإسلام

خاتمة الكتاب

١٨٦	التنويه بالأمير الفتح بن خاقان، الوزير العباسي
-----	--

(يليه "المحققات")

٣ — ملحقات الكتاب

١٨٩	تكميل للروايات والملحوظات الانتقادية
٢١٢	تصحیحات لأغلاط مطبعية
		استدراك للمهم من الأختلاف في رواية النسخة الحلية، وخصوصا الزيادات التي أنفردت بها ...
٢١٣	التعريف بكتاب "تنبيه الملوك والمكايد" المنسوب غلطا للمحافظ
٢٢١	التعريف بكتاب "محاسن الملوك" لبعض الفضلاء
٢٢٧	

٤ — الفهارس الأبجدية لكتاب "التاج"

		الفهرس الأبجدى الأول بأسماء الكتب المستخدمة للمراجعة وتحرير الحواشى والتكميل ...
٢٣٥	الفهرس الأبجدى الثانى بأسماء المصنفات المذكورة فى الكتاب وحواشيه وتكميله ...
٢٤١	الفهرس الأبجدى الثالث بأسماء الرجال المذكورين فى الكتاب وحواشيه وتكميله
٢٤٣	الرابع بأسماء الأمم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها ...
٢٥٩	الخامس [وهو الأخير] بأسماء البلاد والمدن والمواضع والأماكن ونحوها ...
٢٦٣	

٥

كلمة باللغة الفرنسية عن المحافظ ومشربه ومقامه فى عالم الأدب عند العرب بآثار الكتاب

١٦٣	القوة الربانية لك العلمات لفصله ٦
١٦٤	أمنه بهرام جور لا يمد ملك أيب ... في وقتها تنقله وطول تلو ابوابا رايها
١٦٥	أمنه الملك لأحوال رعيته ... في بلدته كذا كذا تنصير مطا
١٦٦	الموت والآن الذي أيقظها في كذا ... في كذا كذا ...
١٦٧	أمنه من الأولياء والأعداء ...
١٦٨	في كذا يطول مدة المنفعة للكل بمتسا ...
١٦٩	أمنه من الملوك عند الأسياد الجاهل ...
١٧٠	من الأمام إذا فهم الكوراث ...
١٧١	منه ...
١٧٢	منه ...
١٧٣	منه ...
١٧٤	منه ...
١٧٥	منه ...
١٧٦	منه ...
١٧٧	منه ...
١٧٨	منه ...
١٧٩	منه ...
١٨٠	منه ...
١٨١	منه ...

بالتفصيل ...

صدير

لكتاب "التاج"

بقلم محققه

الأستاذ أحمد زكي باشا

هذا الكتاب : ومنه الجاحظ أيام كانت بغداد دار السلام، وبقية الإسلام،
ومركز الخلافة، ووجه الأرض، وقطب العالم، ودمشق الطرائف، ومنازل أرباب
الغياث، أيام كان العراق بيتنا زاهرا بأوار المعارف والمعال، وكانت أمصاره وقراء
منازل عبدة يخدم عليها طلاب العلوم والآداب، ومنه الجاحظ أيام كانت
هذا الكتاب : قد صنفه الجاحظ طائفة كبيرة من حضرات الدولة العباسية على عهد
ما تفرده هو نفسه أو كان متعارفا في عصره. ولقد أوردته ما وصل إليه علمه بما يندرج
تحت هذا الباب من الرسوم والأصطلاحات التي كانت قائمة بين العرب أو شاملة
وقد وردت فيهم، على ما يقع المؤلف بالسند المتصل عن الجهة الصادق والحق الأمين.

(١) مكالمات من طريق أحمد كته، وكان مناسرا الجاحظ. انظر كتابه (١٤٤٤).

بیت

"ولتا" بالکلی

مفتوح

لشایرین معارف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصاوير

لمحقق هذا الكتاب

”واجبٌ على كلِّ ذى مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل استفتاحها، كما بدأ بالنعمة قبل استحقاقها“^(١).

نظرة عامة
في الكتاب ومؤلفه.

وبعد، فهذا الكتاب، كتاب ”التاج“. وهو المشهور أيضاً بكتاب ”أخلاق الملوك“. هذا الكتاب : وضعه الجاحظ أيام كانت بغداد دار السلام، وبقية الإسلام، ومركز الخلافة، وجنة الأرض، وقطب العالم، ومعدن الظرائف، ومنشأ أرباب الغايات، أيام كان العراق بستاناً زاهراً بأنوار المعارف والمعالي، وكانت أمصاره وقراه مناهل عذبة يزدهم عليها طلاب العلوم والآداب .

هذا الكتاب : قد ضمنه الجاحظ طائفة كبيرة من نظمات الدولة العباسية على عهده، مما تقرّاه هو بنفسه أو كان متعارفاً في عصره. ولقد أودعه ما وصل إليه علمه مما يندمج تحت هذا الباب من الرسوم والأصطلاحات التي كانت فاشية بين العرب أو شائعة في صدر دولتهم، على ما بلغ المؤلف بالسند المتصل عن الحجّة الصادق والثقة الأمين.

(١) هكذا صدر سهل بن هارون أحد كتبه ، وكان معاصراً للجاحظ . أنظر ”البيان والتبيين“ (ج ١ ص ١٨٨).

هذا الكتاب: قد جعله الجاحظ مرآةً تتجلى فيها مشاهد الخلفاء والأكابر في حفلاتهم الرسمية وحشودهم العاقمة، إلى ما هنالك من طرائق ملوكية وترتيبات سياسية آقتبس^(١) العرب بعضها من الفرس حينما دالت الدولة إلى الإسلام، واجتمعت الكلمة في العرب الكرام: لا سيما بعد اسادت المسوذة^(٢) من آل عباس، وخفقت على رؤوسهم البنود والأعلام، وجلس على سرير الخلافة سابعهم، الميمون النقيبة، المبارك الناصية، وأعنى به المأمون بن هارون. وكان ذلك بفضل أشياعه وأوليائه من أهل خراسان وما والاها، على ما هو معلوم.

هذا الكتاب: تتعرف به مقدار التأثير الكبير الذي كان للحضارة الفارسية في الحضارة الإسلامية على عهد العباسيين، حتى لقد ينسب الجاحظ خطته ومنهاجه فيسرد بعض عادات الفرس ورسومهم القديمة، كأنها مألوفة في تلك الأيام، وهي مما لا يمكن أن يكون تحت حكم الإسلام.^(٣)

(١) هذه النسبة قد استعملها كثير من فحول البلاغ. قال الجاحظ: "ولو شئنا أن نقول إن سهره بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية، لقانا. ولو كان خلاف ذلك ألد، لكنت الملوك بذلك أولى". أنظر كتاب الحيوان (ج ١ ص ١٣٧). وقال الهمداني في "صفة جزيرة العرب": "وبها آلة الحرير النفيسة الملوكية (ص ٢٠٢) - ومعلوم أن الإمام ابن جنى ألف كتابا سماه "التصريف الملوكي".

(٢) كان السواد شعارا لئبي العباس، وكان أشباعهم يرتدون به. ولذلك سماهم التاريخ "المسوذة" [بكسر الواو المشددة]. أما بنو أمية فكان شعارهم البياض، وذوهم والمتصرون لهم يسمون "المبيضة" [بكسر اليا، المشددة]. وقد أصطلح الكتاب والمؤرخون على أن يقولوا: "سود أهل المدينة الفلانية" أو "بيضا"، دليلا على انضوائهم تحت لواء العباسيين أو انضمامهم إلى بني أمية.

(٣) أنظر حاشيتي (رقم ٤، ٥ من ص ١٤٦)، ثم (س ١١ من ص ١٦٠) من كتاب "التاج". وفيه مواضع أخرى كثيرة من هذا القبيل.

هذا الكتاب : شرح لنا فيه الجاحظ أحوال أمراء المؤمنين ، وسادات المسلمين في أحويتهم^(١) الخصوصية ، وفي أنديةهم العجمية ، ووقفنا فيه على سمرهم في سهرهم ، وقصصهم في ليالي أنسهم ، إلى ما كانوا يصنعون في مجالى حظهم ، ومسارح لهوهم . ومراتع طربهم . وناهيك بمجالسهم في الأغاني والمنادمة ، ومجامعهم في الملاعبة والمداعبة ، ومشاهدهم في المسامرة والمباشطة !

هذا الكتاب : فيه تبصرة لنا بأساليب القوم في اللبس والطيب وغير ذلك من الرسوم والآداب التي كانت معتبرة لدى السراة والأمائل في أيام العرب ، وفيما بعد الإسلام .

هذا الكتاب : تدلنا عباراته على أن الجاحظ استخدم بعض التصانيف التي وضعها الفرس في هذا المعنى^(٢) . بل نراه قد أنساق بعامل الاستمرار في النقل عنها إلى إيراد بعض السنن التي قلنا إنها لم يبق لها مجال بعد ظهور الإسلام^(٣) . لذلك يغاب على ظني أن المؤلف أستعان بالكتب التي نقلها المترجمون من الفارسية إلى العربية في أيام

(١) مفردة "حِرَاء" وزان كتاب . وهي جماعة البيوت المتسانية . وقد استعمل الجاحظ "الأحوية والأندية" في كتاب "البعلاء" (ص ٢٣٥) ، فقال : "إن صاحب المأدبة وولى الدعة إذا جاء رسوله - والقوم في أحويتهم وأنديتهم - فقال : أجبوا إلى طعام فلان . فجعلهم جفلة واحدة - وهي الجفالة - ذلك هو المحمود . وإذا أنتقر ، فقال : قم أنت ، يافلان ، وقم أنت ، يافلان . فدعا بعضا وترك بعضا ، فقد أنتقر" . [والنقري هي المذمومة] . وقد ورد في طبعة العلامة فان فلوتن "أخويتهم" بالخاء المعجمة . ولا وجه للاجماع في هذا المقام ، والإهمال هو المتعين في هذه الحال .

(٢) أنظر (ص ١٩ و ٢٣) من كتاب التاج .

(٣) نقل الجاحظ صفحات كاملة من آيين الفرس وتوانيتهم . [أنظر (ص ١٤٥ - ١٥٠) من كتاب التاج ، وأنظر أيضا (ص ١٥٨ و ١٥٩ - ١٦٣ ثم ص ١٧٣)] . فقد توسل بهذين الأستطرادين الطويلين العريضين لإيراد ثلاثة سطور ثم سطرين .

كتاب التاج

أبي جعفر المنصور، ومن كان قبله من بني مروان، ومن أتى بعده من سُلالة هاشم .
ونعاه يكون قد اعتمد أيضا على كتاب "التاج" المصنّف بأسم كسرى أنوشروان ،
ذلك الكتاب الذي فسّره ابن المقفّع، وهو لا يزال إلى الآن سرّاً مكتوماً في ضمير
الزبان .

هذا الكتاب : يتضمن من أساليب التعبير والتفكير ما لا يكاد يجرى به قلم غير قلم
الجاحظ، أو يرتع فيه رجل سوى شيخ الأدب، أو يتجسس فيه غير ذلك العميد لكل
مفيد ومستفيد .



ظفرتُ بنسخةٍ مخطوطةٍ منه في خزانة طُوبُ قَبُو^(١) بمدينة القسطنطينية في مجلدةٍ
— هي لعمرى! — من أنفس الذخائر التي خلفها الأوائل للأواخر. ذلك بأنها تحوى
ثلاثة كتب قيمة :

النسخة الأولى
هذا الكتاب

١ - كتاب الآداب ، لأبن المقفّع ؛

٢ - الأدب الصغير ، له أيضا ؛

٣ - التاج ، للجاحظ .

(١) تحت (رقم ٢٤١٧ ورقم ١٣٣ أدب) .

(٢) وقد حققنا أنه "الأدب الكبير" بعينه ، كما أشرنا إليه في طبعتنا الأولى وكما بيناه في التصدير الذي
وضعناه في مقدمة طبعتنا الثانية التي شرعت جمعية الغررة الوثوق بالاسكندرية في إصدارها في هذه السنة (١٩١٤) .
(٣) وفي آخر صفحة منه ما نصه : "يتلوه كتاب "التاج" للإمام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
رحمه الله ورحم جميع المسلمين !"

فَسَرَعَانَ مَا تَجَزَدْتُ لِنَقْلِ هَذِهِ الْمَجْلَدَةِ مِنْ أَوْطَا إِلَى آخِرِهَا بِالتَّصْوِيرِ الشَّمْسِيِّ! وَقَدْ أَحَضَرْتُهَا مَعِيَ - إِلَى مَقَرِّهَا الْأَصِيلِ عَلَى ضِفَافِ النَّيْلِ - فِي جَمَلَةٍ مَا تَصِيدُهُ مِنْ مَفَاخِرِ الْعَرَبِ وَكُنُوزِ الْإِسْلَامِ : مِنْ غُرَرِ التَّصَانِيفِ وَرَوَائِعِ الْأَسْفَارِ .

غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمَجْلَدَةَ لَا تَحْتَوِي - لَا فِي أَوْطَا وَلَا فِي آخِرِهَا - عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَيِّنَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تَوْجَدُ عَادَةً فِي الْكُتُبِ الْمَخْطُوطَةِ . فَهِيَ خَلُوٌ مِنْ كَبَلٍّ أَثَرٌ لِلْعُلُومَاتِ الَّتِي تَدُلُّ الْبَاحِثَ عَلَى أَسْمِ الْخِزَانَةِ الَّتِي كُتِبَتْ بِرِسْمِهَا، أَوْ عَلَى أَسْمِ مَالِكِ هَذِهِ النُّسخَةِ، أَوْ عَلَى الَّذِينَ آلتَ إِلَيْهِمْ، أَوْ عَلَى كَاتِبِهَا، أَوْ عَلَى سَنَةِ نَسْخِهَا وَمَوْضِعِ كِتَابَتِهَا، أَوْ عَلَى مِقَابِلَتِهَا بِنُسخَةٍ أُخْرَى، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ التَّفَاصِيلِ الْخِزْيَانِيَّةِ أَوْ الْعَرْضِيَّةِ الَّتِي قَدْ يَكُونُ مِنْ وَرَائِهَا فَائِدَةٌ كَلِيَّةٌ أَوْ جَوْهَرِيَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ تَارِيخِ الْكِتَابِ وَهَوِيَّتِهِ وَمَاهِيَّتِهِ .

وَعَايَةُ مَا يَوْجَدُ فِيهَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ هُوَ تَعْلِيْقَةُ مَكْتُوبَةٌ فِي أَسْفَلِ طَرَفِ الْمَجْمُوعَةِ ، تَفِيدُ أَنَّ رَجُلًا أَسَمَهُ "يُوسُفُ الْحَلْبِي" قَرَأَهَا مِنْ أَوْطَا إِلَى آخِرِهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ ٨٩٤ هـ . فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ النُّسخَةُ مَكْتُوبَةٌ فِي حَلْبِ نَفْسِهَا أَوْ فِي الْقَاهِرَةِ .

وَهَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ مُشْكَلَةٌ مِنْ أَوْطَا إِلَى آخِرِهَا بِالْحَرَكَاتِ . عَلَى أَنَّ هَذَا الضَّبْطَ مِمَّا لَا يَصِحُّ الْأَعْتَادُ بِهِ أَوْ الْأَعْتِمَادُ عَلَيْهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ، إِنْ لَمْ نَقُلْ فِي أَغْلَبِ الْأَحْوَالِ . وَلَكِنَّمَا - مَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ - مِنْ ذَخَائِرِ مِصْرَ . إِذْ أَنَّ حَلْبَ كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عُمَّالَةً تَابِعَةً لِسُلْطَانِ مِصْرَ (وَهُوَ السُّلْطَانُ قَايْتَبَايَ الْحَمُودِيُّ الْمَشْهُورُ) . وَبَقِيَتْ فِي حُوزَةِ خَلْفَائِهِ إِلَى أَنْ آتَرَعَهَا السُّلْطَانُ سَلِيمُ الْعُثْمَانِي مِنَ السُّلْطَانِ قَانِصُوهِ الْغُورِي فِي سَنَةِ ٩٢٢ لِلْهِجْرَةِ . فَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

في ضمن الغنائم التي آستولى عليها السلطان العثماني ، فإنه نقل خزائن الكتب في جملة (١) ما نقل إلى ضفاف البوسفور من ذخائر وطننا وتحفه وطرائفه .

فأما "الأدبان" لأبن المقفع ، فقد أكلت طبعهما على ما يليق بمكانتهما في عالم الأدب والتصنيف ، وبمقام مؤلفهما المنقطع النظير (٢) . وكان ذلك بالإسكندرية : مدينتي التي بها درجت ، وفيها ترعرعت ، وإليها آتسبت . قدمتهما هديةً لجمعية "العروة الوثقى" التائمة بنشر العلم والتهذيب في أرض أحن إليها وأحنو عليها .

أما "التاج" وهو هذا ، فإنه يقع في ١٥٨ صفحة بخط نسخي من النوع المصرى الذى كان مستعملا في القرن التاسع للهجرة . وكل صفحة منه تتألف من ١٥ سطرا . وليس على طرته أو على خاتمته بيان من البيانات التي توجد عادة في أوائل المخطوطات وأواخرها سوى ما على طرّة المجلدة التي هو في ضمنها مما يدل على قراءة هذا الكتاب في سنة ٨٩٤ وأن القارى له هو "يوسف الحلبي" الذى سبق لنا الكلام عليه . اعتمدت هذه النسخة وأنقطعت إلى تحقيقها حولين كاملين حتى وصلت بها إلى الغاية التي جعلتها نصب عيني بما آتمى إليه وسعى وبلغه مدى جهدى . ويعلم الله - ويشهد الكثير من أخصائي الذين كانوا يترددون على بمصيفي برمل الإسكندرية

(١) أنظر مقالنا باللغة الفرنسية على الفنون الإسلامية والسبيل إلى إحيائها على ضفاف النيل :

Le Passé et l'Avenir de l'Art Musulman en Egypte (Mémoire sur la genèse et la floraison de l'art musulman et sur les moyens propres à le faire revivre en Egypte), par Ahmed Zéki Pacha.

Le Caire 1913, p. 15.

(٢) وقد قررت نظارة المعارف العمومية آستعمالها في مدارسها ، ونالا من فضل الشيوخ والآتشار ماهو

خليق بفضل مؤلفهما القدير .

أو "بخزانتى الزكية" فى القاهرة - أنى راجعتُ فى هذه السبيل أكثر من خمسمائة ديوان فى اللغة والأدب والتاريخ، وأنى كنتُ فى بعض الأحوال أفوز بنيل الأمل، ولكننى فى أكثر الأحيان كنتُ أرضى "من الغنيمة بعد الكد بالفعل!".



تحقيق بشأن
هذا الكتاب

الجاحظ هو صاحب تلك البدائع الروائع التى يتطلع إليها أهل الأدب من العرب ومن غير العرب . ولقد آمتاز هذا النابغة بمزية لم يشرَّكهُ فيها إلى اليوم أحدٌ غيره من المتقدمين والمتأخرين : بين الشرقيين أو الغربيين . تلك الميزة - ولا أدرى أهذه التسمية مطابقة لمرادى أم لا - هى أن نَفَثَاتِ صدره ونَفَحَاتِ قلمه ما عَمَّتْ أَنْ أصبحتْ مَتَاعاً مُشَاعاً وَنَهَباً مُقَسَّماً بين فُرسانِ الكُتَّابةِ وقُرَّصانِ الأدب . فقديماً سطا عليها المتقدمون من أرباب الأقاليم، ثم هذه بقاياها التى وصلت إلينا: لاتزال ملكاً مباحاً لكل من يتعاطون الإنشاء، يرونها طرفة لكل خاطف، وثمره لكل قاطف .

قاعدةٌ تَزْرُها القاضى الفاضل، وناهيك بمكانته التى لم يصل إليها أحد من بعده! أمّا تراه قد سجّل اعترافه على نفسه، وشرَّعَ هذا المورد لمن آقتدى به أو حاول الجرى على سَنِّه، منذ قال كلمته الماثورة: "وأما الجاحظ، فما منا معاشر الكُتَّابِ إلا من دخل داره، أو شنَّ على كلامه الغاره، وخرج وعلى كتفه منه الكاره"؟

(١) لذلك أقصرتُ فى الفهرس الأجدى الأول من الفهارس الملاحقة بهذا الكتاب على سرد المصنفات التى أنتفعتُ بها أو نقلتُ عنها أو أشرتُ إليها فى الحواشى وفى تكميل الروايات .

(٢) روى هذه الكلمة ابن فضل الله العمري صاحب "مسالك الأبصار" والصفدى صاحب "الوافية بالوفيات" وابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" فى ترجمتهم للجاحظ . [والكارة ما يجمله الرجل على ظهوره من الثياب . وهى تقارب التى نسميها الآن فى مصر "نُقْجَة" . كلمة تركية . وعربيتها الفصحى "عُكَّة" .]

حُكِّمَتْ اعتمده الجماعة، وقابلته بالسمع والطاعة، وما زالت تدأبُ في تنفيذه إلى هذه الساعة ! حتى إن المتصفح لدواوين الأدب ليرى كثيرا من المتقدمين والمتأخرين ينقلون عبارة الجاحظ برمتها فينسخونها نسخا، وآخرين يبترونها بترا أو يمسخونها مسخا. وكأني بهم قد تماؤؤوا كلهم على عدم الإشارة إليه، اللهم إلا في النادر.

أمرٌ يراه الناظر في تضاعيف هذا الكتاب وأعطافه، وفيما علقته عليه من الحواشي والشروح، وفيما أضفته إليه في "تكميل الروايات"^(١).



لكن العجب العجيب، أنه مع كثرة الناقلين عن هذا الكتاب، لم يُشر إليه واحدٌ منهم على الإطلاق ! بل إنني لم أعر على اسمه في كل ما وقفتُ عليه من أسفار المتقدمين والمتأخرين، مع شدة التنقيب والبحث، ومداومة التقلب والحرث.

زد على ذلك أن التاريخيين الذين كتبوا لنا سيرة الجاحظ، وأن الأخباريين الذين أفادونا بعض ما له من الكتب والرسائل، لم يسيروا قط إلى هذا الكتاب باسم "كتاب التاج"^(٣).

ما اسم هذا
الكتاب ؟

(١) وأنظر أيضا الجدول المتضمن للكتب الباقلة عن "التاج" في ص ٦٩ التالية .

(٢) في "أساس البلاغة": "حرث القرآن: أطلت دراسته وتدبره". وفي "تاج العروس": "الحرث تفتيش الكتاب وتدبره... وفي حديث عبدالله: أحرثوا هذا القرآن، أي قدشوه وثوروه". ومثل هذا في لغة الفرنسيين حرث الأرض وحرث العلم، فيقولون: Cultiver une science وCultiver une terre (٣) مع أنه هو المكتوب على طرة النسخة المحفوظة بخزانة طوب قيو، كما تراه في أحد الروايات الفتوغرافية التالية لهذا التصدير (ص ٧٣) . ومع أنه مكتوب أيضا بطريق العرض على نسخة آيا صوفيا كما تراه في الراموز المطبوع (ص ٧٥) التالية . [وهو مكتوب أيضا في آخر نسخة "الأدب الصغير" الموجودة في ضمن المجموعة المحفوظة بطوب قيو] .

للجاحظ

فكان من الواجب أن أتوفر على تحقيق هذه النقطة لإظهار غامضها وإيضاح مشكلها .

* * *

تحقيق في أسم
"التاج"

فَزَعْتُ حينئذ إلى الجاحظ نفسه . فقد توه بعض مصنفاته في مقدمة مصحفه الكبير المعروف بكتاب "الحيوان" وفي تضاعيفه أيضا؛ وكذلك فعل في "البيان والتبيين" .^(١) ثم رجعت إلى ثبوت مصنفاته في "معجم الأدياء" لياقوت الحموي^(٢)، وراجعت ما كتبه عنه الصفدي في "الوافي بالوفيات"^(٣) وما أورده ابن شاكر صاحب "عيون التواريخ"^(٤)، ونظرت فيما أورده كاتب چلي صاحب "كشف الظنون" .

فلم أر في كل ذلك أثراً لكتاب اسمه "كتاب التاج" منسوباً إلى الجاحظ . ولكنني وجدت ياقوت والصفدي وابن شاكر وكاتب چلي يذكرون كلهم لصاحبنا كتاباً عنوانه "أخلاق الملوك" . فتخيلت أن الكتاب واحد، وله آسمان .

النسخة الثانية
لهذا الكتاب

أكد ذلك الظن عندى وجعله عين اليقين أن النسخة المخطوطة الثانية الباقية من هذا الكتاب لا تزال محفوظة في خزانة آياصوفيا بالقسطنطينية ، وعنوانها "كتاب أخلاق الملوك" .

- (١) طبع بالقاهرة . ومنه نسخة مخطوطة في مجموعة الإمام الشيخ محمد محمود الشنقيطى بدار الكتب الخديوية . تنال الصحة على الجزء الأول منها ، وأما الثاني فشأنه كالنسخة المطبوعة .
- (٢) في الجزء السادس الذى تم طبعه أخيراً بالقاهرة بعناية صديق الأستاذ مرجولوث ، المستشرق الإنكليزى .
- (٣) وقد استحضرت القطعة المتعلقة بترجمة الجاحظ من نسخة "الوافي بالوفيات" من مجموعة كتب الطيب الذكر العلامة جيانجوس Gayangos . وهذه المجموعة النفيسة موجودة الآن (تحت رقم ٩٢) بجزارة جمعية التاريخ الملكية بمدريد عاصمة إسبانيا . نقلها لى بالفتوغرافية صديق الشيخ فرنسيسكو قداره D. Francisco Codera المستشرق الإسباني الشهير . فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .
- (٤) في حوادث سنة ٢٥٠ هجرية . وقد تفضل الأب شابو (L'abbé Chabot) المستشرق الفرنسى ، فأتحفنى بصورة فتوغرافية منقولة عن النسخة المحفوظة بمكتبة باريس الأهلية (تحت رقم ١٥٨٨) . فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

كتاب التاج

وقد وضع بعضهم في طرتها فوق حرف الباء من لفظة "كتاب" كلمة "التاج" مكتوبة بخط غير الخط الأصلي، وكذلك تحت كلمة "كتاب" وضع قوله "في أمور الرياسة"^(١).

وقد حصلت، بحمد الله، على صورتها الفوتوغرافية في الوقت المناسب. وهي التي رمزت لها بحرف (ص) وتمكنت من استخدامها بكل دقة في تحقيق هذه الطبعة، على ما يراه الناظر في كل صفحة.

وهذه النسخة تقع في ١٦٦ صفحة، وكل صفحة تحتوي على ١٣ سطرا. وهي مجزأة من البيانات التاريخية التي قد تكون لها علاقة بأصلها وما هيتها. وغاية ما فيها أن ناسخها وضع في آخرها حاشية مختصرة دذا نصها: "وكان في المتقول عنها سقامة". فلا غرو أن جاءت السقامة فيها مزدوجة.

والراجح عندي أن أسم "التاج" قد صار إطلاقيه على هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه بزمان. أعني فيما وراء القرن الثامن للهجرة، أي بعد عصر ياقوت والصفدي وابن شاكر الكتبي. على أنني لا يتسنى لي أن أعين - ولو بطريق التقريب أو التخمين - الوقت الذي أطلقوا فيه أسم "التاج" على كتاب "أخلاق الملوك".

عرد إلى التحقيق
في أسم "التاج"

هذا. وأنا أستبعد كل البعد أن يكون ذلك المجهول الذي كتب لفظة "التاج" على طرة النسخة الموجودة في آيا صوفيا قد استمد ذلك من النسخة الموجودة في خزنة طوب قيو. فإن هذه الخزنة كانت لا تزال موصدة الأبواب إلى سنة ١٩٠٨ للميلاد.

(١) أنظر هذا العنوان في الرموز الثاني من الروايز الفوتوغرافية (Fac-simile) التالية لهذا التصدير

وفوق ذلك، فهذا فهرسها خلو من العنواين: "التاج" و"أخلاق الملوك". بل يسوغ لي أن أحكم بأن واضح ذلك الفهرس لم يعرف عن كل من العنواين شيئاً على الإطلاق. لأن القرائن كلها - فيما يتعلق بهذا الكتاب وبغيره - تدلنا على أن واضح ذلك الفهرس إنما آكتفى بأخذ العنوان الموجود في الورقة الأولى من كل مجلد، دون أن يتصفح المجلد بأكمله، ليرى ما إذا كان في تضاعيفه وثنائاه كتب أخرى: كما هي العادة في كثير من كتب المشاركة، وكما هو حاصل بالفعل في تلك الحزنة نفسها.

لذلك أجزم أن واضح الفهرس الخاص بطوب قيو، قد اقتصر على مارآه في صدر الورقة الأولى؛ وقد فعل.

وكيف لا، ونحن إنما نرى في الفهرس قوله: "كتاب الآداب للشيخ الإمام العالم العلامة عبد الله بن المقفع رحمة الله عليه" دون أن تكون هناك أدنى إشارة إلى "الأدب الصغير" أو إلى "كتاب التاج"، مع أن الثلاثة موجودة بين الدفتين.

لا يصح القول بأن ذلك العنوان جامع يشمل الكتب الثلاثة معاً. وذلك لأنه لم يرد في طرة الكتاب الأول وهو "الأدب الكبير" عنوان خاص له، وذلك بخلاف ما حصل في طرة الكتاب الثاني حيث أورد عنوانه هكذا "آداب عبد الله بن المقفع الصغرى" وكما حصل في الكتاب الثالث حيث أورد عنوانه هكذا: "كتاب التاج تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رحمة الله عليه".

فيكون من الصعب - والحالة هذه - أن يطَّلَع على كتاب "التاج" إنسان آخر، اللهم إلا أن يكون قد صادف ما وفقني الله إليه من تقرى الكتب التاريخية والأدبية كلها في طوب قيو، واحداً واحداً، كما أتيج لي منذ بضع سنين. وذلك أمرٌ تحققت من رب الدار أنه ما كان.

عود الكلام على
أسم التاج
والكتب المسماة
بهذا الاسم

(١) وهناك باب للتظني. ذلك أن المتقدمين كثيرا ما يسمون كتبهم بأسماء متعددة .
وها هي كتب الجاحظ نفسه ، نرى لبعضها عنوانات مختلفة . بل هو نفسه يسميها
بأسماء ، بعضها مختصر وبعضها فيه شيء من التطويل .^(٢)

وبعد ، فتحن نعلم أن الجاحظ كان مولعا بأبن المقفع ، ومُعجبا به وبآثاره .
أفلا يصح القول بأنه آختر في بعض الأحيان اسم "التاج" متابعاً لذلك الكتب
العظيم ، صاحب كتاب "التاج في سيرة كسرى أنوشروان" ؟^(٣)

ومن جهة أخرى نرى هذا العنوان "التاج" قد أستهم به كثير من أكابر المصنفين
فاختاره نفرٌ من صدور الصدر الأول ، وعنونوا به بعض كتبهم ، مجازةً لما وصلهم
عن أهل فارس الذين سبقوا العرب بتأليف "كتاب التاج وما تفاعلت به ملوكهم" .
وهو الذي ذكره ابن النديم في ضمن الكتب التي "ألّفها الفرس في السير والأسمار
الصحيحة التي لملوكهم" .^(٤)

(١) نكتفي بذكر "معجم الأدباء" لياقوت . فإنه مشهور أيضا باسم "إرشاد الأريب" ، وبأسم "طبقات
الأدباء" . ومثل ذلك كتاب المقرئ ، فإن اسمه "المواعظ والاعتبار" ، وهو مشهور باسم "الخطط" .
أوليس القليلون هم الذين يعرفون العنوان الأصلي لتاريخ ابن خلدون ؟ وأشبه ذلك كثيرة جدا يعرفها الذين
يعانون هذا النوع من الأبحاث ، أو كما يقول الجاحظ : "كل من كان كلنا بتعرفها وكان له في العلم أصل وكان
بينه وبين التبيين نصيب" . أنظر كتاب الحيوان (ج ٣ ص ٧٣) .

(٢) وأنظر الرسالة التي كتبها بعنوان : "من هو الجاحظ ، وما هي مصنفاته" ؟ وسأشرها فيما بعد .
(٣) من مؤلفات ابن المقفع أو من ترجمته عن الفارسية . وذكره صاحب كتاب الفهرست . وعليه بحث
مفيد وضعه باللغة الروسية الأستاذ إينوسترانسف C. Inostrancew في كتاب "المباحث الساسانية"
المطبوع في بطرسبورج سنة ١٩٠٩ (ص ٢٨ - ٣٢) .
(٤) كتاب الفهرست (ص ٣٠٥) .

فما ظهر من المصنفات في اللغة العربية بهذا العنوان، مرتبا على حسب تواريخ وفيات المؤلفين :

١ - كتاب التاج^(١) في سيرة أنوشروان ، لعبد الله بن المقفع (وهو أزل كتاب صدر بالعربية بهذا العنوان) .

٢ - كتاب التاج^(٢)، لأبي عبيدة، المتوفى فيما بين سنتي ٢٠٧ و ٢١٣ للهجرة .

(١) كتاب الفهرست (ص ١١٨) . [ولعله هو الذي نقل عنه صاحب العقد الفريد - لأنني لم أجد في كتاب الجاحظ الذي أقدمه اليوم للقراء ما أورده ابن عبد ربه عن كتاب "التاج" - في الجزء الأول من العقد الفريد (ج ١ ص ١١٦، ٢٦٦ وغيرهما) ، ولا ما أورده ابن قتيبة في كتاب "عيون الأخبار" .]
 (٢) ذكر القفطي في كتاب "إنباه الرواه على أنباه النباه" كتابين لأبي عبيدة أحدهما باسم "التاج" والثاني باسم "الديباج" (أنظر النسخة المنقولة بالفتوغرافية الموجودة بدار الكتب الخديوية) . كذلك فعل ابن خلكان في ترجمة أبي عبيدة (أنظر طبع بولاق وطبع باريس والترجمة الانكليزية) . ولم يذكر هذين الكتابين ابن الأنباري في "نزهة الألباء" ولا السيوطي في "بنية الوعاة" . وقد نقل ابن عبد ربه في العقد الفريد عن "كتاب التاج" الذي لأبي عبيدة (أنظر ج ٢ ص ٥٣ و ٥٥ و ٦٩) . ولكن ابن النديم (ص ٥٢) وابن خبير الأندلسي (ص ٣٦١) وصاحب "تاج العروس" في مادة (ج م ر) لم يذكروا له غير كتاب الديباج . وما ينبغي التنبيه إليه أن العبارة التي نقلها صاحب "تاج العروس" عن جمرات العرب (وقال إنها عن أبي عبيدة في كتاب الديباج) تراها واردة بنصها تقريبا عن "كتاب الديباج" أيضا في كتاب "الكامل" للبرد (ص ٣٧٢ من طبعة ليبسك و ص ١١ من ج ٢ طبعة القاهرة) . وهي واردة أيضا مع زيادة ونقص طفيفين في الألفاظ في العقد الفريد (ج ٢ ص ٦٩) وصاحبه يقول بأنه نقلها عن كتاب "التاج" لأبي عبيدة . نعم إن التحريف كثير في العقد الفريد المطبوع في بولاق ، ولكنه ذكر هذا "التاج" ثلاث مرات وتد شهد القفطي وابن خلكان بأن لأبي عبيدة هذا كتابين أحدهما "التاج" والثاني "الديباج" . فهل هما كتاب واحد؟ ربما يكون ذلك كان . ولعل الرجل سمى كتابه بالديباج ثم لقبه هو أو غيره بالتاج . وذلك لأن القول التي أوردها صاحب العقد الفريد تدل على أنه موضوع في بيان مفاخر العرب وبيوتاتها ، وذلك مما يحمل على الظن بأن صاحبه أراد أن يضاهي به كتاب التاج الذي ألفه الفرس . على أن المعلوم أن أبا عبيدة كان من الشعوبية وكان يكره العرب ، وقد ألف كثيرا في مثلهم .

كتاب التاج

- ٣ - كتاب التاج، لأبن الراوندي، المتوفى سنة ٣٠١. [وقضه أبو سهل إسماعيل النوبختي في كتاب سماه "السبك" (٢)].
- ٤ - كتاب التاج، للصابي، المتوفى سنة ٣٨٤. ويسمى "التاجي" ويسمى "المتوج في العدل والسياسة" (٤).
- ٥ - كتاب التاج، لأبن فارس، صاحب "مجل اللغة"، المتوفى سنة ٣٩٥.
- ٦ - التاج في زوائد الروضة على المنهاج، في الفقه، لأحد علماء القرن التاسع. هذه هي بعض الكتب التي عرفناها بهذا الاسم، فيما قبل الجاحظ وبعده، مما قد بلغنا خبره وإن لم يصلنا أثره (٧).

- (١) ذكره في كشف الظنون، ولم يعرفنا بموضوعه.
- (٢) أنظر كتاب "الفهرست" (ص ١٧٧).
- (٣) ذكره في كتاب "الفهرست". ونقل عنه البيروني في الآثار الباقية (ص ٣٨).
- (٤) ذكره في كتاب الفهرست (ص ١٣٤)، وذكره ابن خلكان في ترجمة الصابي.
- (٥) عرفنا به ابن خير الأندلسي في جملة الكتب التي رواها عن أشياخه بالسند المتصل إلى مؤلفها، في كتابه المطبوع بمدينة سرقسطة Saragosse من أعمال إسبانيا سنة ١٨٩٥ (ص ٣٧٤).
- (٦) ذكره صاحب "كشف الظنون" في حرف التاء ثم في حرف الراء والميم (وأنظر أعداد ٢٠٦، ٦٦٦٦، ١٣٢٤٢، من طبعة العلامة فلوجل).
- (٧) ثم إن العرب أضافوا هذا الاسم إلى غيره. فآلقوا: تاج الأسماء، تاج الأنساب، تاج التراجم في طبقات الحنفية، تاج الحرة للعري، تاج السلاطين في معرفة الأباليس والشياطين، تاج العارفين، تاج العروس في الزهد، تاج المداخل، تاج المذكرين، تاج المصادر، تاج المعاني، تاج المعلل، تاج المفرق، تاج النسرين. [ذكرها كلها صاحب كشف الظنون. وقد أهملت مما أورده ما هو بالتركية أو الفارسية]. ثم تاج الحلية ذكره ابن خير الأندلسي، التاج في كيفية العلاج، تاج المجاميع، التاج المرصع في شرح رجز أبي مفرع، تاج المعارف وتاريخ الخلاف، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، وهذه الكتب موجودة بمخزنة باريس الأهلية. ثم تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي، الخ الخ.

إلى هنا آتينا من أنه لا مانع أن يكون الكتاب الذي بين أيدينا قد سماه صاحبه
أو الذين جاؤوا من بعده بأسم "التاج" . ولا شك عندنا ولا عند غيرنا في أنه هو
كتاب "أخلاق الملوك" .

ولكن ...



بقى علينا أمر آخر، وهو من الجلالة بمكان .

فن هو المؤلف لهذا الكتاب ؟ ... الجاحظ أم غيره ؟

إن الجاحظ ترك نحواً من ٣٦ مؤلفاً، رآها سبط ابن الجوزي كلها تقريباً في مشهد
أبي حنيفة النعمان ببغداد، وإن كان لم يذكر لنا شيئاً من أسمائها في "مرآة الزمان" .
ولما كان الجاحظ لم يُشر في مقدمة كتاب "الحيوان" إلا لشيء يسير جدنا من
تأليفه (وليس فيها كتاب "التاج" ولا كتاب "أخلاق الملوك") وكذلك الحال فيما
وقفنا عليه من أسفاره الأخرى، فقد بقينا من ذلك الأمر في شكٍ مُريب .

من هو المؤلف لهذا
الكتاب ؟

نظرة في أسلوب
الكتاب من
حيث الإنشاء .

ويزداد هذا الشكُّ متى قلنا بأن أسلوب الكتاب في مجموعه قد لا يوافق ما هو معهود
من كتابة الجاحظ وظرافته ومجآنته، أو ما هو معروف عنه من التمسك بأوهى الأسباب
للتلاعب بالألبياب .

ذلك لأننا نراه قد خالف هنا عاداته في الاستطراد والاسترسال، والتنقل من حال
إلى حال، اللهم إلا فيما لا يُؤبُّه به ولا يمكن اتخاذه حجة فيما نحن بصدد من الأبحاث .
لكننا إذا قررنا أن هذا الكتاب سفرٌ آدابٍ وأخلاقٍ لا دفتر تبيين وبيان، وأنه
خاصٌ بموضوع معين محصور في أمر واحد معلوم، فقد يزول ذلك الارتياب الذي
ربما يعلق ببعض الأذهان .

نعم، فلقد كانت وظيفة الجاحظ في هذا الكتاب أن ينقل ماراقه من الآداب التي
 دوتها الفرس في آيينهم وقوانينهم^(١)، وأن يسطر ما تلقاه عن شيوخه أو سمعه من أقرانه
 أو تلقفه عن صحابته مما يتعلق بأحوال الخلفاء والسادات . فكان عمله قاصرا على
 ربط الأفكار بعضها ببعض، ولم يكن له مجالٌ يتبسّط فيه ويسرح، أو ميدانٌ يتنشّط
 فيه ويمرح. كذلك كان شأنه في طائفة من مقالاته التي قصر فيها الكلام على موضوع
 واحد، كما فعل في "مقالة الشيعة" وفي غيرها من رسائله العديدة وفصوله الكثيرة
 التي وصلتنا .

على أننا مع ذلك نراه في "التاج" - كلما تراءت له سانحة أو هزّته نشوة -
 قد يغلبه طبعه فيستطرد ويستدرك ثم يعود أدراجه ، ولكن في المعنى الواحد
 وفي البأية الواحدة^(٢) .

(١) أنظر شرح هذه الكلمة في كتاب التاج، في حاشية (ص ١٩) .
 (٢) البأية معناها : الحد، الوجه، الخصلة، الشرط، القبيل، النوع . وأستعمالنا لها هنا هو بالمعنيين
 الأخيرين . قال الجاحظ في الحيوان (ج ٢ ص ٤٥) : "فليس لديك من بأية الكلب، لأنه إن ساوره
 قتله قتلا ذريعا" . وقال أيضا (ج ٧ ص ٤٣) : "وقد أيقنا أنهما ليسا من بأية" . ثم روى أيضا
 (ج ٧ ص ٣٦) أيياتا لتميم بن مقبل، هذا محلّ الشاهد منها :

بني تامر، ما تأمر ونبشاعر * تخير بابات الكتاب هجائيا ؟ ...

نعم إن طابع "الحيوان" صحف الكلمتين الأوليين من الشطر الثاني من البيت الأول (كما صحف وحرف
 ومسخ وشوّه في كثير من المواضع التي لا تعدّ ولا تحصى) فأوردهما هكذا "يخير بابات" ولكن الصحيح
 ما أورده هنا . ويؤيد ذلك أن صاحب تاج العروس روى البيت الأوّل في مادة (ب وب) مثل روايتي
 وقد فسر بقوله : معناه تخير هجائي من بابات الكتاب .

وقال الجاحظ أيضا في كتاب البخلاء : "أنت من ذى البأية ... ؛ وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه
 البأية" (ص ٤٥، ٤٣) =

(١) وإذا نظرنا بعد ذلك إلى ما تضمنته "التاج" من بعض العبارات، نرى أسلوبه يتجلى فيها على أحسن مثال. فبينما هو ينقل عن آداب الفرس وأحوال ملوكهم، إذا به قد أخذته النعرة العربية فعقب بما يماثل هذه الأحوال أو ما يجانسها مما كان قد وقع للعرب قبل الإسلام أو بعد الإسلام. وذلك كله على سبيل الأستطراد والأسترسال، اللذين هما من أخص سجاياه .

= ومثل ذلك (في فتح الطيب، ج ١ ص ٥٥٩ طبعة ليدن؛ ج ١ ص ٣٩٨ طبعة بولاق سنة ١٢٧٩ هـ) قول القاضي محمد بن بشير الأندلسي :

إِنَّمَا أَزْرِي بِقَدْرِي أَنِّي * لَسْتُ مِنْ "بَابَةِ" أَهْلِ الْبَلَدِ ...

وفي "تاج العروس" ما خلاصته : "هذا بابته أى شرطه ؛ وإذا نال الناس : من بابتي، فعناه من الوجه الذى أريده ويصلح

والبابة فى الحساب والحدود ونحوه الغاية" .

وقال البيرونى فى كتاب "تحقيق مال الهند" : وبسببه أقول فيما هو بابتي منهم ... (ص ١٢) .

وفى "شفاء الغليل" انهم يقولون للعب خيال الظلّ بابة [أى لكل نوع وقسم من أنواع التمثيل وأقسامه التى نسميها الآن فصول الرواية = Scène] فيقولون بابات خيال الظل . وقد أورد الخفاجى هناك تفصيلا لطيفا وتورية بدعية فى أشعار راقية . فأنظرها .

وعلى ذلك قول ابن إياس المؤرخ المصرى : "فكانوا مثل بابات خيال الظلّ : فشىء يجىء وشىء يروح" (بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج ١ ص ٣٤٧) .

(١) أنظر ص ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ١٥، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣٠، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨٣، ٨٥، ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٩، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٢، ١١٣، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٥٠، ١٦٧، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٧ .

كتاب التاج

ولنا دليل آخر، وهو أننا نرى الكتاب يتم على مؤلفه. ذلك لأن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد والتكثير حتى لقد عابه النقاد من أهل زمانه، بل أشار هو في مقدمة كتاب الحيوان^(١) إلى تلك الزرابة على طبعه ونحيزته.

ولكنه مع هذا التكرار الذي نراه فاشيا في كتبه، ومع هذا الانتقاد الذي عابه به قوم من أهل زمانه، لم يرجع عن دينه ودينه وعادته في نفس كتاب "الحيوان" ثم في كتاب "البيان والتبيين". فقد نراه في تضاعيفهما يذكر الحكمة التي تدعوه إلى ذلك، وقد يكرر فصولا من الكلام ومقطعات من الأشعار، كلما حانت له نُهْزَة أو تجددت لديه الفرصة، بل كلما تراى له شق ضئيل يفضى به إلى ميدان فسيح يسمح له بالتوسع في التعبير.

ثم هو فوق ذلك ينقل في بعض كتبه ما قد تقدم له في بعضها الآخر. فإذا علمنا ذلك كله، فلننظر في كتابه هذا لتبين منه أهذه السليقة موجودة فيه أم لا. نحن نجد ذلك، بله نجد ما هو أبلغ.

أفما تراه ينقل في "التاج" شيئا كثيرا مما أورده في "البيان والتبيين"^(٢)؟ وهذا أيضا كتاب "الحيوان" قد نقل عنه في "التاج" في موضع واحد^(٣). ومثلهما كتاب "البخلاء"^(٤) في موضع واحد أيضا.

-
- (١) أنظر مقدمة "الحيوان" (ص ٣ س ٤).
(٢) أنظر (ج ٣ ص ١٢؛ ج ٣ ص ٥١؛ ج ١ ص ٦٩؛ ج ٣ ص ١٠٩). وأنظر ما أورده في تكميل الروايات في (ص ١٩٢ عن ص ٢٠) و(ص ١٩٦ عن ح ٤ ص ٤٧) وفي (ص ١٩٧ عن ص ٥٣، ٥٤) و(ص ٢٠٣ عن ح ٤ ص ٨١).
(٣) أنظر في تكميل الروايات في (ص ٢٠٣ عن ح ١ ص ٨٩).
(٤) فإن الحكاية التي أوردها في "التاج" (ص ٢٠) عن الجارود بن أبي سبرة وتبدي الأعلى، نراها بنصها وحرفها تقريرا في كتاب "البخلاء" (ص ١٩٣). وقد رواها في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٢).

فلو كان المؤلف رجلا غير الجاحظ، لكان قد أشار - ولو عرضاً أو مرة واحدة - إلى المنقول عنه بطريقة التصريح أو التلميح، أو كان أستعمل عبارة مبهمة تفيد النقل على أى وجه كان .

وإذا نظرنا الآن من جهة أخرى، رأينا أن جماعة من المؤلفين قد سطوا على هذا الكتاب، كما أغار غيرهم على كثير من بقية الآثار التي دمجها بنان الجاحظ . وقد أشرت إلى شيء كثير من هذا القبيل في الحواشي التي حلت بها صفحات هذه الطبعة، ولكنني رأيت - لزيادة الفائدة ولتمحيص الحقيقة - أن أجمع ذلك كله في جدول خاص في آخر هذا التصدير.^(١)

فعلينا أن نبحث فيما إذا كان القلم قد خان بعض الناقلين فتركوا أثرا محسوسا ملموسا نستدل به تصريحا أو تلميحاً على أن كتابنا هذا إنما هو من نثبات يراع الجاحظ . فهذا المسعودي، قد أستحوذ على حديث يزيد بن شجرة مع معاوية . ولما أضطر لنقل حكم الجاحظ، حاسب ذمته وراجع ضميره فلم ينسبه لنفسه بل آكتفى بقوله: "قال بعض أهل المعرفة والأدب ممن صنف الكتب في هذا المعنى وغيره"^(٢).

وهذا البيهقي، هذا حدو المسعودي . ولكنه تحبب عند ما نقل حكم الجاحظ والحديث الذي يرويهِ عن ألقاه إليه.^(٣)

(١) في (ص ٦٩) التالية .

(٢) أنظر (ص ٥٧) من التاج و(ح ٤) فيها .

(٣) أنظر (ص ١٧٠) من التاج و(ح ٤ و ٣) فيها، وأنظر أيضاً (ص ١٧١) و(حواشي ٢ و ٣ و ٤) فيها .

وهذا صاحب "محاسن الملوك". سطا على "التاج" فنقله كله تقريباً: تارة بالحرف وغالباً بالاختصار. وكأنه قد عاهد نفسه أن لا يذكر الجاحظ قط، غير أنه سها في آخر الأمر فذكره وسماه بأسمه مرتين وأورد ألفاظه بمعناها^(١).

على أن هذه الشواهد - وإن كان التديل بها، كما يقول الجاحظ، قائماً في العقل مطرداً في الرأي غير مستحيل في النظر^(٢) - فإنها، والحق يقال، لم تصل بنا إلى حد اليقين الذي يحسن التسليم به والسكوت عنده، لأنها لا تتضمن القول المقنع ولا الدليل الذي تتلجج به الصدور. ونحن إنما نتلمس البرهانات النيرة الناصعة، والمجج الظاهرة الساطعة، والشهادات القائمة اللامعة، التي ينتهي إليها العلم، ويقف عندها البيان.



وحيث فلا سبيل لإزالة الإبهام وأستجلاء الحقيقة بطريقة حاسمة إلا إذا آستفتينا رجلين هما عمدة التحقيق في هذا الباب، لأن قولها هو الفصل الذي لانقض فيه ولا إبرام. أعنى بهما: محمد بن إسحاق النديم، وأبا حيان التوحيدى الكاتب الشهير. فكان حقا علينا أن نسألتهما، فعند جهينة الخبر اليقين.

مراجعة العيون
التاريخية

١ - إن "كتاب الفهرست" الذي ألفه العلامة ابن النديم، قد طبعه الأستاذ فيوجل (Flügel) سنة ١٨٧١ في ليدسك، مدينة العلم بألمانيا. ولكننا لانرى فيه شيئاً عن الجاحظ، إلا من طريق العرض ومن باب الأستطراد.

إستفتاء ابن النديم،
وتحقيق بشأن
المطبوع من كتابه

(١) أنظر (ص ١٤٠) من التاج و(ح ٢) فيها.

(٢) كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٧).

للمحافظ

فهل يُعقل أن ذلك العلامة الاختصاصي^(١)، الواسع الاطلاع، المتقطع لمثل هذا الشأن، يهمل رجلا كالمحافظ؟

اللهم لا ! وكيف وقد ذكر كثيرا من العلماء والمصنفين الذين هم أقل من صاحبنا بدرجات كثيرة!

بيد أن الحق الصراح هو أن النسخة المطبوعة مبتورة. وقد ثبت ذلك مثل وضح النهار، بأمر ثلاثة :

أولها - أن ياقوت يذكر في "معجم الأدباء" أسماء كثير من العلماء، ويورد عنهم تفصيلات متعددة، ويذكر لهم تصانيف متنوعة، ثم يصرح بنقله عن كتاب الفهرست لابن النديم^(٢). فإذا ما رجعنا إلى النسخة المطبوعة (أو إلى تلك الفصول التي عثر عليها الأستاذ هوتسا كما سيجيء قريبا) لانجد لذلك أثرا على الإطلاق. ومعلوم أن ياقوت حجة في النقل وأهل للتصديق فيما يتعلق بالكتب والتعريف بها.

(١) ولا أقول الإخصائي. لما في هذه اللفظة من الخلط الذي يتبادر إلى الأذهان، ولأنها غير واردة بالنص. وكان حقا على الذين اختاروها أن يقولوا "أخصي" وينظروا بعد ذلك إن كانوا يريدون الإصرار على اسم الفاعل، وهو كما يرون. فغاية ما في شرح القاموس أنهم يقولون: "أخصي الرجل تعلم علما واحدا. نقله الصانفي. وهو مجاز". ولكننا نحن نزيد بالاختصاصي الذي يبرع في الاختصاص والأفراد بعلم واحد ويكون مع ذلك قد شدا بعضا من المعارف المتعلقة به. هذا فضلا عن أننا نزيد الحقيقة لا المجاز. ولذلك نسبه إلى كلمة الاختصاص، ويكون اللفظ بالمعنى الشائع في هذه الأيام من المولدات. وقد قال في تاج العروس: "إخص فلان بالأمر وتخصص له إذا أقرد". فإن كان أخصاء الإخصاء يريدون النسبة إلى المصدر، فقد جاريهاهم؛ ولكننا دفعتا اللبس العائق بأختيارهم.

(٢) أنظر (ج ١) حواشي (ص ٤٦، ١٢٧، ١٤١، ١٤٣، ٣١٥)؛ ثم (ج ٢) حواشي (ص ٨، ١٧، ٣٧، ٤٧، ١٣١، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٣٩، ٣٥٠، ٣٨٨، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤١٩، ٤٢٥)؛ ثم (ج ٣) حواشي (ص ١٣، ٨٦، ١٤٠)؛ ثم (ج ٥) حواشي (ص ٥٦، ٢٢١، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٧٦، ٤٣٢، ٤٣٥)؛ ثم (ج ٦) حواشي (ص ٤٩، ١٤١، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٤).

ثانيها - أن الأستاذ هوتسما Houtsma عثر على جملة تراجم مما كتبه ابن النديم^(١) (وهي غير واردة في النسخة المطبوعة) فنشرها في المجلة النمساوية للعلوم الشرقية بنصها العربي^(٢)، مع خلاصة عليها باللغة الألمانية. وكل ما جاء فيها عن الجاحظ لا يزيد على أحد عشر سطرا، مبتورة من الأول ومن الوسط ومن الآخر. وما هي إلا نتفة من رسالته إلى محمد بن عبد الملك الزيات، الوزير العباسي المشهور. ولا مشاحة في أنها كانت مبنوثة في فصل كبير طويل.

ثالثها - (وهو أبلغها) أن ياقوت قد أورد ترجمة الجاحظ في الجزء السادس من "معجم الأديب" ونقل فيها عن كتاب الفهرست أن صاحبه يقول إنه رأى كتابين من كتب الجاحظ بخط وراقه^(٣). ونحن نبحث على غير طائل عن هذه العبارة في النسخة المطبوعة من كتاب ابن النديم!

فلم يبق بعد ذلك أدنى ريب في أن ابن النديم ترجم للجاحظ، وعرف به تعريفا وافيا، وأفاض في سرد أسماء كتبه، وشرح أحوالها كلها أو بعضها. لذلك تعلقت همتي بمواصلة البحث وأستقصائه فيما أعلمه من النسخ المخطوطة التي لا تزال محفوظة ببعض الخزائن المعروفة لنا.

(١) عن: واصل بن عطاء، العلاف، النظام، ثمامة بن أمّرس، الجاحظ، ابن دؤاد، ابن الراوندي، الناش، أبو علي الجبائي، الرماني، ابن زبر، هشام بن الحكم، شيطان الطاق.

(٢) راجع (ص ٢١٨ - ٢٣٥ من ج ٣) ن المجلة المذكورة (WZKM) الصادر في سنة ١٨٨٩.

(٣) أنظر معجم الأديب (ج ٦ ص ٧٥)، وهذا نصه: قال ابن النديم: "ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى، ويكنى أبا يحيى، وراق الجاحظ".

فكان أول ما باشرتُ البحث فيه (بالواسطة) هو النسخة الباقية من ذلك الكتاب النفيس بمكتبة المرحوم عارف حكمت^(١) بالمدينة المنورة . ولكنني تحققت أنها لا تتضمن الضالّة المنشودة .

كذلك كان الشأن في النسخ الثلاث الباقية بالقسطنطينية ، والأولى منها محفوظة بخزانة يكي جامع^(٢) ، والثانيتان في مكتبة الكوپرلي^(٣) .

ولكن هذه النتيجة السلبية لم تُبسط همتي ولم تُقعد عزيمتي . بل واصلتُ البحث والتقيب حتى عثرتُ في خزانة الشهيد علي باشا بالقسطنطينية على النصف الثاني من كتاب "الفهرست" ، وعليه أماراتٌ ربما يؤخذ منها أنه بخط المصنف نفسه . وهي نسخة جميلة جداً ، وبخط واضح في غاية الصحة والضبط . فنقلتها بالفتوغرافية وضممتها دُرّة فاحرة إلى خزانة كتبي بالقاهرة . غير أن سوء الحظ قضى أن لا نتحقق فيها الأمانة ، وأن يبقى الظلام حائلاً دون بلوغ المرام . فإن هذا النصف يتبدى من الكلام على "الواسطى" المعتزلى ، وينتهى إلى آخر الكتاب .

وهذا الاسم واردٌ في النسخة المطبوعة تحت عنوان المقالة الخامسة ، مباشرة^(٦) . ولكنه جاء في نسختنا في رأس الصفحة ، بما يدل على أنه تالٍ للكلام آخر تقدم عليه^(٧) .

(١) تحت رقم (٤٤٧) بعنوان "فهرست العلوم القديمة" .

(٢) تحت رقم (٨١٥) وعنوانها "أسامى الكتب المسماة بالنذكار الجامع للأتار" .

(٣) تحت رقمي (١١٣٤ ، ١١٣٥) ، وكل منهما عنوانه "فهرس العلوم" .

(٤) وفهرسها غير مطبوع لآن .

(٥) محفوظة تحت رقم (١٩٣٤) .

(٦) ص ١٧٢ .

(٧) وقد نبه الطابع في تعليقاته باللغة الألمانية على سقوط بعض الفصول التي يجب أنها كانت تكون وارداً في هذه المقالة قبل الكلام على "الواسطى" .

تحت عنوان تلك المقالة التي يدور فيها الكلام على المعتزلة . وبديهي أن القسم الذي عثر عليه العلامة هو تسما هو متقدم أيضا على الواسطي المذكور : لأنه يشتمل على أسماء كثير من كبار المعتزلة ، وفي جملتهم الجاحظ .

فلا بد أن يكون الكلام على الجاحظ قد جاء في ختام النصف الأول بله في رأس النصف الثاني من هذه النسخة الثمينة . ولكن أين هي تلك الورقات التي تزيل الشك المريب ، وتقول لأهل البحث والتقيب : ” قَطَعَتْ جَهِيْزَةٌ قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ “ ؟

فلم يكن لي مناصاً بعد جميع هذه النتائج السلبية سوى أن أحسب على الله ما تجشمته من العناء ، وأن أتربص إلى أن تُتَّيحَ لنا الأقدار نسخة كاملة صحيحة من كتاب ” الفهرست ” فنقف منها على ما قاله صاحبه عن الجاحظ ونعرف ما أورده له من أسماء الكتب والمصنفات ، وهل فيها إشارة إلى ” التاج ” أم لا .

٢ - أبو حيان التوحيدى - الكاتب الطويل النفس ، ألف كتابا في ” تقيظ الجاحظ ” . وقد رآه ياقوت الحموى ونقل عنه فصولا كثيرة في ” معجم الأدياء ” وأفادنا أنه نقل ما نقل من خط أبي حيان^(١) . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا أيضا . غير أن الذى نقله عنه ياقوت يدل على أن الرجل قد استوعب فيه الكلام عن الجاحظ ، ولا بد أن يكون قد استوفى فيه التعريف بكتبه أيضا . وأين ” أين السها من كف المتناول ” ؟ بل أين ” أين الثريا من يد المتناول ” ؟

استفناء أبي حيان
التوحيدى

(١) أنظر معجم الأدياء (ج ٦ ص ٦٩ ، ٥٨) في ترجمة الجاحظ .

للجاحظ

بجسث عن
الكتب المسماة
بأخلاق الملوك

حينئذ لم يبق لدينا سندٌ صحيح، ولا نصٌّ صريح - قبل ياقوت - على أن الجاحظ هو صاحب كتاب "أخلاق الملوك".

فكان حقا علينا أن نقف هنيئة لنرى هل هذا النقل صادق وهل هذا الخبر مطابق للواقع .

ترك جانبا ما لنا من الثقة التامة في أمانة ياقوت الذي كان من أعرف الناس بالكتب ومصنفها، ونقول:

إذا ما نظرنا فيما وصل إلينا عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك" نرى أن الأمر لا يتعدى ثلاثة من الناس، وهم: الفتح بن خاقان، ومحمد بن الحارث الثعلبي (أو الثعلبي)، والجاحظ .

فلننظر أيهم هو صاحب كتابنا هذا !

التعريف بالفتح
أبن خاقان

١ - الفتح بن خاقان . هذا الوزير كان من المغرمين بالكتب غراما شديدا . وكانت له خزانة حكيمة لم ير الناس أعظم منها : كثرة وحسنا . جمعها له علي بن يحيى المنجم من كتبه . ومما أستكتبه الفتح نفسه .^(١)

وقد كان يشمل برعايته كثيرا من أكابر العلماء^(٢)، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء البصرة والكوفة . ومن كان في جملة المفضل بن سلمة اللغوي المعروف .^(٣)^(٤)

(١) أنظر كتاب الفهرست ، والوفى بالوفيات (عن القطعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب الخديوية : في ترجمة الفتح بن خاقان) .

(٢) أنظر كتاب الفهرست في ترجمته .

(٣) الوفاى بالوفيات (عن النطعة السابق ذكرها قبل) .

(٤) أنظر كتاب الفهرست (ص ٧٣) .

کتاب التاج

وكان الفتح يَبَارِي في تفسير الآيات مع المبرد وأمثاله . وللبحتري فيه مدائح كثيرة ،
هي من غُرر ديوانه . وصنف جماعة منهم كتباً بأسمه - أي قدموها إليه - ومن جملتهم^(٢)
الجاحظ ، وكذلك العلامة الشهير أبو جعفر محمد بن حبيب الذي صنف بأسمه "كتاب
القبائل الكبير"^(٣) . ومثلهما صاحبنا محمد بن الحارث ، صاحب الكتاب المسمى
"أخلاق الملوك" الذي سيأتي الكلام عليه عما قريب .

فلا غرابة أن رجلاً مثل الفتح في محبته للكتب وأجتماعه بالعلماء ومشاركته لهم
في المباحث الدقيقة يكون هو أيضاً من جملة المصنفين . فقد روى له صاحب
"الفهرست" أربعة كتب ؛ وهي :

(١) كتاب الصيد والجوارح ،

(٢) كتاب الروضة والزهر ،

(٣) كتاب البستان ،

(٤) كتاب اختلاف الملوك . (هكذا بالناء والفاء)

(١) أنظر مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٧) .

(٢) يوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب الخديوية ، ثنتان واسعتان متشابهتان ، والثالثة مختصرة .

(٣) أنظر الفهرست في قسم الأدب . وذلك خلاف النسخة المطبوعة في "الجوائب" وفيها أغلاط مطبعية كثيرة .

وليس المخطوطات من الطراز الأول من حيث الصحة والضبط .

(٤) كتاب الفهرست (ص ١٠٧) .

فأما الكتاب الأول، فهو خارج عن موضوعنا وعن دائرة "أختصاصنا" وبحثنا. ولا شبهة لنا في أنه من تصنيف هذا الوزير، لاسيما أنه يتعلق بأمور، يالفها الملوك والأمراء والوزراء والسادات. ونحن نعلم أنه كان فارساً مقدّماً وأنه قتل أسداً، على ما تشهد به إحدى القصائد الطنانة التي مدحه بها البحترى.

أما الكتاب الثاني، فسيأتي الكلام عليه عند ذكر محمد بن الحارث.

وأما الثالث (وهو كتاب البستان) فقد صرح المسعودي بأنه ألفه في أنواع من الأدب^(١). ولكن ابن النديم (الذي هو أعرف بهذه الشؤون) نفى ذلك وأكد لنا أنه "منسوب إليه والذي ألفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل"^(٢). وهكذا الصفدي، فإنه لم يذكر لفتح سوى الكتاب الأول (الصيد والجوارح) ثم كتاب البستان هذا، وقد قال عنه: "صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل، ونسبه إليه"^(٣).

فهذه أول شبهة يصح لنا أن نستنبط منها أن من الكتب المصنفة برسمه، ما قد أشتهر بعده بأسمه، حتى قال الناس إنه من وضعه.

وأما الكتاب الرابع، فالظاهر أن اسمه ورد محوفاً عن "أخلاق الملوك". ولا نستشهد بأن صاحب "معجم الأدباء" ولا صاحب "كشف الظنون" ولا صاحب

(١) مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٢).

(٢) أنظر ترجمته في كتاب الفهرست.

(٣) في ترجمته في الوافي بالوفيات (عن القطعة السابق ذكرها قبل).

”الوافية بالوفيات“ لم يذكروا أن للوزير كتابا باسم ”أختلاف الملوك“ أو ”أخلاق الملوك“. لأنه ربما يكون قد فاتهم، هذا إن كان. ولكننا نقول هنا إنه يجوز أن يكون هذا الكتاب للفتح، أو لمحمد بن الحارث، أو للجاحظ.

فإن كان للفتح كتاب باسم ”أخلاق الملوك“ أو ”أختلاف الملوك“ فهو على كل حال ليس الذي بأيدينا. لأن كتاب ”التاج“ يتضمن في أوله وفي آخره مدحا للفتح ابن خاقان وتبويها بذكره، وينادي صاحبه بأعلى عقيرته أنه قدمه للفتح بن خاقان^(١). ولنا أن نتوهم أن صاحب ”الفهرست“ إنما أراد - عند الكلام على الفتح - أن يشير إلى الكتاب المترجم بأخلاق الملوك الذي ألفه محمد بن الحارث أو الجاحظ باسم الفتح، ثم توسع فنقول إن ابن النديم لم يذكر لنا مؤلفه الأصلي كما فعل عند كلامه على ”كتاب البستان“. ولسنا نبحث عما إذا كان الإهمال حصل من نفس ابن النديم، أو حدث بسبب النقص الكثير الموجود في النسخة المطبوعة^(٢).

وعلى كل حال فليس للفتح بن خاقان شأن فيما نحن بصدده.

بقى علينا أن نبحث عما يتعلق بابن الحارث التغلبي (أو الثعلبي) الذي يؤكد لنا ابن النديم بأنه ألف كتابا باسم ”أخلاق الملوك“^(٣).

أنا لا أمتنع أن يكون هذا الرجل ألف كتابا بهذا الاسم وقدمه إلى ذلك الوزير. وإنما أقول إن ذلك لا يعارض أن يكون الجاحظ أيضا قد ألف كتابا آخر وترجمه

كلام عن محمد
ابن الحارث

(١) أنظر (ص ٤ و ١٨٦) من كتاب التاج.

(٢) ففي نسخة كتاب الفهرست مواضع كثيرة لاهل النقد والنظر. مثال ذلك أنها نسبت إلى حسن بن محبوب ثمانية عشر كتابا من الكتب التي ثبت أنها من تأليف الكوفي. أنظر معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٣).

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٤٨).

للحاحظ

بنفس ذلك العنوان ثم قدمه إلى الوزير نفسه . فكثيرا ما نرى المتعاصرين يؤلفون كتباً بعنوان واحد ويقدمونها إلى سري^(١) واحد .

ولكنني أرى هنالك شبهة قوية تمنع أن يكون الكتاب الذي بأيدينا هو من تأليف محمد بن الحارث .

بيان ذلك :

إن هذا الرجل ألف كتابين آخرين بشهادة ابن النديم . أحدهما كتاب رسائله ، والثاني كتاب "الروضة" .

نقف قليلا عند هذا الكتاب الثاني ، مترددين في شأنه . أفلا يكون هو نفس الكتاب الذي نسبه ابن النديم للفتح بعنوان "الروضة والزهر" ؟ فيكون شأنه حيثئذ شأن كتاب "الباستان" الذي ألفه رأس البغل ونسبه الناس للفتح !

ولكننا نرجع مسرعين إلى كتاب "أخلاق الملوك" المنسوب لابن الحارث ، ونأتى بما عندنا من الدلائل على أنه إذا صح وجوده ، فهو غير الذي بأيدينا .

نعم إن "مروج الذهب" المطبوع في باريس أشار إلى "محمد بن الحارث الثعلبي صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف للفتح بن خاقان"^(٢) . ولكن النسخة المطبوعة في بولاق تسميه "أخبار الملوك"^(٣) ومثلها نسخة أخرى مخطوطة في "خزانة الزكيّة" .

(١) أنظر كتاب الفهرست ، ومعجم الأدباء ، وكشف الظنون (في غير ما موضع) .

(٢) طبعة باريس (ج ٢ ص ١٢) .

(٣) طبعة بولاق (ج ١ ص ٥ س ١) .

فلم لا يكون ذلك الرجل كتب كتابه وترجمه "أخبار الملوك" ثم تصحفت الكلمة في النسخة أو النسخ التي كانت أصلا لما أعتمده في طبع "المروج" بباريس؟ ولم لا يكون حصل مثل ذلك عند طبع "النهرست" في ليمسك^(١)؟

ولكن ذلك - والحق يقال - لاعتباره برهانا حاسما في أن هذا الكتاب الذي بأيدينا ليس لأبن الحارث .

لذلك كله لم يبق لدينا سوى وسيلة واحدة لاستطلاع الحقيقة من الكتاب نفسه .



فتعالوا بنا نسأله ليخبرنا هو عن مؤلفه الحقيقي بما يزول معه كل آرتياب وتبجلى به الحقيقة ناصعة دون حجاب .

استفتاء الكتاب
نفسه لمعرفة مؤلفه

الكتاب يُدلى بحجة صاحبه وينادى على رؤوس الأشهاد بأنه من تأليف الجاحظ .

أولا - إن الجاحظ قد أمتاز بأسلوب مخصوص من الكتابة والتعبير: أسلوب فيه حلاوة، وعليه طلاوة، وله رشاقة؛ أسلوب يتجلى فيه الألفاظ العذبة، والمخارج السهلة، والديباجة الكريمة، والطبع المتمكن، والمعاني التي إذا طرقت الصدور عمرتها، وإذا صارت إلى القلوب أصلحتها من الفساد القديم، وإذا جرت على الألسنة فتحت لها أبواب البلاغة .

أسلوب الجاحظ

وها هو "التاج" إذا أجلنا النظر في تضاعيفه وثنائيه وأعطافه، وجدناه حاليا يعيون الكلم الروائع والفقر الحسان، والثقف الجياد، مما ينادى بأن صانعه الماهر، وصانعه الحاذق، هو هو "الجاحظ" صاحب السبك الجيد، ورب الكلام الذي له ماء

(١) وقد ثبت لنا عن ياقوت أن فيها تحريفا كثيرا، كما أشرنا إليه في إحدى الحواشي المتقدمة (ص ٤٣) .

وروتق، وفيه قزة العين وجلاء الصدور. تلك الصنعة عليها طابع الجاحظ كما هو معهود عند نقاد الألفاظ وصياغة النثر والنظام وجهاذة المعاني .

والشاهد الصادق والمجحة القاطعة على ما نقول يتجلىان في أجمل حلة عند ما ينظر القارئ في الصفحات التي سبقت الإشارة إلى أرقامها^(١) .

هنالك يشنف القارئ سمعه بالألفاظ المستحسنة في الآذان، التي تدخل على الأذهان بغير استئذان . هنالك يذوق في كل سطر تلك الحلاوة ويتهمج فؤاده حيال تلك الطلاوة وهاتيك الرشاقة التي آختص بها "الجاحظ"، إلى ما هو معروف عنه من السهولة والعدوبة التي تحببه إلى النفوس . هنالك نجد المعنى يسابق اللفظ، ونشهد اللفظ يجارى المعنى : بطريقة تهش لها الأسماع، وتلتحم بالعقول، وترتاح إليها القلوب . هنالك نجد اللفظ كريما في نفسه، متحيزا إلى جنسه، متخيلا في نوعه . هنالك نرى الكلام سليما من الفضول، بريئا من التعقيد .

وإليك أمثلة تؤيد بها قولنا، وننقلها هنا حجة على صدق رأينا، وتترك للقارئ أمثلة من صياغته مراجعة الباقي في سائر المواطنين التي نهناه إليها .

قال صاحب "التاج" في صفحة ٢١ :

فإنا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضع للهوه، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه ؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته، كما يحتاج إلى الناسك لعظته ؛ ويحتاج إلى أهل الهزل، كما يحتاج إلى أهل الجد والعقل، ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم المتقن .

(١) في (ح ١ ص ٣٩) من هذا التصدير .

وفي صفحة ٢٤ :

لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضعيه ، ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر
ولا مؤوف ولا مرمى بأبنة ، ولا مجهول الأبوين ، ولا ابن صناعة ذئبية كآبن حائك أو حجام ، ولو كان
يعلم الغيب مثلا .

وفي صفحة ٤٥ :

والسكرحد إذا بلغه نديم الملك ، فأجل الأمور وأحراها بأخلاقه أن لا يترأخه بزلة إن سببته ، ولا بلفظة
إن غلبت لسانه ، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره .
والحد في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له ، وإن خلى ونفسه رى بها في مهواة ، وإن أراد أحد أخذ
ثيابه لم يمانعه .

فأما إذا كان من يعرف ما يأتي وما يذر ، وكان إذا رام أحد أخذ مامعه ، قاتله دونه ، وكان إذا شتم ، غضب
وأنصر ، وإذا تكلم ، أفصح وقل سقطة : فإذا كانت هذه صفته ثم جاءت منه زلة ، فعلى عمد أتاها وبقصد
فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه . فإن ترك عقوبة هذا ومن أشبهه ، قدح في عزه وساطانه .

وفي صفحة ٤٨ :

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس . دخل على (أحمد) بن أبي دؤاد (بن علي) وعليه مبطنة ملونة من أحسن
ثوب في الأرض ، وقد أعم على رأسه رصافية بمامة خز سوداء لها طرفان خلفه وأمامه ، وعليه خف أصفر ،
وفي يده عكازة آبنوس ملوح بذهب ، وفي أصبعه فص ياقوت تضيء يده منه . فنظر إلى هيئة ملائ قلبه ،
وكان جسيما ، فقال : "يا إبراهيم ! لقد جئتني في لبسة وهيئة ما تصلح إلا لواحد من الخلق" . فأنصرف فلم
يأته حتى مات .

وفي صفحة ٦١ :

ألا ترى أن الملك قد يفض على الرجل من حماته ، والرجل من حامته وبطانتة : إما لجناية في صلب مال ،
أو لجناية حرمة الملك ، فيؤخر عقوبته دهرًا طويلا ، ثم لا يظهر له ما يوحشه ، حتى يتق ذلك في اللحظة والكلمة
والإشارة وما أشبه ذلك .

وليست هذه أخلاق سائر الناس ، إذ نكنا نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الجنايات وعند أول
بوادر الغضب .

للإحاطة

فأما الملوك وأبناؤهم ، فليست تقاس أخلاقهم ولا يعاير عليها . إذ كان أحدهم يضع أعدى خلق الله له بين أذنه وعاتقه ، وبين سحره ونحره . فتطول بذلك المدة وتمرّ به الأزمنة ، وهو لو قتله في أوّل حادثة تكون وعند أوّل عشرة يعثر ، لم يكن بين هذه القتلة وبين الأخرى بعدها بعشرين سنة فرق . إذ كان لا يخاف ناراً ، ولا في الملك وهنا .

وفي صفحة ٦٦ - ٦٨ :

ومن حق الملك أن لا يرفع أحد من خاصته وبطانته رأسه إلى حرمة له ، صغرت أم كبرت . فكم من فيل قد وطئ هامة عظيم ويطنه حتى بدت أمعاؤه ، وكم من شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع وتمششته ، وكم من جارية كانت كريمة على قومها ، عزيزة في ناديها قد أكلتها حيتان البحر وطيير الماء ، وكم من جمجمة كانت آصان وتعلّ بالمسك والبان ، قد ألقيت بالعراء ، وغيببت جنتها في الثرى بسبب الحرم ، والنساء ، والخدم ، والأولياء ! ولم يأت الشيطان أحداً من باب قط حتى يراه بحيث يهوى منقسم اللحم والأعضاء ، هو أبلغ في مكيدته وأحرى أن يرى فيه أمنيته من هذا الباب ، إذ كان من أطف مكايد وأدق وساوسه وأحلى ترينه !

فعلى الحكيم المحب لبقاء هذا النسيم الدقيق ، وهذا الماء الرقيق ، أن يطلب دوامهما لنفسه بكل حيلة يجد إليها سبيلاً ، ويدفع مقارقتها لكل شيء يقع فيه التأويل بين أمرين من سلامة تنجى أو غضب يتلف . ولا يتكل على خيانة خفيت أو بغرة حظي بها أحد من أهل السفه والبطالة . فإن تلك لا تسمى سلامة ، بل إنما هي حسرة وندامة يوم القيامة . وكم من فعلة قد ظهر عليها بعد مرور الأيام وطول الأزمنة بها ، فردّت من كان قد أحسن بها الظن حتى تركته كأمس الذاهب كأن لم يكن في العالم !

وفي صفحة ٧١ :

ومن حق الملك - إذا زامله بعض بطانته - أن يكون تارفاً بمنازل الطريق وقطع المسافة ، دليلاً بهدايته وأعلامه ومياهه ، قليل الثأوب والنعاس ، قليل السعال والعطاس ، معتدل المزاج ، صحيح البنية ، طيب المفاكهة والمحاذنة ، قصير المياومة والملايلة ، عالماً بأيام الناس ومكارم أخلاقهم ، عالماً بالنادر من الشعر والساثر من المثل ، متطرّفاً من كل فن ، أخذاً من الخير والشر بنصيب . إن ذكر الآخرة ونعيم أهل الجنة ، حدّته بما أعتد الله تعالى لأهل طاعته من الثواب فرغبه فيما عنده ؛ وإن ذكر النار ، حدّره ما قرب إليها . فزهده مرة ، ورغبه أخرى . فإن بالملك أعظم الحاجة إلى من كانت هذه صفاته . وبالحرى إذا أصاب هذا ، أن لا يفارقه إلا عن أمر تنقطع به العصمة وتجب به النعمة .

ومن حق الملك ، إذا خرج لسفر أو نزهة ، أن لا يفارقه خلع للكساء ، وأموال للصلات ، وسياط للآداب ،
وقيود للعصاة ، وسلاح للأعداء ، وحماة يكونون من ورائه وبين يديه ، ومؤنس يفضى إليه بسره ، وعالم يسأله
عن حوادث أمره وستة شريعته ، ومُله يقصر ليله ويكثر فوائده .

وفي صفحة ١٠٢ :

والعامة تضع هذا وما أشبهه في غير موضعه . وإنما هوشى ، ألقاه الشيطان في قلوبهم وأجراه على ألسنتهم ،
حتى قالوا في نحو من هذا في البائع والمشتري : ” المغبون لا محمود ولا مأجور ” . فحملوا الجهلة على المنازعة
للبراعة ، والمشائمة للسفلة والسوقة ، والمقاذفة للرعاع والوضعاء ، والنظار في قيمة حبة ، والأطلاع في لسان
الميزان ، وأخذ المعايير بالأيدى .

وبالحرى أن يكون المغبون محموداً ومأجوراً . اللهم إلا أن يكون قال له : آغنى . بل لو قالها ، كانت
أكرومة وفضيلة ، وفعلة جميلة تدل على كرم عنصر القائل وطيب مر كبه .
ولذلك قالت العرب : ” السروُ التغافل ! ” .

وأنت لا تتجدد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج ، وعن مباحته إذا غبن ، وعن التقصى إذا نجس ،
إلا وجدت له في قلبك فضيلة وجلالة ما تقدر على دفعها .

وقال في ص ١٤٣ ، عند رده على من وصف أبا جعفر المنصور بالبخل ، بعد أن
أورد الدلائل والشواهد :

” فهل سمع هذا الجاهل الخائن يمثل هذه المكارم العربي أو عجمي ؟ ولو أردنا أن نذكر محاسن المنصور ،
” على التفصيل والتقصى لطلال بها الكتاب وكثرت فيه الأخبار “ .
” وقبلها استعملت العامة وكثير من الخاصة التمييز ، إثارة للتقليد . إذ كان أقل في الشغل وأدل على الجهل “
” وأخف في المؤونة . وحسبك من جهل العامة أنها تفضل السمين على النحيف ، وإن كان السمين مأفوناً “
” والنحيف ذا فضائل ، وتفضل الطويل على القصير ، لا للطول ولكن لشيء آخر لا ندري ما هو ، وتفضل
” راكب الدابة على راكب البغل وراكب البغل على راكب الحمار ، أقتصاراً على التقليد إذ كان أسهل في المأني “
” وأهون في الاختبار “ .

أفليست هذه ديباجة الجاحظ ؟ وهلا ترى روحه سارية في هذه التراكيب
الرشيقة الناصعة وتلك الأساليب الأنيقة البارعة ؟

للجاحظ

ثانيا - إن بعض المصادر التي عوّل عليها صاحب "التاج" نجدها متفقة مع بعض مصادر مازاه في الكتب التي لا ريب في أنها من آثار "الجاحظ".

فقد اعتمد الجاحظ على ^(١) ابن نجيح وعلى إبراهيم بن السندي ^(٢) بن شَاهِك وعلى محمد ^(٣) ابن الجهم وعلى صباح بن خاقان ^(٤).

وكذلك شأنه في النقل عن "كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ" ^(٥).

أما المدايني والهيثم والشرقي بن القَطَامِي، فالنقل عنهم كثير جدًا في كل كتبه. فلا تطيل بالأستدلال بهم فيما نحن بصده.

تكرار الجاحظ
وترداده

ثالث - إن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد. وهو أمر نشاهده أيضا في كتاب "التاج" ودليلنا على ذلك ما تراه :

(١) في "التاج" (ص ٤) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٢٩).

(٢) في "التاج" (ص ١٢) وفي "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠، ج ٤ ص ١٣٥، ج ٥ ص ١٠٣، ١١٩، ج ٧ ص ١٢) وفي "البخلاء" (ص ٢٦) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤١، ٥٤، ٦٠، ٧٩، ١٢٩، ج ٢ ص ٣٩ و ١٥٤) وفي "مناقب الترك" (ص ٤٧ و ٥٠) وفي "العشق والنساء" (ص ١٦٧).

(٣) في "التاج" (ص ٥١) وفي "الحيوان" (في مواضع كثيرة من جميع الأجزاء) وفي "البخلاء" (ص ١٤٨) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤٥، ج ٢ ص ١٦ و ١٦١) وفي "مناقب الترك" (ص ٣٥ و ٢٤).

(٤) في "التاج" (ص ١١٠) وفي "الحيوان" (ج ٤ ص ١٠٠) وفي "البيان" (ج ١ ص ٤٨ و ١٣٦).

(٥) في "التاج" (ص ١٣٨) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٨؛ ج ٧ ص ٢٩، ٣٠).

- ١ - في كلامه على تفرد الملوك (ص ٤٧٠، ١٧)؛
 - ٢ - في بيانه لكمية الشرب وكيفيته (ص ٨٩٠، ٤٩٠، ٢٢)؛
 - ٣ - في شرحه لاستماع حديث الملوك (ص ١١٢٠، ٥٣)؛
 - ٤ - في ذكره لطريقة تحديث الملوك (ص ١١٧٠، ١١٢٠، ٤٩)؛
 - ٥ - في سرده سيرة الخلفاء والملوك في الشرب (ص ٣٢ - ٤٣ و ص ١٥١)؛
 - ٦ - في إتيانه على آداب أهل الزلفى بعد المضاحكة (ص ٦١، ٦٨)؛
 - ٧ - في دلالة على وجوب الاحتياط على الملك عند الدتومنه (ص ٧٠، ٥٣).
- وهالك مواضع أخرى من هذا القبيل، أضربنا عن ذكرها لأنها مبثوثة في الكتاب يراها المتأمل بغير عناء .

إشارته إلى كتبه
المتقدمة

رابعا - لأن المؤلف نفسه يقول في صفحة ٥ من "التاج" :

ولعل قائلا يقول ، إذا رأنا قد حكينا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب : "قد ناقض واضع هذا الكتاب إذ زعم أنه ليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية" . فيظلم في اللفظ ويعتدى في المقال . وأولئك الملوك هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النبط الأعلى . أنت تجد ذلك عيانا وتشهد عليه بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقولها من نظر في سير من مضى وسير من شاهد . وبالله التوفيق !

وبديهي أن محمد بن الحارث لا يصح له أن يقول مثل هذه الكلمة لأن كتبه الثلاثة "الصيد والجوارح" ، و"الروضة والزهر" ، و"البستان" لا تختمل أن تكون موضوعا لبعض "أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب" . أما الذي له الحق الصراح في أن يأتي بمثل هذا القول فإنما هو الجاحظ دون صاحبه . وها هي كتب الجاحظ التي وصلت إلينا نراها مفعمة بتفاصيل من هذا القبيل ! فما ظنك بالتي ضنّ بها علينا الزمان ؟

خامسا - لأن مصنف "التاج" يقول في خطبته : "إنا ألفنا كتابا قبل كتابنا هذا فيه أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة . وكان غير ذلك أولى بنا وأحق في مذهبنا وأحرى أن نصرف عنايتنا إلى ما يجب للملك من ذكر أخلاقها وشيئها"^(١).

سادسا - إن المؤلف يعود فيؤكد ذلك بقوله : "فرأينا إذ أخطأنا في تقديمنا أخلاق أهل البطالة - وإن كان فيها بعض الآداب وما يحتاج إليه أهل الشرف من محاسن الأخلاق - أن نتلافى ما فرط منا بوضع كتاب في أخلاق الملوك وخصائصها التي هي لها في أنفسها"^(٢).

فهذان نصان صريحان في أن الذي ألف كتابا في أخلاق أهل البطالة هو نفس الذي صنف كتاب "أخلاق الملوك" . ولا مَرِيَّةَ عند أحدٍ في أن الجاحظ هو الذي صنف كتاب الفتيان وأخلاق أهل البطالة (كما يشهد به ياقوت والصفدي وآبن شاكر) .



فوجب علينا حينئذ أن نجزم القول ونبرم الحكم بأن الجاحظ هو صاحب هذا الكتاب .

أما محمد بن الحارث التغلبي (أو الثعلبي) فلم يقل أحد قط إنه كتب شيئا في أخلاق الفتيان وأهل البطالة .

(١) أنظر كتاب التاج (ص ٣ س ٢ - ٤) .

(٢) أنظر كتاب التاج (ص ٤ س ١٠ - ١٢) .

وبناء على ذلك فليس يصح لإنسان أن يقول بعد الآن إن لهذا الرجل شأنًا ما
في الكتاب الذي تقدمه اليوم إلى أهل الفضل والأدب .

وها نحن ، بحمد الله ، قد وفينا البحث حقه بما وصلت إليه طاقتنا وانتهى إليه
وسعنا . ولم نأل جهدا فيما شرطه الجاحظ (في البيان والتبيين ، ج ١ ص ٤) من
حيث الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق إليه أميل والعقول
عنه أفهم والنفوس إليه أسرع . والله ولي الهداية والتوفيق .

أحمد زكي

عن "الخزانة الزكية" بالقاهرة في سنة
جمادى الأولى ١٣٣٢ هـ
أبريل ١٩١٤ م

حاشية :

أرى من واجبي أن أذكر بالشكر المعاونة الثمينة التي بذلها لي صديق المفضل نعمت الله أفندي البغدادى
المشتغل بمهنة المحاماة بالقسطنطينية . فقد جعل نفسه وقفًا على خدمتي ومساعدتي أثناء اشتغالي في عاصمة
الخلافة الإسلامية بجمع المواد التي كانت أساسا لمشروع "إحياء الآداب العربية" . وكان في كل معاملاته
معى مثالا للإخلاص وعنوانا للأمانة . وله اليد الطولى في خدمة هذا الكتاب بنوع أخص ، لأنه "مفضل
وراجع بمزيد الدقة تجارب المطبعة على النسخة المحفوظة في آياصوفيا قبل أن تصلى صورتها الفوتوغرافية .
فكان حقا على أن أسطر له آية من الشكر في تضاعيف هذا السفر .

أ . زكي

بعد التحرير

وفيه تعريف بنسخة ثالثة من كتاب "التاج"

مكتوبة في مدينة حلب الشهباء.

كان إرسال كتاب "التاج" إلى المطبعة الأهلية في يوم ١٧ محرم سنة ١٣٣٠ (٧ يناير سنة ١٩١٢) بأمر رسمي من نظارة المعارف العمومية .

من ذلك العهد توفرت على خدمته بتحقيق ألفاظه وعباراته وإنعام البحث في مبانيه ومعانيه وتحلية حواشيه وتصحيح مسوداته وتجاربه ، ثم أقطعت لكتابة "التصدير" وتكامل الحواشي وتحرير الفهارس حتى فرغت من ذلك كله في يوم الأربعاء ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٣١ (١٩ نوفمبر سنة ١٩١٣) . فأرسلت للطبعة الأميرية الإذن بأعتماد الطبع نهائيا .

ولكن الأقدار سافت لي نسخة ثالثة من "التاج" على غير أنتظار . فتمد حضر إلى القاهرة في يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٣ رجل من الذين يتعاطون تجارة التحائف والطرائف بمدينة فلورانس ، من أعمال إيطاليا ، وهو جناب الميسو شرمان S. Sherman ومعه طائفة من الكتب الخطية باللغة العربية والتركية والفارسية مما اشتراه من القسطنطينية من المجموعة التي تضمنتها خزانة خالص بك . وقد طلب مني مشادة مامعه من الأسفار ، فتصفحتها واحدا واحدا ، وليس في وسعي أن أصف آتياجي وسروري حينما عثرت في جملتها على نسخة من كتاب "التاج" .

لذلك أسرع فطلبت من المطبعة إيقاف طبع التصدير والفهارس إلى أن يتم لي تصفح هذه النسخة الثالثة التي أسميتها "بالحلبية" .

راجعتُ هذه النسخة على طبعتي كلمة كلمة وحرفا حرفا . فالتفت في "الحلمية" أغلوطات كثيرة، وتحريفات متعددة . ووجدتُ فيها بعضا من العبارات التي اعتمدتها في طبعتي، نقلا عن نسخة آيا صوفيا . ولست أتكلم عما في "الحلمية" من التحريف الذي قلما تخلو منه صفحة واحدة بل سطر واحد، ولا عما تضمنته من الحروف والكلمات الزائدة أو الناقصة، ولا عن العبارات المبتورة . فإن الذي يعينني منها إنما هو بعض ما تضمنته من الزيادات التي فيها فائدة جوهرية، أو قد يكون لها شبه مزية عرضية . هذه الزيادات هي التي اكتفيتُ بتحريرها في باب عنوانه باسم "استدراك" وأضفته عقب باب "التصحيحات" حتى يكون "التاج" متحليا بكل ما يمكن من مزايا الجمال والكمال .



أما وقد سبق لي وصف النسخة السلطانية (س) في صفحة ٢٧ و ٢٨ ونسخة آيا صوفيا (ص) في صفحة ٣١ و ٣٢ من هذا التصدير، فلا بد لي من أن أقول في هذا المقام إنني أكملتُ كلاً من هاتين النسختين بالأخرى، وأتعبتُ نفسي كثيرا في تصحيح ما أودعه فيها الناسخان الماسخان من سخافات وحماقات وضلالات، ومن تشويهاً وتبديلات وجهالات .

ذلك بأنني شمرْتُ عن ساعد الحدِّ، وراجعتُ كتب الثقات، وبذلتُ كل ما في الطوق لتتويم المعوجَّ وإصلاح الخطل بما وسعه الجهد وبلغه المقدور، حتى جاءت طبعتي لكتاب "التاج" جامعة لكل ما جاء في النسختين المذكورتين على قسطاس مستقيم، فأصبحتُ وافية من كل وجه بما يتطلبه أهل العلم والتحقيق، ويستغني بها القارئ عن الأصليين متحدين أو منفردين .



والآن أرى من الواجب تخصيص كلمة أخرى للتعريف بالنسخة "الحلبيية" فأقول :

إنها موجودة في مجموعة تشتمل على كتابين ، وليس في أحدهما عنوان .

فأما الأول فيتضمن آداب الملوك ونصائحهم ، وأما الثاني فهو كتاب "التاج" .

على الصفحة الأولى من هذه المجموعة عبارة تفيد أنها دخلت في نوبة "خويدم

الفقراء التشبثية السيد أحمد نجمل المرحوم المبرور الشيخ داود افندي القشبندي الخالدي عني عنهما

في ١٩ شوال سنة ١٣٠٨ ."

وأنا أعلم علم اليقين أن هذه المجموعة قد دخلت بعد ذلك التاريخ في خزانة كتب

خالص بك من رجالات السلطان عبد الحميد الثاني المخلوع في عصرنا هذا . فإن

الخواجه شرمات وشركاءه قد آشتروا هذه الخزانة أو معظمها منذ سنة أو أقل

من سنة من خالص بك المشار إليه .

وأعود لوصف نسخة "التاج" الموجودة في هذه المجموعة "الحلبيية" فأقول

على وجه الإجمال : إنها تشترك مع (ص) في كثير من الزيادات التي تضمنتها ،

وتشترك مع (س) في بعض العبارات التي انفردت بها . (وحيث أن هذه النسخ

الثلاث التي وقعت لي هي صادرة عن ثلاث أمهات أصلية متغايرة) .

أما هذه النسخة "الحلبيية" فهي مكتوبة بقلم النسخ العادي الذي كان

مستعملا في القرن التاسع الهجري . وهي تقع في ١٠٥ صفحات ، في كل صفحة

منها ١٧ سطرا . ولكنها مبتورة من آخرها . ذلك لأنها تنهى عند قول الجاحظ :

للجاحظ

”ولولا أن يطول كتابنا في إسحاق وذكره وحكيينا (كذا) مناقبه لحكيينا عنه أخبارا كثيرة ، وهي من هذا الجنس وفيما ذكرناه كفاية . والله أعلم بالصواب“ .

فهذه العبارة هي الواردة في صفحة ١٧١ من طبعتنا . وإنما أضاف إليها الناسخ الحلبي قوله ”والله أعلم بالصواب“ ليختم الكتاب . وعلى ذلك تكون النسخة الحلبية ناقصة ١٥ صفحة من طبعتنا ، أي ١٧ صفحة من النسخة السلطانية ، أي ١٣ صفحة من نسخة آيا صوفيا .

ومما ينبغي إعادة التنبيه إليه أن هذه النسخة خلّو من العنوان . والأمر المهم فيها أنها تتضمن في الصفحة الأولى نسبة الكتاب إلى الجاحظ . فإنها مصدرة بعد البسملة بهذه العبارة :

”قال الشيخ الإمام العالم العلامة ذو التصانيف المفيدة والمقاصد الحميدة أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله“ .

والأمر الأهم فيما يعيننا أن آخر صفحة منها تتضمن اسم الكاتب لها وموضع نسخها والخزانة التي كانت بها . فقد ورد فيها مانصه بالحرف الواحد :

”بلغ المقابلة من هذا الكتاب بالمدرسة المعروفة بإنشاء الخوجا أمير حاج بن جنيد بباثقوس^(١) بحلب المحروسة ، في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة . وكتبه عبد الله بن عمر الشافعي“^(٢) .

(١) أنظر الراموز الفتوغرافي في صفحة ٨١ وقد نقلناه عن الأصل بإذن صاحبه المسيو شمران .

(٢) باثقوسا (فتح النون كما في ياقوت ، ولكن أهلها ينطقون به ساكنا الآن) هي قرية كبيرة كانت خارج سور حلب وفيها جامع قديم مشهور . وقد اتصلت العمارة بينهما حتى صارت الآن جزءا من المدينة . ولا تزال بها آثار تلك المدرسة ولكن أطلالها دارسة ، ومعالمها طامسة . وهي من المدارس المهجورة . وأنظر الراموز الفتوغرافي في صفحة ٨٣ وقد نقلناه عن الأصل بإذن صاحبه المسيو شمران .

(٣) كلمة ”الشافعي“ قرأتها بالخمسين . وفي كتابها لإبهام كثير فلذلك لا أضمن صحة القراءة .

فهذه العبارة الأخيرة لما فائدة كبيرة في التحقيق . لأنها تدل أولاً على أن هذا الكتاب كان معروفاً في سنة ٨٨٣ بأنه من تأليف الجاحظ ، ولأنها جاءت مؤكدة لما قاله ياقوت قبل ذلك بثلاثة قرون من حيث إن للجاحظ كتاباً في أخلاق الملوك . فهذا هو السند التاريخي الذي تخيلناه في مباحثنا وتحقيقاتنا على ما يراه القارئ في "التصدير" حينما سبقنا الدليل وراء الدليل على أن هذا الكتاب من تأليف الجاحظ بلا جدال ولا إشكال .

ومن سوء الحظ أن الناسخ الحلبي لم يضع لنا في أول نسخة أسم "التاج" ولا أسم "أخلاق الملوك" . فسواء كان الكتاب معروفاً في ذلك الوقت بهذا الأسم أو بذلك العنوان فلا ريب بعد هذه الشهادة التاريخية الثابتة ثبوتاً حاسماً في أن هذا الكتاب هو من كتب الجاحظ دون سواه . وكأن الأقدار أرسلت لنا هذا الدليل الناطق وهذا البرهان القاطع لتأييد البحث الذي سهرنا عليه الليالي وأوفيناها قسطه من التحقيق الدقيق حتى وصلنا إلى الغاية التي جاءت النسخة الحلبية مصدقة لها بما فيه تمام الإقناع ونهاية اليقين .

أ. زكي

راموز

لكتاب أرسله لي أحد أفاضل العلماء المستشرقين بالروسيا، وهو الأستاذ
أغناطيوس كروثووسكي . وقد كان قابلي بالقاهرة وفأوضته في شأن " التاج " ،
وغيره من نفائس المصنفات .

رأيتُ من الواجب إثبات هذا الكتاب على صورته الأصلية وبخط صاحبه ،
لكي يعرف قومنا مقدار عناية الأفرنج بآثار أجدادنا وتفانيهم في البحث عنها . وإني
أشكره على هذه العناية ، وأهنيّ على بلوغه في فن الإنشاء العربي هذه الغاية .

(كما تراه في الصفحتين التاليتين)

جناب الاستاذ الفاضل والعالم المدقق الكامل
 بعد الاحترام الوافر والسلام العاطر امرض لبقامكم السامي انه قد
 قضت عليّ الظروف بمغادرة مصر ليلاً باسرع وقت ولذلك لم اتجاسر على
 ازعاج خاطركم للشريف ثانيةً حسب سابق الوعد . هاءنا ذا قد بسطت لكم
 عذري والعذر عند كرام الناس مقبول
 قد وصلت الى بيروت وتطول اقامتي ههنا شهراً او تزيد حسب
 الظروف فان الرياح تجري بما لا تشتهي السفن ...
 وبحثت في هذه الايام على قدر امكاني عن كتاب التاج الذي اخبرتهوني
 عن اكتشافه في محاورتنا الاخيرة ورايت ان له قدراً اهمّ مما كنت اراه
 في الاول . وما وجدت كتاب التاج بين تاليفات الجاحظ ولكن صاحب الفهرست
 يذكر كتاباً لابن المقفع تحت هذا العنوان (طبعة اوربا ٢٨، ١١٨) ولا يبعد
 ان يكون مصدر الكتابين واحداً و ممّا يؤيد ذلك وجود كتاب بهذا الاسم
 نفسه بين "الكتب التي ألفها الفرس في السير" (راجع الفهرست ١١، ٣٥٥)
 وعلى هذا الوجه ربّما يكون كتابا الجاحظ و ابن المقفع مستنديين على
 الكتاب المذكور وهذا كما لا يخفى على ذهبنكم الوقاد من الاهمية بكان
 وكيفما كان الحال فليس بين ايدينا حتى الآن شئ من كتابي الجاحظ
 وابن المقفع اما كتاب التاج الفارسي فيذكره ابن قتيبة في عيون
 الاخبار وقد جمع منفرقاته استاذنا المرحوم البارون روزين قبل طبع

Mélanges Asiatiques عيون الانبار في مقالته المدرجة في
 vol VII, 1880, p. 44 sq. وقد بحث عنه مطرًا وأعد من تلامذته
 المستشرق الروسي *Inostranzen* في رسالته التي طبعت حديثًا في
 Mémoires de l'Académie Impériale des sciences
 et de St. Pétersbourg, VIII série, Vol. VII
 # 13, p. 26-29. ولعل هذا الكتاب نفسه هو الذي ذكره المسعودي
 في كتاب التنبية والاشراف (طبعة ليدن 1760) وعلى كل حال فنحن
 في انتظار ظهور تقريركم المملؤل عن هذه الاكتشافات الجديدة ذات
 الأهمية ولا شك أنه سيكون له صدق بعيد عند المستشرقين كما هو
 الجدير به .

وفي الختام التمس معذرة من جنابكم على ازواجي - اطركم الشريف
 بهذه الحالة واطلب لكم من الله نجاحًا وتوفيقًا في امالكم كلها التي
 تخدمون بها العلم خدمةً تذكركم فتنكر

ودمتي محترمة

Ign. Kratchovsky

بيروت في 12 شباط 1911

Beirut (Syrie)

Consulat Impérial de Russie

كتاب التاج

جدول

بيان بعض المؤلفات التي نقلت عن كتاب "التاج"

تتبيه المملوك	مروج الذهب	محاسن المملوك		المحاسن والمساوي	
ح ٢ ص ١٦	ح ١ ص ١١	ح ٢ ص ٩٩	ح ٨ ص ١٣	ح ١ ص ١٠٦	ح ٢ ص ١٢
ح ٤ ص ٥٥	ح ٣ ص ٢٣	ح ١ ص ١٢٣	ح ٣ ص ١٤	ح ٢ ص ١٠٨	ح ٥ ص ١٢
ح ٣ ص ٥٦	ح ٣ ص ٢٩	ح ٤ ص ١٢٤	ح ٢ ص ١٦	ح ٢ ص ١١٠	ح ٤ ص ٥٥
ح ٢ ص ٥٧	ح ٥ ص ٣٣	ح ٣ ص ١٢٥	ح ٤ ص ٣٣	ح ١ ص ١١٢	ح ٢ ص ٥٧
ح ١ ص ٦٥	ح ١ ص ٥٣	ح ٧ ص ١٢٥	ح ٣ ص ٣٧	ح ١ ص ١٢٢	ح ٢ ص ٥٩
ح ٥ ص ٦٦	ح ٣ ص ٥٥	ح ٣ ص ١٢٦	ح ٢ ص ٤٥	ح ٦ ص ١٢٦	ح ٣ ص ٧٨
ح ٢ ص ٩٩	ح ٣ ص ٥٦	ح ٥ ص ١٢٦	ح ٤ ص ٥٥	ح ٣ ص ١٢٧	ح ٣ ص ٧٩
ح ١ ص ١٢٢	ح ٣ ص ٥٧	ح ١ ص ١٣٢	ح ٣ ص ٥٦	ح ٤ ص ١٣٤	ح ٤ ص ٨١
ح ٢ ص ١٨٠	ح ٢ ص ٥٩	ح ٢ ص ١٤٠	ح ٢ ص ٥٧	ح ٣ ص ١٦٨	ح ٢ ص ٨٢
ح ٣ ص ١٨٠	ح ٤ ص ٥٩	ح ٢ ص ١٤١	ح ٢ ص ٥٩	ح ٤ ص ١٦٨	ح ٣ ص ٨٣
	ح ٢ ص ٦٠	ح ٢ ص ١٦٠	ح ٣ ص ٧٣	ح ٢ ص ١٦٩	ح ١ ص ٨٨
	ح ١ ص ١١٢	ح ١ ص ١٦٢	ح ٤ ص ٧٦	ح ٦ ص ١٦٩	ح ٣ ص ٨٨
	ح ٣ ص ١٣٠	ح ١ ص ١٦٣	ح ٣ ص ٧٨	ح ٥ ص ١٧٠	ح ٢ ص ٩١
	ح ٢ ص ١٣١	ح ٣ ص ١٧٥	ح ٢ ص ٧٩	ح ٢ ص ١٧١	ح ١ ص ٩٤
	ح ٣ ص ١٣٢	ح ٢ ص ١٧٥	ح ٢ ص ٨٢	ح ٤ ص ١٧١	ح ٢ ص ٩٩
	ح ٥ ص ١٣٥	ح ٤ ص ١٧٦	ح ١ ص ٨٨	ح ٣ ص ١٧٥	ح ٥ ص ١٠٠
	ح ٤ ص ١٧٦	ح ٢ ص ١٨٠	ح ٢ ص ٩١	ح ٤ ص ١٨٠	ح ٣ ص ١٠١
			ح ١ ص ٩٥	ص ١٩٧	ح ٢ ص ١٠٢
					ح ١ ص ١٠٤
محاضرات الراغب	الأغاني	الطبري	العقد الفريد	المحاسن والأضداد	
ح ٢ ص ٦٩	ح ٢ ص ٨٢ ح ٤ ص ١٣٤	ح ٢ ص ٣٧ ح ٢ ص ١٤٣	ح ٧ ص ٢٠ ح ٤ ص ٨١ ح ٢ ص ٨٢	ح ٢ ص ٦٥	ح ٢ ص ٦٧
				ح ٦ ص ٦٧	ح ١ ص ٨٨
مطالع البدور	صبح الأعشى	المستطرف	نهج البلاغة	ح ٣ ص ٨٨	ح ١ ص ٩٧
ح ٢ ص ٥٨	ح ١ ص ١٢٢	ح ٥ ص ١٤ ح ٤ ص ١٦٩	ص ١٩٠ ص ٢٠٢	ح ١ ص ٩٧	ص ٢٠٠

بيان

الرموز المستعملة في هذه الطبعة

١ - الحروف

س يدل على النسخة السلطانية الموجود أصلها في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية .

ص « النسخة الموجود أصلها في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية .

س « سطر .

ص « صفحة .

ح « حاشية .

ج « جزء .

م « مكرر، إذا وضع وراء أحد الأعداد . (وحيث يدل على أن الكلمة

مكررة في الصفحة مرتين فأكثر) .

[] هذان القوسان المربعان حصرتُ فيهما الكلام المكمل للثنى، وأشرت


في الحاشية إلى موضع النقل . وقد أحصر بينهما إضافات من عندى يستوجبها

المقام، وحيث لا أُشير إلى شيء في الحاشية . أما الكلام المحصور بينهما في الحواشي

فيتضمن تنبيهات وبيانات من عندى .

٢ — الأرقام

الأرقام الصغيرة الموجودة على الهوامش الداخلية تدل على عدد السطور ، خمسة خمسة .

الأرقام المكتوبة في العلبة  على الهوامش الخارجية تدل على عدد الصفحات في النسخة الأصلية (أى السلطانية التي أعتمدها في الطبع) .

أما أعداد الصفحات المتسلسلة ، فقد وضعت ما يختص بالتصدير في أسفلها ، وأما ما يختص بالكتاب نفسه وماحقاقه وفهارسه ، فوضعت في أعلى الصفحات مثل المعتاد ، وذلك منعا للالتباس .

٣ — الحركات

هذه العلامة تدل على الشدة المكسورة ، كما أن = تدل على الشدة المفتوحة .

» » » » بكسرتين ، كما أن = تدل على الشدة بفتحتين .

عن ألف الوصل - أضع فوقها دائما العلامة الخاصة بها (ء) . إلا إذا جاءت هذه الألف في أول الكلام ، فإنني أضع فوقها أو تحتها الحركة التي تستلزمها (فتحة أو ضمة أو كسرة - و -) لكي تكون ممتازة عن ألف القطع التي تكون الهمزة دائما فوقها أو تحتها . وذلك لتعريف القارئ بأن هذه الحركة تسقط وتزول إذا اتصلت ألف الوصل بحرف أو بكلمة قبلها .

عن الألف المهموزة - أضع الهمزة دائما فوقها أو تحتها للدلالة على أنها مفتوحة أو مكسورة . فإذا كانت مضمومة أو ساكنة ، فإنني أضع فوق الهمزة علامة الضم أو السكون .

٤ - ضبط الكلمات والأعلام

- ١ - إذا كان للكلمة ضبطان (أى صورتان من الحركات)، فإننى أعتمد الضبط الأول الوارد فى كتب اللغة، وكذلك الحال فى أوزان الأفعال؛ اللهم إلا إذا كان مما يميجه الذوق المصرى العصرى .
- ٢ - الأعلام التاريخية والجغرافية، ضبطتها بحسب القول الأول أو الأشهر، معتمدا على المصادر المعتبرة .

كتاب التاج للمحافظ

كتاب التاج

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة

أبي عثمان عمرو بن بحر

المعروف بالجاحظ رحمه الله

عليه السلام

(الرموز الاول)

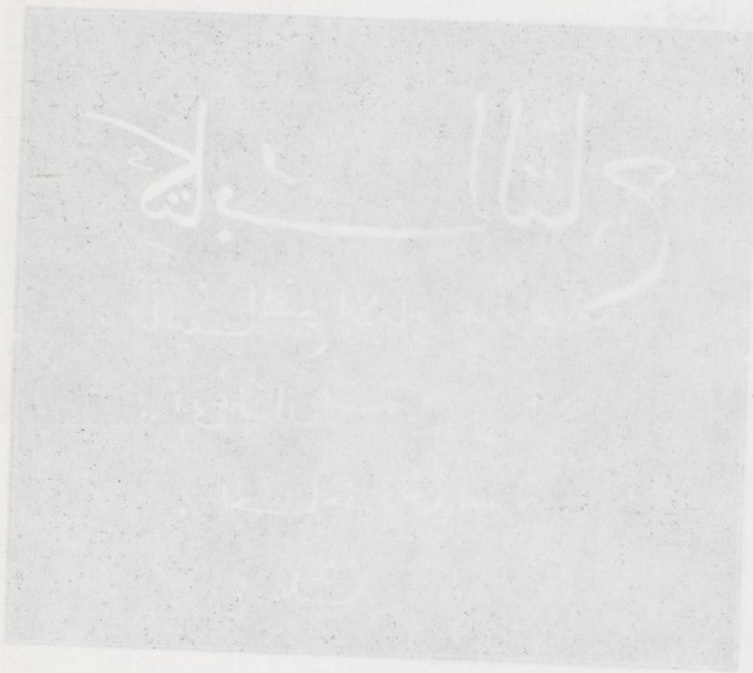
تمثل فيه طرة النسخة السلطانية (المرموز لها في حواشي هذه الطبعة بحرف سه)

وهذه النسخة محفوظة بجزارة طوب قيو بالقسطنطينية ، رقم ١٣٣ أدب .

١ - ضبط الكلمات والأعلام

١ - إذا كان الكلمة ضبطان (أي سورتان من الحركات)، فإن أحسن الضبط الأول هو الذي كتب القيد، وكذلك الحال في أوزان الأفعال، اللهم إلا إذا كان مما عهد القوي المصري القوي.

٢ - الأعلام البارحة والحداثة ضبطها بحسب القول الأول أو الأشهر، اعتماداً على القيد القديم.



(١١٠٤١٠٤)

(١١٠٤١٠٤) حركات الأفعال (١١٠٤١٠٤) حركات الأفعال

١١٠٤١٠٤ حركات الأفعال (١١٠٤١٠٤) حركات الأفعال

كتاب التاج في
أمور الدنيا
اخلاق والملوك

تصنيف أبي عثمان عمرو بن بحر

المشهور باب الجاحظ تغمد الله

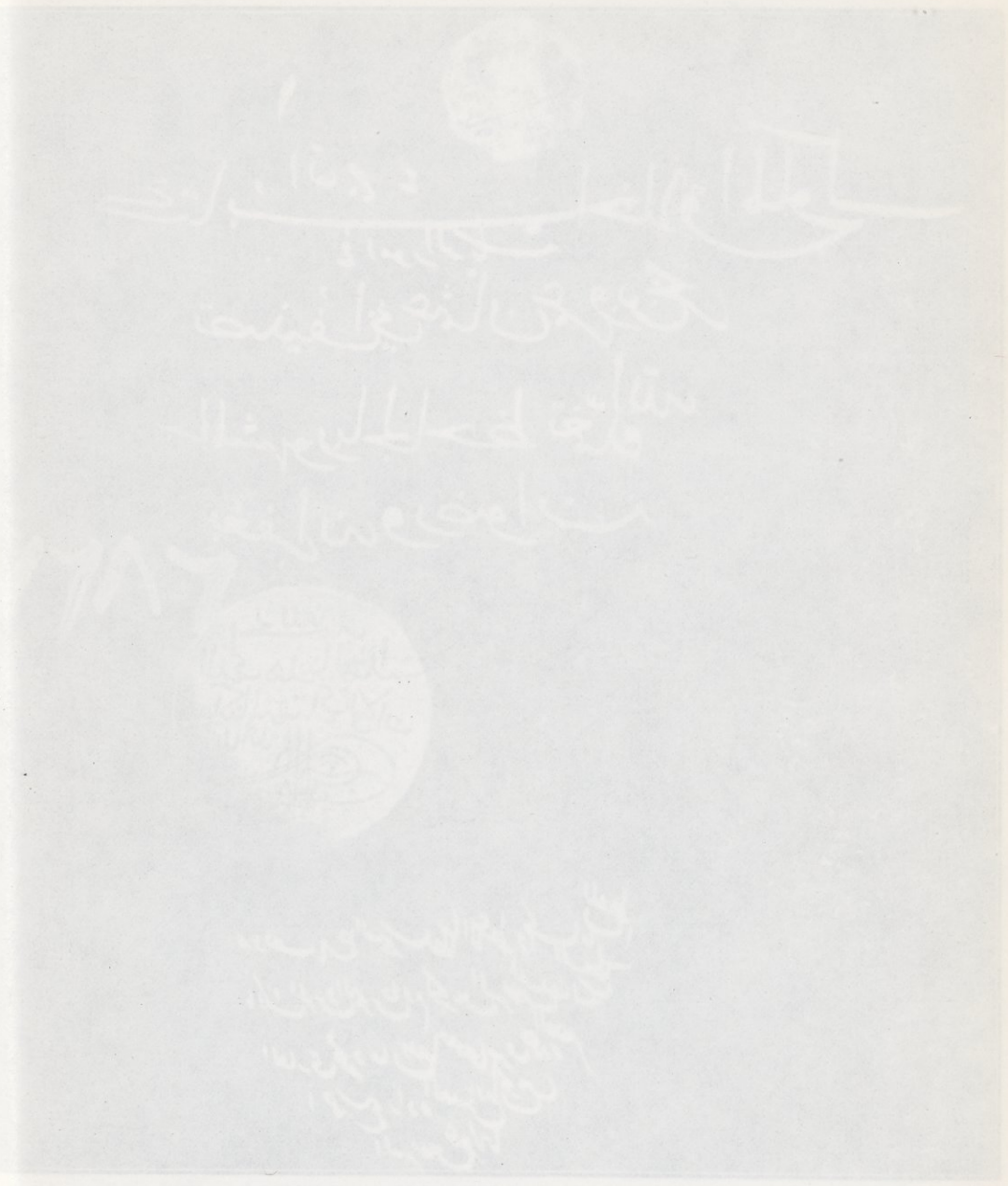
بغفرته ورضوانه



ورد في نسخة
الخطوط
التي هي
الخطوط
التي هي
الخطوط
التي هي

(الراموز الثاني)

تمثل فيه طرة النسخة الثانية المحفوظة بخزانة آياصوفيا تحت رقم ٢٨٢٧ .
وهذه النسخة هي المرموز لها بحرف صه في هذه الطبعة



(خط و کتابت)

۷۲۸۱ شماره ثبت کتابخانه خط و کتابت
خط و کتابت

المجد لله الذي قتل ابورؤس على يدك وملكك ما كنت احموه
 منه وارح ال ساسان من جبرته وعتوه ونخله ونكد
 فانه من كان ياخذ بالحد ويقبل بالظن ويخيف البرى زئجل
 بالهوى قال سيرويه للحاجب اجمله الى نجل فقال له
 كم كانت ارزاقك في حياة ابورؤس قال كنت في كفاية من العيش
 قال فكم زيد في رزقك اليوم قال ما زيد في رزقي شيء
 قال فهل اوترك ابورؤس فانسرت منه بما سمعت من كلامك
 قال لا قال فما دعاك الى الوقوع فيه ولم تقطع عنك رزقا
 ولا وتركت في نفسك وما للعاية والوقوع في الملوك وهم
 رعية فامر ان يزع لسانه من فمها وقال نحو ما يقال
 ان الخرس حمر من البيان بما لا يحسن وحديثي
 صباح بن خاقان قال حدثني ان ابا جعفر لما اتى راس
 ابراهيم بن عبد الله فوضع بين يديه جارية فعض اولئك
 الرؤس فصر الراس بعمود كان في يده فقال
 المنصور المستب دق وجهه فدق المستب انفه ثم قال له

(الرموز الثالث)

تمثل فيه إحدى صفحات النسخة السلطانية (وهي صفحة ٩٣ من الأصل،

و يقابلها صفحة ١٠٩ - ١١١ من هذه الطبعة).

الآن وعرفت فرضه نقلت أحد سبعين وكر ثلثون قال شاذان فأنتم
بسبعين بدء وانصرف ملك الموت عن الدار قال وكان الرشيد
في اخلاق ابي جعفر غشها كلها الذي العطايا فانه كان يتفرد فعل
ابن العباس والمهدي ومن اخبرك انه رآه يشرب الآل ماء فذبه وكان
لا يحضر شربه الا خاص جواريه ومن تامل لب الفناء فتحرك حركة بين
الحركتين في القلم والكفر وهو من بين خلف آء بني العباس من حمل
لغيبين مرات ولبقات على ما وضعهم اردشير وانوشروان وكان
ابراهيم وانجام و زلزل في الطبقة الاولى وكان زلزل يفرز ونعبي
هذان عليه والطبقة الثانية سليمان بسلامه وعم العزال ومن
اشبهها والطبقة الثالثة اصحاب المعازف والزنج والطنابير
وعلى قدر ذلك كانت خرج جوارهم وصلاحهم وكان اذا وصل
واحد من الطبقة الاولى بانال الكثير الخطير جعل لصاحبه الذين
معه في الصفة نصيبا منه وجعل للطبقتين اللتين تليانه منه

(الرامون الرابع)

تمثل فيه إحدى صفحات النسخة المحفوظة في آياصوفيا (وهي صفحة ٢٩ ،

و يتألفها صفحة ٣٧ - ٣٩ من هذه الطبعة).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة
ذو التصانيف المفيدة والمقاصد الحميدة
ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة وهو الحكيم
الخبير **●** احده على تنابح الآيه وتواشر نعمائه وترادف مننه واستوقفه
لما يرضيه ويرضيه **●** واشهد ان لا اله الا الله الذي لا يشبهه ولا ينظير **●**
الذي جل عن الاجزاء والتبويض والتحديد **●** والتمثيل **●** والركبة **●** والسكون **●**
والثقل **●** والنزول **●** والتصرف من حال المحاك **●** لا اله الا هو العظيم **●**
المتعالي **●** اما بعد فان الذي هدانا على وضع كتابنا هذا ما كان منها ان
الله عز وجل لما نخص الملوك بكرامته واكرمهم بسطوانته ومن لهم في البلاد **●**
وخولهم امر العباد **●** اوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيرهم **●**
كما اوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع **●** لم فقال في علم كتابه وهو
الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال
عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم **●** ومنها ان اشتر
العامه وبعض الخاصه **●** لما كانت تجمل الاقسام التي يجب للملوك **●** عليها
وان كانت متمسكة **●** بحملة الطاعة **●** حصرنا اذ ابصا في كتابنا هذا لان يجعله

(الراموز الخامس)

تمثل فيه الصفحة الاولى من النسخة الحالية (المكتوبة في سنة ٨٨٣ هجرية)

عن نوح بن ابي اسحاق

عن ابي ابي اسحاق قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
من اراد ان يبلغ امة فليعلم ان الامة
امم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
وامم اربعة ولا امة الا امة الاسلام

عن ابي اسحاق قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
من اراد ان يبلغ امة فليعلم ان الامة
امم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
وامم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
من اراد ان يبلغ امة فليعلم ان الامة
امم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
وامم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
من اراد ان يبلغ امة فليعلم ان الامة
امم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
وامم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
من اراد ان يبلغ امة فليعلم ان الامة
امم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
وامم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
من اراد ان يبلغ امة فليعلم ان الامة
امم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
وامم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
من اراد ان يبلغ امة فليعلم ان الامة
امم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
وامم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
من اراد ان يبلغ امة فليعلم ان الامة
امم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
وامم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
من اراد ان يبلغ امة فليعلم ان الامة
امم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
وامم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
من اراد ان يبلغ امة فليعلم ان الامة
امم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
وامم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
من اراد ان يبلغ امة فليعلم ان الامة
امم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
وامم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
من اراد ان يبلغ امة فليعلم ان الامة
امم اربعة ولا امة الا امة الاسلام
وامم اربعة ولا امة الا امة الاسلام

كتاب التاج في معرفة الحروف
التي هي في لغة العرب
مؤلفه الشريف جلال الدين
سليمان بن ابي اسحاق

(سنة ١١١١)

(نسخة ٦٨٨ رقم ٢٠١١) تبرع بها صاحبها السيد محمد باقر الحلي

عياالك فبذرت في العدة فمال كذبت فبعت وقال يا نفس من
 اين علم اني كذبت فانت سنة لا اجترى على جلامه ثم رفعت اليه
 رقة اخرى في اجرا الرزق فقال كم عياالك فقلت اربعة فقال
 صدقت فوقع في حاشيتي بخبري على عياله كذا وكذا ولو لا ان يطول
 الكتاب في اسحق وذكره وحكيما منا قبله طيننا عنه اجارا كثيرا
 وهي من هذا الجنس وفيما ذكرنا له كناية والله اعلم بالصواب



هذا الكتاب من كتب
 المصنفين المشهورين
 في هذا الفن وهو
 من اجمل ما كتبه
 في هذا الفن
 وهو من اجمل ما
 كتبه في هذا الفن

(الاموز السادس)

تمثل فيه الصفحة الأخيرة من النسخة الحليية

(أنظر صفحة ١٧١ من طبعتنا)

من ينقل ما نقله الله تعالى من كتابه العزيز
 من القرآن الكريم والسنن النبوية
 التي هي من أنوار الهدى والبرهان
 على سبيل الاستقامة والصلاح
 في الدنيا والآخرة
 آمين

(مطبعة دار)

توزيع في جميع أنحاء مصر

(الطبعة الأولى ١٩٤٠م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

”الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير.“

أحمده على تتابع آياته، وتواتر نعمائه، وترادف مننه، وأستهديه وأستوفقه لما يرضيه ويرضى فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا شبيه له ولا نظير، الذي جلّ عن الأجزاء والتبعض، والتحديد، والتمثيل، والحركة، والسكون، والثقل، والزوال، والتصرف من حال إلى حال: لا إله إلا هو الكبير المتعال!

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه ونجيّه! ابتعثه على فترة من الرسالة وطموس من الهداية ودروس من شرائع الأنبياء والمرسلين. ”لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ“ والعربُ تمدُّ أولادها وتتسافك دماءها وتبأوح أموالها وتعبدُ الآلات والعزى ومناة الثالثة الأخرى. فصدع بأمر ربه، وجاهد في سبيله، ودعا إلى معالم

(١) هذه الكلمة مأخوذة عن صه.

(٢) الوارد في صه: ”تناوح“. ولما كان السياق يدل على التناهب وأستباحة الأموال، فلذلك صححت الكلمة بردها إلى مادة (ب وح). قال في لسان العرب: ”والإباحة شبه النهي، وقد أستباحه أى آتبه“.

على أننى لم أعر على هذا الحرف مستعملاً بصيغة التفاعل.

دينه ، وجاء بما أعجز الجن والإنس أن يأتوا "بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ."
فصلّى الله عليه وعلى جميع المرسلين ! وخصّه بصلاةٍ من نوافله دون العالمين !
وعليه السلام ورحمة الله وبركاته !^(١)

أما بعد ،

فإن الذي حدانا على وضع كتابنا هذا معانٍ :

منها أن الله (عز وجل) لما خصّ الملوك بكرامته ، وأكرمهم بسلطانه ، ومكّن لهم في البلاد ، وحوّطهم أمر العباد ، أوجب على علماءهم تعظيمهم وتقديرهم وتعزيرهم وتقريظهم ، كما أوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لهم . فقال في محكم كتابه : "وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ."
وقال عز وجل : "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ."^(٢)

ومنها أن أكثر العامة وبعض الخاصة ، لما كانت تجهل الأقسام التي تجب لملوكها عليها - وإن كانت متمسكة بمجئلة الطاعة - حصّرتنا آدابها في كتابنا هذا لتجعلها قدوة لها وإماماً لتأديتها .^(٣)

وأيضاً فإن لنا في ذلك أجرين : أما أحدهما فلما نبهنا عليه العاقبة من معرفة حقّ ملوكها ، وأما الآخر فلما يجب من حقّ الملوك علينا من تقويم كلّ مائل عنها وردّ كلّ نافرٍ إليها .

ومنها أن سعادة العامة في تجليل الملوك وطاعتها ، كما قال أردشير بن بابك :
"سعادة الرعية في طاعة الملوك ، وسعادة الملوك في طاعة المالك ."^(٤)

(١) الفقرتان المحصورتان بين نجمتين * مأخوذتان عن ص .

(٢) في صه لتأديتها .

ومنها أن الملوك هم الأئس، والرعية هم البناء. وما لأئس له مهدوم.
ومنها أنا أئسنا كتاباً قبل كتابنا هذا، فيه أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة.^(١)
وكان غير ذلك أولى بنا وأحق في مذهبنا وأحرى أن نصرف عنايتنا إلى ما يجب
للملوك من ذكر أخلاقها وشيمها، إذ فضلها الله على العالمين، وجعل ذكرها في الباقيين
إلى يوم الدين.

ألا ترى حين ذكر الله تعالى الأمم السالفة والقرون الخالية، لم يقصد من ذكرها
إلى وضيع ولا خامل؟

بل قال تعالى حكاية عن مضي منهم: **«رَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَاصْلُونا
السَّبِيلَا.»** وقال تبارك اسمه: **«اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.»**
وقال جلَّتْ عظمته: **«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ.»**
وقال جلَّ وعلا: **«وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ
فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.»**
وقال تقدست أسماؤه: **«إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
أَعْرَةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً.»**

وقال تبارك وتعالى: **«قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.»**
وقال عز وجل، وقد بعث موسى عليه السلام إلى أعنى خلقه وأشدهم عنوداً
وُصُدُوقاً عن أمره: **«أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ
أَوْ يَخْشَى.»**

(١) فسرنا في صه بالشجاعة. وحينئذ تكون مماثلة للفظة Héroïsme عند الفرنسيين.

(٢) في صه: طبعنا.

فَلْيَفْهَمِ الْحِكْمَاءُ هَذِهِ الْأَعْجُوبَةَ الَّتِي وَصَلَتْ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى! فَإِنَّ فِيهَا حِكْمَةً عَجِيبَةً وَمَوْعِظَةً بَلِغَةً وَتَنْبِيْهًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ .

حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا عَنْ شَبَابَةَ عَنْ وَرْقَاءَ عَنْ أَبِي بِنِجِيحٍ ^(١) عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "فَقُولُوا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ" قَالَ: كَنِيَّاهُ ^(٢).



وَأَمَّا أَمْرُهُمَا بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمُلُوكَ - وَإِنْ عَصَى أَكْثَرُهَا - فَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُدْعَى إِلَى اللَّهِ بِأَسْهَلِ الْقَوْلِ وَأَلْيَنِ اللَّفْظِ وَأَحْسَنِ الْمَخَاطَبَةِ . فَإِذَا كَانَ هَذَا حُكْمَ اللَّهِ فِي الْعَاصِي مِنَ الْمُلُوكِ وَالَّذِينَ آدَعُوا الرُّبُوبِيَّةَ وَجَمَدُوا الْآيَاتِ وَعَانَدُوا الرَّسُلَ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهَا ، وَحَفِظَ شَرَائِعَهُ وَفَرَائِضَهُ ، وَقَلَّدَ مَقَامَ أَنْبِيَائِهِ ، وَجَعَلَهُ الْجُمَّةَ بَعْدَ حُجَّتِهِ ، وَفَرَضَ طَاعَتَهُ حَتَّى قَرَنَهَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

فَرَأَيْتُمْ - إِذْ أَخْطَأْنَا فِي تَقْدِيمِنَا أَخْلَاقَ أَهْلِ الْبَطَالَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا بَعْضُ الْآدَابِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الشَّرَفِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ - أَنْ تَتَلَفَّ فِي مَا فَرَطَ مِنَّا بِوَضْعِ كِتَابٍ فِي أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ وَخِصَائِصِهَا الَّتِي هِيَ لَهَا فِي أَنْفُسِهَا ، وَأَنْ نُحْصِيَ بِوَضْعِ كِتَابِنَا هَذَا الْأَمِيرَ الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : إِذْ كَانَ بِالْحِكْمَةِ مَشْغُوفًا ، وَعَلَى طَلِبِهَا مَثَابِرًا ، وَفِيهَا وَفِي أَهْلِهَا رَاغِبًا ، لِيَبْقَى لَهُ ذِكْرُهُ وَيُحْيَا بِهِ أَسْمُهُ ، مَا بَقِيَ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ وَالْإِعَانَةَ !

إهداء الكتاب

١٥

(١) فِي ص: حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا عَنْ مَقْدَامٍ عَنْ أَبِي بِنِجِيحٍ . وَكُلُّهُمْ مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ |

(٢) فِي هَامِشِ ص: "وَكَانَ لَهُ ثَلَاثُ كُنْيَى: أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَبُو الْوَلِيدِ وَأَبُو مَرَّةٍ" . وَأَنْظَرَ كِتَابَ التَّفْسِيرِ ،

وَأَنْظَرَ "الْمُسْتَظَرَفُ فِي كُلِّ فَنٍّ مُسْتَظَرَفٌ" لِلأَبَشَيْمِيِّ (ج ٢ ص ٤٤) .

(١)
الفاتحة

* وبعد، فإن أكثر كلامنا في هذا الكتاب إنما هو على من دون الملك الأعظم . إذ لم يكن في استطاعتنا أن نَصِفَ أخلاقه، بل نَعِجْزُ عن نهاية ما يجب له لو رُمنّا شرحها . وأيضا فإن من تكلف ذلك بعدنا من الناس بأقصى تكلفٍ وأغورِ ذهنٍ وأحدِّ فكرٍ، فلعله أن يعتذر بمثل اعتذارنا .

وليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية تقوم في وهمٍ، ولا يُحِيطُ بها فكرٌ . وأنت تراها تتردّد منذ أول ملكٍ ملك الدنيا إلى هذه الغاية . ومن ظنَّ أنه يبلغ أقصى هذا المدى، فهو عندنا كمن قال بالتشبيه مَثَلًا، وبالجمس مُعَارَضَةً .

ولعل قائلًا يقول، إذا رأنا قد حكينا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب : " قد ناقض واضعُ هذا الكتاب، إذ زعم أنه ليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية . " فيظلم في اللفظ ويعتدى في المقال . وأولئك الملوك هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النمط الأعلى . أنت تجد ذلك عيانا وتشهده عينك بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقوله من نظر في سير من مضى وسير من شاهد . وبالله التوفيق ! *

(١) وضعنا هذا العنوان للفقرات الثلاث التالية له المحصورة بين نجمتين * وكلها منقولة عن صـ .

(٢) في الأصل وهو صـ : كما .

(٣) في الأصل وهو صـ : وشهد عليك بيانا .

فكتب اليك هذه الدعوة التي وصلت من الله تبارك وتعالى ان كان فيها حكمة

عجبا ورحمة بيضا ومنها من كان له فضل ١١

وقد لا بد ان يكون في دعواته من ان كان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

الذي في كتاب التاج قوله تعالى ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله ان الله اعلم بما في قلوبكم من قوله

باب

في الدخول على الملوك وفيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

٦

(١) إن كان الداخل من الاشراف والطبقة العالية، فمن حق الملك أن يقف منه بالموضع الذي لاينأى عنه ولا يقرب منه، وأن يسلم عليه قائماً. فإن استدناه، قُرب منه فأكب على أطرافه يُقبلها. ثم تتحى عنه قائماً حتى يقف في مرتبة مثله. فإن أوماً إليه بالعود، قعد، فإن كلمه، أجابه بانخفاض صوت وقلة حركة. وإن سكت، نهض من ساعته قبل أن يتمكن به مجلسه بغير تسليم ثانٍ ولا انتظارٍ أمرٍ.

الاشراف
وسلامهم وقعودهم
وأنصرافهم

وإن كان الداخل من الطبقة الوسطى فمن حق الملك إذا رآه، أن يقف وإن كان نائياً عنه. فإن استدناه، دنا حطى ثلاثاً أو نحوها. ثم وقف أيضاً. فإن استدناه، دنا نحواً من دونه الأول، ولا ينظر إلى تعب الملك في إشارة أو تحريك جارحة. فإن ذلك. وإن كان فيه على الملك معاناة، فهو من حقه وتعظيمه.

الايواساط
وسلامهم وقعودهم
وأنصرافهم

وإن كان دخوله عليه من الباب الأول يقابل وجه الملك ويحاذيه - وكان له طريق عن يمينه أو شماله - عدل نحو الطريق الذي لا يقابله فيه بوجهه ثم انحرف نحو مجلس الملك، فسلم قائماً ملاحظاً للملك. فإن سكت عنه، أنصرف راجعاً من غير سلام

(١) أي الداخل.

(٢) صه: لفت.

(٣) هكذا في سه، صه. والمعنى واضح في أن الدخول يكون من أول باب يقابل وجه الملك. ولذلك لم نر وجهها لزيادة لفظ "الذي" أو وضعه مكان "الأول".

(٤) صه: عن.

ولا كلام. وإن استندناه، دنا خطي وهو مطرق ثم رفع رأسه. فإن استندناه، دنا خطي أيضا ثم رفع رأسه حتى إذا أمسك الملك عن إشارة أو حركة، وقف (في ذلك الموضع الذي يقطع الملك فيه إشارته) قائما. فإن أوما إليه بالعود، قعد مقيعا أو جاثيا. فإن كلمه، أجابه بأنخفاض صوت وقلة حركة وحسن استماع. فإذا قطع الملك كلامه، قام فرجع القهقري. فإن أمكنه أن يستتر عن وجهه بجدار أو مسلك لا يجاذيه إذا ولى، مشى كيف شاء.

٧

وعلى الملك - إذا دخل عليه من يساويه في السلطان والتبعية والعز والولادة والبيت - أن يقوم فيخطو إليه خطي ويعانقه، ويأخذ بيده فيقعه في مجلسه ويجلس دونه. لأن هذه حال يحتاج الملك إلى مثلها من الداخل عليه، إذا زاره. فإن بحسه حفظه ومنعه ما يجب له، لم يأمن الملك أن يفعل به مثل ذلك. ومتى فعل كل واحد منهما بصاحبه ما هو خارج عن النواميس والشرائع، تولد من ذلك فساد وحدثت ضغائن بين الملوك يقع بسببها التباغض والتعادى والتحاسد. وإذا اجتمع ذلك في المملكة، كان سببا للبوار وداعية إلى التحارب.

استقبال الملك
للأوين له
وتشيعهم

٨

وعلى الملك - إذا أراد هذا الذي قدمنا صفته الأنصراف - أن يقوم معه إذا قام، ويدعو بدابته ليركب حيث يراه، ويشيعه ماشيا قبل ركوبه خطي يسيرة، ويأمر حشمه بالسعى بين يديه.

(١) سه : "مقنعا" بدون إيراد "جاثيا" التي تليها. وأقع الرجل رأسه نصبه أو لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويجعل طرفه موازيا. (قاموس). [وأنظر صفحة ٢٢ من هذا الكتاب].

(٢) سه : الشريعة.

(٣) سه : خدمه.

وعلى هذا كانت أخلاق آل ساسان من الملوك وأبنائهم. وبهذه السياسة أخذهم أردشير بن بابك. فلم تزل فيهم حتى ملك كسرى أبروز فغيرها. فكان مما آتته عليه شيرويه، أبنة، في ذكر مثالبه ومعاليه.^(١)

وقد قلنا إن من حقّ الملك أن لا يطيل أحدٌ عنده القعود. فإن أخطأ مخطئٌ في ذلك، فمن إذن الملك له بالانصراف أن يلاحظه. فإذا عرف ذلك فلم يقم، كان ممن يحتاج إلى أدب، وكان الذي وصله بالملك ظالمًا له ولنفسه.

(١) أبروز هذا كاتبه النبي يدعو للإسلام فزق كتابه وقال: "يكتب لي هذا، وهو عبدي؟" فدعا عليه النبي بجزيق ملكه. استبد بفارس فوثب عليه أبنة شيرويه (وهو أيضا شيرى) فحبسه وأرسل إليه ينعي عليه ما ارتكبه من المثالب والمعايب في رسالة "خشنة يقطر منها الدم في تقريره بأفعله" ثم قتله. وأرسل شيرويه بعد أن جلس على سرير الملك كتابا إلى النبي في جملة: "أما بعد فإنني قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضبا لفارس لما كان استحل من قتل أشرفهم وتجرهم في نفورهم" [وتجدير العساكر حسبهم في أرض العدو وعدم إرجاعهم إلى وطنهم]. هذا ولكن شيرويه لم يظفر بالملك بعد أبيه سوى ستة أشهر فأت بعلة أفاض المؤرخون في وصفها. ومن غريب الاتفاقات التي لاحظها كتاب العرب أن الملك الذي يقتل أباه لا يمضي عليه في الملك سوى ستة أشهر فقط، كما حصل ليزيد بن الوليد بن عبد الملك الأموي، وكما حصل للمتصر العباسي.

ومن غريب الاتفاقات أيضا أن المتصر هذا قتل أباه المتوكل في نفس الموضع المعروف بالماخورة الذي قتل فيه شيرويه أباه كسرى أبروز، وأن المتصر جلس في بعض الأيام على بساط فاخر مزدان بالنقوش. ومن جملة ما فيه صورة شيرويه على رأسه التاج كأنه ينطق وتحتها ماتعريه: "صورة شيرويه القاتل لأبيه أبروز الملك. ملك ستة أشهر". وكان من جملة الصور أيضا صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ومكتوب عليها ماتعريه: "صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قاتل ابن عمه الوليد. ملك ستة أشهر". وقد أمر بعض المقرئين بإحراق هذا البساط النفيس حتى لا يتفطن الخليفة لما فيه من العبرة، ولكن أبي الله إلا أن يكون ثالث الثلاثة. (التفاصيل في "غرر أخبار الفرس" ص ٧١٢-٧٣٨؛ والطبري سلسلة ١ ص ١٠٤٣، ١٠٦١، ١٠٧٤) وسلسلة ٣ ص ٤٩٦؛ وآبن الأثير ج ١ ص ٣٦١؛ والمسعودي ج ٧ ص ٢٩٣ وما يليها؛ وفي "المحاسن والمساوي" ص ٥٩٢-٥٩٣. وفيه أيضا أن أبروز أتقى نفسه قبل أن يموت فوضع ثمنا في حقة وكتب عليها ما يغري الإنسان بالتناول مما فيها. فلما رآها شيرويه تعاطى منها فكانت علته التي أعقبها هلاكه (ص ١٣٨) [وأظن ص ١٠٩ من هذا الكتاب]

(٢) في سه، ص: "فمن إذن له الملك بالانصراف أن يلاحظه". وقد صححت الرواية ليستقيم الكلام.

باب في مطاعمة الملوك

ومن حق الملك - إذا تبدل مع أحدٍ وأنس به حتى طاعمه - أن لا ينسط بين يديه في مطعمه . فإن في ذلك خلافاً مذمومة :

منها ، أن أنبساطه يدل على شرهه ؛

ومنها ، أن في ذلك سوء أدبٍ وقلة تمييز ؛

ومنها ، أن فيه جرأة على الملك بسط اليد ومدّها وكثرة الحركة .

وليس في كثرة الأكل مع الملك معنى يُحمد . إلا أن يكون الأكل كميسرة التراس

أو حفص الكيال ، الذين ^(١) إنما يحضرون لكثرة الأكل فقط . فأما أهل الأدب

وذوو المروءة ، فإنما حظهم من مائدة الملك المرتبة التي رفعهم إليها والأنس الذي

خصهم به .

(١) أورد المسعودي هذين الأسمين هكذا : "ميسرة التراس" و"حاتم الكيال" . وسمى طابع الانشيسى

أولها "ميسرة البراش" . وقد أوردنا . هما والراغب الإصفهاني ، نوادر كثيرة لطيفة لمشاهير الأكلة كتبتني بالاشارة

إلى مواطنها للرجوع إليها . ونذكر فقط أسماءهم بالترتيب ، فهم : أبو الحسن بن بكر العسلاف الشاعر ،

أبو العالية ، أبو مروة ، أحمد بن أبي خالد الأحول ، أحمد بن أبي دؤاد ، إسحاق الحماني ، بسرة الأحول ،

بلال بن أبي بردة ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، حفص (أوحاتم) الكيال ، درواس ، دوق القصاب ، زهمان ،

سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموي) ، العادل الأيوبي (سلطان مصر) ، عبيدالله بن زياد بن أبيه ، عمرو بن

معد يكرب ، قاسم التمار ، قف الملقم ، محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، مزود ، معاوية بن أبي سفيان (الخليفة

الأموي) ، ميسرة (البراش أو التراس أو التمار) ، هلال بن الأسعر ، هلال بن سعد المازني ، هلال بن مسعر التيمي ،

وزوجته ، الواثق (الخليفة العباسي) . (أنظر "العقد الفريد" ج ٣ ص ٣٨٤-٣٨٦ ؛ و"مروج الذهب" طبع

باريس ج ٥ ص ٤٠١ و٤٠٢ و ٦ ص ٢١٥-٢١٨ ، وج ٧ ص ١٧٠ ، وج ٨

تخفيف الاكل
نعصرة الملك

١٠

١٠

١٥

٢٠

* قال: وحدثني إبراهيم بن السندي [بن شاهك] ^(١) عن أبيه، قال: دخل شابٌ من ^(٢) بني هاشم على المنصور، فأستجلسه ذات يومٍ ودعا بغدائه، وقال للفتى: أدُّه. فقال الفتى: قد تغديت. فكف عنه الربيع حتى ظننت أنه لم يفظن لخطأه. فلما نهض للخروج، أمهله. فلما كان من وراء الستر، دفع في قفاه. فلما رأى الحجاب ذلك منه، دفعوا في قفاه حتى أخرجوه من الدار. فدخل رجالٌ من عمومة الفتى فشكوا الربيع إلى المنصور. فقال المنصور: إن الربيع لا يُقدّم على مثل هذا، إلا وفي يده حجة؛ فإن شتمت أغضيتم على ما فيها، وإن شتمت سألته وأتمت تسمعون. قالوا: فسله! فدعا الربيع، وقصوا قصته. فقال الربيع: "هذا الفتى كان يُسلم من بعيدٍ وينصرف. فأستدناه أمير المؤمنين، حتى سلم عليه من قريب، ثم أمره بالجلوس. ثم تبدل بفضيلة المرتبة ^(٣) التي صيره فيها أن قال حين دعاه إلى طعامه: "قد فعلت. وإذاً ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين إلا سدّ حلة الجوع. ومثل هذا لا يقومه القول دون الفعل" ^(٤).

= ص ١١٠؛ و"كتاب البلاء"؛ للجاحظ ص ٢١٥ و ٢١٦؛ و"الأغانى" ج ٢ ص ١٨١ - ١٩٠؛ و"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" ج ١ ص ١٢٧؛ والفصل السادس من الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثاني من "نهاية الأرب في فنون الأدب" للتورى؛ و"المستطرف" ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥؛ و"مطالع البدور في منازل السرور" ج ٢ ص ٥٧؛ و"محاضرات الراغب" ج ١ ص ٣٩٢؛ و"الطبرى سلسلة ٣ ص ١٤٠٤؛ و"بدائع الزهور" لأبن إلياس (جزء ١ ص ٧٧) و"شرح المقامات" للشريشي ج ١ ص ٢٣٧ و ٢٤١ و ٢٤٢؛ وكذلك "الأغانى" (في فهرسه عن بعض الأسماء التي أوردناها). هذا وقد صنف المدايني كتاباً في "أخبار الأكلة" ذكره "صاحب الفهرست" ص ١٠٤ ولم يصل إلينا سوى اسمه فيما أعلم.

- (١) ذكره في "تاج العروس" في مادة س ن د، وأورد له شعراً.
- (٢) هو محمد بن عيسى بن علي الهاشمي [كما في "المحاسن والمساوى"] .
- (٣) أي الفتى . [وروى الجاحظ هذه الحكاية بهذه الألفاظ عن إبراهيم بن السندي عن أبيه في كتاب "البيان والتبيين" ج ٢ ص ٣٨ - ٤٨]
- (٤) أي الخليفة .
- (٥) هذه الفقرة المحصورة بين النجمتين * منقولة عن صه . وقد أوردتها صاحب "المحاسن والمساوى" بعبارة أخرى (ص ١٧٢) .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن الحزاني، قال: "كنتُ أحضر على ما تدة إسحاق
 ابن إبراهيم، أنا وهاشم ابن أخي الأبرد والنقادى. فكنْتُ أعدُّ على ما تده ثلاثين^(٣)
 طائراً. فأما الحُلُو والحامض والحار والقار، فأكثر من أن أحصيه. فلا نرزأ من ذلك^(٤)
 كلّه إلا مقدار ما يأكل الطائر. إنما نكسر الخبز بأظفارنا. " قلتُ: فما كان يُشّطكم؟
 قال: لا، ولو فعل ما فعلنا. قال: فما هو إلا أن نتوارى عن عينه حتى ننتهب.

وكذلك يجب للملوك أن لا يشره أحدٌ إلى طعامهم، ولا يكون غرضه أن يملأ
 بطنه وينصرف إلى رحله: إلا أن يكون الآكل أخا الملك أو ابنه أو عمه أو ابن عمه،
 أو من أشبه هؤلاء، ويكون أيضاً ممن يُقصر بعد الأكل ويُطيل المنادمة، ويجعل
 ما يأكل غذاء يومه وليلته، إذ كان لا يمكنه الانصراف متى شاء.^(٥)

وكانت ملوك فارس، إذا رأت أحدًا في هذه الحال التي وصفنا من شره المطعم
 والنهم، أخرجوه من طبقة الجِد إلى طبقة الهزل، ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار
 والتصغير.

عقوبة الشره
 عند الفرس

(١) سه: عبد الرحيم. ورواية صه ربما كانت أصح، فقد ذكر الطبري رجلاً بهذا الاسم
 (سلسلة ٣ ص ٢٣٨١) ووصفه بالراوى.

(٢) هو الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعبى جاكم بغداد في أيام المأمون والمعتمد والواقع وهو الذى سيرد
 ذكره كثيراً في هذا الكتاب.

(٣) سه: "الحزاني قال كنتُ أعدُّ على ما تدة ثلاثين". والتكميل عن صه.

(٤) صه: والبارد.

(٥) أى: نُصيب منه. يقال: إنه لقليل الرز، من الطعام، أى قليل الإصابة منه. (تاج العروس)

(٦) بيتسه.

(٧) صه: "هؤلاء ولا يكون إلا من يقم بعد الأكل".

(٨) روى هذه الآداب بزيادة و باختصار في "محاسن الملوك" (ص ٢٩) وأورد فيها قولهم: "مواد
 الملوك للشرف لا للسرف".

والملك - وإن بسط الرجل طعامه - فمن حقه على نفسه وحق الملك عليه أن لا يترك استعمال الأدب ولا يميل إلى ما تهوى طبيعته . فإنه من عرف بالشره لم يجب له اسم الأدب ، ومن عرف بالنهم ، زال عنه اسم التمييز .

وإذا وضع الملك بين يدي أحد طعاماً ، فيعلم ذلك الرجل أنه لم يضعه بين يديه ليأتي عليه ، بل لعله - إن كان لم يقصد بذلك إلى إكرامه أو مؤانسته - أن يكون أراد أن يعرف ضبطه نفسه ، إذا رأى ما يشتهي من بسطه لها .

وحسب الرجل ^(١) - إذا أتحفه الملك بتحفة على مائدته - أن يضع يده عليها . فإن ذلك ^(٢) ^(٣) يجزئه ويزيد في آدابه .

الأتري إلى معاوية بن أبي سفيان حين وضع بين يدي الحسن عليه السلام ^(٤) دجاجة فقكها ، نظر إليه معاوية فقال : هل كان بينك وبينها عداوة ؟ فقال له ^(٥) الحسن : هل كان بينك وبين أمها قرابة ؟ ^(٦)

بين معاوية والحسين
أين على بشأن
دجاجة



(١) صه : ويجب على الرجل .

(٢) أى يكفيه .

(٣) أورد صاحب "مياسن الملوك" هذه الآداب المتقدمة مختصرة في باب أدب مؤاكلة الملوك . (ص ٢٩)

(٤) سه : "بين يدي سيد جليل دجاجة" .

(٥) صه : "وبين أمها" .

وقد روى هذه الحكاية صاحب "المستطرف" وعلق عليها بقوله : "أراد معاوية أن الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس الملوك ، والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة" . (ج ١ ص ٢١٣)

(٦) تغدى رجل مع بعض الرؤساء ، فقدم إليه جدياً ، فجعل يمعن فيه . فقال له الرئيس : إنك لتمزقه حتى كأن أباه نطحك ! فقال له : وأنت تُشفق عليه كأن أمه أرضعتك . فحجل وأنقطع . (أنظر "مطالع البدور

في منازل السرور" ج ٢ ص ٥٢)

ضياقات معاوية
في عاصمته وسائر
قواعد مملكته

إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي دَارَ بَيْنَهُمَا قَدْ قَرِحَ فِي قَلْبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا. وَمَعَاوِيَةُ لَمْ يَقُلْ هَذَا الْقَوْلَ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْظُمُ عَلَيْهِ قَدْرُ الدَّجَاجَةِ.

فكيف يكون ذلك، وهو يكتب إلى أطرافه وعمّاله وإلى زيادٍ بالعراق بإطعام السابلة والفقراء وذوى الحاجة. وله في كل يوم أربعون مائة يتقسّمها وجوهُ جند الشام؟ ولكن علم أنّ من حقّ الملك توقيير مجلسه وتعظيمه. وليس من التوقير والتعظيم مدُّ اليد وإظهارُ القرم وشدّةُ التهم وطلبُ التشعّب بين يدي الملوكة وبخضرتها. وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم من لدن أردشير بن بابك إلى يزيدٍ حرّد.

إختبار سابور لرجل
رشحه لقضاء القضاة

ويقال إنّ سابور ذا الأكتاف، لما مات مؤبّدان مؤبّد، ووصف له رجلٌ من كورةٍ بصطخر، يصلحُ لقضاء القضاة في العلم والتأله والأمانة. فوجه إليه. فلما قدّم، دخل عليه. ودعا بالطعام ودعاه إليه. فدنا فأكل معه. فأخذ سابور دجاجة فنصفها.

(١) معناه جرح. وفي سه: "قدح".

(٢) هو زياد ابن أبيه الذي استلحقه معاوية بيته. وأخباره مشهورة معلومة تكفلت بها كتب التاريخ والأدب. وأنظر "العقد الفريد" ج ٣ ص ٢ - ٦. وهو أول من أخذ الناس بقانون العجم (محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر). وللدائني كتاب في أخباره، وكتاب في ولده ودعوته (عن الفهرست ومعجم الأدباء لياقوت). وللهيثم بن عدى كتاب في أخباره ويسميه (في الفهرست) زياد بن أمية، وذلك تصحيف من الناسخ أو الطابع، وإلا فلا خلاف في أنه زياد ابن أبيه.

(٣) بعضهم يضبط هذا الاسم بفتح الجيم وبعضهم بكسرهما. وطائفة تقول بالروايتين. والصواب الكسر دون سواه، وهو الذي أعتده الإمام الذهبي في كتاب "المشبه في الأسماء"، وكذلك العلامة رتشاردصن في معجمه الفارسي العربي الإنكليزي.

(٤) تعريب شاه پور. وسماه العرب ذا الأكتاف لانه أنتصر عليهم فخلع أكتافهم.

(٥) أي قاضي القضاة في دولة الفرس قبل الإسلام. وبقيت وظيفة المؤبّد أي القاضي إلى أواخر الدولة العباسية، للقيام بأمر المحوس الذين دخلوا في الذمة.

ووضع نصفها بين يدي الرجل ونصفها بين يديه. ثم أوما إليه أن كُل من هذه، ولا تخلطُ بها طعاماً، فإنه أمرأ لطعامك وأخف على معدتك. وأقبل سابور على النصف، فأكل كتحوم ما كان يأكل. ففرغ الرجل من النصف قبل فراغ سابور. ثم مَدَّ يده إلى طعام آخر، وسابور يلحظه.

- فلما رفعت المائدة قال له: ودّع وأنصرف إلى بلدك! فإن آباءنا وسلفنا من الملوك كانوا يقولون: "من شَرِه بين يدي الملك إلى الطعام كان إلى أموال الرعيّة والسوقة والوضعاء أشدَّ شرهاً." فلم يستكفه على ما كان أحضره له ^(١) ^(٢)
- ومن حقّ الملك أن لا يرفع أحدٌ إليه طرفه، إذا أكل، ولا يحرك يده معه في صحفة.
- ومن قوانين الملك أن توضع بين يدي كلِّ رجلٍ صحفةٌ فيها كالذي بين يدي الملك من طعامٍ غليظٍ أو دقيقٍ أو حارٍّ أو قارٍّ، ولا ينحسُّ الملك نفسه بطعام دون أصحابه.
- لأن في ذلك ضعةٌ على الملك ودليلاً على الاستئثار.

١٢

عدم النظر للملك عند مؤاكلته

التسوية بين الملك وبين مدعويه

- (١) في سر: لم يستكفه. ولعلها محرفة عن "لم يستكفه" بمعنى أنه لم يطلب كفايته لمؤونة العمل، وكثيراً ما يستعمل الجاحظ وغيره استكفاً بمعنى ولاء | انظر البيان والبيان ج ٢ ص ١٨٦ | ومن هذه المادة "الكفاة" وهم العمال أهل القدرة على العمل والنهوض به | أنظر ص ٥٠ ص ٧١-١١ من هذا الكتاب | ومنها أيضاً "كافي الكفاة" لوظيفة كبيرة كانت في الدولة الإسلامية. يؤيد ذلك أنه قيل لعروة بن عدى ابن حاتم (وهو صبي) في وليمة كانت لهم: قَفَّ بالباب، فأجَّج من لا تعرف وأدخل من تعرف. فقال: والله لا يكون أول شيء استكفبه منع الناس عن الطعام! (طراز المجالس للشهاب الخفاجي ص ٩٢). هذا. وربما يجوز أن تكون محرفة عن "يستكفنه" أي "يجده كفواً". والذي في ص: "فلما رفعت المائدة إليه إلا أن تغسل ويحدد". | وليس للجملة بقية، وهي مبثورة ومشوهة، كما ترى |

- (٢) وردت هذه القصة بحروفها ماعداً بعض ألفاظ في صحيفتي ٢٦ و ٢٧ من كتاب "تنبه الملوك والمكاييد". وهي محتمة بهذه العبارة: "فلم يستكفه لما كان أحضره إليه وعول فيه عليه". ووردت أيضاً مبثورة في "محاسن الملوك" (ص ٢٩ و ٣٠)

ومن حقّ الملك أن لا يغسل أحدٌ بحضرتة يديه من خاصّته. وبطانتته، إلا أن يكون معه من يساويه في الجاه والعز والبيت والولادة. فقد بينا ما يجب لأولئك أنفاً.

غسل اليد بحضرة
الملك

ومن العدل أن يعطى الملك كلّ أحدٍ قسطه، وكلّ طبقةٍ حقّها؛ وأن تكون شريعة العدل في أخلاقه كشرعية ما يقتدى به من أداء الفرائض والنوافل التي تجب عليه رعايتها والمثابرة على التمسك بها؛ وإيناس الناس في بسط أيديهم في الطعام حتى يسوّى في ذلك بين الملوك والنمط الأوسط والعامّة.

إيناس
الملك لمدعويه

١٢

مباينة الملوك لمن
سوام

وليس أخلاق الملوك كأخلاق العامّة. وكانوا لا يشبهون في شيء. وإنما تحسن كثرة الأكل مع الصديق والعشير والمساوي في منازل الدنيا من الرفعة والضّعة. فأما الملوك فيرتفعون عن هذه الصفة ويحلّون عن هذا المقدار.

قيام الملك
عن الطعام

ومن حقّ الملك - إذا رفع يديه عن الطعام - أن ينهض عن مائدته كلّ من الخاف بها حتى يتواروا عنه بجدارٍ أو حائلٍ غيره. فإن أراد الدخول، كان ذلك بحيث لا يرون قيامه؛ وإذا أراد القعود لهم، دخلوا إليه بإذنٍ ثانٍ.

منشفة الدّف

ومن قوانين الملك أن يكون منديل عمّره كمنديل وجهه في النقاء والبياض، وأن لا يعاد إليه إلا أن يغسل أو يحدّد.

(١) أنظر في الحاشية التي في ص ١١٦ ما كان يفعله ابن دأب من غسل يده في حضرة الخليفة الهادي.

(٢) في سه: "بقسطه". وليست هذه الفقرة واردة في سه.

(٣) في سه: "لا يشبهون في شيء". وليست هذه الفقرة واردة في سه.

(٤) أراد "الحافين" فوضع المفرد في موضع الجمع، بأستعمال "أل" التي للجنس. ومثل ذلك كثير في عبارات البلغاء.

(٥) في سه: "عمّره" بالمهملة. وصوابه بالمعجمة، والعمّر بالتحريك زخّ اللحم وما يعلق باليد من دسمه. وهو مماثل ما نسميه الآن في مصر: فوطة الدّف. وليست هذه العبارة واردة في سه.

ومن حقّ الملك أن لا يُحدّث على طعامه بحدِيثِ جدِّ ولا هزلٍ . وإنِ أبتدأ بحدِيثٍ ، فليس من حقّه أن يُعارضَ بمثله . وليس فيه أكثرُ من الاستماعِ لحدِيثه ، والأبصارُ خاشعةٌ .

حدِيث الملك
على المائدة

ولشيءٍ ما كانت ملوك آل ساسان - إذا قُدِّمتْ موائدهم - زمزموا عليها ، فلم ينطق ناطقٌ بحرفٍ حتى تُرفع . فإنِ اضْطُرُّوا إلى الكلام ، كان مكانه إشارةً وإيماءً يدلُّ على الغرض الذي أرادوا والمعنى الذي قصدوا .^(١)

زمزومة الفرس على
الطعام وامتناعهم
عن مطلق الكلام

١٤

(١) الزمزمة : تراطُّن العُلوج على أكلهم ، وهم صُحوتٌ ، لا يستعملون لسانا ولا شفة في كلامهم ؛ لكنّه صوتٌ تُديره في خياشيمها وحلوقها ، فيفهم بعضها عن بعض . وقد زمزم العليج ، إذا تكلف الكلام عند الأكل ، وهو مُطبَّقُ فِه . وقال الجوهرى : الزمزمة كلام المجوس عند أكلهم . زاد ابن الأثير [في النهاية] : بصوت خفىّ (عن تاج العروس) . وذلك يرادف قول الفرنسيين Marmotter .

قال في مروج الذهب : ” ذكروا أن كيو مرث هو أوّل من أمر بالسكوث عند الطعام ، لتأخذ الطبيعة بقسطها ، فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء . وتسكن النفس عند ذلك ، فتدبر لكل عضو من الأعضاء تدبيراً يودى إلى ما فيه صلاح الجسم من أخذ صفو الطعام . فيكون الذى يرد إلى الكبد وغيره من الأعضاء القابلة للغذاء ما يناسبها وما فيه صلاحها . وإن الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب ، أنصرف قسط من التدبير وجزء من التغذية إلى حيث أنصباب الهمة ووقوع الأشتراك ، فأضرّ ذلك بالنفس الحيوانية والقوى الإنسانية . وإذا كان ذلك دائماً ، أدّى ذلك إلى مفارقة النفس الناطقة المميّزة الفكرية لهذا الجسد المرثى . وفي ذلك ترك للحكمة ونخروج عن الصواب . “ (مروج الذهب طبع باريس ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩)

وأقول إن عادة العرب والإفرنج قد جرت على خلاف ذلك .

وبمناسبة الزمزمة ، نرؤى ما حكاه ابن النديم في كتاب ” الفهرست “ (ص ١٩) عن الجاحظ في ” البيان والتبيين “ إن ” للزنج خطابة و بلاغة على مذهبهم و بليغتهم ، وإن من رأى ذلك وشاهده قال إذا حزبتهم الأمور ولزتهم الشدائد ، جلس خطيبهم على ما علا من الأرض وأطرق ، وتكلم بما يشبه الدمدمة والهمهمة ، فيفهم عنه الباقون . قال الجاحظ : وإنما يظهر لهم في تلك الخطابة الرأى الذى يريدونه فيعملون عليه . والله أعلم . “

١٠

١٥

٢٠

وكانوا يقولون: "إن هذه الأطعمة بها حياة هذا العالم. فينبغي للإنسان أن يجعل ذهنه في مطعمه ويَسْغَلُ رُوحه وجوارحه فيه، لأنَّ تأخذ كلَّ جارحة بقسطها من الطعام، فيغتنى بها البدنُ والرُّوح الحيوانية التي في القلب والطبيعة التي في الكبد، آغْتِذَاءً تامًّا، وتقبله الطبيعة قبولاً جامعاً."

وفي ترك الكلام على الطعام فضائل^(١) كثيرة هي في آيينهم^(٢) تركاً ذكراً، إذ كانت ليست من جنس كتابنا هذا.

(١) ص: وفي ترك الكلام فضائل.

(٢) الآيين كلمة فارسية عربيها العرب وأستعملوها. ومعناها القانون والعادة. (وأنظر ص ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب)

قال السيد صديق بن حسن خان في "لف القباط في تصحيح ما استعمله العامة من العرب والدخيل والمولد والأغلاط" مانصه: "آيين بمعنى العادة. وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة. أمجمى عربيه المولدون. وفي الكشاف: ليس من آيين الملوك أستراق الظفر." وعلى هامشه للسيد نور الحسن مانصه: "أى في سورة النمل. قيل لدى القرنين: بيب على العدو! فقال: ليس من آيين الملوك أستراق الظفر. وقال مهياري في قصيدته له:

يَجْمَعُ الحَرِيَّتَ حَوْلًا أمره * وهو لم يأخذ لها آيينه"

وهاتان العبارتان منقولتان بدون تنبيه عن "شفاء الغليل" للخفاجي. والخريته هو الدليل البصير بالطريق. وكلمة "آيين" لا تزال مستعملة إلى الآن بهذا المعنى عند الفرس والأتراك. وفي المعجم الفارسي العربي الانكليزي تأليف رتشارد صن مانصه:

آيين = An institution, rite, custom, or ordinance, canon, usage, prescription. Common law (in contradistinction to the laws delivered by Muhammad, and which are called شرع). Mode, form, manner.

ولأبن المقفع تأليف بهذا الاسم ذكره صاحب الفهرست. وكلام الجاحظ هنا يدل على كتاب بعينه ضمنه الفرس مجموع القوانين والنواميس والعادات والأصطلاحات المقررة عندهم. والى "آيين الأكرسة" أشار البيروني في "الآثار الباقية عن القرون الخالية" (ص ٢١٨)

* قال: وحدثني بعض المُحدِّثين قال: قال بعض الأُمراء وأُظنه بلال بن أبي بردة^(١) لأبي نُوَفل الجارود بن أبي سبرة^(٢):

ماذا تصنعون عند عبد الأعلى [بن عبد الله بن عامر بن كرز القرشي]، إذا كنتم عنده؟^(٣)
قال: نشاهد أحسن حديث وأحسن أَسْتَماع، ثم يأتي الطِّباخ فيتمثل بين عينيه،^(٤)
فيقول: ما عندك؟ فيقول: عندى لون كذا، ودَجاجة كذا، ومن الحلواء كذا.
قال: ولم يسأل عن ذلك؟

قال: ليقصّر كلُّ رجلٍ عمّا لا يشتهيهِ، حتّى يأتيه بما يشتهى. قال: ثمَّ يُؤتى بالخِوان،
فيتضايق ويتسع، ويقصر ويجهد. فإذا أسْتغنى، خوى^(٥) نُخويةَ الظلم ثمَّ أكل^(٦) أكل
الجائع المقرور.^(٧)

قال: والجارود هذا هو الذى قال: "سوء الخلق يُفسد العمل، كما يفسد الخَلُّ^(٨)
العسل."

(١) كان أميراً على البصرة وكان قاضياً. وهو أول من جار في القضاء. كان يقول: إن الخصمين يتقدّمان
إلى فأجد أحدهما أخفّ على قلبي من الآخر، فأفضى له. (مخاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر). وكان مع
ذلك كريماً مدحه ذورمة والحطيمية. وأنظر ترجمته في خزنة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ٤٥٣)، وله
في "الأغاني" و"كامل" المبرد ذكر كثير (أنظر فهرسهما).

(٢) الهذلي البصري. صدوق. توفي سنة ١٢٠ (تقريب التهذيب لمحافظة العسقلاني ص ٢٨)

(٣) الزيادة عن "العقد الفريد" وفهرس الطبرى.

(٤) فى الأصل وهو صر: فشاهدنا.

(٥) الخو والخواء: الجوع. والخوى والخواء خلوا الجوف من الطعام. وخوى خوى وخوآء: نتاج

٢٠ عليه الجوع. وخوى الطائر نخوية بسط جناحيه، وذلك إذا أراد أن يقع (عن تاج العروس). ولعل هذا المعنى
الأخير هو الذى أرادَه الجاحظ، لأنه فى كتاب الحيوان يلحق النعام بالطير.

(٦) الذكر من النعام.

(٧) روى هذه الحكاية صاحب "العقد الفريد" بزيادة ونقص فى الألفاظ والمعانى (ج ٣ ص ٣٨٢)

(٨) هذه الفقرات المحصورة بين نجمتين * منقولة عن صر.

باب في المنادمة

ومن أخلاق الملك أن يجعل ندماءه طبقات ومراتب، وأن يُحْصَّ ويعمَّ، ويقرب ويبعاد، ويرفع ويضع، إذ كانوا على أقسام وأدوات.^(١)

مراتب التمام
واحتياج الملوك
لجميع الطبقات

فإنَّ قد نرى الملك يحتاج إلى الوضيع للهو، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته، كما يحتاج إلى الناسك لعظته؛ ويحتاج إلى أهل الهزل، كما يحتاج إلى أهل الحد والعقل؛ ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم المتقن.^(٢)



وهذه أخلاق الملوك أن يحضرهم كل طبقة، إذ كانوا يتصرفون من حالٍ جدٍ إلى حالٍ هزل، ومن صححٍ إلى تذكير، ومن لهوٍ إلى عظة.

فكل طبقة من هذه الطبقات تُرفع مرةً ويُحطُّ أخرى، وتُعطى مرةً وتُحرم أخرى، خلا الأشراف والعلماء. فإنَّ الذي يجب لهم رفعة المرتبة وإعطاء القسط من الميزة والنصفة عند المعاشرة، ما لزموا الطاعة ورعوا حقها.^(٣)

(١) كذا في ص، سه، [والسياق يقتضى معنى المراتب].

(٢) ص: والنبل.

(٣) ص: المقتى. قال في "محاسن الملوك" (ص ٤٣): "ولما كان الملك محتاجا إلى أصطناع الرجال كاجته إلى أصطفاء الأموال، وجب أن يتخير لمسا مرتبه من يكون طيب الأعراف، باعنا على مكارم الأخلاق؛ ولكنه قد يحتاج إلى المطرب الملهي كما يحتاج إلى العالم المقتى. لأنه يحتاج إلى أن يتصرف بين الهزل والجد لما هو بصدده من التعب في النظر في أمر الجمهور".

(٤) ص: المرتبة.

وليس من حقِّ الملك أن يبرح أحد من مجلسه إلا للقضاء حاجة . فإذا أراد ذلك ،
فمن الواجب أن يلاحظه . فإن سكت الملك ، قام بين يديه ثم لاحظته . فإن نظر إليه ،
مضى لحاجته . فإذا رجع ، قام مائلاً بين يديه أبداً ، وإن طال ذلك ، حتى يُمويَ إليه
بالتعود . فإذا قعد ، فمقعياً أو جاثياً . فإن نظر إليه بعد قعوده ، فهو إذنه له بالتمكُّن
في قعوده .

آداب الخروج
من حضرة الملك
والرجوع إليها

وليس له أن يختار كمية ما يشرب ولا كيفيتها ، إنما هذا إلى الملك . إلا أن من
حقه على الملك أن يأمر بالعدل عليه والنصفة له ، ولا يجاوز به حد طاقته ولا وسع
أستطاعته ، فيخرج به من ميزان القسط وحد التصد : لأنه لا يأمن أن يتلف نفسه .
وهو يجد إلى إحيائها سبيلاً .

كمية الشرب
وكيفيته موكولتان
للك ، وعليه العدل

ومن أخلاق الملك السعيد أن يحرص على إحياء بطانته ، حرصه على إحياء
نفسه ، إذ كان بهم نظامه .

١١

وإذ قد آتينا إلى هذا القانون من القول ، فبنا حاجة إلى الإخبار عن مراتب
الطبقات الثلاث من الندماء والمغنيين ، وإن كانت مراتبهم في كتاب الأغاني
محصورة ، فقد يجب ذكرها في هذا الموضوع أيضاً . لأنها داخلية في أخلاق الملوك .

طبقات الندماء
والمغنيين عند الفرس
وفي الإسلام

(١) كذا في سه ، ص "يرح أحد من مجلسه" بتعديده يرح بمن . والذي في كتب اللغة تعديته بنفسه .
على أن بعض أكابر أهل الأدب قد يُعدُّون هذا الفعل بحرف "من" كما فعل الجاحظ هنا . فقد ورد
في التبريزي "لم يرح من مكانه" و "ما برحت من مكان كذا" (شرح الحماسة للخطيب التبريزي طبع أوربه
ص ١٦٤ و ٢٥٠) وفي الأغاني "ما أنا بارج من بابها" (ج ٢ ص ١٣٧) . وفي "الحامس والمساوي"
قوله : لأبرح من بغداد (ص ١٩٣) . وأنظر ص ١٤٤ من هذا الكتاب .

(٢) سه : مقدمتاً . وأنظر الحاشية ١ ص ٨ من هذا الكتاب .
(٣) ليست الإشارة هنا إلى كتاب الأغاني المشهور الذي لابي الفرج الإصمهاني . فقد توفى الجاحظ
سنة ٢٥٥ هـ ، وكانت وفاة أبي الفرج في سنة ٣٥٦ . ولا بد أن الجاحظ يعني كتابا للفرس أو سفراً آخر =

ولنبداً بملوك الأعاجم، إذ كانوا هم الأول في ذلك، وعندهم أخذنا قوانين الملك
 والمملكة وترتيب الخاصة والعامة، وسياسة الرعية، وإلزام كل طبقة حظها والاقتصار
 على جديلتها.^(١)
 كان أردشير بن بابك أول من رتب الندماء وأخذ بزمام سياستهم. فجعلهم
 ثلاث طبقات:

== من أسفار الاغانى التي كانت متداولة في صدر الدولة العباسية كما تدل عليه عبارة الاصفهاني في مقدمته .
 هذا وقد أشار المسعودي (مروج الذهب ج ٦ ص ١٠) إلى كتاب الأغانى ولم يقيد بشئ آخر
 من حيث ذكر المؤلف أو غيره . فلهذا هو نفس الكتاب الذي يشير إليه الجاحظ . لان المسعودي فرغ من
 مروج الذهب في سنة ٣٣٦ هـ قبل وفاة أبي الفرج الأصفهاني بعشرين سنة . وهو لم يعرفه المسعودي
 ولم يشير إليه ولا إلى مؤلفاته مطلقاً في كتبه التي بلغتنا .

ويتلخص مما ذكره المسعودي وأبو الفرج الاصفهاني في هذا الموضوع : أولاً - أن إبراهيم بن المهدي
 المعروف بأبن سلكة (وهي جارية فارسية أقرشها الخليفة المهدي) صنف كتاباً في الأغانى . وهو أول كتاب
 في هذا المعنى وصلنا خبره ، غير الذي يشير إليه الجاحظ والمسعودي ؛ ثانياً - أن الرشيد أمر إبراهيم الموصلي
 وإسماعيل بن جامع وفتح بن العوراء فألقوا له كتاباً في الاغانى وضموا المائة الصوت المختارة ؛ ثالثاً - أن
 كتاب هؤلاء الثلاثة وقع إلى الواثق ، فأمر إسحاق بن إبراهيم الموصلي بتبذيبه وتوسيعه . وقد روى صاحب الأغانى
 (أعنى أبا الفرج) أن هذا الكتاب ليس من تأليف إسحاق بل هو مصطنع عليه ومنسوب إليه ، وأورد حججاً تؤيد
 ذلك في مقدمة كتابه . ولكن المسعودي ذكره باعتبار أنه من تأليفه .

(١) "صه : وعندهم أخذنا آيين المملكة" وانظر الحاشية ٢ ص ١٩ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب .

(٢) هذه الكلمة وردت في سه مهمله من النقط هكذا : "حد لها" . وفوقها كلمة "كذا" .
 وقد اعتمدنا رواية صه . وفيه تفسيرها بقوله : "شا كتبها" . وهذا التفسير منقول عن القاموس .

(٣) من هنا إلى قوله "أنت يا فلان كذا وكذا" في ص ٢٩ من هذا الكتاب نقله المسعودي في "مروج
 الذهب" بالحرف الواحد تقريباً ، ولم يشير إلى أنه نقل هذه البيانات عن التاج للجاحظ . وقد جرى هو وغيره
 على هذه العادة في كثير من العبارات ، كما سترأه فيما يرد عليك من الحواشي . وقد زاد في هذه العبارة التي نحن
 بصدها ألفاظاً تزيد المعنى وضوحاً ، وضم إليها معلومات أخرى . (انظر مروج الذهب طبع باريس ج ٢

ص ١٥٣ - ١٥٩ ، وطبع بولاق سنة ١٢٨٣ ج ١ ص ١١٧ - ١١٨) (٤)

فكانت الأساورة وأبناء الملوك في الطبقة الأولى. وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستارة.

ثم الطبقة الثانية، كان جلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم)؛

ثم الطبقة الثالثة، كان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية، وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة. غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضعه ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مؤوف^(٢) ولا مرمى بأبنة^(٣) ولا مجهول الأبوين ولا ابن صناعة دينية، كآبن حائك أو حجام، ولو كان يعلم الغيب مثلاً.

وكان أردشير يقول: "ما شئ أضرَّ على نفس ملك من معاشره سخيف أو مخاطبة وضيع. لأنه كما أن النفس تصلح على مخاطبة الشريف الأديب الحسيب، كذلك تقسُد بمعاشره الدنيء الخسيس، حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها. وكما أن الريح، إذا مرَّت بِطيب، حملت طيباً تحيا به النفس وتقوى به جوارحها، كذلك إذا مرَّت بالثَّنْ فحملته أَلَمَتْ له النفس وأضرَّ بأعلاقتها إضراراً تاماً."^(٤)

(١) الأسوار: الواحد من أساورة الفرس. قال أبو عبيد: هم الفرسان، والأساورة أيضاً قوم من العجم بالبصرة كالأحامرة بالكوفة (الصباح) [حاشية عن صه]. قال الخوارزمي في "مفاتيح العلوم" إن العجم لاتضع أسم أسواراً لأعلى الرجل الشجاع البطل المشهور. وعلى ذلك يكون مقابله في اللغة الفرنسية: Chevalier.

(٢) هذه الكلمة وردت في صه فقط. [ومعناها مصاب بأفة].

(٣) الأبنة: العيب. (قاموس)

(٤) هذه العبارة منقولة عن آبن المقفع في "الادب الصغير" وفي "كلياته ودمته".

أقسام الناس
عند الفرس أربعة

وكذلك جعل الناس على أقسام أربعة، وحصرت كل طبقة على قسمتها: ^(١)

فالأول الأساورة من أبناء الملوك؛

والقسم الثاني النُّسَّاك وسَدَنُهُ بيوت النِّيران؛ ^(٢)

والقسم الثالث الأَطْبَاءُ والكُتَّابُ والمنجِّمون؛

والقسم الرابع الزُّرَّاعُ والمِهَّانُ وأَصْرَابُهُمْ. ^(٣)

وكان أردشير يقول: "ما شئٌ أسرع في انتقال الدول وخراب المملكة من انتقال هذه الطبقات عن مراتبها حتى يُرَفَّعَ الوضِعُ إلى مرتبة الشريف، ويُحَطَّ الشريف إلى مرتبة الوضِعِ." ^(٤)

١٨
مقابلة كل طبقة
من الندماء بمثلها

وكان الذي يقابل الطبقة الأولى من الأساورة وأبناء الملوك أهل الحذاقة بالموسيقىات والأغاني. فكانوا بإزاء هؤلاء نُصِبَ خطَّ الاستواء.

وكان الذي يقابل الطبقة الثانية من ندماء الملك ويطائته الطبقة الثانية من أصحاب الموسيقىات.

(١) في سه، صه، خصص.

(٢) أردشير بن بابك هو أول من رتب الرعية على طبقات ووضع لهم الكتب في الآداب الملوكية من أحوال الدين والدنيا، وعلم مراتب الخلق في الديوان والدول، ونصب الموبدان موبذ يعني كبير القضاة الشهر اليوم بقاضي العسكر. (عن محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر)

(٣) أي خدمة.

(٤) ضبطها في سه بكسر الميم وفتح الهاء بغير تشديد. [وقد تكون هذه الكلمة جمع ما هن أي صاحب المهنة. وهو أيضا الخادم والعبد. وجمعه يكون حينئذ "مُهَّان" مثل كاهن وكُهَّان وصانع وصُناع]. وعلى هذا الوجه الثاني ضبطها في صه.

وكان الذي يقابل الطبقة الثالثة من أصحاب الفكاهات والمضحكين أصحاب^(١) الونج^(٢) والمعازف والطناير. وكان لا يزم^(٣) الحاذق من الزامرين إلا على الحاذق من المغنين. وإن أمره الملك بذلك، راجعه وأحتج عليه.

وقلما كانت ملوك الأعاجم خاصة تأمر أن يزم^(٣) على المغني إلا من كان معه في أسلوب واحد، إذ لم يكن من شأنهم أن ينقلوا أحدا من طبقة وضبعة إلى طبقة

احتفاظ الفرس
بهذا الترتيب

(١) في سه، صه : وأصحاب .

(٢) كلمة فارسية معربة . والعرب تقول الون بتشديد النون . وهي الصنج ، آلة من آلات الطرب . وقيل إنه الصنج ذو الأوتار (أنظر تاج العروس ، ومفاتيح العلوم للخوارزمي) . وروى في كتاب الملاهي بيتاً للأعشى ، وهو :

١٠ ومسبق صيني وون وبربط * يجاوبه صنج إذا ما ترمما

وقال صاحب شفاء الغليل : "إن الونج هو عود الطيب ، معرب" . فانظر من أين أتى بالطيب هنا . ولعله أراد عود الطرب . فصحة التامخ وفاتت الطابع .

(٣) أنظر أسماء آلات الموسيقى عند العرب في الجزء ١٣ من "المختص" لابن سيده (ص ١١ - ١٥) . فتعرف أن الطنبور والطناير من الأسماء المعروفة عند العرب | نقل عن الفرس | . أما ما زعمه العلامة دوزي من أنهم أخذوا هذا الأسم عن اللغة السلتية Celtique ، فهو زعم يقوم الدليل على خلافه :

١٥ أولاً - ورد هذا اللفظ في شعر ذي الزمة (المتوفى سنة ١٠١ أو ١١١ للهجرة) . قال :
"من الطناير يزهي صوته بمثل في لحنه عن لغات العرب تعجيم ."

ومعلوم أن العرب آبتدؤوا فتح الأندلس في سنة ٥٩٢ . ولا يمكن سبع سنوات أو ثمانٍ لانتقال اللفظ من أقصى الغرب إلى بادية العرب وشيوعه فيها حتى رضى ذو الزمة باستعماله وأرضاه الناس منه .

٢٠ ثانياً - إن الاسبانيين يقولون إلى الآن Atambor ، وهو لفظ مأخوذ عن الأسم العربي بأداة التعريف العربية . فلو كان أسم هذه الآلة شائعاً عندهم قبل دخول العرب بلادهم لما بقى في لغتهم بهذه الصورة العربية . وهذا رأى الأستاذ ليناردي الطلياني في معجمه المسمى Le parole italiane derivate dall'arabo وهو رأى راجح ، أي دناه بشعر صحيح ، لبدوى فخ فصيح ، نبت في المهامه الفيح ، ومات بين الفيصوم والشيخ . (أنظر ترجمته في الأغاني ج ١٦ ص ١١٠ وما يليها)

رفيعة. إلا أن الملك كان ربما غلب عليه السكر حتى يؤثر فيه، فيأمر الزامر من الطبقة الثانية أو الثالثة أن يزمر على المعنى من الطبقة الأولى، فيأبى ذلك. حتى إنه ربما ضربه الخدم بالمراوح والمذاب^(١) فيكون من اعتذاره أن يقول: إن كان ضربني بأمر الملك وعن رأيه، فإنه سيرضى عنى إذا صحا، بلزومي مرتلي.

١٩

معاينة أردشير
لنفسه لمخالفته
هذا القانون

وكان أردشير قد وكل غلامين ذكيين - لا يفارقان مجلسه - بحفظ ألفاظه عند الشرب والمنادمة. فأحدهما يميل^(٢) والآخر يكتب حرفاً حرفاً. وهذا إنما يفعلانه إذا غلب عليه السكر. فإذا أصبح ورفّع عن وجهه الحجاب، قرأ عليه الكاتب كل ما لفظ به في مجلسه إلى أن نام. فإذا قرأ عليه ما أمر به الزامر ومخالفة الزامر أمره، دعا بالزامر نخلع عليه وجزاه الخير، وقال: "أصبحت فيما فعلت وأخطأ الملك فيما أمرك به. فهذا ثواب صوابك. وكذلك العقوبة لمن أخطأ. وعقوبتي أن لا تزمر اليوم إلا على خبز الشعير والخبز". فلم يطعم في يومه ذلك غيرهما.

وما ذاك إلا حثاً على لزوم سنتهم وحفظ نواميسهم وأخذ العاقبة بالسياسة التامة والأمر اللازم.

(١) جمع مذبة. وهي آلة لطراد الذباب، وهي التي نسميها في مصر بالمنشدة. أما المراوح فعبارة، وأنظر تفصيلاً شافياً عن أنواعها في أيام الدولة العباسية وما بعدها في كتاب "مطالع البذور في منازل السرور".

(ج ١ ص ٦٤ - ٦٦)

(٢) صه: يميل.

(٣) سه: "فهذا صواب هذه ثمرة". وهي رواية صحيحة تشابه التي اخترناها في المتن عن صه لأنها مختصرة مفيدة.

فلم يزل على ذلك ملوك الأعاجم حتى ملك بهرام جور بن يزدجرد^(١)، فأقر مرتبة الأشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت التيران على ما كانت، وسوى بين الطبقتين من الندماء والمغنيين ورفع من أطربه - وإن كان في أوضاع الدرجات - إلى الدرجة الأولى، وحط من قصر عن إرادته إلى الطبقة الثانية. فأفسد سيرة أردشير في المغنيين وأصحاب الملاهي خاصة. فلم يزل الأمر على ذلك حتى ملك كسرى أنوشروان، فردت الطبقات إلى مراتبها الأولى.

اختلال هذا النظام أيام بهرام جور وإعادة أنوشروان له



وكانت ملوك الأعاجم كلها من لدن أردشير بن بابك إلى يزدجرد تحتجب عن الندماء بستارة. فكان يكون بينه وبين أول الطبقات عشرون ذراعاً. لأن الستارة من الملك على عشرة أذرع، والستارة من الطبقة الأولى على عشرة أذرع.

احتجاب ملوك الفرس عن الندماء ومقدار المسافة بين الطبقات

وكان الموكل بحفظ الستارة رجلاً من أبناء الأساورة يقال له "نخرم باش"^(٢). فإذا مات هذا الرجل وكل بها آخر من أبناء الأساورة وسُمي بهذا الاسم. فكان "نخرم باش"^(٢) إذا جلس الملك لندمائه وشغله، أمر رجلاً أن يرتفع على أعلى مكان في قرار دار الملك ويفرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول: "يالسان! احفظ رأسك"^(٥)، فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك! ثم ينزل.

١٥ (١) أنظر السبب في إضافة الجور إلى اسمه في كتاب "غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم" للثعالبي (صفحة ٥٤٤).

(٢) نخرم تاش. وصححنا عن صه وعن المسعودي الذي قال: "وتفسير ذلك: كن فرحاً."

(٣) في سه "يرفع". والتصحيح عن صه وعن المسعودي.

(٤) سه: "يعرب". والتصحيح عن صه وعن المسعودي.

(٥) صه: الرأس.

٢١

فكان هذا [فِعْلَهُمْ] في كل يوم يجلس فيه الملك لِلْهَوَى، ولا يجترى أحد من خلق الله أن يدير لسانه في فيه بخير ولا غيره، حتى تُحْرَك الستارة، فيَطْعَم القائم عليها فيؤمر بأمرٍ فينقذه، ويقول: اِفْعَلْ يا فلان كذا، وتغني أنت يا فلان كذا وكذا.

وكان الندماء من العطاء والأشراف وأبناء الملوك وإخوة الملك وعمومته وبني عمه وأوضع الطبقات في مجلس الملك في نقابٍ واحد: إطراقا وإخباتا وسكون طائرٍ وقلة حركة.

فلم يزل أمر الملوك من الأعاجم كذلك حتى ملك الأردوان الأحمر، فكان يقول: «من كانت له منكم حاجة، فليكتبها في رُقعة وليرفعها قبل شغلي فأفهم ما فيها

(١) صه: يفيض.

(٢) سه: تحول الستارة فيؤمر.

(٣) أنظر حاشية ٣ ص ٢٣ من هذا الكتاب. (وهنا ينتهي ما نقله المسعودي عن الجاحظ.)

(٤) قال في أساس البلاغة: كانا في نقاب واحد: أي كانا مثلين ونظيرين. وفي سه: في نصاب واحد.

(٥) أي خشوعا وخضوعا وتواضعا.

(٦) كذا في سه، صه هنا | ثم في صفحتي ١١٨ و ١٥١ من هذا الكتاب. والذي يستفاد مما ذكره المسعودي في "مروج الذهب" وفي "التنبيه والإشراف" أن الأردوان هو علم على جماعة من ملوك النبط، وكانوا من ملوك الطوائف بعد الإسكندر. وهؤلاء ليس لهم شأن فيما نحن بسبيله الآن.

ويستفاد منه أيضا أن فارس قام عليها ملكان أحدهما اسمه الأردوان الأكبر والثاني الأصغر. وأن هذا الثاني كان أعظم شأنا وأكبر ملكا. وهو الأردوان بن بهرام بن بلاش آخر ملوك الأشكانية. قتله أردشير بن بابك وقام بأعباء الملك بعده. يؤيد ذلك ابن الأثير والنعماني. والراجح أن هذا الأردوان هو المراد هنا وأن كلمة "الأحمر" تحريف من الناسخ للفظه "الأصغر".

(٧) سه: تنقل.

ويخرج إليه أمرى، وعقلى صحيح وفكرى جامع. “فمن سأل في غير هذا الوقت حاجة، ضربت عنقه. وهو أول من فتح هذا. وكان لا يرد سائلاً، ولا يعطي مبتدئاً. فلم يزل الأمر على ذلك حتى ملك بهرام جور، فكان يقول للندماء: “إذا رأيتونى قد طربت وخرجت من باب الحد إلى باب الهزل، فسلوا حوائجكم. “ وكان يوكل بجوائجهم صاحب الستارة. فكان إذا سكر، مد الناس أيديهم برقاعهم، فأخذها صاحب الستارة، فأنفذها إليه. فأخذها بيده وصمها عليها، ثم رعى بها من غير أن ينظر فى شىء منها، ويقول: “أنفذوا كل ما فيها. “ فكان ذلك ربما بلغ فى ليلة واحدة من سؤال فى إقطاع أو قضاء دين أو طلب منحة^(١) ألف ألف أو أكثر. إلا أن ذلك لم يكن تباعا.

٢٢

١٠ وكان إذا رفع أحدهم فى رقعة ما ليس يجوز لمثله - وهو خارج من حد القصد وأدخل فى باب الإفراط - لم تقض له حاجة، وسمى جاهلاً، ولم تؤخذ له رقعة بعدها أبداً.

ثم لم يكن ذلك بعد فى أخلاق الملوك من الأعاجم والعرب حتى ملك يزيد بن عبد الملك. فسوى بين الطبقة العليا والسفلى، وأفسد أقسام المراتب، وغلب عليه اللهو، وأستخف^(٣) بآيين المملكة، وأذن للندماء فى الكلام والضحك والهزل فى مجلسه والرد عليه.

التسوية بين الطبقات فى أيام يزيد بن عبد الملك

وهو أول من شتم فى وجهه من الخلفاء على جهة الهزل والسخف.

أول خليفة شتم فى وجهه هزلاً

(١) ص: “منحة”. وهى المنحة أيضاً.

(٢) ص: وداخل.

(٣) ص: بقوانين. (أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ وص ٢٣ وص ٧٧ من هذا الكتاب) ٢٠

أحوال الأمويين
في الشرب واللهو

(١) قلت لإسحاق بن إبراهيم: هل كانت الخلفاء من بني أمية تظهر للندماء والمغنين؟

(١) في ص: لأبي إسحاق بن إبراهيم الموصلي. (وأبو، زائدة ولاشك).

لم أترك طريقا من طرق البحث للتعريف بهذا الاسم إلا سلكتها. فتقصيت كل من اسمه "إسحاق بن إبراهيم" ممن عاصر الجاحظ فلم أستطع أن أحصر مصدر هذا الخبر إلا في رجلين: أحدهما (وهو الذي يتبادر الذهن إليه) إسحاق بن إبراهيم الموصلي صاحب الصبب البعيد في الغناء والأدب والرواية؛ والثاني إسحاق بن إبراهيم المصعبى (حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتمد والوائق) وهو من أرباب المكانة العالية في الأدب والرواية وقد الغناء.

غير أنه ليس من المحتمل أن يكون الراوى هو إسحاق المصعبى، لأنه من ذوى قرابة طاهر بن الحسين، قاتل الأمين. وأهل هذا البيت جميعهم نشأوا في بوشنج من خراسان، ولم يحضروا بغداد إلا بعد دخول المأمون فيها. يعرف ذلك كل من عانى التاريخ الإسلامى. فكيف يكون إسحاق المصعبى قد شهد مجلس الأمين في دار السلام أو أخذ منه الجوائز والصلوات؟ (أنظر ص ٤٣ من هذا الكتاب).

أما إسحاق الموصلي فأشبهه بأن يكون هو الراوى للخبر، لولا أن عبارة الجاحظ مضطربة مشوشة بحيث إنها لو بقيت على حالها كما هي واردة في ص، ص (وكما جرت العادة به في الكتابة العربية أى بدون علامات الترقيم) لكان من المتعذر معرفة وجه الصواب أو نسبة الحديث إلى صاحبه. وذلك لأن القصة تضمنت خبرا فيه تحقير لأبيه وتصغير لشأنه (كما تراه في ص ٣٩ و ٤٠) فضلا عن أنها تنتمى بخبر عن إسحاق الموصلي نفسه (في ص ٤٣ و ٤٤). وهذا الخبر الثانى منقول بصيغة الغائب المحذث عنه، لا كما يتكلم الإنسان عن نفسه. وفيه ما يجدر بمثل الموصلي أن يملأ به فمه تشدقا ونفرا ويرفع له رأسه تبرا وكبرا. كيف لا وفيه أن المأمون ضم إسحاق وقبلة. فكان المعقول والمتحم أن يقول الراوى مدلا معجبا: "فضممتى وقبلى".

على أن الشك في راوى هذا الحديث قديم. يرجع أول عهده إلى الطبرى المتوفى سنة ٣١٠. فقد روى إمام المؤرخين واقعة إبراهيم (والد إسحاق الموصلي) مع الهادى (راجع السلسلة ٣ ص ٥٩٥). والخبر بنصه تقريبا وارد في عبارة الجاحظ (ص ٣٦). لكن الطبرى رواه بصيغة الغائب وصدره بقوله: "وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أو عن غيره". وكذلك روى صاحب "الأغانى" خبر إبراهيم بن المهدي مع الأمين (الوارد في حديث الجاحظ ص ٤٣) بروايتين مختلفتين جدا، إحداهما عن إسحاق الموصلي متكلمة عن نفسه والثانية عن محمد بن الحارث بن بشخير (راجع الأغانى ج ٩ ص ٧١). والخبر نفسه وارد أيضا عن إسحاق الموصلي بلهجة المحذث عن نفسه في "العقد الفريد" لابن عبد ربه (ج ٣ ص ٢٤٤) وفي "معجم الأدباء" لياقوت (ج ٢ ص ٢٠٦).

=

قال: «أما معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان»
 «وآبن محمد، فكان بينهم وبين الندماء ستارة. وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله»
 «والخليفة، إذا طرب للمغنى وألته حتى ينقلب ويمشى ويحرك كتفيه ويرقص»
 «ويتجرد حيث لا يراه إلا خواص جواريه. إلا أنه كان إذا ارتفع من خلف الستارة»
 «وصوت أو غير طرب أو رقص أو حركة بزفير تجاوز المقدار، قال صاحب الستارة:»
 «حَسْبُكَ يا جارية! كُنْفِي! اتَّهَى! أَقْصِرِي! - يُوهِمُ الندماء أن الفاعل لذلك بعض»
 «الجوارى.»

«وأما الباقون من خلفاء بني أمية فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتجردوا»
 «ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنيين. وعلى ذلك، لم يكن أحد منهم في مثل حال»
 «يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد في الحجون والرفق بحضرة الندماء والتجرد:»
 «ما يباليان ما صنعنا.»

= وعندى أنه لا يمكن التوفيق بين جميع هذه الروايات، إلا إذا فرضنا أن هذا الحديث قد رواه الجاحظ عن
 إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ثم حشاه بأستطرادات من عنده وروايات أخرى ضمها إليه مما يتسق معه ويناسب
 المقام أو يرتبط بالموضوع. فكان الجاحظ إذا انتهى من الحشو والأستطراد على ما اعتادته طبيعته وألفته
 نفسه كما هو المهود في كل كتبه وتصانيفه، عاد إلى الحديث الأصلي مستعملا لفظه "قال" تنبيها للقارئ
 إلى رجوع ما أنقطع ووصل ما انفصل وأستثنا لما حدثه به إسحاق بن إبراهيم (الموصلي). فحينما كان المقام
 يدعو الجاحظ للكلام عن نفس إسحاق (صاحب الحديث)، وضع لفظه "ويقال". فيذكر من عنده خبرا عن
 نفس إسحاق بصيغة الغائب المحدث عنه. أما إذا عرض للجاحظ أن يحشر في تضاعيف الحديث الأصلي شيئا
 من عنده لأجل زيادة التعريف بأحد الخلفاء أو أحد الأشخاص المذكورين في الحديث، فكان يستعمل لفظه
 "وهو" أو "وكان". فإن أتى المؤلف برواية أخرى، عبر بقوله "وزعم فلان" أو "ولقد حدثني فلان".
 فذلك كله وضعت بين شولتين مزدوجتين " " كل سطر من السطور التي ورد فيها كلام دلتني السياق
 والبحث والأستقصاء على أنه من حديث إسحاق بن إبراهيم الموصلي للجاحظ. وأغفلت من هذه الإشارة
 كل ما تأكد عندي أنه من حشو الجاحظ وأستطراداته، لأنه من ضمن عبارته، والكتاب كله له.

قلت: فعمربن عبد العزيز؟

(عمربن عبدالعزيز)

قال: «وماطن في سمعه حرف غناء، منذ أفضت الخلافة إليه إلى أن فارق الدنيا.»
«وأما قبلها - وهو أمير المدينة - فكان يسمع الغناء، ولا يظهر منه إلا الأمر الجميل.»
«وكان ربما صفق بيديه، وربما تترغ على فراشه وضرب برجليه وطرب. فأما أن»
«ويخرج عن مقدار السرور إلى السخف، فلا.»

٢٤

قلت: فخلفاؤنا؟^(١)

قال: «وكان أبو العباس في أول أيامه يظهر للندماء ثم أحتجب عنهم بعد سنة.»^(٢)
«أشار بذلك عليه أسيد بن عبد الله [الخزاعي]. وكان يطرب ويتهيج ويصيح من»
«وراء الستارة: "أحسنت والله! أعد هذا الصوت!" فيعاد له مراراً. فيقول في كلها:»
«أحسنت!» وكانت فيه فضيلة لا تجدها في أحد. كان لا يحضره نديم ولا مغن»
«ولا مله فينصرف إلا بصلية أو كسوة، قلت أم كثرت.^(٤) وكان لا يؤخر إحسان»
«مُحسِنٍ لغد، ويقول: "العجب من يفرح إنساناً، فيتعجل السرور ويجعل ثواب من»
«سره تسويها وعدة!" فكان في كل يوم وليلة يقعد فيه لشغله، لا ينصرف أحد من»
«حضره إلا مسروراً. ولم يكن هذا العربي ولا عجمي قبله. غير أنه يحكى عن بهرام جور»
«ما يقارب هذا.»^(٥)

(١) ص: فخلفاء بن العباس؟

(٢) أنظر شذرات الذهب. "ج ١ ص ٢١٦"

(٣) كان من القاتمين بالدعوة العباسية ومن رجالات أبي مسلم الخراساني، وكان على مقدمته عند دخوله مرو. توفي سنة ١٥٦ هـ وهو أمير خراسان. (أنظر الفهارس في الطبري وفي ابن الأثير)

(٤) أورد صاحب "محاسن الملوك" ما يضارع ذلك (ص ٣٠)

(٥) قارن ذلك بما نقله صاحب "مروج الذهب" (ج ٦ ص ١٢١ و ١٢٢).

(المنصور) ، فأمّا أبو جعفر المنصور، فلم يكن يظهر لنديمٍ قطُّ، ولا رآه أحدٌ يشرب غير الماء. “
 وكان بينه وبين الستارة عشرون ذراعاً، وبين الستارة والندماء مثلها. فإذا غناه“
 ”والمعنى فأطربه، حرّكت الستارة بعضُ الجوارى فأطّلع إليه الخادمُ صاحبُ الستارة“
 ”ويقول: قل له: “أحسنت! بارك الله فيك!” وربما أراد أن يُصَفِّقَ بيديه، فيقوم عن“
 ”ومجلسه ويدخل بعضُ حجر نساته، فيكون ذلك هناك. وكان لا يُثيب أحداً من ندمايه“
 ”وغيرهم درهماً، فيكون له رَسَمًا في ديوانٍ. ولم يُقَطِّعْ أحداً ممن كان يضاف إلى مُلَهِيَةِ“
 ”أو صَحِيكِ أو هزَلٍ موضعَ قَدَمٍ من الأرض. وكان يحفظ كلَّ ما أعطى واحداً منهم“
 ”وعشر سنين ويحسبه ويذكره له.“

* وكان أبو جعفر المنصور يقول: ”من صنع مثل ما صنَع إليه، فقد كافأ؛ ومن أضعف،
 كان مشكوراً؛ ومن شكر، كان كريماً؛ ومن علم أن ما صنَع فإلى نفسه صنع، لم يستطع
 الناس في شكرهم ولم يستردّهم في مودّتهم. ولا تلتمس من غيرك شكر ما أتيتَه إلى
 نفسك ووقيتَ به عرضك. وأعلم أن الطالب إليك الحاجةَ لم يُكرِّم وجهه عن
 مسألتك، فأكرِّم وجهك عن ردّه.“^(١)

(المهدى) ”وكان المهديُّ في أول أمره يحتجِب عن الندماء، متشبّها بالمنصور نحواً من سنة.“
 ”ثم ظهر لهم. فأشار عليه أبو عَوْنٍ بأن يحتجِب عنهم، فقال: «إليك عني، يا جاهل!»“^(٢)

(١) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين** منقولة عن صـ. وهي استطرادٌ أجنبيٌّ من موضوع الحديث.
 (٢) هو عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي. كان من أهل الرأي ومن وجوه الشيعة القائلين بالدعوة
 العباسية. ومن قواد أبي مسلم الخراساني. وكان له بلاه حسن في تمهيد الأمر لئبي العباس. دخل بجنوده
 دمشق عنوة من باب كيسان ثم تعقب مروان بن محمد الجعدي إلى مصر عند هربه إليها، وفيها قتله. وبقى فيها
 ومعه السلاح والأموال والريق. فولّاه عليها أبو العباس السفاح مرتين: الأولى من شعبان سنة ١٣٣ = ٢٠

«وإنما اللذة في مشاهدة السرور وفي الدنو ممن سررتي. فأما من وراء وراء، فما خيرها»
 «ولذتها؟ ولولم يكن في الظهور للندماء والإخوان إلا أتى أعطيهم من السرور»
 «ومشاهدتي مثل الذي يعطوني من فوائدهم، بل جعلت لهم في ذلك حظاً موقراً». وكان
 «كثير العطايا، يوارثها. قل من حضره إلا أغناه. وكان لين العريكة، سهل الشريعة»^(١)
 «ولذيذ المنادمة، قصير المناومة، ما يميل نديماً ولا يتركه إلا عن ضرورة، قطع الخنا»^(٢)
 «صبوراً على الجلوس، ضاحك السن، قليل الأذى والبذاء»
 «وكان الهادي شمس الأخلاق، صعب المرام، قليل الإغضاء، سي الظن»^(٣) (الهادي)
 «من توقاه وعرف أخلاقه، إلا أغناه. وما كان شئ أبغض إليه من ابتدائه بسؤال»
 «وكان يأمر للغنى بالمال الخطير الجزيل، فيقول: «لا يعطيني بعدها شيئاً»، فيعطيه»
 «بعد أيام مثل تلك العطيّة».

= إلى سنة ١٣٥٠. وهو الذي أمر أصحابه بالبناء في الأرض الفضاء التي محلها الآن جامع ابن طولون. وبني
 هو هنالك دار الإمارة ومسجداً عرف بجامع العسكر. ولذلك سمي المكان كله بأسم العسكر من ذلك الوقت.
 وصار فيما بعد مدينة عامرة. ثم أرسله أبو العباس السفاح على رأس الجيش المتوجه إلى المغرب في جمادى الآخرة
 سنة ١٣٦٠. ولكن الخليفة مات، فجاء أمر الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور بالعدول عن هذه الغزوة. فأقام
 أبو عون ببرقة شهراً. ثم عاد إلى مصر بجيشه فذهب إلى فلسطين لحرب الخوارج. فهزمهم وقتل منهم جماعاً كثيراً.
 وأرسل إلى مصر ثلاثة آلاف رأس. ثم تولى خراج مصر وصلاتها بطريق النيابة حتى جاءه التقليد في ٢٠ رمضان
 سنة ١٣٧٠. وأقام في هذه الولاية الثانية ثلاث سنين وستة أشهر. وعاد إلى مصاحبة المنصور وحضر معه واقعة
 الراوندية. فلما أفضت الخلافة إلى المهدي، أستعمله على خراسان سنة ١٥٩٠ ثم عزله عنها سنة ١٦١٠. (أنظر
 الأغاني وأبن الأثير وأبي المحاسن تغري بردى، في فهرسها)

(١) ص: وإفراها.

(٢) س: قصير المياومة والملايلة.

(٣) س: النظر.

ويقال إنه قال يوما، وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي ومعاذ بن الطيب
 وكان أول يوم دخل عليه معاذ وكان حاذقا بلاغاني عارفا بها: من أطربني اليوم
 منكم فله حكمة. فغناه ابن جامع غناء لم يحرّكه، وكان إبراهيم قد فهم غرضه فغناه:
 سَلِمِي أجمعت بينا. * فإين تقولها أين؟^(٢)

٥ فطرب حتى قام عن مجلسه ورفع صوته، وقال: "أعد بالله، وبجياتي!" فأعاد،
 فقال: "أنت صاحبي فأحتكم" فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، حائط عبد الملك بن
 مروان وعينه الخزارة بالمدينة! قال: فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما
 جمرتان ثم قال: «يا ابن الخناء! أردت أن تسمع العامة أنك أطربتني، وأنتى حكمتك
 فأقطعك! [أما والله] لولا بادرة جهلك التي غلبت على صحيح عقلك وفكرك،
 لضربت الذي فيه عينك!» ثم سكت هنيئة. قال إبراهيم: فرأيت ملك الموت قائما
 بيني وبينه ينتظر أمره. ثم دعا إبراهيم الحراني^(٦). فقال: «خذ بيد هذا الجاهل.
 فأدخله بيت المال، فليأخذ منه ماشاء!» فأخذ الحراني بيدي حتى دخل بي بيت

(١) صه: من.

(٢) "تقولها" هنا مثل "تظنها" معنى وعملا. وقد تحرفت هذه الكلمة في كثير من كتب الأدب المطبوعة.

١٥ وهذه القصة التي ذكرها الجاحظ أو ردها الطبري أيضا (سلسلة ٣ ص ٥٩٥) باختلاف قليل، وهي غير
 واردة في الأغاني، وإنما هنالك حكاية أخرى وفيها الأبيات بأكلها. (أنظر ج ٢١ ص ١٦٦)

(٣) أي بسنان.

(٤) الينبوع الذي يخرج منه جدول يتدفق ماؤه.

(٥) الزيادة عن الطبري (سلسلة ٣ ص ٥٩٦).

٢٠ (٦) هو عدیل هارون الرشيد. وكان من ندماء الهادي وهو ولي العهد. ويظهر من كلام ابن الأثير

أنه كان قائما على خزائن الأموال في أيام الهادي. (الأغاني ج ٦ ص ٦٧ وج ١٧ ص ١٧)

المال، فقال: كم تأخذ؟ فقلت: مائة بكرة. فقال: دعني أوامره. قلت: فأخذُ تسعين. قال: حتى أوامره. قلت: فثمانين. قال: لا. فأبى إلا أن يؤامره، فعرفتُ غرضه، فقلت له: أخذُ سبعين لي، ولك ثلاثون. قال شأنك! قال: فأنصرفتُ بسبعائة ألف، وأنصرفتُ ملك الموت عن الدار.

قال: «وكان الرشيد في أخلاق أبي جعفر المنصور، يمتثلها كلها إلا في العطايا»^(٤)
 «والصلوات والخليج. فإنه كان يقفو فعل أبي العباس والمهدى. ومن خبرك أنه رآه»
 «وَقَطُّ وهو يشرب إلا الماء، فكذبته. وكان لا يحضر شربه إلا خاص جواريه. وربما»^(٥)
 «طرب للغناء فتحرك حركة بين الحركتين في القلة والكثرة.»

وهو من بين خلفاء بني العباس من جعل للغنمين مراتب وطبقات، على نحو

(١) البكرة في الأصل جلد السخلة (أى ولد الضائنة أو الماعزة). كانوا يضعون فيها الأموال، ثم أطلقوا اسمها على المال نفسه مجازاً. والمستفاد من كتب اللغة أن البكرة كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار. ورواية الجاحظ هنا تدل على أن مقدارها في أيام العباسيين كان عشرة آلاف درهم.
 (٢) في سه، صه: شارك. وفي الطبري: «قال الآن جئت بالحق، فشأنك!» (سلسلة ٣ ص ٥٩٦)
 (٣) أورد صاحب «محاسن الملوك» هذه القصة باختصار ألفاظ الجاحظ. (ص ٣٠ و ٣١)

(٤) أى إسحاق بن إبراهيم الموصلى راوى هذه الحكاية كلها للمؤلف.
 (٥) هذا النص الصريح يؤيد رأى ابن خلدون في مقدمته (ص ١٤). وذلك أن «إلا» هنا معناها «غير» كما وردت في غير ما آية قرآنية وبيت شعري. فيكون المعنى الذى أرادته محدث الجاحظ: لو خبرك إنسان بأنه رأى هارون وهو يشرب شراباً غير الماء، فأعلم أنه كاذب. لأن الرشيد، كان إذا أراد الشرب، فإنما يشرب بمحضرة خاص جواريه دون سائر الناس، بحيث لم يره أحديشرب شيئاً سوى الماء، حتى يجوز له الإخبار بذلك عنه [وانظر ص ١٥٣ من هذا الكتاب]. يؤيد ذلك ما وقع له مع ابن بختيشوع بشأن السمكة التى منعه الطبيب من أكلها. (مروج الذهب ج ٦ ص ٣٠٥ - ٣٠٦؛ وعبون الأنباء ج ١ ص ١٢٩)

ما وضعهم أردشير بن بابك وأنوشروان. فكان إبراهيم [الموصلى^(١)] و [إسماعيل
أبو القاسم] [أبن جامع وزلزول] [منصور الضارب] في الطبقة الأولى. وكان زلزول^(٢)
يضرب، ويُغنى هذان عليه.

(١) الأسماء والكُنى واللقاب الموضوعة بين [] في هذه الصفحة والتي تليها مأخوذة عن الأغاني
لأبي الفرج.

(٢) كان زلزول هذا ممن يضرب به المثل في حسن الضرب بالعود وكان من الأجواد. وقد أشتهر في أيام
المهدى والهادى والرشيدي. ومن آثاره العمرانية بركة أنشأها في بغداد ووقفها على المسلمين، فأشتهرت
باسمها: وأشتهرت المحلة الكائنة فيها بأسمها. قال فيها نبطويه النحوي:

لَوَأَنَّ زُهَيْرًا وَأَمْرًا الْقَيْسَ أَبْصَرَا * مَلَا حَمَّ مَاتَحْوِيَه بِرَكَّةَ زَزَلَلْ،

لَمَّا وَصَفَا سَلَمَى وَلَا أُمَّ جُنْدَبِ * وَلَا أَكْثَرَ ذِكْرَ الدَّخُولِ قَحْوَمَلِ.

وقد أكثر الشعراء من ذكرها.

غضب عليه الرشيد فحبسه سنين. وكانت أخته تحت إبراهيم الموصلى، فقال إبراهيم فيه:

هَلْ دَهْرُنَا بَكَ عَائِدٌ يَا زَزَلُّ * أَيَّامَ يَبْغِينَا الْعِدَّ وَالْمُطَلُّ،

أَيَّامَ أَنْتَ مِنَ الْمَكَارِهِ آمِنٌ * وَالخَيْرُ مُتَسِّعٌ عَلَيْنَا مُقْبِلٌ؟

يَا بُؤْسَ مَنْ فَقَدَ الْإِمَامَ وَقُرْبَهُ! * مَا ذَا بِهِ مِنْ ذِلَّةٍ، لَوْ بَعِثَلُ؟

مَا زَلْتُ بَعْدَكَ فِي الْهَمُومِ مَرْدَدًا * أَبْكَى بَارَبَعَةَ كَأَنِّي مُشْكَلُ.

فرضى عنه الرشيد وأخرجه من الحبس. (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٩٢ وج ٤ ص ١٢٣ و
٢٥٢؛ وأنظر شفاء الغليل للخفاجي ص ١١٧؛ وإلا غاني ج ٥ ص ٢٢)

(٣) أى أصحابه الاخوان وهما إبراهيم الموصلى وأبن جامع. والذي جاء "في الأغاني" (ج ٥ ص ٤٠)

أن إبراهيم الموصلى وزلزلا وبرصوما اجتمعوا بين يدي الرشيد فضرب زلزول وزمر برصوما وغنى إبراهيم:

صَحَا قَلْبِي وَرَاغَ إِلَى عَقْلِي * وَأَقْصَرَ بَاطِلِي وَنَسَيْتُ جَهْلِي.

رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ، وَكَرَّ خُزْرًا * إِلَى صَرْمِيْنِي وَقَطَعَنَ حَبْلِي.

فطرب هارون حتى وشب على رجليه وصاح: يا آدم! لو رأيت من يحضرنى من ولدك اليوم، لسرك! ثم جلس =

والطبقة الثانية سُلَيْم بن سلام ^(١) [أبو عبيدالله الكوفي] وعمرو الغزال ^(٢) ومن أشبههما.
والطبقة الثالثة أصحاب المعازف والونج والطناير. وعلى قدر ذلك كانت تخرج جوائزهم
وصلاتهم. وكان إذا وصل واحداً من الطبقة الأولى بالمال الكثير الخطير، جعل
لصاحبيه اللذين معه في الطبقة نصيباً منه، وجعل للطبقتين اللتين تلبانه منه أيضاً
نصيباً. وإذا وصل أحداً من الطبقتين الأخرين بصلة، لم يقبل واحداً من الطبقة
العالية منه درهما، ولا يجترئ أن يعرض ذلك عليه.

﴿٣٩﴾

^(٣)
قال: «وَسَأَلَ الرَّشِيدَ يَوْمًا بِرُصُومِ الزَّامِرِ، فَقَالَ لَهُ: يَا إِسْحَاقُ! مَا تَقُولُ فِي ابْنِ
«وَجَامِعٍ؟ فَحَرَكَ رَأْسَهُ [و] قَالَ: نَحْرُ قَطْرَبُلٍ، يَعْقِلُ الرَّجُلَ وَيُذْهِبُ الْعَقْلَ. قَالَ: «
«فَمَا تَقُولُ فِي إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ؟ قَالَ: بَسْتَانٌ فِيهِ خَوْخٌ وَكُمَثْرَى وَتَفَاحٌ وَشَوْكٌ وَخَرْنُوبٌ.»
«قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي سَلِيمِ بْنِ سَلَامٍ؟ فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ خِضَابَهُ! قَالَ: فَمَا تَقُولُ»
«فِي عَمْرِو الْغَزَالِ؟ قَالَ: مَا أَحْسَنَ بِنَانَهُ!» ^(٤)

قال: وكان منصورٌ زلزل من أحسن وأحذق من برأ الله بالحس. فكان إذا جسَّ
العود، فلو سمعه الأحنف ومن تحالم في دهره كله، لم يملك نفسه حتى يطرب.

= وقال: أستغفر الله!

وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٧) أن زلزلا كان يضرب على إبراهيم، يعني الموصلي.

(١) ص: سثيان بن سلامة (وهكذا في بقية الحكاية).

(٢) في سه، ص: «الغزال» بالعين المهملة (وهكذا في بقية الحكاية). وقد اعتمدت ما أورده

صاحب الأغاني (ج ١١ ص ٣٤ و ٧٧ و ج ٢٠ ص ٦٤ و ٦٥).

(٣) أي إسحاق بن إبراهيم الموصلي راوى الحكاية للمحاضر.

(٤) سه: «ثيابه». وفي الأغاني (ج ٦ ص ٧٢) أن برصوما الزامر ذكر إبراهيم الموصلي وابن

جامع، فقال: «الموصلي بستانٌ تجدد فيه الحلوى والحامض، وطريا لم يبيض، فتأكل منه من ذا ومن ذا؛ وابن
جامع زرق عسل، إن فتحت فخرج عسل حلو؛ وإن حرقت جنبه خرج عسل حلو، وإن فتحت يده خرج عسل
حلو: كله جيد.»

(٥) هو أبو بحر الضحَّاك بن قيس. ينتهي نسبه إلى زيد مائة. وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. وكان

آية في الجدة والوقار. (أنظر ترجمته في ابن خلكان والأغاني وغيرهما)

١٥

٢٠

٢٥

(١) قال إبراهيم : فغئيت يوماً على ضربه ، فخطأني . فقلت لصاحب الستارة : هو والله أخطأ ! قال : فرفع الستارة ، ثم قال : يقول لك أمير المؤمنين : أنت والله أخطأت ! فحمت زلزلاً وقال : يا إبراهيم ، تخطئني ؟ فوالله ما فتح أحد من المغنين فأه بغير لفظ إلا عرفت غرضه ! فكيف أخطئ وهذه حالي ؟ فأذاها صاحب الستارة ، فقال الرشيد : قل له : صدقت ! أنت كما وصفت نفسك ، وكذب إبراهيم وأخطأ . قال إبراهيم : فغممني ذلك ، فقلت لصاحب الستارة : أبلغ أمير المؤمنين ، سيدي ومولاي ، أن بفارس رجلاً يقال له سنيده^(٢) ، لم يخلق الله أضرب منه يعود ولا أحسن مجسماً ، وإن بعث إليه أمير المؤمنين فحمله عرف فضله وتغئيت على ضربه . فإن زلزلاً يكيدني مكايدة القصاص والقرادين . قال : فوجه الرشيد إلى الفارسي فحمله على البريد ، فأقلق ذلك زلزلاً وغمه . فلما قدم بالفارسي ، أحضرنا وأخذنا مجالسنا وجاءوا بالعيدان قد سويت . وكذلك كان يفعل في مجلس الخلافة ، ليس يدفع إلى أحد عودُه فيحتاج إلى أن يحركه لأنها قد سويت وعلقت مثلها مشاكلة للزيرة^(٣) على الدقة والغلظ . قال : فلما وضع عود الفارسي في يديه ، نظر إليه منصور زلزل ، فأسفر وجهه وأشرق لونه . فضرب وتغنى عليه إبراهيم . ثم قال صاحب الستارة لزلزل : يا منصور : اضرب ! قال : فلما جسد العود ، ماتمالك الفارسي أن وثب من مجلسه بغير إذني حتى قبل رأس زلزله وأطرافه ، وقال : مثلك - جعلت فداك ! -

(١) أي إبراهيم الموصلي حكاية عن نفسه . وهذه القصة من استطرادات الملاحظ أيضاً .
 (٢) لم يذكره صاحب الأغاني ، ولم يورد هذه الحكاية . وهي غير واردة في صـ .
 (٣) جمع زير ، مثل ديك وديكة . والزير هو الوتر الدقيق من الأوتار وأحكمها فتلاً (في عود الطرب) .
 فكان المؤلف قال : وعلقت مثلك مشاكلة لثانيه . قال المفضل بن سلمة النحوي في كتاب الملاحى مانصه :
 ” ويقال لأوتاره [أي العود] المحايض واحداً محبض وهي الشرع واحدها شرعة . فنها الزير ، والتي يليه المنى ومنهم من يسميه الثاني ، والمثلث ومنهم من يسميه الثالث ، والميم . ويقال للي يسميها الفرس دساتين ، العتب . وكل ذلك قد جاء في الشعر .“

لا يُتمنَّ ويُستعمل؛ مثلك يُعبد. فعجب الرشيد من قوله وعرف فضيلة زلزل على
الفارسي، فأمر له بصلة وردّه إلى بلده.

* وكان منصور زلزل من أسخى الناس وأكرمهم. نزل بين ظهراني قوم، وقد
كان يحلّ لهم أخذ الزكاة. فما مات حتى وجبت عليهم الزكاة.*^(١)

وكان إسحاق برصوماً في الطبقة الثانية. قال: فطرب الرشيد يوماً لزمه، فقال
وله صاحب الستارة: يا إسحاق! أزمُرُ على غناء ابن جامع. قال: لا أفعل. قال: يقول
لك أمير المؤمنين، ولا تفعل؟ قال: إن كنت أزمُرُ على الطبقة العالية، رُفِعَتْ إليها.
فأما أن أكون في الطبقة الثانية وأزمُرُ على الأولى، فلا أفعل! فقال الرشيد لصاحب
الستارة: ارفعه إلى الطبقة الأولى، فإذا قمت، فأدفع البساط الذي في مجلسهم إليه.
وورفع إسحاق إلى الطبقة العالية وأخذ البساط، وكان يساوي ألفي دينار. فلما حمله إلى
منزله استبشرت به أمه وأخواته. وكانت أمه نبطية لكلاء. فخرج برصوماً عن منزله^(٢)
لبعض حوائجه، وجاء نساء جيرانه يهنئن أمه بما خص به دون أصحابه ويدعون لها.
فأخذت سكيناً وجعلت تقطع لكل من دخل عليها قطعة من البساط، حتى أتت على
أكثره. فجاء برصوماً فإذا البساط قد تقسم بالسكاكين. فقال: ويلك! ما صنعت؟
وقالت: لم أدري، ظننت أنه كذا يقسم. فحدث الرشيد بذلك، فضحك ووهب له آخره.^(٣)
* وزعم سعيد بن وهب أن إبراهيم الموصلي غنى أمير المؤمنين هارون صوتاً، فكاد

(١) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن صـ.

(٢) التي لأتقيم العربية لعجمة لسانها. (قاموس)

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن وهب البصري. كان كاتباً شاعراً مطبوعاً. مات في أيام المأمون. (انظر أخباره

يطير طرباً، فأستعاده عامّة ليله، وقال: «مارأيت صوتاً يجمع السخاء والطرب وجودة الصنعة والسخف غير هذا الصوت!» فأقبل إبراهيم، فقال: «يا أمير المؤمنين! لو وهبك إنسان مائة ألف درهم، أو لو وجدت مائة ألف درهم مطروحةً، كنت أسرّ بها أو بهذا الصوت؟» قال: «والله لأنّ أسرّ بهذا الصوت مني بألف ألف، وألف ألف!» قال: «فلو فقدت من بيت مالك مائة ألف كان أشدّ عليك، أو لو فقدت هذا الصوت وفاتك هذا السرور؟» قال: «بل ألف ألف، وألف ألف أهون علىّ.» قال: «فلم لا تهبّ مائة ألف أو مائتي ألف لمن أتاك بشيءٍ فقد ألفي ألف أهون عليك منه؟» فأمر [له] بمائتي ألف درهم*.

(١)

قلت لإسحاق: فالخلوع، أين كان ممن ذكرت؟

(الامين)

قال: «وما كان أعجب أمره كله! فأما تبدّله، فما كان يبالي أين قعد ومع من قعد.»

١٠ «وكان، لو كان بينه وبين ندمائه مائة حجاب، خرّقها كلّها وألقاها عن وجهه حتى، ويقعد حيث قعدوا. وكان من أعطى الخلق لذهب وفضة، وأنهبهم للأموال إذا، وطرب أولها. وقد رأيتُه وقد أمر لبعض أهل بيته في ليلةٍ بوقر زورقٍ ذهباً،»

«فأنصرف به. وأمر لي ذات ليلة بأربعين ألف دينار، فحملت أُمّمي. ولقد غناه»

١٥ «وإبراهيم بن المهديّ غناه لم أرتضه. فقام عن مجلسه فأكبّ عليه فقبّل رأسه. فقام»

(١) هذه الجملة المحصورة بين نجمتين * متقولة عن صر.

(٢) يعني الأمين الخليفة العباسي. وبذلك اللقب يسميه أغلب الكتاب والمؤرخين المعاصرين له أو الذين بعده بقليل، لقرب عهدهم بخلعه وأشهره بينهم. وشاهد ذلك بين أيدينا الآن، فإن الأتراك لا يسمون السلطان عبد الحميد في كتاباتهم وأحاديثهم إلا باسم «الخلوع».

(٣) الإشارة إلى إبراهيم بن المهديّ عم الخليفة. (أنظر الأغاني ج ٩ ص ٧١)

(٤) الضمير يعود إلى راوي الحكاية وهو إسحاق بن إبراهيم الموصلي.

١٠
 "وإبراهيم فقبل ما وطئت رجلاه من بساطه. فأمر له بمائتي ألف دينار. ولقد رأيتُه"
 "ويوما، وعلى رأسه بعض غلمانته، فنظر إليه فقال: وَيَلَكَّ! ثيابك هذه تحتاج إلى أن"
 "تُغسل. انطلق، نُجِدْ ثلاثين بكرة، فأغسل بها ثيابك."

(١)
 ولقد حدثني علويّ [الأعرس وهو أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن سيف] عنه
 قال: لما أُحيطَ به وبلغت حجارة المنتجيق بساطه، كما عنده فغنته جارية له بغناء
 تركت فيه شيئاً لم تُجد حكايته. فصاح: يا زانية! تغنيني الخطأ! خذوها! فحملت.
 وكان آخر العهد بها.

(المأمون)

قلت: فللمأمون؟

قال: "وإقام بعد قدومه عشرين شهراً لم يسمع حرفاً من الغناء. ثم سمعه من وراء"
 "حجاب، متشبهاً بالرشيد. فكان كذلك سبع حجج. ثم ظهر للندماء والمغنين."
 قال: "وكان حين أحبّ السماع ظاهراً بعينه، أكبر ذلك أهل بيته وبنو أبيه."
 ويقال إنه سأل عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ فغمزه بعض من حضر، وقالوا:
 ما يغادر تيتها وأبوا. فأمسك عن ذكره. قال: فجاءه زُرُور يوماً فقال له: يا إسحاق،
 نحن اليوم عند أمير المؤمنين! فقال إسحاق: فغنته بهذا الشعر:

(١) الزيادة التي بين [] عن كتاب الاغانى لأبي الفرج.

(٢) كان المأمون يعقد مجلساً لتفريق الأرزاق، فكان إسحاق هذا أوّل من يدخل عليه في طائفة
 الوزراء، ثم القواد، ثم القضاة، ثم الفقهاء والمعدّلين، ثم الشعراء ثم المغنين، ثم الرماة في الهدف. (عن ذيل
 أمالي القالي ص ٩٠)

(٣) البأ هو الفخر والكبر والته. قال حاتم الطائي:

فا زادنا بأوا على ذي قرابة * غنانا، ولا أزرى بأحساننا الفقر.

وأنظر هذه القصة أيضاً في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٤).

يَسْرَحَةُ الْمَاءِ قَدُسِدَّتْ مَوَارِدُهُ، * أَمَا إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْدُودٍ؟
لِحَائِمٍ حَامٍ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ * مَحَلًّا^(٣) عَنِ سَبِيلِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ.^(٥)

فلما غناه به زُرُزُرًا، أطربه وأبهجه وحرّك له جوارحه. وقال: ويلك! من هذا؟

- (١) وردت هذه الكلمة هكذا: "سرحة" في سره، صه وفي "الأغاني" والطبري و"معجم الأدباء" وأكثر كتب الأدب التي وقعت لنا، ومنها محاسن الملوك. وأما صاحب العقد الفريد فقد روى صدر البيت هكذا: "يامشرع الماء". والرواية الأولى هي الأصوب والأصوب، وإن كانت الثانية فيها شبهة من جهة المعنى. والسرحة شجرة عظيمة بلا شوك تنبت في بلاد العرب وفي نجد خصوصاً، وورقها أخضر دائماً، وهي جميلة المنظر. [ويسمياً أهل شقيق (آتيل). وفي أشعارهم "ذو السرح" وهو موضع يسمى عندهم باللغة البربرية "إنواتيل" وهو تعريب له كما ترى. استفدت ذلك من الأستاذ الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي. | ومثل ذلك في بلاد العرب مواضع كثيرة مثل السرحة، وذات السرح، وذو السرح. (أنظر ياقوت ج ٢ ص ٥٠٣، ج ٤ ص ٤٨٠؛ وج ٣ ص ٢٨٦؛ وج ١ ص ٥٨٠، ٥٣٦، ج ٣ ص ٧٨٢)
- وأصل الكناية عن المرأة بالسرحة أن عمر بن الخطاب أنذر الشعراء بالجلد إذا هم شبها بالنساء. فقال حميد ابن ثور في ضمن قصيدة له:

تُرَانِي إِنْ عَلَّتْ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ * مِنْ السَّرْحِ مَوْجُودٌ عَلَى طَرِيقٍ
أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ سَرْحَةَ مَالِكٍ * عَلَى كُلِّ سَرْحَاتِ الْعِضَاءِ تَرُوقُ

(وأنظر ياقوت ج ٣ ص ٧١).

- هذا وقد أورد صاحب "لسان العرب" البيتين اللذين نحن بصددهما وقال كنى بالسرحة النابتة على الماء. عن المرأة، لأنها حينئذ أحسن ما تكون. (أنظر مادة سرح)
- (٢) في صه: "حيام"، وكذلك في الأغاني (ج ٩ ص ٦١)، وفيه "حوام" (ج ٥ ص ١٠٦)
- وقد أورد هذه الحكاية باسم علويه بدلا من زرزر وأضاف بيانات أخرى. ولكنها هنا أوفى وأكمل.
- (٣) ممنوع أي مطرود.
- (٤) في الأغاني في الموضعين المذكورين: "طريق". وكذلك في صه. وفي لسان العرب: "طريق الورد".
- (٥) استحسنت الأصحى هذا الشعر وقال: "غير أن هذه الحيات لو اجتمعت في آية الكرسي، لعابتها".
- (عن الوسيط في تراجم أدباء شقيق للأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطي، طبع القاهرة سنة ١٩١١ - ص ٣١١)

قال: عبدك الجفؤ المطرح، ياسيدي، إسحاق. قال: يحضر الساعة. بجاءه رسوله، وإسحاق مستعد، قد علم أنه إن سمع الغناء من مجيد مؤد أنه سيبعث إليه. بجاءه الرسول. حدثت أنه لما دخل عليه ودنا منه، مديده إليه ثم قال: أدن مني! فأكب عليه واحتضنه المأمون وأدناه وأقبل عليه بوجهه مصغياً إليه ومسروراً به.

ومن أخلاق الملك السعيد ترك القُطوب في المنادمة، وقلة التحفظ على ندمائه،^(٣) و [لا] سيمًا إذا غلب أحدهم على عقله، وكان غيره أملك به منه بنفسه.

وللسكر حد إذا بلغه نديم الملك، فأجل الأمور وأحراها بأخلاقه أن لا يؤاخذَه بزلة إن سبقتَه، ولا بلفظة إن غلبت لسانه، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره.

والحد في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له، وإن خلى ونفسه رمى بها في مهواة، وإن أراد أحد أخذ ثيابه لم يمانعه.

فأما إذا كان من يعرف ما يأتي وما يدر، وكان إذا رام أحد أخذ مامعه قاتله دونه، وكان إذا شتم غضب وانتصر، وإذا تكلم أفصح وقل سقطه: فإذا كانت هذه صفته ثم جاءت منه زلة، فعلى عمده أتاها ويقصد فعلها. فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه. فإن ترك عقوبة هذا ومن أشبهه، قدح في عزه وسلطانه.

(١) الضمير للجاحظ.

(٢) روى صاحب "مخاسن الملوك" هذه القصة بالفاظ الجاحظ مختصرة. (ص ٦١)

(٣) لاشك أن أداة النفي (لا) قد سقطت من عبارة الجاحظ. وقد نصوا على وجوبها وأستشهدوا بقول امرئ القيس * ولاسيما يوم بدارة جليل * وأكد أئمة اللغة أن من أهملها فقد أخطأ. (أنظر التسهيل وشرحه وخاتمة الأشموني في باب الاستثناء، وأنظر البيان الوافي في "تاج العروس" (مادة س وى). | وأنظر

أيضاً ص ١٥٧ من هذا الكتاب.

(٤) أى لنفسه.

مباشرة
الملك لندمائه

٣٥

حد الإغضاء
عن الزلات

مواطن
المعاقبة عليها

ومن الحق على الملك أن لا يُجاوز بأهل الجرائم عقوبة جرائمهم. فإن لكل ذنب عقوبة: إما في الشريعة والنواميس، وإما في الإجماع والأصطلاح. فمن ترك العقوبة في موضعها، فبالحرى أن يعاقب من لا ذنب له. وليس بين ترك العقوبة (إذا وجبت) وعقوبة من لا ذنب له، فرق. وإنما وضع الله الملوك بهذه المواضع الرفيعة ليقيموا كل ميل ويدعموا كل إقامة.

الاقتصاد
في العقوبة



ومن أخلاق الملك أن لا يشارك بطانته وندمائه في مسّ طيب ولا مجر. فإن هذا وما أشبهه يرتفع الملك فيه عن مساواة أحد. وكذا يجب على بطانة الملك وقوابته أن لا يمسّوا طيبا إذا تطيب، لينفرد الملك بذلك دونهم.

تفرد الملك بالطيب
والتجمل ونحوهما

وليس الطيب كالطعام والشراب اللذين لا بد من مشاركة الندماء فيهما. فأما كل ما أمكن الملك أن ينفرد به دون خاصته وحاقته، فمن أخلاقه أن لا يشارك أحدا فيه.

وكذا حكى عن أنوشروان ومعاوية بن أبي سفيان. وبعض أهل العلم يحكى عن الرشيد ما يقرب من هذا.

وأولى الأمور بأخلاق الملك - إن أمكنه التفرد بالماء والهواء - أن لا يشارك فيهما أحدا. فإن البهاء والعز والأبهة في التفرد.

(١) نهى صاحب القاموس عن استعمال "القرابة" بمعنى الأقارب، ونسب الجوهرى إلى العامة، ووافتهما الأكثرين ومنهم الحريرى في "درة القواص". ومن رأيهم أن الواجب أن يقال "ذو القرابة". ولكن هذا اللفظ ورد بهذا المعنى في الحديث الشريف، وعليه جرى الجاحظ في جميع هذا الكتاب. (وأظر التفصيل في تاج العروس في مادة ق رب)

(٢) الحامة هي العامة، وأيضا أخصاء الرجل من أهله وولده وذوى قرابته.

سنة ملوك
الفرس في ذلك

(١) ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك، لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا شيئاً تعجز عنه الرعية، أو يتريوا بزى ينهون الرعية عن مثله.

فمن ذلك أردشير بن بابك، وكان أنبل ملوك بني ساسان. كان إذا وضع التاج على رأسه، لم يضع أحده في المملكة على رأسه قضيب ریحان متشبهاً به. وكان إذا ركب في لیسة، لم ير على أحدٍ مثلها. وإذا تحتم بخاتم، فحرام على أهل المملكة أن يتحتموا بمثل ذلك الفص، وإن بعد في التشابه.

٣٧

سنة سادات العرب
والخلفاء في ذلك

وهذه من فضائل الملوك. وطاعة أهل المملكة أن تتحامي أكثر زى الملك وأكثر أحواله وشيمه، حتى لا يأتى مالا بد لها منه.

وهذا أبو أحيحة سعيد بن العاص. كان إذا أعمم بمكة لم يعتم أحد بعمة مادامت على رأسه.

وهذا المجاج بن يوسف. كان إذا وضع على رأسه طويلة، لم يجترى أحد من خلق الله أن يدخل وعلى رأسه مثلها.

وهذا عبد الملك بن مروان. كان إذا لبس الأصفر، لم يلبس أحد من الخلق خفاً أصفر حتى ينزعه.

(١) في سه، صه : يفعل.

(٢) صه : أمثل.

(٣) حالة من حالات اللبس.

(٤) أول من روى ذلك ابن الكلبي في كتاب الأصنام الموجودة نسخته الوحيدة المعروفة في العالم بخزانة

كتبي. قال (في ص ٢٠ من الأصل و ٢٠ من طبعنا): "وكان سعيد بن العاص أبو أحيحة يعتم بمكة. فإذا أعم لم يعتم أحد بلون عمامته". وروى ذلك أيضاً ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص ٢٩) وقال إنه ذو العامة وإن "أحيحة تصغير أحة وهو ما يجده الإنسان في قلبه من حرارة غيظ وحرن. والأحة والأحاح واحد وقد استقصينا هذا في كتاب الجهرة".

(٥) أى قلنسوة طويلة عالية. وكان هذا النوع من القلائس خاصاً بالأمرأ، وبالقبضة أيضاً (كما تدل على ذلك عبارة البيهقي في "المحاسن والمساوى" ص ٢١٣).

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس^(١) . دخل على [أحمد] ابن أبي دؤاد [بن علي]^(٢)
 وعليه مبطنة ملونة من أحسن ثوب في الأرض، وقد أعتَم على رأسه رصافية^(٣) بعمامة
 خز سوداء لها طرفان خلفه وأمامه، وعليه خُف أصفر، وفي يده عكازة ابنوس ملوح
 بذهب، وفي إصبعه فص يا قوت تضيء يده منه. فنظر إلى هيئة ملائ قلبه، وكان
 جسيما، فقال: "يا إبراهيم! لقد جئتني في لبسة وهيئة ماتصلح^(٤) إلا لواحد من الخلق."^(٥)
 فأنصرف فلم يأتِه حتى مات.

وحدثني أبو حسان الزياتي^(٦) (وذَكَرَ الفضل بن سهلٍ فترحم عليه) وقال: وجّه
 إليّ في ليلة - وقد أويتُ إلى فراشي - رسولا فقال: يقول لك ذو الرياستين:

- (١) أي من عهد قريب من المؤلف . [وأنظر ص ١٠٤ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٢٦ من هذا الكتاب]
 (٢) من أكابر رجال بني العباس وخصوصا في دولة المأمون والمعتمد والوائق .
 (٣) هذه العبارة توضّح لنا ما لم يتيسر للعلامة دوزي Dozy الوقوف عليه أثناء تأليفه لمعجم الثياب عند
 العرب Dictionnaire des Vêtements chez les Arabes . فيؤخذ من كلام الجاحظ هنا
 ومما يليه بأربعة عشر سطرا أن الرصافية هيئة عمّة على قلنسوة خاصة بالخليفة أو وليّ عهده . ويؤخذ من كلام
 ابن خلكان (في ترجمة جعفر البرمكي) أن أكابر بني هاشم كان لهم هذا الحق أيضا . ذكر ابن خلكان أن
 عبد الملك بن صالح دخل مجلس جعفر هذا ، وقال إنه كان على رأسه رصافية . وقد روى صاحب الأغاني هذه
 الحكاية بحرفها تقريبا (جزء ٥ ص ١١٨) وقال إن عبد الملك نزع قلنسيته . فذلك دليل على أن الرصافية
 نوع مخصوص من القلائس المعممة .
 (٤) صم : فنظر إليه بهيبة .
 (٥) يعني الخليفة .
 (٦) من أكابر فقهاء بغداد الذين أمتحنهم المأمون بخلق القرآن . وهو من أهل الفتوى والرواية . وقد ولّاه
 المتوكل قضاء مديرية الشرقية بمصر سنة ٢٤١ (أبو المحاسن في "النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٦٣٩ و ٧٣٥)

لا تعتم غداً على قلنسوة إذا حضرت الدار^(١). قال: فَبَيْتٌ وَاجِبٌ، وأنا لا أعلم ما يريد بذلك. وَغَدَوْتُ، وغدا الناس على طبقاتهم ومراتبهم. بجاء الحسين بن أبي سعيد إلى من في الدار، فقال: إن أمير المؤمنين يقعد في هذا اليوم ويعتم على قلنسوة، فأنزعوا عماكم!

وحدثني بعض أصحابنا عن الحسن بن قريش^(٣) قال: لما مات القاسم بن الرشيد، وجه إلى المأمون رسولا فأتيته. فجعل يسألني عن عياله وعن أمواله، ويشكوه إلى، ويقول: كان يفعل كذا ويفعل كذا. فكان في تلك الشكاية أن قال: وكان إذا ركب بمرو^(٤)، ركب في رصافية^(٥).

عدل الملك
في مجلس الشراب

* ومن أخلاق الملك إذا علم أن بعض الندماء قد بلغ غاية مجهوده في الشرب وأن الزيادة بعد ذلك تضر ببدنه وجوارحه أن يأمر بالكف عنه، وأن لا يكلف فوق وسعه. فإنه من تجاوز حق العدل عن الخاصة لم تطمع العامة في إنصافه.*^(٦)

٣٩
مقالة
الندماء للولك

ومن حق الملك أن لا يكلمه أحد من الندماء مبتدئاً ولا سائلاً حاجة، حتى يكون

(١) يعني قصر الخلافة. والحكاية تدل على أن الواقعة حصلت بمرو، لأن الفضل بن سهل قُتل في بلده (سرخس) عند عودة المأمون إلى بغداد.

(٢) ص: الحسن.

(٣) ص: فرس. وأقار الطبري (سلسلة ٣ ص ٦٥٢) فقد ورد فيه اسم هذا الرجل. وكان من خاصة المأمون، وقد حدثه الخليفة عن أخيه القاسم هذا. (المحاسن والمساوي ص ١٨٧)

(٤) متى أطلق الكتاب هذا الاسم، فإنما يريدون به مرو والشاهجان، لا مرو الروذ. والأولى هي أكبر مدائن خراسان، وكان المأمون عاملاً عليها لأبيه.

(٥) تأقّف المأمون لأن أخاه كان يتعمد التشبه به، ولم يراع الواجب في تركه يتفرد بالرصافية في عاصمه ملكه؛ ولو أن للقاسم حقاً في لبسها لأنه هو أيضاً ابن الخليفة.

(٦) هذه الجملة المحصورة بين النجمتين * منقولة عن ص.

هو المبتدئ بذلك. فإن جهل أحد ما يلزمه في ذلك، تقدم إليه فيما يجب عليه. فإن عاد، فعلى الموكل بأمر الدار أن يحسن أدبه وأن لا يآذن له في الدخول، حتى يكون الملك مبتدئ ذكره. ثم يوعز إليه أنه إن عاد، أسقطت مرتبته فلم يسطر بساط الملك.

وكان شيرويه بن أبرويز يقول: "إنما تُعذرُ البطانة برفع حوائجها إلى الملوك عند

- ضيقه تكون، أو عند جفوة تناههم من ملوكهم، أو عند موت يحدث لهم، أو عند تتابع أزمته. فإذا كان ذلك، فعلى الملك تعهد ذلك من خاصته حتى يصلح لهم أمورهم ويسد خلتهم. فإذا كانوا من الكفاية في أقصى حدودها، ومن خفض العيش في أرفع خصائصه، ومن ذات اليد وإدراز العطايا في أتم صفاتها، ثم فتح أحد فاه يطلب ما فوق هذه الدرجة، فالذي حدها على ذلك الشره والمنافسة. ومن ظهرت هاتان منه كان جديرا أن تُترع كفايته من يده وتُصير في يد غيره، ويُتقل إلى الطبقة الخسيسة، فيلزم أذنان البقر وحرارة الأرض.



ومن أخلاق الملك أن لا يمين باحسان سبق منه، ما استقامت له طاعة من أنعم عليه ودامت له ولايته، إلا أن يخرج من طاعة إلى معصية. فإذا فعل ذلك، فمن

من الملوك ينعمهم
عند الضرورة فقط

- (١) دخل الإمام الشافعي على الرشيد وسلم فرد الخليفة عليه السلام ثم قال: "من العجب أن تتكلم في مجلسي بغير أمرى!". (أنظر شرح القصة في ص ٤٢ من كتاب "مناقب الشافعي" لفخر الدين الرازي، طبع حجر بمصر سنة ١٢٧٩). وأول خليفة منع الناس من الكلام عند الخلقاء وتقدم فيه وتوعد عليه عبد الملك بن مروان "البيان والتبيين" ج ٢ ص ١٢، وعلى هذا النظام جرى خلفاء الإسلام، حتى جاء القاضي أحمد بن أبي دؤاد المتوفى سنة ٢٤٠ هـ، فكان أول من بدأهم بالكلام، وكانوا لا يكلمون حتى يتكلموا. (أنظر ابن خلكان في ترجمته، وأنظر "شذرات الذهب" ج ١ ص ٥١٦)

أخلاقه أن يَمُنَّ عليه أولاً بإحسانه إليه، ويُدِّكُّه بلاءه عنده وقلة شكره ووفائه، ثم يكون من وراء [ذلك] عقوبته بقدر ما يستحقُّ ذلك الذنب في غلظه ولينه.

* وحدثني محمد بن الجهم وداود بن أبي داود قالا: جلس الحسن بن سهل في مصلى الجماعة لنعيم بن خازم، فأقبل نعيم حافياً حاسراً وهو يقول: "ذنبى أعظم من السماء! ذنبى أعظم من الهواء! ذنبى أعظم من الماء!" قالا: فقال له الحسن بن سهل: "على رسلك! تقدمت منك طاعة، وكان آخر أمرك إلى توبة، وليس للذنب بينهما مكان. وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو."^(٣)

* *

ومن أخلاق الملك السعيد أن لا يعاقب وهو غضبان. لأن هذه حال لا يُسَلَّم معها من التعدي والتجاوز لحد العقوبة. فإذا سكن غضبه ورجع إلى طبعه، أمر بعقوبته على الحد الذي سنته الشريعة ونقلته الملة. فإن لم يكن في الشريعة ذكر عقوبة ذنبه، فمن العدل أن يجعل عقوبة ذلك الذنب واسطة بين غليظ الذنوب ولينها، وأن يجعل الحكم عليه فيه، ونفسه طيبة وذكر القصاص منه على بال. فأما العقوبة فلا تجوز إذا رُفِعَ أمرها إلى الملك.^(٥)

عدم المعاقبة
في حال الغضب

(١) كثيراً ما يروي الجاحظ عن هذا الإنسان في كتاب "الحيوان" وفي كتاب "البيان والتبيين".

(٢) كان في معية المأمون حينما أرسله إلى مرو أبوه هارون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة. وصار من قواده ورجال دولته حينما أفضت إليه الخلافة. (طبرى سلسلة ٣ ص ٧٣٤ و ٨٤١ و ١٠٢٢).

(٣) هذه الجملة المحصورة بين النجمتين * منقولة عن ص. (وهي واردة في "البيان والتبيين" ج ١ ص ٤٥).

(٤) س: الأئمة.

(٥) س: "فأما العفو فلا يجوز إذا رفع أمره إلى الملك". ولهذا الرواية أيضاً وجه وجهه. والضمير راجع إلى الذنب. والمعنى أن الملك لا يجوز له تعطيل الشريعة بالعفو عن الجاني.

وليس الذنب بحضرة الملك كالذنب بحضرة السُّوقَة، ولا الذنب بحضرة الحَاكِمِ^(١)
كالذنب بحضرة الجاهل. لأن الملك هو بين الله وبين عباده. فإذا وجب بحضرة
الذنب، فمن حقه العقوبة عليه ليزدجر الرعايا عن العيافة والتتايع^(٢) في الفساد.

٤١

✦ ✦

ومن حقّ الملك - إذا هم بالحركة للقيام - أن تسبقه بطانته وخاصته بذلك .
فإن أوما إليهم أن لا يبرحوا، لا يقعدوا واحداً منهم حتى يتوارى عن أعينهم .
فإذا خرج، فمن حقه أن تقع عينه عليهم وهم قيام .
فإذا قعد، كانوا على حالهم تلك .

آداب البطانة
عند قيام الملك

فإن نظر إليهم ليقعدوا، لم يقعدوا جملة . بل تقعد الطبقة الأولى أولاً . فإذا قعدت
عن آخرها، تبعها الطبقة الثانية . فإذا قعدت عن آخرها، تبعها الطبقة الثالثة .
وأيضاً فإن لكل طبقة رأساً وذنباً . فمن الواجب أن يقعد من كلّ طبقة رأسها
ثم هلمّ جراً على مراتب الطبقة أولاً أولاً .

✦ ✦

ومن حقّ الملك أن لا يدنو منه أحد - صغراً أو كبير - حتى يمسّ ثوبه ثوبه إلا
وهو معروف الأبوين، في مركّب^(٣) حسيب، غير خامل الذكر ولا مجهول .

عدم الدنو من
الملك، إلا بشروط

(١) هكذا في سه، صه . ولعل الصواب: "الحكيم" أو "الخليم"

(٢) التتايع بالمتناة التحنية: التهافت والإسراع في الشرّ (قاموس).

(٣) المركّب كعظم الأصل والمنبت (قاموس).

فإن أحتاج الملك إلى مشافهة خاملٍ أو وضيعٍ وأضطرُّ إليها، إمَّا لنصيحةٍ يُسرُّها إليه أو لأمرٍ يسأله عنه، فمن حقِّ الملك أن لا يُخَلَّ أحدًا يدنو منه حتى يُفتشَ أولاً، ثم يأخذ بضبعيه أثنان، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله. فإذا أبدى ما عنده وقبل منه الملك ماجاء به، فمن حقِّه على الملك الإحسانُ إليه والعائدةُ عليه والنظرُ في حاجته - إن كانت له - ليرغب ذوو النصائح في رفعها إلى ملوكهم والتقرُّب بها إليهم.

* *

الاستماع
لحديث الملك

ومن حق الملك، إذا حدَّث بحديثٍ أن يصرفَ من حضره فكرهَ ذهنه نحوه. فإن كان يعرفُ الحديثَ الذي يُحدِّثُ به الملك، أستمعه أستماعَ من لم يدُرْ في حاسَّة سمعه قَطُّ ولم يعرفه، وأظهر السرورَ بفائدةِ الملكِ والاستبشارَ بحديثه. فإن في ذلك أمرين: أحدهما ما يظهر من حسن أدبه، والآخر أنه يعطى الملكَ حقَّه بحسن الاستماع. وإن كان لم يعرفه، فالنفسُ^(١) إلى فوائد الملوك والحديث عنهم أقرم وأشهى منها إلى فوائد السُّوقَة ومن أشبههم.

* وإنما مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى، الفهمُ والإفهامُ والطلبُ ثم التثبُّتُ. قال عمرو بن العاص: "ثلاثة لا أملهنَّ: جليسي ما فهم عني، ووثوبي ما سترني، ووداجتي

(١) في سه: "الاستماع وإن كان لم يعرفه فلنفس". وقد أكلت موضع البياض وصححت العبارة، بناء على ما في سه وعلى ما أورده المسعودي. فانه نقل هذه الحكاية برمتها مع تغيير قليل، وزيادة ونقصان، وأضطراب في التقسيم، وقال إنها مما قاله حكاء اليونان. فعله نقلها هو والجاحظ عن كتاب آخر. (أنظر مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٨)

(٢) أي أشدَّ حرصاً. [حاشية في سه]. ورواية سه: "أقرب". [وهي بعيدة عن الصواب].

ماحلت رجلي^(١).“ وذكر الشعبي ناساً، فقال: “مارأيت مثلم أشدّ تناقداً في مجلس ولا أحسنَ فهماً عن محدثٍ.”

وقال سعيد بن سلم [الباهلي] لأمير المؤمنين المأمون: “لو لم أشكر الله إلا على حسن ما أبلاني أمير المؤمنين من قصده إلى بالحديث وإشارته إلى بطرفه، لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة وتوجبه الحزبية.” قال المأمون: “لأن أمير المؤمنين والله يجده عندك من حسن الإفهام إذا تحدّثت، وحسن الفهم إذا حدّثت ما لم يجده عند أحدٍ فيما مضى ولا يظنُّ أنه يجده فيما بقي.”^(٢)

وفيا يحكي عن أنوشروان أنه بينا هو في مسيره له (وكان لا يساره أحد من الخلق مبتدئاً وأهل المراتب العالية خلف ظهره على مراتبهم، فإن ألفت يمينا، دنا منه صاحب الحرس، وإن ألفت شمالاً، دنا منه المؤبد، فأمره بإحضار من أراد مسيرته)، قال: فألتفت في مسيره هذا [يمينا]، فدنا منه صاحب الحرس، فقال: فلان. فأحضره. فقال: حدّثني عن أردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر، وكان الرجل قد سمع من أنوشروان هذا الحديث مرة. فاستعجم عليه وأوهمه أنه لا يعرفه. فحدثه أنوشروان بالحديث. فأصغى الرجل إليه بجوارحه كلها، وكان مسيرهما على شاطئ نهر. وترك الرجل - لإقباله على حديثه - النظر إلى مواضع حافر دابته. فزلت إحدى قوائم الدابة، فالت بالرجل إلى النهر فوق في الماء ونفرت دابته. فابتدراها حاشية الملك وغلماؤه، فأزالوها عن الرجل، وجذبوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه. فأعتم لذلك أنوشروان ونزل عن دابته، وبسط له هناك. فأقام حتى

(ماحل لرجل
كان أنوشروان
يساره)

٤٣

(١) أنظر رواية أخرى لهذه الكلمة في “كامل” المبرّد، (ص ١٥٠)

(٢) هاتان الفقرتان المحصورتان بين نجمتين * منقولتان عن ص.

(٣) هو فتح الخاء والزاي اسم جبل (قاموس). والمتعارف الآن عند الفرنج ضم الخاء. وأنظر ياقوت.

تغذى في موضعه ذلك. ودعا بتياب من خاص كسوته، فألقيت على الرجل، وأكل معه. وقال له: كيف أغفلت النظر إلى موطئ حافر دأبتك؟ قال: "أيها الملك! إن الله إذا أنعم على عبد بنعمة، قابلها بحجة وعارضها ببليّة. وعلى قدر النعم تكون المحن. وإن الله أنعم على بنعمتين عظيمتين، هما: إقبال الملك على بوجهه من بين هذا السواد الأعظم، وهذه الفائدة وتديير هذه الحرب التي حدثت فيها عن أردشير حتى لو رحلت إلى حيث تطلع الشمس أو تغرب، كنت فيه راجحاً. فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت [واحد]، قابلتهما هذه المحنة. ولولا أساورة الملك وخدمته [وحسن جدّه]، كنت بمعرض هلكة. وعلى ذلك، فلو غرقت حتى أذهب عن جديد الأرض، كان قد أبقى لي الملك ذكراً متلداً محمداً، ما بقي الضياء والظلام.

فسرّ الملك وقال: ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه!

فخشا فمه جوهرًا ودُرًا رائعا ثمينا، وأستبطنه حتى غلب على أكثر أمره.

وهكذا يُحكى عن [أبي شجرة] يزيد بن شجرة الرهاوي، أنه بينما هو يسير معاوية

(ما وقع لأين شجرة
الرهاوي حتما
حادثة معاوية)

(١) في سه، ص: "منها" تحريفاً عن "منهما". وقد صححت بمعونة المسعودي.

(٢) في سه، ص: "ومنها هذه" تحريفاً عن "منهما". وقد صححت بمعونة المسعودي.

(٣) الزيادة عن المسعودي.

(٤) نقل المسعودي هذه الحكاية بتمامها وبجرفها، إلا في كلمات قليلة. وقال إنه وجدها في كتب سير الملوك

من الأعمام. ونسبها إلى شيرويه بن أبريز، وقال إن الرجل هو بئدار بن خرشيد (جز ٦، ص ١٢٤-١٢٦).

ونقلها أيضاً صاحب كتاب "تنبيه الملوك والمكابد" (ص ٢٧ - ٢٩)، وأختصرها صاحب "محاسن

الملوك" (ص ٨١ - ٨٢). ونقلها بالحرف الواحد في "المحاسن والمساوي" ص ٤٩٤ - ٤٩٥.

(٥) من أركان دولة معاوية. أرسله إلى مكة سنة ٣٩ ليقم للناس الحج وليأخذ له البيعة ويترد عامل على

عنها. ثم أرسله بعد ذلك لغزو الروم في البحر مرة أو مرتين (سنة ٤٩ وسنة ٥٦). وهو منسوب إلى قبيلة

من العرب (أنظر تاج العروس في مادة ره و). وأما النسبة إلى المدينة المشهورة بأسيا الصغرى فهي

الرهاوي؛ بضم الراء.

أبن أبي سفيان، ومعاوية يحدّثه عن يوم خزاعة وبنى مخزوم وقريش. وكان هذا قبل الهجرة. وكان يوماً أشرف فيه الفريقان على الهلكة حتى جاءهم أبو سفيان فأرتفع ببعيره على رابية ثم أوماً بكميه إلى الفريقين، فأنصرفوا.

قال: فبينما معاوية يحدّث يزيد بن شجرة بهذا الحديث، إذ صكّ وجه يزيد حجر عائر فأدماه، وجعلت الدماء تسيل من وجهه على ثوبه، [وهو] ما يمسح وجهه.

فقال له معاوية: لله أنت! ما ترى ما نزل بك؟ قال: وما ذاك، يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا دم وجهك يسيل على ثوبك! قال: أعتق ما أملك، إن لم يكن حديث

(١) في المسعودي: "يحدّثه عن جرعان يوم كان لبنى مخزوم وغيرهم من قریش". وفي بعض نسخة: "جرعان". [والصواب خزاعة كما هو وارد في سه، صه].

(٢) سه: "بكمه" صه: "بكفه". [والصحيح عن "محاسن الملوك"].

(٣) هذه القصة لم نجد لها غير الجاحظ والذين نقلوا عنه مثل المسعودي وصاحب "تنبية الملوك" وصاحب "محاسن الملوك". ولعل الواقعة التي يشير إليها هي المذكورة في آخر ديوان حسان بن ثابت الصطبي، وفي السيرة الحلبية (ج ١ ص ١٤٣ طبع المرحوم الزبير رحمت باشا العباسي في بولاق سنة ١٢٩٥ هـ، وج ١ ص ٢٧٣ طبع العلامة وستنفلد في مدينة لبيسك سنة ١٨٥٨ م)

(٤) في سه غير. وفي صه غير. [وهذه الكلمة كثيرا ما يصحفها النساخون والطابعون. فتارة يضعون "غابر" وأخرى "غابر" وأخرى "عابر". والصواب "عائر" بالعين المهملة والياء التحتية المثناة المهموزة. قال صاحب تاج العروس في مادة (ع ور): والعائر من النهام ما لا يدري راميه وكذا من الحجارة. . . . والجمع العوائر].

(٥) في المسعودي: أعتق ما أملك. ولكن سه أنفرد بجعل الضمير للغائب على سبيل الحكاية لئلا تقع العين على المتكلم أو القارئ. فوردت فيه العبارة هكذا: "عتق ما يملك". وعلى ذلك جرى كثير من الكتاب. وذلك من باب التشدد في التأثم والترح. وإذا كان ناقل الكفر ليس بكافر، فكيف يقع في العين من يروي مجرد كلام لغيره؟ ولعلمهم أرادوا عدم جريان اللسان بمثل هذه الأيمان

أمير المؤمنين أَلْهَانِي حَتَّى غَمَّرَ فِكْرِي وَغَطَّى عَلِي قَلْبِي، فَمَا شَعَرْتُ بِشَيْءٍ حَتَّى نَبَيْتِي
 أمير المؤمنين. فقال له معاوية: لقد ظلمك مَنْ جعلك في أَلْفٍ من العطاء، وأخرجك
 من عطاء أبناء المهاجرين، وَكُفَاةِ أَهْلِ صِفِّينَ! فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَزَادَهُ
 فِي عَطَائِهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَجَعَلَهُ بَيْنَ جِلْدِهِ وَتُوبِهِ.^(١)

فلئن كان يزيد بن شجرة خدع معاوية في هذه، فمعاويةُ ممن لا يُخَادَعُ وَلَا يُجَارَى.^(٢)
 ولئن كان بلغ من بلادة يزيد بن شجرة وقلة حِسِّه ما وصف به نفسه، ما كان
 يجدير بخمسمائة ألف وزيادة ألف في عطائه. وما أظن ذلك خَفِيَّ عن معاوية، ولكنه
 تغافل على معرفة مَلَأَ وَقَاهُ حَقَّ رِيَّاسَتِهِ.^(٣)

[ويروى عن معاوية أنه كان يقول: "السُّرُوُّ التَّغَافُلُ"^(٤)

(١) ص: حماة.

(٢) روى هذه القصة في "تنبية الملوك" بألفاظ الجاحظ (ص ٢٩)، ورواها صاحب "محاسن الملوك"
 باختصار (ص ٢٠). وأوردها صاحب "المحاسن والمساوي" بالحرف الواحد (ص ٤٩٥ - ٤٩٦).

(٣) ص: بجارى.

(٤) نقل المسعودي هذه الحكاية أيضا عن الجاحظ، ولم يسمه كما جرت عادته. ولكنه حينما أضطُرَّ
 لنقل فكره وتقديره عند قوله "فلئن كان يزيد بن شجرة"، لم يجد بدا من الإشارة إليه بطريق
 الوصف والتعميم، فقال: "قال بعض أهل المعرفة والأدب من صف الكُتُبِ في هذا المعنى وغيره"
 ثم نقل العبارة الثانية برمتها أيضا، مع تغيير قليل في الألفاظ أو في مواضعها. (مروج الذهب جزء ٦
 ص ١٢٨ - ١٣٠)

(٥) هذه الجملة من زيادات ص. [ومعنى السُّرُوِّ السَّخَاءُ في مروءة. فيكون المراد من هذه
 المقولة أن الظاهر بالغفلة هو . . . دلائل السخاء المزوج بالمروءة. وسترد هذه المقولة أيضا
 في صفحة ١٠٣ من هذا الكتاب.]

(ما وقع لابي بكر
الهدلي حين احاده
السفاح)

٤٦

وكذلك حُكِيَ عن أبي بكر الهُدَلِيِّ أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ يَسَامِرُ أَبَا الْعَبَّاسِ إِذْ تَحَدَّثَ أَبُو الْعَبَّاسِ
بِحَدِيثٍ مِنْ أَحَادِيثِ الْفَرَسِ . فَعَصَفَتِ الرِّيحُ ، فَأَذْرَتْ طَسًّا مِنْ سَطْحِ إِلَى مَجْلِسِ^(٢)
أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَأَرْتَاعَ وَمَنْ حَضَرَهُ . وَلَمْ يَتَحَرَّكَ أَبُو بَكْرٍ لِذَلِكَ ، وَلَمْ تَزَلْ عَيْنُهُ مُتَطَلِّعَةً لِعَيْنِ
أَبِي الْعَبَّاسِ . فَقَالَ لَهُ : مَا عَجَبَ شَأْنُكَ ، يَا هُدَلِيُّ ! لَمْ تُرْعَ مَارَاعَنَا ! قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : « مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ » . وَإِنَّمَا لِلرَّءِ قَلْبٌ
وَاحِدٌ . فَلَمَّا غَمِرَهُ السَّرُورُ بِفَائِدَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ يَكُنْ فِيهِ لِحَادِثٍ مَجَالٌ . وَإِنَّ اللَّهَ ،
إِذَا أَنْفَرَدَ بِكَرَامَةِ أَحَدٍ وَأَحَبَّ أَنْ يَبْقَى لَهُ ذِكْرُهَا ، جَعَلَ تِلْكَ الْكَرَامَةَ عَلَى لِسَانِ
نَبِيِّهِ أَوْ خَلِيفَتِهِ . وَهَذِهِ كَرَامَةٌ خُصِّصَتْ بِهَا ، مَا لَهَا إِلَيْهَا ذَهْنِي وَشُغْلَ بِهَا فِكْرِي .
فَلَوْ أَنْقَلَبْتُ الْخَضْرَاءَ عَلَى الْغُبْرَاءِ ، مَا حَسَسْتُ بِهَا وَلَا وَجَمْتُ لَهَا إِلَّا بِمَا يَلْزَمُنِي فِي نَفْسِي^(٤)

- ١٠ (١) إسمه سليمان بن عبد الله (الأعلاق النفيسة لابن رسته ص ٢١٣) . وهو من مشاهير أهل
البصرة وكان من أخص جلساء أبي العباس السفاح ، وله بحضرته مناظرة بديعة في تفضيل البصرة على
الكوفة وأهلها وكان مناظره ابن عياش المتوفى (الآتي ذكره في متن الكتاب وحاشيته في الصفحة التالية)
أوردها ابن الفقيه في كتاب البلدان (ص ١٦٧ - ١٧٣ وتكلمتها في ص ١٩٠) . وهو من الضعفاء
في الحديث ، ومات سنة ٦٧ (شذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٣) .
- ١٥ (٢) أي أوقعت الريح طستا . وفي صه : « فأوردت طستا » ، وقد رواها صاحب «مطالع البدور»
(ج ١ ص ١٩٢) . والذي في السعودي : « فأذرت ترابا وقطعا من الأجر من أعلى السطح إلى المجلس » .
وأنظر «شذرات الذهب» (ج ١ ص ٢١٧) . وقد روى الراغب الاصفهاني في «محاضراته» (ج ١
ص ١١٧) واقعة أخرى شبيهة بهذه من كل الوجوه ، فقال : كان أبو القاسم الكعبي المتكلم في مجلس أمير خراسان
فسقط من السطح طست فتزلزلت منه عرصة الدار . فلم يلتفت أبو القاسم عن الأمير . فقال الأمير لا يصلح
لوزارتي إلا هو .

(٣) في السعودي : « بحادثة » .

(٤) صه : البيضاء .

(٥) صه : توجهت .

لأمير المؤمنين . فقال أبو العباس : لئن بقيتُ لك ، لأرْفَعَنَّ منك صَبْعاً لا تطيف به السباع ولا تحطُّ عليه العقبان .^(٢)

وكان [عبد الله] بن عيَّاش المتوفى يقول : لم يتقرب العاقبة إلى الملوك بمثل الطاعة ، ولا العبيد بمثل الخدمة ، ولا البيطانة بمثل حُسن الاستماع .^(٣)

(كلمة ابن عيَّاش المتوفى)^(٤)

(١) الصَّبْعُ (بضم الباء) العضد . والجملة هنا كناية ، بمعنى لا توهنَ بأسمك . (أنظر القاموس وأساس البلاغة) . وفي المسعودي : "صعباً" . وهو تحريف ظاهر .

(٢) أورد المسعودي هذه القصة بتبديل في الألفاظ وزيادة ونقصان (مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٣) . وأوردها صاحب "محاسن الملوك" باختصار (ص ٢٠) . ونقلها بخریف يسير صاحب "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٦) .

(٣) هو من رجالات المنصور العباسي ، وكان من النسيان . ويعرف بالمتوفى لأنه كان ينتف لحيته . (ابن قتيبة في كتاب "المعاري" ص ٦٨) . ذكره ابن الأثير في حوادث سنتي ١٤٧ و ١٥٨ .

ركب المنصور معه يوماً ، فقال له : تعرف ثلاثة خلفاء أسماؤهم على العين ، قلت ثلاثة خوارج مبدأ أسماؤهم على العين ؟ قال : لا أعرف إلا ما يقول العامة إن علياً قتل عثمان (وكذبوا) ، وعبد الملك قتل عبد الرحمن بن الأشعث ، وعبد الله بن علي سقط عليه البيت . [وكان المنصور ، وأسمه عبد الله بن محمد ، يحجن عبد الله بن علي هذا في بيت أساسه ملج ، وأجرى الماء في أساسه فسقط عليه فأت .] فقال المنصور : إذا سقط عليه ، فاذنبي ، أنا ؟ قال : ما قلت إن لك ذنبا . وقد روى المسعودي هذه الحادثة بتفصيل أو في (ج ٦ ص ٢١٧ - ٢١٨) ، وساقها الراغب الإصفهاني في محاضراته بألف سباق (ج ٢ ص ٢٠٥) .

وفي صبح الأعشى (ج ١ ص ٢٦٥) : ملكان إسلاميان أول اسم كل واحد منهما عين ، قتل كل واحد منهما ثلاثة ملوك أول اسم كل واحد منهم عين . أحدهما عبد الملك بن مروان ، قتل عمرو بن سعيد ، وعبد الله ابن الزبير ، وعبد الرحمن بن محمد الأشعث . والثاني أبو جعفر المنصور (وأسمه عبد الله) قتل أباسلم الخراساني (وأسمه عبد الرحمن) ، وعمه عبد الرحمن بن علي ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن والي خراسان . [وأنظر ص ١١٤ من هذا الكتاب] .

(٤) نقلها المسعودي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤) .

وكان [أبو زُرْعَةَ] رَوْحُ بن زَيْنَاع [بن رَوْح بن سلامة الجُدَامِي] يقول: إن أردت
أن يَمَكِّنَكَ الْمَلِكُ مِنْ أذُنِهِ، فَاَمْكِنْ أذُنَكَ مِنَ الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ. (٢)

(كلمة روح بن
زيناع)

٤٧

وكان أسماء بن خارجة [الفَزَارِيُّ] يقول: ما غلبني أحد قط غلبة رجل يصنعني
إلى حديثي. (٢)

(كلمة أسماء بن
خارجة الفزاري)

وكان معاوية يقول: يُغَلِّبُ الْمَلِكُ حَتَّى يُرَكِّبَ بِشَيْئَيْنِ: بِالْحَلْمِ عِنْدَ سَوْرَتِهِ،
وَالْإِصْغَاءِ إِلَى حَدِيثِهِ. (٢)

(كلمة معاوية)

(١) قال في "تاج العروس" إن كل من سمي "رَوْح" من المحدثين فهو بالفتح، إلا رَوْح بن القاسم، فانه
بالضم. ورَوْح بن زَيْنَاع الجُدَامِي من رجالات بني أمية. كان في سنة ٦٤ واليا على فلسطين للخليفة مروان بن
الحكم، فوشب عليه بابل بن قيس الجُدَامِي فأخرجه، وبايع لأبن الزبير حين قيامه بالخلافة في الحجاز. ثم عاد رَوْح
واليا عليها، بعد أن ألقى خطبة جذب بها الناس لبيعة مروان بن الحكم دون عبد الله بن عمر بن الخطاب
ودون عبد الله بن الزبير. (أنظرها في ابن الأثير في حوادث سنة ٦٤). ولذلك صار من أجل الناس عنده وعند
أبيه عبد الملك بن مروان. وكان جليسه وأنيسه ونديمه وسميره ومشيره حتى قال الخليفة فيه إنه جمع ثلاث
خصال لم تجتمع في غيره: فقه الحجاز، في دهاء أهل العراق، في طاعة أهل الشام. (العقد الفريد ج ١ ص ٩
و ٢٠٧ وأسد الغابة). وقد وقعت له مع هذا الخليفة ومع زوجته الأعرابية حكاية ظريفة أوردها
في "المحسن والمساوي" (ص ٤١٩). [وأنظر صفحة ١١٣ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب].

ثم صار مشيراً للوليد بن عبد الملك. ومع ما كان عليه من الفضل والدهاء والذكاء، فقد وقعت له حكاية
ظريفة مضحكة أثناء وجوده بالكوفة مع بشر أخى عبد الملك بن مروان واليا. أوردها في "مروج الذهب"
(ج ٥ ص ٢٥٤ - ٢٥٨ - وفي المستطرف ج ٢ ص ١١٢)

(٢) نقلها المسعودي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤).

(٣) أسماء بن خارجة هو أين حصن بن حذيفة بن بدر. كان سيد بني فزارة، وكان من أمخياء الكوفة.
مات سنة ٩٦. وله ترجمة في "فوات الوفيات" (ج ١ ص ١٤). ولم يل أسماء بن خارجة شيئاً للسلطان
(العقد الفريد ج ١ ص ٥١)



ومن أخلاق الملك، إذا قرب إنسانا أو أنس به حتى يهزله ويضاحكه ثم دخل عليه بعد، أن يدخل دخول من لم يجر بينهما أنس قط وأن يظهر من الإجلال له والتعظيم والاستخذاء أكثر مما كان عليه قبل. فإن أخلاق الملوك ليست على نظام.

آداب أهل الزلفى
بعد المضاحكة



ومن أخلاقهم أن لا تكون أخلاقهم معروفة فيتمثل عليها ويعاملون بها. ألا ترى أن الملك قد يغضب على الرجل من حماه، والرجل من حامته وبطانتته: إما لجنائية في صلب مال، أو لخيانة حرمة الملك، فيؤخر عقوبته دهرًا طويلًا، ثم لا يظهر له ما يوجب حبه حتى يتقى ذلك في اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك. وليست هذه أخلاق سائر الناس، إذ كما نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الجنائيات وعند أول بوادر الغضب.

تنكر أخلاق الملوك



فأما الملوك وأبناؤهم، فليست تُقاس أخلاقهم ولا يُعابَرُ عليها. إذ كان أحدهم يضع أعدى خلق الله له بين أذنه وعاتقه، وبين سحره ونحره. فتطول بذلك المدة وتمتبه الأزمنة، وهو لو قتله في أول حادثة تكون وعند أول عثرة يعثر لم يكن

صبر الملوك على
مضض الحقد حتى
تجيب الفرصة

(١) الخضوع والافتقار. وفي "الأغاني": أنت تخضع لهذا، هذا الخضوع وتستخذي له. (أج ٧ ص ١٨٣)

(٢) صم : تعامل.

(٣) السحر (بالفتح) هو الرمة. والمراد به هنا ما يجاذبه، وهو الصدر. قالت عائشة (رضي الله عنها): "مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين سحري ونحري." تعني بين صدرها ونحرها. والمقصود شدة الأتقار والالتراق، كما نقول أيضا: بين سمعه وبصره. (عن تاج العروس)

(٤) صم : وهو له. سم : ويقولون.

بين هذه القتلة وبين الأخرى بعدها بعشرين سنة فرق. إذ كان لا يخاف ثأراً، ولا في الملك وهناً.

(معاوية أنوشروان
لمن خانه في حريمه)

وفيما يذكر عن سيرة أنوشروان أن رجلاً من خاصّ خدمه جنى جنابة أطلع عليها أنوشروان، والرجل غافل عنه. وكانت عقوبة تلك الجنابة توجب القتل في الشريعة. فلم يدرك كيف يقتله: لا هو وجدّ امرأً ظاهراً يقتل بمثله الحكم فيسيفك به دمه، ولا قدر على كشف ذنبه لئلا في ذلك من الوهن على الملك والمملكة، ولا وجد لنفسه عذراً في قتله غيلةً، إذ لم يكن ذلك في شرائع دينهم ووراثه سلفهم. فدعا به بعد جنابته بسنة فاستغلاه وقال: قد حزني أمرٌ من أسرار ملك الروم، وبي حاجة إلى أن أعلمها، وما أجلتني أسكن إلى أحد سكوني إليك، إذ حلت من قلبي المحل الذي أنت به. وقد رأيت أن أدفع إليك مالاً لتحمل إلى هناك تجارةً وتدخل بلاد الروم فتقيم بها لتجارتك. فإذا بعّت ما معك، حملت مما في بلادهم من تجارتهم وأقبلت إلى. وفي خلال ذلك تُصنعي إلى أخبارهم وتطلع طلع ما بنا حاجةً إليه من أمورهم وأسرارهم.

٤٩

فقال الرجل: أفعّل أيها الملك، وأرجو أن أبلغ في ذلك محبة الملك ورضاه.

فأمر له بمال، وتجهز الرجل وخرج بتجارة. فأقام ببلاد الروم حتى باع وأشتري ولقن من كلامهم ولغتهم ما عرف به مخاطبتهم وبعض أسرار ملكهم. ثم أنصرف إلى

(١) حزبه الأمر أشدّ عليه وأصابه منه غم.

(٢) أي: وتعلم أسرارهم الذي نحن في حاجة إلى معرفته.

(٣) أي فهم وحفظ بسرعة.

(٤) صه: أسرارهم.

أنوشروان بذلك . فاستبشر بقدمه وزاد في برّه ، وورده إلى بلادهم وأمره بطول
المقام بها والتربُّص بتجارته . ففعل حتّى عرف وأستفاض ذكره . فلم تزل تلك حاله
ستّ سنين . حتّى إذا كان في السنة السابعة ، أمر الملك أن تُصوّر صورة الرجل
في جام من جاماته التي يَشْرَبُ فيها ، وتُجْعَلُ صورتهُ بيازاء صورة الملك ، ويَجْعَلُ حاطباً
للكّ ومشيراً إليه من بين أهل مملكته ، ويُدِنُ رأسه من رأس الملك في الصورة كأنه
يُسْرِئُ إليه . ثم وَهَبَ ذلك الجام لبعض خدمه ، وقال له : "إن الملوك ترغب في هذا
الجام . فإن أردت بيعه ، فأدفعه إلى فلان إذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته . فإنه إن
باعه من الملك نفسه ، تفعل ؛ وإن لم يُمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو من
بعض حاقته . " بقاء غلام الملك بالجام ليلاً ، وقد وضع الرجل رجله في غرّز ركابه ،
فسأله أن يبيع جامه من الملك ، وأن يتَّخِذَ بذلك عنده يدًا . وكان الملك يقَدِّم ذلك
الغلام ، وكان من خاصّ غلمانهِ وصاحب شرايه . فأجابه إلى ذلك ، وأمره بدفع الجام إلى
صاحب خزانته ، وقال : " احفظه ! فإذا صرتُ إلى باب الملك ، فليكن فيما عرضه
عليه . " فلما صار إلى ملك الروم ، دفع صاحب الخزانة إليه الجام فعزله فيما يعرض
على الملك . فلما وقع الجام في يدي الملك ، نظر إليه ونظر إلى صورة أنوشروان فيه وإلى
صورة الرجل وتركيبه : عُضْوًا عُضْوًا وجارحةً جارحةً . فقال : " أخبرني ، هل يُصوّر
مع الملك صورة رجلٍ خسيس الأصل ؟ قال : لا . قال : فهل يُصوّر في آتية الملك
صورةً لا أصل لها ولا علة ؟ قال : لا . قال : فهل في دار الملك آتسان يتشابهان

(١) صه : يساره .

(٢) الغرز هو الزكاي من جهه مخروزة .

في صورة واحدة حتى يكون هذا كأنه هذا في الصورة، وكلاهما نديماً الملك؟ قال:
لا أعرفه. فقال: قم! فقام. فتأملته قائماً، فوجد صورته قائماً في الجلام. ثم قال: أدبر!
فأدبر، فتأمل صورته في الجلام مُدبراً. ثم قال: أقبل! فأقبل. فتأمل صورته في الجلام مقبلاً.
فوجدها بحكاية واحدة وتخطيط واحد. فضحك الملك ولم يجترئ الرجل أن يسأله
عن سبب ضحكه، إجلالاً له وإعظاماً. فقال ملك الروم: الشاة أعقل من الإنسان
إذ كانت تأخذ مِديتها فتدفعها، وأنت أهديت إلينا مديتك بيدك! ثم قال له: تغديت؟
قال: لا. قال: قربوا له طعاماً. فقال الرجل: أيها الملك! أنا عبس ذليل، والعبس
لا يأكل بحضرة الملك. فقال: أنت عبداً ما كنت عند ملك الروم متطلعاً على أموره
متبعاً لأسراره؛ بل أنت ملكٌ ونديمٌ ملكٍ إذا قدمت بلاد فارس. أطعموه! فأطعم
وسقي الخمر حتى إذا تميل، قال: إن من سُنن ملوكنا أن تقتل الجواسيس في أعلى
موضع تقدر عليه، وأن لا تقتله جائعاً ولا عطشاناً. فأمر أن يصعد به إلى صرح
كان يُشرف منه على كل من في المدينة، إذا صعد. فضربت عنقه هناك، وألقيت
جثته من ذلك الصرح، ونُصب رأسه للناس.

٥٢

فلما بلغ ذلك كسرى، أمر صاحب الحرس أن يأمر المغرّد بصوت الحراسة
- إذا صرّب بأجراس الذهب - أن يقول، إذا مرّ على دور نساء الملك وجواريه:

(١) سه: تجمي.

(٢) روى المقرئ عن ابن عبد الظاهر "أن خادماً رأى من مشرف عال ذبأحا، وقد أخذ رأسين من الغنم
فذبح أحدهما ورعى سكينته ومضى ليقضى حاجته. فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بفمه ورماها في البالوعة.
بخاء الجزار يطوف على السكين، فلم يجدها. وأما الخادم، فإنه استصرخ وخلصه منه. وطولع بهذه القضية أهل
القصر، فأمروا بعمله جامعاً" (الخطوط ج ٢ ص ٢٩٣). وهذا الجامع هو المعروف اليوم بجامع الفاكهاني.

(٣) سه: يأمر بالعود بضرب.

”كُلُّ نَفْسٍ وَجِبَ عَلَيْهَا الْقَتْلُ فِي الْأَرْضِ تُقْتَلُ، إِلَّا مَنْ تَعَرَّضَ لِحُرْمِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ فِي السَّمَاءِ.“

(١) فلم يدرِ أحدٌ من أهل مملكته ماذا أراد بذلك حتى مات.

(٢) فليس في الأرض نفسٌ تصبر على مَضَضِ الحِقْدِ ومطاولَةِ الأيامِ بها صبرَ الملوكِ .
ولذلك بطل القياس على أخلاقهم، ووَجَّهَتْ آراءُ ذوى الحِجَا والتميز في العملِ عليها
والمقابلة بها حتى تخرج على وِزْنٍ واحدٍ وبنظْمٍ مؤتلفٍ .

(٣) وكذلك يُحْكِي عن عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد الأشدق، أنه أقام

٥٣
تكملة عبد الملك بن
مروان بن
نازعه الملك

(١) روى صاحب ”تبيين الملوك“ هذه القصة عن الجاحظ (ص ٣٠ - ٣٤)، وهي واردة بالحرف في ”الحاسن والأضداد“ (ص ٢٧٧ - ٢٨٠)

(٢) الضمير يعود إلى النفس .

(٣) في ”الأشفاق“ لأبن دريد (ص ٤٩) مانصه : عمرو بن سعيد بن العاص يعرف بالأشدق، وهو الذى يلقب بطيم الشيطان . لما بلغ خبره إلى ابن الزبير (وهو مطالب بالخلافة في مكة) صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن أبا ذبَّان قتل لعظيم الشيطان ”وكذلك نُوِّلَ بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ“ .
قتله عبد الملك بن مروان في خطب طويل ذكره المؤرخون بالتفصيل، مثل المسعودى (ج ٥ ص ١٩٨ و ٣٣٤-٣٣٩)، وابن الأثير (في حوادث سنة ٦٩) . لكن حكاية ابن الأثير لا تدل على تردّد عبد الملك في شأنه بضع سنين كما يصرّح به الجاحظ، وهو الحق . كان الرجل ذا شهامة وفصاحة وبلاغة وإقدام، وكبرياء وعظمة لانهائية لها . سعى في حمل الناس على مبايعة مروان، بعد أن آتفق معه على أن يجعله وليّ عهده بعد خالد بن يزيد . فلما تم الأمر لمروان، قضى الشرط وجعل الخلافة لابنه عبد الملك، على أن يكون خالد وعمرو وليّ عهده بعده . ولكن عبد الملك تخلص من خالد بأيسر سبب، وحزبه أمر عمرو وهو يصابره . وكان بينه وبين عبد الملك مكاتبات ومحادثات بشأن الخلافة . كتب إليه عبد الملك : ”إنك لتطعم نفسك بالخلافة، ولست لها بأهل!“ فأجابه عمرو : ”استندراج النعم إياك أفادك البغي، ورأحة القدرة أورتك الغفلة . زجرت عما وافقت عليه، وندبت الى ماتركت سبيله . ولو كان ضعف الإنسان يؤيس الطالب، ما أنتقل سلطان ولاذللّ عزيز . وعن قريب يتدين من صريع بغي وأسير غفلة“ . قال في المستطرف =

بضع سنين يزاول قتله. ^(١) مرة يرجئه، وأخرى يهيم به، ومرة يحجم، وأخرى يقدم، حتى قتله، على أخبث حالاته.

وحدثني قثم بن جعفر بن سليمان، قال: حدثني مسرور الخادم: قال: أشهد بالله! لَكُنْتُ من الرشيد وهو متعلقٌ بأستار الكعبة بحيث يمسُّ ثوبي ثوبه، وهو

يقول في مناجاته ربه: "اللهم! إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى." ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين أو ست. ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥)

(تكية الرشيد بالبرامكة)

ومن حقِّ الملك أن لا يرفع أحدٌ من خاصته وبطانته رأسه إلى حرمة له، صغرت أم كبرت. فكم من فيلٍ قد وطئ هامةً عظيم وبطنه حتى بدت أعاؤه؛ وكم من

مراعاة حرمة الملك

١٠ = (ج ٢ ص ٤٤) إنه سمي بالأشدرق لأنه كان مائل الشدق. وأنظر التفاصيل في المواطن التي نهينا عليها. [وأنظر الأقوال الأخرى التي رواها الجاحظ في سبب تسميته بالأشدرق وأنه كان خطيباً مفوهاً "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٢١-١٢٢ وأنظر أيضاً ص ١٨٤-١٨٥ منه].

(١) س: يراود.
(٢) هو قثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. كان عاملاً على المدينة، وأميراً على البصرة. وله فيها مجالس علم وأدب. (أنظر البلاذري والأغاني في فهارسهما)
١٥ (٣) في الأصل: "حسين". ولانعلم أن للرشيد خادماً خاصاً بهذا الاسم. ولذلك أبدلناه بخادمه المشهور وهو: "مسرور". يؤيد ذلك أيضاً رواية "تنبيه الملوك والمكاييد" الواردة في الحاشية رقم ٥ من هذه الصفحة.
(٤) س: مع.

(٥) في "تنبيه الملوك والمكاييد" مانصه: "كان الرشيد أدهى الناس وأكتمهم لسره. ومما يدل على ذلك ما حدث به مسرور خادمه، قال: كنت مع الرشيد في بعض سني حجّه، فسمعته وقد ألتزم المستجار من الكعبة وهو يلتفت يمينا وشمالاً، وكنت بين أستار الكعبة لم يرنى. وهو يقول: "اللهم إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى!" مراراً كثيرة. فلما سمعته، طار عقل وخشيت أن يفتن بي، فيكون ذلك سبب هلاكى. فأقبلت أتهود، ولم أزل أحتال حتى أستلكت من الأستار. قال أبو هاشم مسرور الخادم: فكان بين الوقت الذي أستخار الله فيه في قتل جعفر بن يحيى وبين قتله سبع سنين". (صفحة ١٩٧-١٩٨)

شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع وتمششته؛ وكم من جارية كانت كريمة على قومها عزيزة في ناديةا قد أكلتها حيتان البحر وطير الماء؛ وكم من مججمة كانت تُصان وتعل بالمسك والبان قد ألقيت بالعرء،^(٤) وُعِيبت جثتها في الثرى بسبب الحرم والنساء، والخلبم، والأولياء؛ ولم يأت الشيطان أحداً من بابٍ قط حتى يراه بحيث يهوى منقسم اللحم والأعضاء، هو أبلغ في مكيدته وأحرى أن يرى فيه أمينته من هذا الباب، إذ كان من أطف مكايد وأدق وساوسه وأحلى تزيينه!^(٦)

(١) أى مصّت عظمه . وفي سره : "تمزقته السباع وتمششته" . وفي صه : "تمزقته السباع وتمششته" . وفي "المحاسن والأضداد" : ونهشته .

(٢) أى تُطيب مرة بعد أخرى بالمسك الخ، عله بالحناء يعله ويعله "الكامل للبرد" . والعليلة المرأة المطيبة طيبا بعد طيب "قاموس" . وفي صه : تعل . وفي نسخ "المحاسن والأضداد" : تغل ، تغل ، تغدا .

[وأقظر صفحة ١٥٥ من هذا الكتاب والحاشية ١ و ٢ منها]

(٣) يطلق العرب أسم البان على شجرتين مختلفتين . فالأولى هى المسماة أيضا بشجرة الخلاف ، وهى التى بهم بها الشعراء ويشبهون قوام المحبوب بقضبانها . وهى كثيرة بمصر . والخلاف نوع من الصفصاف (Saule) أو هو غيره . ويطلقون أسم الخلاف فى مصر على زهرة مما يُشَمّ دطبا ويُسقطر مثل الورد والنسرين والنيولوفر (نهاية الأرب ، فى الباب الأول من القسم الأول من الفن الرابع ؛ وحسن المحاضرة) .

وفى "صبح الأعشى ج ١ ص ٣٩٣" أن البان والخلاف من الفواكه المشمومة وأنها نوعان .

أما أسم هذا البان عند علماء النبات فهو *Salix Egyptiaca* . والشجرة الثانية هى التى عنها الجاحظ . تشبه الأثل ولها ثمر كأنه الجوز فيه حب كالفسق ، ومنه يستخرجون الدهن المشهور بدهن البان أو بالبان فقط . وهذا الثرى يسمى بالشوع أيضا . ودهنه يدخل فى تركيب قنأس الطيب والأعطار والنوالى . وتوجد شجرته ببلاد العرب . واسمه العلمى (*Guilandina moringa*) واسمه العامى المشهور عند الفرنج (Ben) مأخوذ عن العربية . (راجع أبى البيطار وترجمته إلى الفرنسية فى الكلمات التى ذكرناها)

(٤) صه : نبذت .

(٥) من باب ضرب بمعنى يسقط .

(٦) فى نسخ "المحاسن والأضداد" (ص ٢٧٣ - ٢٧٤) أجل تزيينه ، أجل بواقفه .

فعلى الحكيم المحبّ لبقاء هذا النسيم الدقيق، وهذا الماء الرقيق، أن يطلب
دوامهما لنفسه بكل حيلة يجد إليها سبيلا؛ ويدفع مفارقتها لكل شيء يقع فيه
التأويل بين أمرين من سلامة تُنجي أو عَطِبَ يُتلف^(٣)؛ ولا يتكَلَّ على خيانة خَفِيَتْ
أو بَجْرَةَ حَظِيَّ بها أحدٌ من أهل السفه والبطالة. فإنَّ تلك لا تُسمَّى سلامة، بل
إنما هي حسرة وندامة، يوم القيامة. وكَم من فعلة قد ظَهَرَ عليها بعد مرور الأيام
وطول الأزمنة بها، فَرَدَّتْ من كان قد أحسنَ بها الظنَّ حتى تركته كأمس الذاهب،^(٦)
كأن لم يكن في العالم!



ومن حقّ الملك - إذا أسَّ بإنسانٍ حتى يُضاحكه ويهزله ويُفِضِي إليه بسرّه
ويخصّه دون أهله، ثم دخل على الملك داخلٌ أو زاره زائرٌ - أن لا يرفع إليه طرفه،
إعظاما وإكراما، وتبجيلا وتوقيرا، ولا يضحك لضحك الملك ولا يعجب لعجبه.
وليكن غرضه الإطراق والصمت وقلة الحركة.

إغضاء البصر
بحضرة الملك



- (١) يُكْنَى بالنسيم الدقيق عن النَّسْنِ؛ وبالماء الرقيق عن الدم.
- (٢) سم: مفارقتها بكل. صه: مفارقتها بكل. [وربما كان الأصوب ما وضعناه في متن الكتاب:
"ويدفع مفارقتها لكل شيء الخ" أي يحول دون ارتكابها لأي أمر تكون عاقبته مشكوكا فيها بين السلامة
والهلاك. قال في تاج العروس: "قارفه مقارفة وقرافا: قاربه. ولا تكون المقارفة إلا في الأشياء الدينية."
(٣) صه: غضب.
- (٤) سم: تسمى.
- (٥) الفعل هنا هو ردّي مثل أردى، بمعنى أهلك. وفي صه: فأوردت.
- (٦) أمس الذاهب، وأمس الدابر، وخبر كان: كلُّها بمعنى واحد. (أنظر لسان العرب في د ب ر)

*
*
*غض الصوت
بحضرة الملك

ومن حق الملك أن لا يرفع أحدُ صوته بحضرة. لأن من تعظيم الملك وتبجيله
خَفَضَ الأصوات بحضرة، إذ كان ذلك أكثر في بهائه وعزّه وسلطانه.

تأديب الله
للصحابه

وبهذا أدب الله أصحاب رسوله (صلى الله عليه وسلم)، فقال عزّ من قائل:
”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.“ فَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ فَقَدْ آذَاهُ، وَمَنْ آذَاهُ فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ.

وكان قومٌ من سفهاء بني تميم أتوا النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالوا: يا محمد!
أُخْرِجْ إِلَيْنَا نَكَلَتَكَ. فَعَمَّ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وساء ما ظهر من سوء
أدبهم، فأنزل الله عز وجل: ”إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم
لَا يَعْقِلُونَ.“^(١)

ثم أنبئ على من غَضَّ صوته بحضرة رسوله، فقال جل اسمه: ”إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى.“^(٢)

٥٦

فمن تعظيم الملك وتبجيله خَفَضَ الأصوات بحضرة، وإذا قام عن مجلسه:
حتى لا يدخل الملكَ وهنٌ ولا خللٌ ولا تقصيرٌ، في صغيرٍ أمرٍ ولا جليله.

*
*
*حرمة مجلس الملك
في غيبته

وكانت ملوك الأعاجم تقول: إنَّ حُرْمَةَ مجلس الملك إذا غاب كُرْمَتُهُ إذا حضر.

(١) أنظر قصة هذا الوفد في كتب السيرة النبوية، وفي ”صبح الأعشى“ (ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٦).
وفي ”البيان والتبيين“ (ج ٢ ص ٣٩).

(٢) أنظر ”محاضرات الراغب“ (ج ١ ص ١١٧). ٢٠

وكان لها عيون على مجالسها، إذا غابت عنها. فمن حضرها، فكان في كلامه وإشارته وقلة حركته وحسن ألفاظه وأدبه - حتى أنفاسه - على مثل ما يكون إذا حضر الملك، سمي ذا وجه. ومن خالف أخلاقه وشيمه وظهر منه خلاف ما يظهره بحضرة الملك، سمي ذا وجهين، وكان عند الملك منقوصاً متصنعاً.^(٢)

الرقباء على مجالس
ملوك العجم عند
غيابهم



ومن أخلاق الملك أن يخلع على من أدخل عليه سروراً، إما في خاصة نفسه وإما في توكيد ملكه. فإن كان السرور لنفسه في نفسه، فمن حقه على الملك أن يخلع عليه خلعة في قرار داره، وبحضرة بطانته وخاصته. وإن كان في توكيد ملكه، فمن حقه أن يخلع عليه بحضرة العاتمة، لينشر له بذلك الذكر ويحسن به الأحدثه وتصلح عليه النيات، ويستدعى بذلك الرغبة إلى توكيد الملك وتسديد أركانه.

مواطن المكافات



وليس من العدل أن يُفرد المحسن بخلعة فقط، إلا أن تكون الخلعة على شرب أو هبوب. فأما إذا كانت لأحد المعنسين اللذين قدما ذكركهما، فمن العدل أن يكون معها جائزة وصلية وترتيب، أو ولاية أو إقطاع أو إجراء أرزاق أو فك أسير أو حمل حملات أو قضاء دين أو إحسان، كأنما ما كان، مضافاً إليها وموصولاً بها.

بيان المكافات
وخصوصها
وعموها

(١) أي رقباء.

(٢) ص: مقصياً. [وعلى فرض صحة هذا الحرف فالواجب أن تكون صيغته هنا "مُقَصَّى" إذ لا يقال "مقصياً" في أسم المفعول. وأنظر القاموس وشرحه في مادة ق ص و]

باب

في صفة ندماء الملك

ينبغي أن يكون نديم الملك معتدل الطبيعة، معتدل الأخلاق، سليم الجوارح
والأخلاق، لا الصفراء تقلقه وتكثر حركته، ولا الرطوبة والبلغم يقهره ويكثر بؤله
وبزقه وتثاؤبه ويطيل نومه، ولا السوداء تضجره وتطيل فكره وتكثر أمانيه وتفسد
مزاجه. فأما الدموي^(١)، فليس يدخل في هذه الأقسام المذمومة، إذ كان بالبدن إليه^(٢)
حاجة كحاجته إلى تركيبه وسلامته.



٥٨
آداب النديم في
المزاملة، وعلومه.

ومن حقّ الملك - إذا زامله بعض بطانته - أن يكون عارفاً بمنازل الطريق
وقطع المسافة، دليلاً بهديته وأعلامه ومياهه، قليل التثاؤب والنعاس، قليل السعال^(٣)
والعطاس، معتدلاً المزاج، صحيح البنية، طيب المفاكهة والمحاذثة، قصير المياومة^(٤)
والملايلة، عالماً بأيام الناس ومكارم أخلاقهم، عالماً بالنادر من الشعر والسرائر
من المثل، متطرباً من كل فنٍّ، آخذاً من الخير والشر بنصيب. إن ذكر الآخرة ونعيم
أهل الجنة، حدثه بما أعد الله تعالى لأهل طاعته من الثواب، فرغبه فيما عنده،
وإن ذكر النار، حذر ما قرب إليها. فزهده مرةً، ورغبه أخرى. فإن بالملك أعظم

(١) ص: الدين.

(٢) الضمير يعود إلى "الدم" المفهوم من قوله "الدموي".

(٣) ص: ومناره.

(٤) ص: قصير الملايلة.

(٥) ص: متصرفاً.

الحاجة إلى مَنْ كانت هذه صفاته وبالْحَرًا إِذَا أَصَابَ هَذَا، أَنْ لَا يَفَارِقَهُ إِلَّا عَن أَمْرِي
تَنْقَطِعَ بِهِ الْعِصْمَةُ وَتَجِبَ بِهِ النِّقْمَةُ.^(٢)

*
*
*

وَمَن حَقَّ الْمَلِكُ، إِذَا خَرَجَ لِسَفَرٍ أَوْ نُزْهَةٍ، أَنْ لَا يَفَارِقَهُ خَلَعٌ لِلْكَسَاءِ، وَأَمْوَالٌ
لِلصَّلَاتِ، وَسِيَّاطٌ لِلْأَدَبِ، وَقِيُودٌ لِلْعِصَاةِ، وَسِلَاحٌ لِلْأَعْدَاءِ، وَحِمَاةٌ يَكُونُونَ مِنْ
وَرَاءِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ، وَمُؤَنِّسٌ يُفَضِّي إِلَيْهِ بَسْرَهُ، وَعَالِمٌ يُسْأَلُهُ عَن حَوَادِثِ أَمْرِهِ وَسُنَّةِ
شَرِيعَتِهِ، وَمُلْهُ يَقْصُرُ لَيْلَهُ وَيُكْثِرُ فَوَائِدَهُ.

عدة الملك في خروجه
لسفر أو نزهة

٥٩

وَعَلَى هَذَا كَانَتْ مَلُوكِ الْأَعَاجِمِ، أَوْلَهَا وَأَخْرَهَا.

وَأَيْضًا فَإِنَّ مَلُوكَ الْعَرَبِ، لَمْ تَزَلْ تَمْتَثِلُ هَذَا وَتَفْعَلُهُ.

وَلِنَدَمَاءِ الْمَلِكِ وَبِطَانَتِهِ خِلَالَ يُسَاوُونَ فِيهَا الْمَلِكَ ضَرُورَةً. لَيْسَ فِيهَا نَقْصٌ عَلَى
الْمَلِكِ، وَلَا ضَعْفٌ فِي الْمَلِكِ. مِنْهَا: اللَّعِبُ بِالْكُرَّةِ، وَطَلْبُ الصَّيْدِ، وَالرَّمْيُ فِي الْأَغْرَاضِ،
وَاللَّعِبُ بِالشُّطْرَنْجِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

خلال الندماء

وَمَن أَحَقَّ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ لَا يَمْنَعُ مَلَاعِبَهُ مَا يَجِبُ لَهُ مِنْ طَلْبِ النَّصْفَةِ فِي هَذِهِ
الْأَقْسَامِ الَّتِي عَدَدْنَا.

مساواة الملك
للملاعبه

وَمَن حَقَّ الْمَلَاعِبُ لَهُ الْمَشَاحَةُ وَالْمُكَالَبَةُ وَالْمُسَاوَاةُ وَالْمَمَانَعَةُ وَتَرْكُ الْإِغْضَاءِ وَالْأَخْذُ
عَلَى الْمَلِكِ

حق الملاعب
على الملك

(١) فِي "الْقَامُوسِ": "الْحَرَا الْخَلِيقُ . وَمَنَّهُ : بِالْحَرَا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ . " وَفِي "الصَّحَاحِ" : وَيَحْدِثُ الرَّجُلُ
الرَّجُلَ فَيَقُولُ : بِالْحَرَى أَنْ يَكُونَ . [وَالْمَعْنَى هُنَا أَنَّ الْمَلِكَ إِذَا أَصَابَ رَجُلًا تَوَقَّرَتْ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ
فَالْأُخْرَى وَالْأَجْدَرُ وَالْإِخْلَاقُ بِهِ أَنْ لَا يَفَارِقَهُ إِلَّا فِي الْحَالَةِ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا الْمُؤَلِّفُ .]

(٢) س : "التيممة".

(٣) ص : المعانقة.

من الحقِّ بأقصى حدوده. غير أن ذلك لا يكون معه بدءاً ولا كلاماً رقيقاً ولا معارضةً بما يُزيل حقَّ الملك ولا صياحاً يعلو كلامه ولا نحيراً^(١) ولا قذفاً ولا ما هو خارج عن ميزان العدل.

١٠
ملاعبة سابور
على أمر مجهول

وفياً يحكى عن سابور أنه لاعب تريا، كان له بالشطرنج إمرة مطاعة. فقمرة^(٢) تربه. فقال له سابور: ما امرتك؟ فقال: أربك حتى أخرج بك إلى باب العامة. فقال له سابور: بس موضع الدالة وضعتك، فرد غير هذا. فقال: بهذا جرى لفظي. فأسيف لذلك سابور وقام فدعا ببرقع، فتنبرقع. ثم جثا لتربه، فأمتنع أن يعلو ظهر الملك، إجلالاً له وإعظاماً. فنادى سابور بعد ذلك بسنة في الرعية: لا يلعبن أحد لعبة على حكم غائب، فمن فعل قدمه هدر.^(٣)

١٠ فأمّا إذا كانت المشاحة على طلب الحق في هذه الأقسام التي ذكرنا بمعارضة شعرياً، وتوبيخ في مثل ونادير من الكلام، وإخبار عن سوء لعب اللاعب وتأنيب له، فهذا مما يُحاطب به الملك ويُعارض فيه. فأمّا إذا نرج عن هذا، فدخل في باب الجرأة كما فعل ترب سابور، فإنه خطأ من فاعله وجهل من قائله وجرأة على ملكه. وليس للرعية الجرأة على الراعي.

١٥

١٥
آداب الملاعبة
بالكرة وغيرها

ومن حق الرجل على الملك، إذا ضرب معه بالكرة، أن يتقدم بدابته على دابة

(١) النخير: مد الصوت في الخياشيم. (قاموس)

(٢) أى أن هذا الترب كانت عادته ودينه أن لا يلعب الشطرنج إلا على إمرة مطاعة. والإمرة المطاعة هي الاحتكام.

(٣) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة باختصار. (ص ٧٨)

٢٠

الملك، وصوبلجانه على صوبلجان الملك، وأن يعمل جهده في أن لا يُخس حظه ولا يفتر^(١) في مسابقة ولا مرا كضية ولا التتاف كرية ولا سيق إلى حدّ ونهاية وما أشبه ذلك. وكذلك القول في الرماية في الأغراض وطلب الصيد ولعب الشطرنج.

سمعت محمد بن الحسن بن مُصعب يقول: "كان لي صديق من بني مخزوم، وكان لاعبا بالشطرنج. فذكرته لأبي العباس عبد الله بن طاهر، فقال: أحضره. فقلت للمخزومي: تهيأ للقاء أبي العباس. وكان متصرفاً كثير الأدب. فغدوتُ به، فدخل. فلما وقعت عين أبي العباس عليه، وقف. فراه من بعيد، ثم أنصرف من غير أن يكلمه. فقال: هذا رجلٌ من أهل الأدب، فأغدُ به ولا عبه الشطرنج بحضرتي

لعبة الشطرنج
بحضرة عبد الله
ابن طاهر

(١) ص: ولا يعين.

١٠ (٢) اضطرب اسم الأب في كثير من كتب التاريخ والأدب. فورد في سه: "الحسين" وكذلك في كامل ابن الأثير طبع أوربة ومصروفى "المحاسن والمساوى" ص ٢١٧. وورد في صه: "الحسن" وكذلك في الأغاني وفي سه في موضع آخر [أى في صفحة ١٥٠ من هذا الكتاب]. أما الطبرى فأورد الاسمين، وفرق بينهما صاحب فهرسته بجعل "محمد بن الحسين" راويا. ولا أدري من أين له هذه التفرقة، فإن متن الطبرى لا يفيدها. والظاهر عندي أنهما شخص واحد.

١٥ أتولا. لأن محمد بن الحسين بن مصعب لم يرد في الأغاني مطلقا، ولو كان روايا. كما يزعم صاحب فهرست الطبرى. — لكان من الراجح وقوع اسمه في كتاب الأغاني؛

٢٠ ثانيا. لأن ابن الأثير ذكر محمد بن الحسين بن مصعب (في حوادث سنة ١٩٥٨) ثم وصفه بأنه ابن عم طاهر ذى اليمينين الذى فتح بغداد باسم المأمون. ومعلوم أن طاهرا هذا هو ابن الحسين بن مصعب بلا خلاف. فيكون صاحبنا الذى أشار إليه الجاحظ هو محمد بن الحسن بن مصعب، وإلا لكان عمه. ومحمد بن الحسن بن مصعب هذا هو الذى أرسله طاهر إلى المأمون بخراسان برأس الأمين بعد قتله ببغداد. فهو من عصابة عبد الله بن طاهر الذى وقعت الحكاية في مجلسه. وقد كان بصيرا بالبقاء والتعم، وكان من الملحّنين. وذلك لأن أبا الفرج الإصفهاني يقول إن الرجل نشأ بخراسان، وينعته بلقب الأمير. (ابن الأثير ج ٦ ص ٢٠١ و ٣٥٦) و(الأغاني ج ٥ ص ٣٨ و ٥٣ و ١٠٢ و ج ٩ ص ٦٢ و ج ١٤ ص ٩١)

حتى أبو رة وعائشه حتى يخرج إلى باب الهزل والشثيمة. فلما قعدنا، دارت لي عليه ضربة، فقلت: خذها، وأنا الغلام البوشنجي! وهو ساكت. ثم دارت لي عليه ضربة أخرى، فقلت: خذها، وأنا مولى مخزوم! فسكت. ثم دارت عليه ضربة، فقلت: خذها يا ابن مخزوم، في خرم مخزوم! فسكت. وأستؤذن لرجل من آل عبد الملك ابن صالح، وكان خاصاً بأبي العباس، فأمر بالإذن له. فلما دخل الهاشمي وقعد، قال [لي] المخزومي: ليس فيك موضع شرف ولا عز، فأفأحرك! أنت بوشنجي فمن دانق! ولكن قل لهذا الهاشمي يفاخرني حتى ينظر ما يكون حاله. فأما أنت، فمن أنت حتى أفأحرك؟ فضحك أبو العباس حتى حُصَّ برجليه، وأمر له بخمسة دنانير وقربه وآنسه.

١٦

آداب الندماء إذا أخذت الملك سنة من النوم

ومن أخلاق الملك، إذا غلبته عيناه، أن ينهض من حضره من صغير أو كبير، بحركة لينة خفيفة، حتى يتوارى عن قرار مجلسه، ويكون بحيث يقرب منه إذا آنتبه. ولا يقولن إنسان في نفسه: لعل الملك إن هب من سنته لا يسأل عني، أو لعله أن يمتد به النوم أو يعرض له شغل. فإن هذا من أكبر الخطأ. وقد قتل بعض الملوك رجلاً في هذه الصفة.

(١) البور الاختبار والامتحان كالأبصار. قال في نقائص جرير والفرزدق (ص ٣٥٤): "وهذا كله أبصار منه للناس ليدعوهم إلى خلعه".

(٢) يظن بعض الجهلة أن هذا اللفظ ليس بعربي، لأن بعض المتحدلقين مالوا إلى الشتم لفظاً ومعنى، دون أن يتفطنوا إلى الفرق بين الأسم والمصدر. والقاموس وشرحه وكل متون اللغة والجاحظ وأمثاله شهود عدول. وأنظر أيضاً شرح القاموس في مادة هزل فقد صرح بأنهم اشتقوا الشثيمة من الشتم | وأنظر البيان والتبيين ج ٢ ص ٦ |

(٣) إشارة إلى نشأته بمدينة بوشنج من خراسان.

(٤) كلمة مركبة تركيباً إضافياً من كلمتين. وحذف حرف الألف من الثانية. والمعنى ظاهر. وهو شثيمة. ويضارع ذلك في حذف الألف، قول العرب: "لاب لك" أي لا أب لك، وقولهم: "وبلغه" (أنظر تاج العروس في مادة وى ل). | وأنظر صفحة ١٣٥ من هذا الكتاب |

(٥) أي ضرب الأرض برجليه كثيراً حتى كأنه يبحث فيها.

وليس من الحزم أن يجعل الحكيم للملك على نفسه طريقا، وهو وإن سلم من عدل
الملك ولائته لكرم الملك وشيمته، قدح ذلك في نفس الملك وأضطغن عليه. وبالحرى
أن لا يسلم من عدل وتأنيب^(١).



و من حقّ الملك - إذا حضرت الصلاة - فالملك أولى بالإمامة، لخصال: منها - أنه
الإمام، والرعية مأمومة؛ ومنها - أنه المولى، وهم العبيد؛ ومنها - أنه أولى بالصلاة
في قرار داره وموطئ بساطه، ولو حضر مجلسه أزهّد الخلق وأعلمهم.
فإذا قام للصلاة، فمن حقّه أن يكون بينه وبين من يصلي خلفه عشرة أذرع،
وأن لا يتقدّمه أحدٌ بتكبيرٍ ولا بركوعٍ ولا بسجودٍ ولا قيامٍ.
وهذا، وإن كان يجب لكلّ من أمّ قوما من صغيرٍ أو كبيرٍ أو شريفٍ أو وضيعٍ،
فهو للملك أوجب.

فإذا سلم الملك، فمن حقّه أن يقوم كلّ من صلى خلفه قائما. فإنهم لا يدرون أيريد
تنقلا أو دخولا أو قعودا في مجلسه.^(٣)

فإن قام لناقلة، فليس من حقّه أن يتنقلوا. لأنهم لا يدرون لعلّه أن يسبقهم أو يقطع
صلاته لحديث، فيكون يحتاج إلى أن يسبقهم، وهم قيام يصّلون بإزائه، وهو قاعد.
ولكن من حقّه أن يكونوا بجاهم حتى يعلموا ما الذي يفعل. فإن قعد، انحرفوا إلى
حيث لا يراه، فصّلوا نوافلهم. وإن دخل في الصلاة، صلّوا على مكاناتهم.^(٤)

(١) أنه تأنيبا: عفه ولامه. (حاشية في صه)

(٢) صه: بالإقامة.

(٣) في سه: "تنقلا" بالقاف، ولكن بقية السياق تدل على أنه بالقاف.

(٤) المكانة المنزلة عند ملك. (قاموس). وقد وردت هذه الآداب بزيادة واختصار في "محاسن

الملوك" (ص ٧٨)



آداب مسامرة
الملك

٦٤

وقد قلنا إنَّ من حقِّ المَلِكِ أَنْ لَا يَبْتَدِئُهُ أَحَدٌ بِمُسَامِيرَةٍ. وَإِنْ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْهُ مَنْ
يَسْتَحِقُّ الْمُسَامِيرَةَ، فَالَّذِي يُجِزُّهُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَقِفَ بِحَيْثُ يَرَاهُ وَيَتَصَدَّى لَهُ. فَإِنْ أَوْمَأَ
إِلَيْهِ، سَامِرِهِ، وَإِنْ أَمْسَكَ عَنِ الْإِيْمَاءِ، عَلِمَ أَنْ إِمْسَاكَهُ هُوَ تَرْكُ الْإِذْنِ لَهُ فِي مَسَامِيرَتِهِ.
وَمَنْ حَقَّهُ، إِذَا سَامِرَهُ أَنْ لَا يَمَسَّ ثَوْبَهُ ثَوْبَ الْمَلِكِ، وَلَا يُدْنِي دَابَّتَهُ مِنْ دَابَّتِهِ،
وَيَتَوَشَّحِي أَنْ يَكُونَ رَأْسُ دَابَّتِهِ بِإِزَاءِ سَرَجِ الْمَلِكِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّفُهُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ.
وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَبْتَدِئَهُ بِكَلَامٍ.

وَإِنْ كَانَ لَا يَثِيقُ بِلَيْلِي عِنَانِ دَابَّتِهِ حَتَّى يَصْرِفَهُ كَيْفَ شَاءَ وَمَتَى شَاءَ، فَالرَّأْيُ لَهُ
أَنْ لَا يَسَامِرَهُ. فَإِنَّ فِي مَسَامِيرَتِهِ وَصْمَةً عَلَيْهِ وَعَلَى الْمَلِكِ. أَمَّا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى
حَرَكَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ يُتَعَبُ بِهَا نَفْسَهُ وَدَابَّتَهُ، وَيَخْرُجُ بِهَا عَنْ حَدِّ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْمُرُوءَةِ
وَالشَّرْفِ. وَلَعَلَّهُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ أَيْضًا أَنْ لَا يَبْلُغُ مَا يَرِيدُ. وَأَمَّا عَلَى الْمَلِكِ، فَإِنَّهُ وَهْنٌ
فِي الْمَمْلَكَةِ. لِأَنَّ الْمَلِكَ، إِنْ طَلَبَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ وَعَلَى سَيْرِ دَابَّتِهِ، كَانَ إِنَّمَا يَسِيرُ عِنْدَ
ذَلِكَ بِسِيرِهِ. وَلَيْسَ فِي آيِنِ الْمَمْلَكَةِ أَنْ يَسِيرَ الْأَعْظَمُ بِسِيرٍ مِنْ هُوَ دُونَهُ.

سنة أكاير العجم
عند تهميمهم للسامرة

٦٥

وَلِذَلِكَ كَانَتْ رُؤُوسَاءُ الْأَكْأَسِرَةِ وَالْأَسَاوِرَةِ وَالذَّيْبِرْبَذِ وَمُوبَذَانَ مُوبَذَانَ وَمِنْ أَشْبَهِ
هَؤُلَاءِ مِنْ خَاصَّةِ الْمَلِكِ، إِذَا هَمَّ الْمَلِكُ بِالْمَسِيرِ فِي تَزْهَةِ أَوْ لِبَعْضِ أُمُورِهِ، عَرَضُوا دَوَابَّهُمْ

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ و ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب.

(٢) كلمة فارسية تفسرها حافظ الكتاب (التنبيه والإشراف للمسعودي ص ١٠٤). والمقصود من الكتاب
الكتاب المقدس عند المحجوس. وربما كان الصواب في هذا المقام: "ديريد" من كلمتين الأولى فارسية
والثانية عربية بمعنى "كاتب اليد". ذلك لأنني لم أعر في معجمات اللغة الفارسية على تفسير يوافق ما ذهب إليه
المسعودي. اللهم إلا أن تكون الكلمة محرفة وتحتاج إلى التثقيف. [وأنظر صفحة ١٦٠ و ١٧٣ من هذا الكتاب].

(٣) أما الموبذ فهو القاضي، وموبذان موبذ هو قاضي القضاة. وموبذ من ألقاب الفهلوية، وهي اللغة
الفارسية القديمة ومعناها القاضي (مروج الذهب جزء ٦ ص ٣٧٥).

على راضة الملك وصاحب دوابه . وكان كل واحد منهم لا يأمن أن يدعو به الملك
للسايرة والمحاذثة ، فيحتاج إلى معاناة دابته لبلادة أو كثرة نفور أو عثار أو جماج .
فيكون على الملك من ذلك بعض ما يكره . وكان الراض يتجن دابة دابة من دواب
هؤلاء العطاء . فما آختر منها ركب ، وما نفى أرجى .

وأيضاً إن من حق الملك ، إذا سايره واحداً ، أن لا تروث دابته ولا تبول ولا تتحصن ^(١)
ولا تتشعب ، ولا يطلب المحاذاة لسير دابة الملك ، وإن أراد ذلك منعه راكمه .

وفما يحكى عن ملوك الأعاجم أن قبأذ ، بينا هو يسير والموبذ يسايره ، إذ راثت
دابة الموبذ وفطن لذلك قبأذ . فأغتم الموبذ بذلك ، فقال له في كلام بينهما : ما أول
ما يستدل به على سُخف الرجل ، أيها الموبذ ؟ فقال : أنت يعلف دابته في الليلة
التي يركب في صبيحتها الملك . فضحك قبأذ حتى أقر عن نواجذه . وقال : لله أنت !
ما أحسن ما صممت كلامك بفعل دابتك ! وبحق ما قدمك الملوك وجعلوا أزيمة
أحكامهم في يدك ! ووقف ثم دعا بدابة من خاص مراكمه ، فقال له : تحول عن
ظهر هذا الجاني عليك إلى ظهر هذا الطائع لك . ^(٢)

ما حصل للموبذ
أثناء مسأيرته لقبأذ

٦٦

(١) تحصن الفرس صار حصاناً أي إذا تكلف ذلك . ولعل المعنى أن الفرس تنب على الدابة التي تكون
قدامها كما يفعل الفحل . لتلا يحدث مثل ما وقع لسلطان مصر قايتباي إذ ركب في محرم سنة ٨٧٦ ومعه
الأتابكي أزبك (منشئ الأزبكية) متوجهين من القاهرة إلى شيبين القناطر . ففي أثناء الطريق شب فرس
الأتابكي على فرس السلطان ورفسه . بغامت الرفسة في قصة ساق السلطان فأنكسرت ، فنزل بشيبين وهو في غاية
الأم . واستحضر السلطان محفة من القاهرة ليعود عليها . (وأظر التفصيل في ابن إياس ج ٢ ص ١٢٨)

(٢) معرب قبأذ . وفي كتاب "برهان قاطع" أنه بنى مدينتي حلوان وكازرون . وأقول إن حلوان هذه
هي غير التي بالقرب من القاهرة . وعن ياقوت أنها كانت أكبر مدينة في العراق بعد الكوفة والبصرة وبغداد
ومر من رأى . [وأظر صفحة ١٠٥ من هذا الكتاب] .

(٣) رواها في "محاسن الملوك" باختصار . (ص ٨٢ - ٨٣) ، ورواها بالحرف في "المحاسن
والمساوي" (ص ٤٩٦ - ٤٩٧) .

ما حصل لشرحيل
أثناء سيارته لمعاوية

وهكذا يُحكى عن معاوية بن أبي سفيان أنه بينما هو يسير وشرحيل بن السميط^(١) يسايره، إذ راثت دابة شرحيل، وكان عظيم الهامة بسيط القامة. ففطن معاوية بروث الدابة، وساء ذلك شرحيل. فقال معاوية: يا أبا يزيد! إنه يقال إن الهامة إذا عظمت، دلت على وفور الدماغ وصحة العقل. قال: نعم يا أمير المؤمنين، إلا هامتي فإنها عظيمة، وعقلي ضعيف ناقص. فتبسم معاوية، وقال: كيف ذلك، والله أنت! قال: لإطعامي هذا النائل أمه البارحة مكوكي شعير. فضحك معاوية، وقال: أفضحت، وما كنت فاحشاً! وحمله على دابة من مراكبه^(٢).

(١) هو أبو السمح الكندي. كان من رجالات معاوية وأركان دولته، وكان يستشير في جلال الأمور ويعول عليه في حل المشكلات الجسام. وقد أرسله مع عمرو بن العاص لملاقة أبي موسى الأشعري في قضية التحكيم. وكان من قواد الجيوش ومن صناديد الفرسان المدودين، وأشترك في رئاسة الجيوش التي فتحت العراق والقادسية ويسان وأجنادين. وقد طلب من علي عليه السلام أن يدفع إليهم قتلة عثمان بن عفان إن لم يكن هو القاتل. وهو الذي فتح حمص ثم تولأها لمعاوية، وهو الذي قسم منازلها بين أهلها. وما يحسن ذكره للتعريف بجلالته في نفسه وقومه أنه أعتزل مع ولده بن معاوية حينما أطبقوا على منع الصدقة، وقال لهم: "إنه لقيح بالحرار [الأحرار] التنقل. إن الكرام ليلزمون الشبهة فيتكلمون أن ينتقلوا إلى أوضع منها، مخافة العار. فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل والحق، إلى الباطل والقيح؟ اللهم إنا لانمالي قومنا على ذلك!" توفي سنة ٤٠ أو سنة ٤٢. (ابن الأثير ج ٢ ص ٢٩١ و ٣٤٨ و ٣٧٤ و ٣٨٧ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٤٩٤ و ج ٣ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٩٧ و ٣٣٨، والأشتقاق لابن دريد ص ٢١٨، وتاج العروس في باب الباء وفي باب اللام)

(٢) اقتديت في هذا الموضوع بما فعله في صفحة ٧٩ طابع كتاب طراز المجالس للشهاب الخفاجي في المطبعة الوهية بالقاهرة. [وأنظر صفحة ١٣١ من هذا الكتاب].

(٣) رواها باختصار في "محاسن الملوك". (ص ٨٣)، وفي "الحاسن والمسايير" (ص ٤٩٧).

فليتنكب من يسير الملوك ما يقدي أعينهم بكل جهده. فإن لمسايرتهم شروطا يجب على من طلبها أن يستعملها ويتحفظ فيها. وقلمًا حظي أحد بمسايرة ملك حتى يكون قبلها مقدمات يجب بها الخطوة.

تحذير



تطير العجم من
مسايرة الملك
المتصلة

فأما نفس المسيرة للملك المتصلة، فإن الأعاجم كلها كانت تتطير منها وتكرهها. وأيضا فإن الملك لم يكن يثابر على مسايرة أحد من بطانته بعينه، لما كان يعلم من تطيرتهم من ذلك وكراهتهم له.

ويقال إن سعيد بن سلم^(١)، بيتا هو يسير موسى أمير المؤمنين، وعبد الله بن

ماحصل من
صاحب الشرطة
وهو يسير بين يدي
الهادي

(١) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي. كان بمنزلة عظيمة من الهادي ومن الرشيد بعده، وكان يركب معه في قبة واحدة. وقد استعمله الرشيد على الموصل، ثم على الجزيرة، ثم على أرمينية. فخرج الخزر عليه فهزموه وفعلوا الأفاعيل المنكرة التي لم يسمع بمثلها الناس. فأرسل الرشيد رجلين فأصلحا ما أفسده. ثم ولاه مرعش فأغارت الروم عليها وأصابوا من المسلمين وأنصرفوا، ولم يتحرك سعيد من موضعه. وكان ذلك سنة ١٩١. قال سعيد إن أعرابيا مدحه بيتين لم يسمع أحسن منهما:

أبا ساريا بالليل، لا تخش ضلّة! * سعيد بن سلم ضوء كل بلاد.

لنا مكرم أربي على كل مكرم، * جواد حثا في وجه كل جواد.

فأغفل صلته فهجاه بيتين لم يسمع أحجى منهما:

لكل أخى مدح ثواب علمته، * وليس لمدح الباهلي ثواب.

مدحت ابن سلم، والمدح مهزلة، * فكان كصفوان عليه تراب.

(ابن الأثير ج ٦ ص ٧١ و ٨١ و ١٠٥ و ١١١ و ١١٢ و ١٤١؛ و"الأغانى" ج ١٧ ص ٣٢

وج ٢١ ص ٢٣٤؛ و"عيون الأنباء" ج ١ ص ١٥٤؛ و"أمالى القالى" ج ٢ ص ٢٧)

(١) مالك [الخزاعي] أمامه، والحربة في يده، فكانت الريح تَسْفِي التراب الذي تُشيرُه دابة عبد الله في وجه موسى، وعبد الله لا يشعُر بذلك، وموسى يحيد عن سَنَنِ التراب. وعبد الله في خلال ذلك يلحظ موسى وموضعه، فيطلب أن يجاذبه. فإذا حاذاه، ناله من ذلك التراب ما يؤذيه. حتى إذا كثرت ذلك من عبد الله، ونال موسى أذى ذلك التراب، قال لسعيد: أما ترى ما نلتقي من هذا الخائن في مسيرنا هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين! والله ما قصر في الاجتهاد، ولكنه حَرَمَ حَظَّ التوفيق. (٤)

ما قاله عبد الله بن الحسن للسفاح

وفيما يُذكر عن عبد الله بن حسن أنه بينما هو يسير بأب العباس [السفاح] بظاهر مدينة

(١) كان صاحب الشرطة في أيام المهدي فلهادي فالرشيد. وكان من أكابر القواد وتولى أرمينية وأذربيجان. له مع الهادي حكاية ظريفة ذكرها ابن الأثير (ج ٦ ص ٧٠ و ٧١). وكان بينه وبين يحيى بن خالد البرمكي عداوة وتحاسد، وانتهت بتصالحهما على يد أحد المزورين من حيث لا يعلمان ولا يعلم (ساقها في المحاسن والمساوي ص ٤١٥ - ٤١٦). وفيه يقول أحد الشعراء في شكاة أشتكاها:

ظَلَّتْ عَلَى الْأَرْضِ مُظْلَمَةٌ * إِذْ قِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ قَدْ وَعَكَأَ.

يا ليت ما بك بي، وإن تَلَفَّتْ * نفسى لذاك! وقَلَّ ذاك لَكَ!

(أنظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦٥ و ٦٨ و ١٢٥ و ١٣٤ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٥ و ١٥٣ و ١٥٤) وأنظر الأغاني ج ٥ ص ٥ و ٨ ص ١٠٥ و ج ١٦ ص ١٦٧). [وأنظر صفحة ٩٢ من هذا الكتاب]. (٢) يستفاد من كلام المحاضر هنا مضافاً إليه كلام ابن الأثير (في ج ٦ ص ٦٥ وفي ج ٧ ص ٧٦) أن من شعار الخليفة وولى عهد أنه يسير قائداً بحربة بين يدي كل منهما.

(٣) كذا في سه، صه، وفي العقد الفريد وفي المحاسن والمساوي. ولعل الأصل: "المائق".

(٤) نقل ابن عبد ربه هذه الحكاية باختصار في مقدمتها ولم يُشر إلى مصدرها. (العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٦)

ونقلها بالحرف في "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٧)

(٥) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وله أخبار ووقائع كثيرة مع السفاح والمنصور. لأن السفاح آجتهد في ترصيه حتى لا يطالب بالخلافة. وكذلك فعل المنصور. ولكن ولديه محمدًا النفس الزكية وإبراهيم خرجا على المنصور. (أنظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٣٤ والأغاني ج ١٨ ص ٢٠٣ - ٢٠٩ والطبري والكامل للبرد بمقتضى فهارسهما).

الأنبار وهو ينظر إلى بناء قد بناه، فقال أبو العباس له: هات ما عندك، يا أبا محمد!
(١) وهو يستطعمه الحديث بالأنس منه) فأنشده:

أَلَمْ تَرَ مَالِكًا لَمَّا تَبَّنَى * بِنَاءً نَفَعَهُ لِنِي بَقِيلَةَ؟
يَرْجَى أَنْ يَعْمَرَ عَمْرَ نُوحٍ، * وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ!

فتبسّم أبو العباس كالمغضب، وقال: لو علمنا، لأشترطنا حقّ المسائرة! فقال
عبد الله: يا أمير المؤمنين، بوادر الخواطر وإغفال المشايخ! قال: صدقت، خُذْ
في غير هذا. (٢)

وذكر المديني أن عيسى بن موسى، (٣) بينا هو يسير أبا مسلم عند مُنصرَفِه
(٤)

ماقاله الهاشمي لأبي
مسلم الخراساني

(١) سم: يستفهمه.

(٢) روى صاحب "مخاسن الملوك" هذه القصة (ص ٨٣ و ٨٤)، ورواها أيضا صاحب الأغاني
(جزء ١٨ ص ٢٠٦) باختصار، وأورد البيت الأول هكذا:

أَلَمْ تَرَ حَوْشِبَا أَمْسَى يَبْنَى * بِنَاءً نَفَعَهُ لِنِي بَقِيلَةَ

ونقيلة تصحيف في المخاسن وفي الأغاني، إذ لم يرد في أسماءهم، والذي ورد من هذه المادة إنما هو نقيل.
وأما بقيلة فهو الاسم الصحيح الوارد في متون اللغة وكتب التاريخ. قال ابن دُرَيْد: "ومهمم (أي من العرب) بنو سَيْنِ
وهم بالحيرة منهم بقيلة صاحب القصر الذي يقال له قصر بني بقيلة بالحيرة. منهم عبد المسيح بن عمرو بن حيان
١٥ ابن بقيلة الذي صالح خالد بن الوليد على الحيرة، وكان من المعمرين وهو الذي بعث به كسرى أبرويز إلى
سطيح بالشام في رؤيا الموبدان، وله حديث." وفي حاشيته مانصه: "في معجم الشعراء للرزباني رحمه الله:
عبد المسيح بن بقيلة الغساني هو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة. وبقيلة اسمه ثعلبة بن سَيْنِ
ويقال الحارث. وسمى بقيلة لأنه خرج في بُرْدَيْنِ أخضرين، فقيل له: يا حارث! ما أنت إلا بقيلة خضراء.
٢٠ فقلبت عليه. (الأشتقاق ص ٢٨٥)؛ وراجع الطبري وابن الأثير في فهارسهما؛ وتاج العروس في ب ق ل،
ون ف ل؛ والمسعودي ج ١ ص ٢١٧-٢٢٢ وج ٢ ص ٢٢٨؛ وكتاب البلدان لليعقوبي ص ٣٠٩. وقد
أورد هذه الحكاية صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٤) وجاء في النسخة المطبوعة: "بقيلة" بالنون والفاء.
وهو غلط أيضا من الناسخ أو الطابع. وأوردها أيضا في "المخاسن والمساوي" (ص ٤٩٨)، ولم يغلط
طابعه في "بقيلة".

(٣) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله الهاشمي (راجع فهارس ابن الأثير والأغاني).

(٤) هو أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية بخراسان. [وأظن ص ١٧٦ من هذا الكتاب وحاشية ٣ منها].

إلى أبي جعفر في اليوم الذي قُتل فيه، إذ أنشد عيسى:

سيأتيك ما أفنى القرون التي مضت، * وما حلَّ في أكفادٍ وجرهم،
ومن كان أنامى منك عزاً ومفخرًا، * وأنهدَّ بال جيش اللّهم العرمم^(٢).

فقال أبو مسلم: هذا مع الأمان الذي أُعطيْتُ؟ قال عيسى: أعتق ما أملك إن كان هذا لشيء من أمرك! وما هو إلاَّ خاطرُ أبداه لساني. قال: فبئس الخاطرُ واللهِ إذن!^(٣)

♦♦

ومن حقَّ الملك أن لا يُسمَى ولا يُكنَى في جدِّ ولا هنزٍ ولا أنيسٍ ولا غيره. ولولا أن القدماء من الشعراء كَنَتِ الملوك وسمَّتهم في أشعارها وأجازت ذلك وأصطلحت عليه، ما كان جراً من كنى ملكاً أو خليفةً إلا العقوبة. على أن ملوك آل ساسان لم يُكنَّها أحدٌ من رعاياها قطُّ ولا سمَّها في شعرٍ ولا خطبةٍ ولا تقرُّيب ولا غيره. وإنما حدث هذا في ملوك الحيرة.^(٤)

عدم تسمية الملك
أو تكتيته

(١) ص: أدنى.

(٢) كثير النهود أو النهوض بأمر الجيش والقيام بأعبائه.

(٣) نقلها في "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٨).

(٤) أظن ياقوت في وصف هذه المدينة وأحوالها وأساطيرها في الجاهلية، ولم يذكر لنا شيئاً عنها في أيام عظمتها على عهد الإسلام. وإنما استفدنا منه أنها بقرب النَّجف. ولذلك رأينا أن ثبت هنا ما جاء عنها في الأغاني (ج ٨ ص ١٢٥) ليعرف القارئ مكاتبا التي دخلت الآن في خبر كان. قال:

« كان بعض ولادة الكوفة يذم الحيرة في أيام بني أمية. فقال له رجل من أهلها، وكان عاقلاً ظريفاً:

— أتعيب بلدة بها يضرب المثل في الجاهلية والإسلام؟

— وبما ذا تُمدح؟ =

والدليل على ذلك أنه لو سُمِّي أحدٌ من الخطباء والشعراء في كلامه المنثور مَلِكًا

== بصحة هوائها ، وطيب ماؤها ، وزهه ظاهرها . تصلح للحفّ والظلف . سهل وجبل ، وبادية وبستان ، وبرّ وبحر ، محلّ الملوك ومزارهم ، ومسكنهم ومثواهم . وقد قدمتها - أصلحك الله - مُحِفًّا فرجعت مثقلًا ، ووردتها مُقَلًّا فأصارتك مُكثَّرًا .

٥ - فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل ؟

- بأن تصير إلى ، ثم أدع ماشئت من لذات العيش ، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه !

- فأصنع لنا صنيعا [Une partie de plaisir] ، وأنزج من قولك .

- أفعل - حل !

١٠ فصنع لهم طعاما ، وأطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها من طباخ ونعام وأرانب وحبّاري . وسقاهم ماءها في قلالها ، ونحرها في آينها . وأجلسهم على رُقُها ، وكان يُخَذُّها من الفراش أشياء طريفة . ولم يستخدم لهم حرا ولا عبدا إلا من مولديها ومولداتها ، من خدام ووصائف كأنهم اللؤلؤ ، لغتهم لغة أهلها . ثم غنّاهم حنين وأصحابه في شعر عدّي بن زيد ، شاعرهم ، وأعشى همدان لم يتجاوزهما . وحيّاهم برياحينها . وقفلهم على نحرها - وقد شربوا - بفواكهها . ثم قال :

- هل رأيتني أستعنت على شئ . مما رأيت وأكلت وشربت وأقترشت وشممت وسمعت ، بغير ما في الحيرة ؟

١٥ - لا ، والله ! ولقد أحسنت صفة بلدك ، ونصرتَه فأحسنت نصرتَه والخروج مما تضمّنته . فبارك الله لكم

في بلدكم !

وكان ابن شبرمة يقول : "يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنتين" . (كتاب البلدان للهمداني ص ٢٦٢) . وعن أهلها أخذت قريش الزندقة في الجاهلية ، والكتابة في بحر الإسلام (الأعلاق النفيسة لابن رُسْتَه ص ١٩٢ و ٢١٧) .

٢٠ وكانت عمارة الكوفة سببا لخراب الحيرة . وقد أتى على الكوفة الزمان ، وكذلك الأمر في واسط وسمر من رأى . وأنت عليم بما صارت إليه البصرة وبغداد . وهذه السنة هي أكبر أمصار العراق في عهد الخلافين . وناهيك بها من أمصار رفعت للحضارة أعلى منار ! فسبحان من بيده ملكوت الأرض والسما ! يتصرف بالبلاد والعباد كما يشاء !

أو خليفة وهو يُخاطبه بأسمه ، كان جاهلا ضعيفا خارجا من باب الأدب .
 (١)
 ولولا أن الاصطلاح منعنا إيجاب المنع من ذلك ، كان من أول ما يجب .
 (٢)

ولا أدري لم فعل القدماء ذلك ، كما أنى لا أدري لم أجازته ملوكها ورضيت
 به ، إذ كانت صفة الملوك ترتفع عن كل شئ وترقى عنه .
 (٣)

وكانت الجفافة من العرب بسوء أدبها وغلظ تركيبها - إذا أتوا النبي (صلى الله عليه
 وسلم) - خاطبوه ودعوه بأسمه وكُنيتيه . فأما أصحابه ، فكانت مخاطبتهم إياه : "يا رسول
 الله !" و"يا نبي الله !"

٧٠

(١) ص: "الاضطلاع" و"بجانها" "الاصطلاح" . وفي س: "الاصلاح .

(٢) سبق الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي إلى تقرير هذه القاعدة . فهو أول من منع الناس أن يتادوه
 بأسمه . (محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر) . ولكن يظهر أن ذلك الأمر ترانخي بتداول العهد ، فعاد القوم
 إلى ما كانوا عليه .

(٣) على أن أهل الأدب ورواة الأشعار كانوا يتحرون عند إنشاد القصائد على أحد الخلقاء والأمراء .
 فيخبرونها من التي لا يكون فيها أسم معشوقة يشابه أسم أم له أو أبنه أو أخته أو زوجة (الأغانى ج ٥ ص ١٧٤) .
 وفي "محاسن الملوك" (ص ٢٩) أن إبراهيم بن المهدي قال : كنت عند الرشيد ، فأهديت له أطباق
 ومعها رُقعة . فلما قرأها ، استمغزها الطرب . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما الذي أطربك ؟ فقال : هذه هدية
 عبد الملك بن صالح . ثم نبذ إلى الرُقعة ، فإذا فيها بعد البسملة : "دخلت ، يا أمير المؤمنين ، بسنانا عمرته بنعمتك .
 وقد أبعثت أثمانه وفاكته . فأخذت من كل شئ ، (وعدد أنواعا من الفاكهة) وصيرته في أطباق القُضبان
 ووجهته لأمر المؤمنين ، ليصل إلى من بركة دعائه ، ما وصل إلى من بره ونعانه" . قلت : يا أمير المؤمنين ،
 وما في هذا يقتضى هذا السرور؟ فقال : ألا ترى إلى ظرفه ، كيف قال : "القُضبان" ؟ فكفى به عن
 الخبز ران ؛ إذ كان يجرى به أسم أمنا .

١٠

١٥

٢٠

وهكذا يجب للوك أن يقال في مخاطبتهم: يا خليفة الله! ويا أمين الله! ويا أمير المؤمنين! (٣)

(١) لم يرض أبو بكر الصديق بأن يُسمى خليفة رسول الله (كما في لسان العرب ج ١٠ ص ٤٣٧) فضلا عن أن يُسمى خليفة الله. ولكن الكتاب والشعراء جرى اصطلاحهم على خلاف ذلك. قال الزجاج: جاز أن يقال للائمة "خلفاء الله في أرضه" بقوله تعالى: "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (لسان العرب ج ١٠ ص ٤٣١). وقال جرير: "خليفة الله ماذا تأمرن بنا؟" وقال أيضا: "خليفة الله يُستسقى به المطر". وقال بشار (وإن كان من باب التهم):

صاعث خلافتكم، يا قوم، فآلمسوا * خليفة الله بين الرقِّ والعود!

وقد قال صاحب محاضرة الأوائل إن المعتصم بن الرشيد هو أول من تلقب بخليفة الله. فعمل ذلك كان بصفة رسمية في المكاتبات الصادرة عن ديوانه. وإلا فقد رأينا من الأشعار السابقة أن هذا اللقب كان موجودا فعلا. (٢) قال حسّان بن ثابت يرثي عثمان بن عفّان.

إني رأيت أمينَ الله مضطهدًا * عثمان رهنا لدى الاجداث والكفن.

(٣) قال في "محاسن الملوك" بهذه المناسبة (ص ٢٥ - ٢٧) ما نصّه:

«وإنما يتسامح بذلك للشعراء. وما زالت الشعراء يمدحون الملوك بأسمائهم، ولا يُنكر ذلك عليهم. كقول الشاعر، وهو حسّان:

هَجَّوَتْ مَجْدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ * وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجِزَاءُ.

وكقول المرأة تخاطبه:

أحمد، وولدتكِ ضنء كريمة * في قومها والفعلُ فحلُّ معرُق!

رُوي أنه قدم رجل من الأعراب على عمر رضی الله عنه ومعه صبيّة له وأهله، فقال تخاطبه:

يا عمر الطير جريت الجنة * أكنس بيّاتي وأمهنه

أقسم بالله لتفعلنه

فقال عمر: يكون ماذا؟ فقال:

يكون عن حالي لتسألنه =

الأدب في حالة
مشابهة الاسم
لإحدى صفات
الملك أو لاسمه

ومن حقَّ الملك، إذا دخل عليه رجلٌ، وكانَ اسمُ ذلك الرجلِ الداخل أحدَ صفاتِ الملكِ، فسأله الملكُ عن اسمه، أن يُكِنِّي عنه ويُجيبَ بِاسمِ أبيه. كما فعل سعيدُ

== فقال عمر: متى؟ قال:

يومَ تكونُ الأعطياتُ جنةً * والواقفُ المسؤُولُ بينهنَّ
إِما إلى نارٍ وإِما جَنَّةً.

فبذ عمر رضى الله عنه قيصه، وقال: هذا جنة ذلك اليوم!

وروى أن الرشيد جلس يوماً للظالم فرأى في الناس شيخاً حسن الهيئة. فلما تقوض المجلس، قام الشيخ وبيده قصته، فأمر بأخذها. فقال: إن رأيت أمير المؤمنين أن يأذن لي في قراءتها، فإنني أحسن تعبيراً لخطي. قال: اقرأ! قال: يا أمير المؤمنين، إني شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ، والمقام عظيمٌ. فإن رأيت أمير المؤمنين أن يأذن لي في الجلوس؟ فقال: اجلس! اجلس. ثم قال:

ياخيرَ من جدتَ لرحلتِهِ * نُجِبُ الرِكابِ بِمَهْمِهِ جَلِسِ!

يقول فيها:

لما رأتك الشمسُ طالعةً، * سجدتُ لوجهك طلعةُ الشمسِ.
خيرُ السريةِ أنتَ كلِّهمِ * في يومك الغادى وفي أمسِّ،
وكذلك لم تنفكَّ خيرهمِ * تسمى، وتصبح فوق ما تسمى.
لله ياهرونُ من ملكٍ * عفَّ السريةِ طاهرِ النفسِ!
نمتَ عليه لربه نَعَمٌ * تزدادُ جدتها على اللبسِ.

(أردتُ قوله "لله ياهرون")

وبقية الشعر:

من عترة طابت أرومتها، * أهل العفاف ومنتهى القدس.
متهللين على أسرتهنم * ولدى الهياج مصاعب تشمس =

ابن مرة الكندي، حين أتى معاوية فقال له: أنت سعيد؟ فقال: أمير المؤمنين
السعيد، وأنا ابن مرة! (١)

وكما قال السيد بن أنس الأزدي - وقد سأله المأمون عن اسمه - فقال: أنت السيد؟
قال: أمير المؤمنين السيد، وأنا ابن أنس! (٢)

وهكذا جاءنا الخبر عن العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وصنواييه. قيل له: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: هو أكبر مني، وولدت أنا قبله! (٣)

= إني لجأت إليك من فرع * قد كان شردني من الأئس .

لما استخرت الله مجتهداً ، * يمتت نحوك رحلة العئس .

وأخترت حهلك لا أجازه * حتى أغيب في ثرى الرئس .

فلها أتى على آخرها، قال: من يكون الشيخ؟ قال: علي بن الخليل الذي يقال إنه زنديق. قال: أنت آمن!
وأمر له بحسبائة ألف درهم.

وأما من سوى الشعراء، فليقل: أيها الخليفة! أو يا أمير المؤمنين! أو يا سلطان العالم! أو يا أمين الله
أو يا أمير المسلمين!

قال المعيرة لعمر رضى الله عنهما: يا خليفة الله! فقال له عمر: ذلك نبي الله داود! قال: يا خليفة رسول

الله! قال: ذلك صاحبكم المفقود! قال: يا خليفة خليفة رسول الله! قال: ذلك أمر يطول! قال:
يا عمر! قال: لا تجنحس مقامى شرفه! أتم المؤمنون، وأنا أميركم. فقال المعيرة: يا أمير المؤمنين! «

(١) روى ذلك صاحب "محاسن الملوك" (ص ٢٨)، ورواها في "المحاسن والأضداد" (ص ٢١)

وفي "المحاسن والمساوى" (ص ٤٩٠)

(٢) أنظر المحادثة بعبارة أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧).

(٣) أنظر رواية أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧)؛ وأنظر "المحاسن والأضداد"

(ص ٢١) و"المحاسن والمساوى" (ص ٤٩٠).

ألا تراه (رحمه الله) كيف تخلّص إلى أحسن الأحوال في الأدب، فأستعمله؟^(١)
وعلى هذا المثال يجب أن تكون مخاطبة الملوك، إذ كانت صيغتهم غير صيغ العامة،^(٢)
كما قال أردشير بن بابك في عهده إلى الملوك.



الأمور التي يتفرد
بها الملك في عاصمته

ومن حقّ الملك أن يتفرد في قرار داره بثلاثة أشياء، فلا يطمع طامع في أن
يشركه فيها.

(١) وما يدخل في هذا الباب ما حكاه ياقوت الحموي في معجم الأدياب (ج ١ ص ١٤٩ طبع الأستاند
مرجوليوت) أن "أبازيد البلخي لما دخل على أحمد بن سهل - أول دخوله عليه - سأله عن اسمه . فقال : أبوزيد .
فعجب أحمد بن سهل من ذلك حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته ، وعدّ ذلك من سقطاته . فلما خرج ، ترك
خاتمه في مجلسه عنده . فأبصره أحمد بن سهل ، فأزداد تعجبا من غفلته . فأخذه بيده ونظر في نقش فضّه ،
فأذا عليه : أحمد بن سهل . فعلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للواقفة الواقعة بينه وبين اسمه ، وأنه أخذ
بحسن الأدب وراعى حدّ الاحتشام ، واختار وصحة التزام الخطأ في الوقت والحال ، على أن يتعاطى اسم الأمير
بالاستعمال والابتدال ."

وروى ابن عبد ربه (ج ١ ص ٢٧٣) في هذا المعنى أيضا أنه قيل لأبي وائل : أيكأ أكبر ، أنت
أم الربيع بن خيثم؟ قال : أنا أكبر منه سنًا ، وهو أكبر مني عقلا .
وقال معاوية لأبي الجهم العدوي : أنا أكبر أم أنت؟ فقال : لقد أكلت في عرس أمك ، يا أمير المؤمنين .
قال : عند أي أزواجها؟ قال : عند حفص بن المغيرة . قال : يا أبا الجهم ، إياك والسلطان ! فانه يفضض غضب
الصبي و يأخذ أخذ الأسد . (ابن عبد ربه ج ١ ص ١٢) . قال الحجاج للهلب : أنا أطول أم أنت؟ فقال :
الأمير أطول ، وأنا أبسط قامةً منه . (المحاسن والأضداد ص ٢٢ ، والمحاسن والمساوي ص ٤٩٠)

وكان الأولى به أن يقتدى بطويس المغني المشهور فقد سأله سعيد بن عثمان بن عفان : أينا أسن؟ فقال :
"أبي وأمي أنت ! لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب . " ثلاثا يومهم أمرا . (ابن عبد ربه
ج ١ ص ٢٧٣ ، ومحاضرات الراغب ج ١ ص ١١٧) . وأورد الجاحظ قبل غيره هذه الحكاية وعلق
عليها تعليقا لطيفا ، فقال : فأنظر الى حذقه وإلى معرفته بخارج الكلام ! كيف لم يقل " بزفاف أمك الطيبة
إلى أبيك المبارك " (أنظر البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٤)
(٢) ص : " كانت صيغهم غير صيغ العامة . "

فمنها الحجامة، والفصد، وشرب الدواء. فليس لأحد من الخاصة والعامة ممن
في قصبة دار المملكة أن يشركه في ذلك.

وكانت ملوك الأعاجم تمنع من هذا وتعاقب عليه وتقول: "إذا أراق الملك
دمه، فليس لأحد أن يريق دمه في ذلك اليوم حتى يساوى الملك في فعله، بل على
الخاصة والعامة الفحص عن أمر الملك، والتشغل بطلب سلامته، وظهور عافيته،
وكيف وجد عاقبة ما يعالج به."

وليس الاقتفاء بفعل الملك في هذا وما أشبهه من فعل من تمت طاعته وصحت
نيتته وحسنت معونته، لأن في ذلك استهانة بأمر الملك والمملكة.

ومن قصد إلى أن يشرك الملك في شيء يجد عنه مندوحة ومنه بدءاً، بالمهل
المبسوطة والأيام الممدودة، فهو عاصٍ مفارق للشريعة.

ويقال إن كسرى أنوشروان كان أكثر ما يحتجم في يوم السبت. وكان المنادى
- إذا أصبح في كل يوم سبت - نادى: "يا أهل الطاعة! ليكن منكم ترك الحجامة
في هذا اليوم على ذكر! ويا حجامون! اجعلوا هذا اليوم لنسائكم وغسل ثيابكم!"
وكذا كان يفعل في يوم فصد العرق وأخذ الدواء.

٧٢

١٥

❖❖

ومن حق الملك - إذا عطس - أن لا يسمت، وإذا دعا، لم يؤمن على دعائه.
وكانت ملوك الأعاجم تقول: "حقيق على الملك الصالح أن يدعو للرعية الصالحة،
وليس بحقيق للرعية الصالحة أن تدعو للملك الصالح: لأن أقرب الدعاء إلى الله دعاء
الملك الصالح."

عدم تسميت الملك
وعدم التأمين
على دعائه.

ومن حقِّ الملك أن لا يعزِّيَه أحدٌ من حاشيته وحامته وأهل بيته وقربته .
 وإنما جعلت التعزية لمن غاب عن المصيبة ، أو لمن قاربَ الملك في العزِّ والسلطان
 والبهاء والقدرة . فأما من دون هؤلاء ، فينبهون عن التعزية أشدَّ النهي .^(١)

وفيما يُذكر عن عبد الملك بن مروان أنه مات بعض بنيه وهو صغير ، فجاهه الوليد
 فعزاه ، فقال : يا بُني ! مصيبتى فيك أقدم في بدنى من مصيبتى بأخيك ! ومتى رأيت
 أبناً عزى أباه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! أمي أمرتني بذلك . قال : ذاك يا بُني
 أهونٌ عليَّ ! وهذا العمري من مشورة النساء !^(٢)

ومن أخلاق الملك سرعة الغضب ، وليس من أخلاقه سرعة الرضا .

فأما سرعة الغضب ، فإنما تأتي الملك من جهة دوام الطاعة . وذلك لأنه لا يدور
 في سمعه ما يكره في طول عمره . فإذا ألقت النفس هذا العزِّ الدائم ، صار أحد صفاتها .
 فمتى أقرع حسَّ النفس ما لا تعرفه في خلقها ، نفرت منه نفورا سريعا ، فظهر الغضب ،
 أنفةً وحميةً .

وأما رضا الملك فبطيءٌ جدا . لأنه شيءٌ يمانعه النفس أن يفعله ، وتدفعه عن
 نفسها . إذ كان في ذلك جنسٌ من أجناس الاستخزاء ، وخلقٌ من أخلاق العاقمة .

(١) ص : والقراءة .

(٢) روى صاحب "المحاسن والمساوى" هذه القصة (ص ٥٨٥ - ٥٨٦) ورواها صاحب "محاسن
 الملوك" (ص ٣٤) وختمها بأن عبد الملك قال لأبنته : "والله لتعزيتك إياي أهون عليَّ من قبولك
 مشورة النساء !" [وهي أحسن من روايتنا .] ثم أضاف على ذلك أن "يزيد بن معاوية وعمر بن عبدالعزيز
 وغيرهما من ملوك الإسلام لا يرون بذلك بأساً ."

غضب السفاح
على أحد رجاله

وهكذا يُحكى عن أبي العباس أنه غَضِبَ على رجل ذهب عني اسمه، فذكره
ليلةً من الليالي. فقال له بعض سُمَّارِه: يا أمير المؤمنين! فلانٌ لو رآه أعدى خَلْقِ الله
له، لرحمه وأنصر له قلبه. قال: ولمَ ذاك؟ قال: لغضب أمير المؤمنين عليه. قال:
١٠ ماله من الذُّب ما يبلغ به من العقوبة هذا الموضع. قال: فَمَنْ عليه، يا أمير المؤمنين،
برضاك. قال: ما هذا وقت ذلك! قال: قلتُ إنك يا أمير المؤمنين لما صغرتَ ذنبه،
طمعتُ في رضاك عنه. قال: إنه من لم يكن بين غضبه ورضاه مدَّة طويِّلة، لم يَحْسُنْ
أن يغضب ولا يرضى.

٧٤

وعلى هذا أخلاقُ الملوِّك وصنيعُهم.

وكذا جرى لعبد الله بن مالك أنْ حَزَّاعَى مع الرشيد، حين غضب عليه. أمرَ أهله
١٠ وحَسَمَه وجميعَ قرابته أن يجتنبوا كلامه وخدمته ومعاطاته حتى أثر ذلك في نفسه
وبدنه. فتحاماه أقرب الناس منه من ولد وأهل، فلم يدن منه أحدٌ ولم يَطْفُ به.
بخاءه محمد بن إبراهيم الهاشمي - وهو كان أحد أودائه - في جوف الليل، فقال له:
يا أبا العباس! إن لك عندي يداً لا أنساها ومعروفا ما أكفره. وقد علمت ما تقدّم به
أمير المؤمنين في أمرك. وها أنا ذا بين يديك ونُصِبَ عينيك! فَمَرَّنِي بأمرك! فوالله

غضب الرشيد
على أحد قواده

(١) يقال في اللغة عَصَرَ العنب ونحوه فأنعصر. وفي المقضيات:

وهي لو يُعَصَّرُ مِنْ أَرْدَانِهَا * عَبِقَ الْمِسْكُ، لَكَانَتْ تَعَصَّرُ.

ومن شواهد النجاة:

خَوْدٌ يَغْطِي الْفَرْعَ مِنْهَا الْمُؤَزَّرُ * لَوْ عَصَرَ مِنْهَا أَلْبَانُ وَالْمِسْكُ، أَنْعَصَرَ.

وكنى الجاحظ بآنعصار القلب عن شدة الألم لحال الرجل. ومن مجاز الأساس: "أنا معصور اللسان"

أى يابسه عطشا.

(٢) [أنظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٨١ من هذا الكتاب.]

(٣) أكثر العرب على ضم النون، كما في شفاء الغليل.

لأجعلن نفسي وقايةً نفسك، أو أسوقها في كل ما نكأها أو جرحها. فقال له عبد الله
 خيرا، وأثنى عليه، وأخبره بعذره في موجدة أمير المؤمنين عليه. فوعده محمد أن يكلم
 أمير المؤمنين ويخبره بأعتذاره. فلما أصبح محمد وافاه رسول أمير المؤمنين، فركب.
 فلما دخل عليه، قال: من أتيت في هذه الليلة؟ قال: عبدك يا أمير المؤمنين،
 عبد الله بن مالك، وهو يحلف بطلاق نسائه وعتق ممالিকে وصدقة ماله مع عشرين
 نذرا يهديها إلى بيت الله الحرام حافيا راجلا، والبراءة من ولاية أمير المؤمنين إن كان
 ما بلغ أمير المؤمنين سمعه الله من عبد الله بن مالك، أو أطلع عليه أو هم به أو أضمره
 أو أظهره. قال: فأطرق الرشيد مديبا مفكرا. وجعل محمد يلحظه، ووجهه يسفر
 ويشرق حتى زال ما وجدته. وكان قد حال لونه حين دخل عليه. ثم رفع رأسه
 فقال: أحسبه صادقا، يا محمد. فمره بالروح إلى الباب. قال: وأكون معه يا أمير المؤمنين؟
 قال: نعم. فأنصرف محمد إلى عبد الله، فبشره بجميل أمره، وأمره بالركوب رواحا.
 فدخلوا جميعا. فلما بصر عبد الله بالرشيد انحرف نحو القبلة فخر ساجدا، ثم رفع
 رأسه. فاستدناه الرشيد. فدنا وعيناه تهملان. فأكب عليه فقبل رجله وبساطه
 وموطئ قدميه، ثم طلب أن يأذن له في الأعتذار. فقال: ما بك حاجة إلى أن تعتذر،
 إذ عرفت عذرك. قال: فكان عبد الله بعد، إذا دخل على الرشيد، رأى فيه بعض
 الإعراض والأتقباض. فشكا ذلك إلى محمد بن إبراهيم. فقال محمد: يا أمير المؤمنين! إن
 عبد الله يشكو أثرا باقيا من تلك النبوة التي كانت من أمير المؤمنين، ويسأل الزيادة

(١) أوجب وقوع النكايه بها.

(٢) أصابها بجراحة.

في بسطه له . فقال الرشيد : يا محمد ! إنا معشر الملوك ، إذا غضبنا على أحد من بطانتنا
ثم رضينا عنه بعد ذلك ، بقي لتلك الغضبة أثر لا يخرجها ليل ولا نهار .^(١)

ومن حق الملك أن يكتم أسرارَه عن الأب والأم والأخ والزوجة والصديق .

كتم الملك أسرارَه

فإنَّ الملكَ يَحْتَمِلُ كُلَّ منقوص ومأنوف ، ولا يَحْتَمِلُ ثلاثةً : صفة أحدهم أن
يطعن في ملكه ؛ وصفة الآخر أن يُدبِع أسرارَه ؛ وصفة الآخر أن يُحُونَه في حرمه .^(٢)



فأما من وراء ذلك ، فمن أخلاق الملوك أن تلبس خاصتها ومن قرب منها على
ما فيهم ، وأن تستمع منهم إذا سَمِعُوا من هذه الصفات الثلاث .

وكان كسرى أبرويز يقول : "يجب على الملك السعيد أن يجعل همه كله في امتحان

أهل هذه الصفات ، إذ كانت أركان الملك ودعائمه" .^(٣)

فكانت محتته في إذاعة السرِّ عجيبة . وللقائل أن يقول فيها إنها خارجة من باب
العدل ، داخله في باب الظلم والجور ، وللاخر أن يقول إنها من الحكماء من الملوك .

امتحان أبرويز
رجاله في حفظ السرِّ

وكان إذا عرف من رجلين من بطانته وخاصته التحاب والألفة والاتفاق في كل
شيء وعلى كل شيء ، خلا بأحدهما فأفضى إليه بسرِّ في الآخر ، وأعلمه أنه عازم على
قتله ، وأمره بكتان ذلك عن نفسه ، فضلا عن غيره . وتقدم إليه في ذلك بوعيده .

(١) نقل هذه القصة في "الحاسن والمساوي" (ص ٥٤٢ - ٥٤٣) .

(٢) أي الرجل المكره . وهذه الكلمة ساقطة في ص .

(٣) قارن ذلك بما في محاضرات الراغب . (ج ١ ص ١١٨) . وهذه المقولة منسوبة بلفظ آخر لابي

جعفر المنصور العباسي . (أظهرها في الحاسن والأضداد ص ٢٨ ، والحاسن والمساوي ص ٤٠٢) .

(٤) في "حاسن الملوك" (ص ٥٤) مانصه : وأما كتمان سرِّ السلطان فهو ملاك الأمر ونظام الملكة وسبب بقاء
الدولة . كان أبرويز إذا دخل إليه وزيره وصاحب سرِّه ، لم يفاضه في شيء حتى لا يبقى عنده أحد . فإذا لم يبق
أحد ، أمر أن تُرفع الستائر عن لعله يكون وراءها . فإذا علم أنه ليس أحد وراءها ، فافوض بسرِّه .

ثم جعل محنته في إذاعة سرِّه ملاحظة صديقه في دخوله عليه وخروجه من عنده،
وفي إسفار وجهه ولقائه للملك. فإن وجد آخر أمره كأقوله في أحواله، علم أن
الآخر لم يفيض إليه بسرِّه ولم يُظهره عليه، فقرَّبه وأجتاباه ورفع مرتبته وحباه،
ثم خلا به، فقال: "إني كنت أردتُ قتلَ فلان لشيءٍ بلغني عنه. فبحثتُ عن أمره
فوجدته باطلاً." (١)

وإن رأى من صاحبه نفور نفس وأزورار جانب وإعراض وجه، علم أنه قد
أذاع سرِّه، فأقصاه وأطرحه وجفاه، وأخبر صاحبه أنه أراد محنته بما أودعه من
سرِّه. فإن كان هذا من أهل المراتب، وضع مرتبته، وإن كان من الندماء، أمر
أن يُجَبَّ عنه، وإن كان من أصحاب الأعمال، أمر أن [لا] يُستعان به، وإن
كان من سدنة بيوت النيران، أمر بعزله وإسقاط أرزاقه. ويقول: "من لم يصلح
لملكه، لا يصلح لنفسه، ومن لم يصلح لنفسه، فلا خير عنده." ويقول: "إن القلب
أعدل على القلب شهادة من اللسان، وقيل شيء يكون في القلب إلا ظهر في العينين:
إذ كانت الأعضاء مشتركة يتعلَّق بعضها ببعض." (٢)

فأما محنته في الحرم، فكان إذا خفف الرجل على قلبه وقرب من نفسه، وكان عالماً
يُظهر التألُّه، وكان عنده ممن يصلح للأمانة في الدماء والفروج والأموال على ظاهره،
أحب أن يمتحنه بمحنة باطنة. فيأمر به أن يحول إلى قصره ويفرغ له بعض الحجر
التي تقرب منه، ولا يحول إليها امرأة ولا جارية ولا حرمة ويقول له: "إني أحبُّ
الأنس بك في ليلى ونهارى. ومتى كان معك بعض حرمك، قطعك عنى وقطعت عنك.

(١) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه العبارة باختصار. (ص ٥٤ - ٥٥)

(٢) سه : إن القلب ليظهر ما فيه في العينين.

فَجَعَلَ مُنْصَرِّفَكَ إِلَىٰ مِثْلِ نِسَائِكَ فِي كُلِّ نَحْسٍ لَيْالٍ لَيْلَةً. “ فإذا تحوّل الرجلُ وخلا به وآنسه وكان آحرَ مَنْ ينصرف من عنده، فيتركه على هذه الحال أشهراً .

فَأَمْتَحَنَ رُجُلًا مِنْ خَاصَّتِهِ بِهَذِهِ الْمِحْنَةِ فِي الْحَرَمِ، ثُمَّ دَسَّ إِلَيْهِ جَارِيَةً مِنْ خَوَاصِّ جَوَارِيهِ وَوَجَّهَ مَعَهَا إِلَيْهِ بِالطَّافِ وَهَدَايَا. وَأَمْرَهَا أَنْ لَا تَقْعُدَ عِنْدَهُ فِي أَوَّلِ مَا تَأْتِيهِ. فَلَمَّا أَتَتْهُ بِالطَّافِ الْمَلِكِ، قَامَتْ. فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَنْصَرَفَتْ. حَتَّىٰ إِذَا كَانَتْ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ، أَمْرَهَا أَنْ تَقْعُدَ هُنَيْهَةً. وَأَنْ تُبْدِيَ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا، حَتَّىٰ يَتَأَمَّلَهَا. فَفَعَلَتْ وَلَا حَظَّهَا الرَّجُلُ وَتَأَمَّلَهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَتْ الْمَرَّةَ الثَّلَاثَةَ، أَمْرَهَا أَنْ تَقْعُدَ عِنْدَهُ وَتَطِيلَ الْقَعُودَ وَتُحَادِثَهُ، وَإِنْ أَرَادَهَا عَلَىٰ الزِّيَادَةِ مِنَ الْمَحَادِثَةِ أَجَابَتْهُ. فَفَعَلَتْ. وَجَعَلَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَيُسَرِّبُ مَجْدِثَهَا. وَمِنْ شَأْنِ النَّفْسِ أَنْ تَطْلُبَ بَعْدَ ذَلِكَ الْغَرَضَ مِنْ

هَذِهِ الْمَطَايِبَةِ. فَلَمَّا أَبْدَىٰ مَا عِنْدَهُ، قَالَتْ: ” إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُعَثِّرَ عَلَيْنَا، وَلَكِنْ دَعْنِي أُدَبِّرُ فِي هَذَا مَا يَتِمُّ بِهِ أَمْرُنَا. “ ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ. فَأَخْبَرَتِ الْمَلِكَ بِكُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا. فَوَجَّهَ أُخْرَىٰ مِنْ خَاصِّ جَوَارِيهِ وَثِقَاتِهِنَّ بِالطَّافِ وَهَدَايَا. فَلَمَّا جَاءَتْهُ، قَالَ لَهَا: مَا فَعَلْتُ فَلَانَةٌ؟ قَالَتْ: أَعْتَلْتُ. فَأَرَبَدَّ لَوْنُ الرَّجُلِ. ثُمَّ لَمْ تَطُلِ الْقَعُودَ عِنْدَهُ كَمَا فَعَلَتْ الْأُولَىٰ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ. ثُمَّ عَاوَدَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَعَدَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْمَقْدَارِ الْأَوَّلِ، وَأَبَدَتْ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا حَتَّىٰ تَأَمَّلَهَا. وَعَاوَدَتْهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ، فَأَطَالَتْ عِنْدَهُ الْقَعُودَ وَالْمُضَاحِكَةَ وَالْمَهَازِلَةَ. فَدَعَاهَا إِلَىٰ مَا فِي تَرْكِيبِ النَّفْسِ مِنَ الشُّهُوَةِ. فَقَالَتْ: ” إِنَّا مِنَ الْمَلِكِ عَلَىٰ خُطَىٰ يَسِيرَةٍ، وَمَعَهُ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ، وَلَكِنَّ الْمَلِكَ يَمُضِي بَعْدَ ثَلَاثِ أَيَّامٍ إِلَىٰ بَسْتَانِهِ الَّذِي بِمَوْضِعِ كَذَا، فَيَقِيمُ هُنَاكَ. فَإِنْ أَرَادَكَ عَلَىٰ الذَّهَابِ مَعَهُ، فَأَظْهِرْ أَنَّكَ عَلِيلٌ، وَتَمَارِضٌ. فَإِنْ

(١) أَي عَلَّتِ الْعَبْرَةُ لَوْنَهُ .

خبرك بين الأنصراف إلى دور نساتك أو المقام ههنا إلى رجوعه، فأختر المقام وأخبره أن الحركة تصعب عليك. فإذا أجابك إلى ذلك، جئت في أول الليل ولبثت عندك إلى آخره. ^(١) فسكن الرقيع إلى هذه الأنسة، وأنصرفت الجارية إلى الملك فأخبرته بكل ما دار بينهما وبينه. فلما كان الوقت الذي وعدته أن يخرج الملك فيه، دعاه الملك. فقال للرسول: أخبره أني عليل. فلما جاءه الرسول وأخبره، تبسم أبرويز، وقال: هذا أول الشر. فوجه إليه بمحقة، فعمل فيها حتى أتاه، وهو معصب الرأس. فلما بصر به من بعيد، قال: والعصاة الشر الثاني. وتبسم. فلما دنا من الملك، سجد. فقال له أبرويز: متى حدثت بك هذه العلة؟ قال: في هذه الليلة. قال: فأى الأمرين أحب إليك؟ ألا نصراف إلى منزلك ونساتك ليمرضنك أو المقام ههنا إلى وقت رجوعي؟ قال: ههنا أيها الملك أرفق بي، لثقة الحركة. فتبسم أبرويز، وقال: ما صدقت! حركتك ههنا، إن خلفتك، أكثر من حركتك في منزلك.

٨٢

ثم أمر أن تُخرج له عصا الزناة التي كان يوسم بها من زنى. فأيقن الرجل بالشر. وأمر أن يكتب ما كان من أمره حرفاً، فيقرأ على الناس إذا حضروا، وأن ينقى إلى أقصى حد المملكة، ويجعل العصا في رأس رُحٍ تكون معه حيث كان، ليحذر منه من لا يعرفه. فلما أخرج بالرجل عن المدين، متوجّهاً به نحو فارس أخذ مديّة كانت مع بعض الأعوان الذين وكلوا به، فغيب بها ذكوه، وقال: من أطاع عضواً من أعضائه صغيراً، أفسد عليه أعضائه كلها، صغارها وكبارها. فمات من ساعته. ^(٢)

(١) الرقيع والمرقعات الأحمق وهو الذي في عقله مرمة (صحاح) | حاشية في ص ١٠. والمرمة

معناها هنا الأختياج إلى الترفيع والترميم. (انظر لسان العرب ج ٩ ص ٤٩١)

(٢) روى هذه القصة في "الحاسن والأضداد" (ص ٢٧٥ - ٢٧٧)

امتحانه فيمن
يطعن في الملكة

٨٣

وكان قد نصب رجلاً يمتحن به من فسدت نيته وطعن في المملكة. فكان
الرجل يظهر التآله والدعاء إلى التخلّي من الدنيا والرغبة في الآخرة وترك أبواب
الملوك. وكان يقص على الناس ويبيهم ويشوب في خلال ذلك كلامه بالتعريض
بذم الملك وتركه شرائع ملته وسنن دينه ونواميس آبائه. وكان هذا الرجل الذي
نصبه لهذا أخاه من الرضاة وترّبه في الصبا. فكان إذا تكلم هذا الرجل بهذا الذي
قد مثله له أبرويز وأمره به ليمتحن بذلك خاصته، أخبر به. فيضحك لذلك
أبرويز، ويقول: "فلان في عقله ضعف، وأنا أعلم به. وإن كان كذلك فإنه لا يقصدني
بسوء، ولا المملكة بما يوهنها". فيظهر الاستهانة بأمره والثقة من الطمأنينة إليه.
ثم يوجه إليه في خلال ذلك من يدعوه إليه، فيأبى أن يجيبه، ويقول: لا ينبغي لمن
يخاف الله أن يخاف أحداً سواه. فكان الطاعن على الملك والمملكة يكثر
الخلوة بهذا الرجل في الزيارة له والأنس به. فإذا خلوا، تذاكروا أمر الملك، وأبتدأ
الناسك يطعن على الملك وفي صلب المملكة. فأعانه الخائن وطابقه على ذلك وشايعة
عليه، فيقول له الناسك: "ياك أن تظهر هذا الجبار^(١) على كلامك! فإنه لا يحمّل لك
ما يحمّله لي. فخص من دمعك!" فيزداد الآخر إليه استنامةً وبه ثقة. فإذا علم
الناسك أنه قد بلغ من الطعن على الملك ما يستوجب به القتل في الشريعة، قال له:
إني عاقد غداً مجلساً للناس أقص عليهم، فأحضره! فإنك رجل رقيق القلب عند
الذكر، حسن النية، ساكن الريح، بعيد الصوت. وإن الناس إذا رأوك قد حضرت
مجلسي، زادت نيّاتهم خيراً، وسارعوا إلى استجابتي. فيقول له الرجل: إني أخاف
هذا الجبار، فلا تذكره إن حضرت مجلسك.

٨٤

(١) ص: الخائن.

وكانت العلامة فيما بينه وبين أبرويز أن ينصرف الرجل عن مجلس الناسك، إذا
 ابتدأ في قصة الملك. وكان أبرويز قد وضع عيوناً تحضر مجلس الناسك، متى جلس.
 فبكر الناسك وقص على العامة وزهد في الدنيا ورغب في الآخرة. وحضره الرجل
 الخائن. فلما فرغ من قصصه وأخذ في ذكر الملك، نهض الرجل وجاءت عيون
 أبرويز فأخبرته بما كان. فإذا زال عنه الشك في أمره، وجهه إلى بعض البلدان وكتب
 إلى عامله: "قد وجهت إليك رجلاً وهو قادم عليك بعد كتابي هذا في كذا وكذا.
 فأظهر به والأنس به والثقة بناحيته. فإذا أطمأنت به الدار، فأقتله قتلة تُحجى بها بيت
 النار، وتصل بها حرمة التوبهار. ^(١) فإنه من فسدت نيته لغير علة في الخاصة والعامة،
 لم يصلح بعلة." ^(٢)

٨٥

تغافل الملك عن
 الصغار

ومن أخلاق الملك التغافل عما لا يقدح في الملك ولا يخرج المال ولا يضع من
 العز، ويزيد في الأبهة.
 وعلى ذلك كانت شيم ملوك آل ساسان.

(١) هو بيت من بيوت النار: Pyrée. بناه الفرس بمدينة بلخ على مثال البيت الحرام بمكة. وعنه شرح واف
 في ياقوت (في حرف النون) وفي المسعودي (جزء ٤ ص ٤٧ - ٤٩ طبع باريس) وفي "مرصد الأطلاع"
 (في حرف النون) وفي القزويني (ص ٢٢١) وفي "تجارب البلدان" للهمداني (ص ١٥٧ و ٣٢٢ - ٣٢٤)
 "وشفاء الغليل" (ص ٢٠٣). وأنظر Dictionnaire géographique de la Perse, par
 Barbier de Meynard, p.p. 122, 569.

(٢) صه: "لغير علة صلحت بخلافها". وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٤١ - ٤٢)،
 ونخصها جداً صاحب "محاسن الملوك" (ص ٤٥)؛ وأوردتها بالحرف تقريباً في "المحاسن والمساور"
 (ص ١٥٥ - ١٥٧).

(٣) صه: في القلب ولا يخرج.

تناقل بهرام جور
عن سرقة اللجام

وفيا يُحكى عن بهرام جور أنه نرج يومًا لطلب الصيد فغار به فرسه حتى وقع إلى راعٍ تحت شجرة، وهو حارق^(٢). فقال للراعي: احفظ عليَّ عنان دابتي، حتى أبول. فأخذ بركابه حتى نزل، وأمسك عنان الفرس. وكان لجامه مُلبسًا ذهبًا، فوجد الراعي غفلةً من بهرام فأخرج من حُفِّه سكينًا فقطع بعض أطراف اللجام. ورفع بهرام رأسه فنظر إليه فاستحيا، ورمى بطرفه إلى الأرض وأطال الاستبراء ليأخذ الراعي حاجته من اللجام. وجعل الراعي يفرح بإبطائه عنه، حتى إذا ظن أنه قد أخذ حاجته من اللجام، قام فقال: ياراعي! قدم إلى قرسي، فإنه قد دخل في عيني مما في هذه الرياح، فما أقدر على فتحهما. وغمض عينيه لئلا يؤهمه أنه يتفقد حلية اللجام. فقرب الراعي فرسه فركبه. فلما وثى، قال له الراعي: أيها العظيم! كيف أخذ إلى موضع كذا وكذا؟ (لموضع بعيد). قال بهرام: وما سؤالك عن هذا الموضع؟ قال: هناك منزلي، وما وطئت هذه الناحية قط غير يومي هذا، ولا أراي أعود إليه ثانية. فضحك بهرام، وفطن لما أراد. فقال: أنا رجلٌ مسافرٌ، وأنا أحقُّ بأن لا أعود إلى هاهنا أبدًا. ثم مضى. فلما نزل عن فرسه قال لصاحب دوابه ومراكبه: إن معاليق اللجام قد وهبت لها لسانيل صرِّي، فلا تتهمن بها أحدًا^(٥).

- ١٥ (١) عار الفرس أي ذهب هاهنا وهاهنا، وذهب على وجهه كأنه مُنقلت. وفي نسخة: فعارته فرسه. | وفي هامشه: صح: عاره يعوره ويعيره أي أخذه وذهب به. | وأنت ترى أن رواية صر عارية عن الصواب، وأن حاشيته في الهامش لا محل لها في هذا المقام.
- (٢) أي اجتمع البول فيه، فهو في حاجة شديدة إلى تصريفه. ومنه الحديث: «لأراي لحاقب ولا لحاقن» أي لمن تشد به الحاجة للإخراج من أحد السبيلين ويكون مضطرا لخبسهما.
- ٢٠ (٣) | أنظر حاشية ١ صفحة ١٢٣ من هذا الكتاب |
- (٤) سه: عليه.
- (٥) روى هذه الحكاية بحرفها في «المحاسن والمساوي» (ص ٥٠٥ - ٥٠٦).

تغافل أنوشروان
عن سرقة الجلام

وهكذا يُحكى عن أنوشروان أنه قعد ذات يوم في نيروز أو مهرجان، ووُضعت
الموائد، ودخل وجوه الناس الإيوان على طبقاتهم ومراتبهم. وقام الموكلون بالموائد
على رؤوس الناس، وكسرى بحيث يراهم. فلما فرغ الناس من الطعام، جاؤوا
بالشراب في آنية الفضة وجامات الذهب. فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية
في آنية الذهب. فلما أنصرف الناس ورُفعت الموائد، أخذ بعض القوم جام ذهب
فأخفاه في قبائه، وأنوشروان يَحْظُهُ. فصرف وجهه عنه. وأفتقد صاحب الشراب
الجلام، فصاح: لا يخرجن أحد من الدار حتى يفتش. فقال كسرى: لا نتعرض لأحد!
وأذن للناس فأنصرفوا. فقال صاحب الشراب: أيها الملك! إننا قد فقدنا بعض آنية
الذهب. فقال الملك: صدقت! قد أخذها من لا يردها عليك، وقد رآه من لا نيم
عليه. فأنصرف الرجل بالجلام.

تغافل معاوية عن
كيس الدنانير

وهكذا فعل معاوية بن أبي سفيان في يوم عيد، وقد قعد للناس، ووُضعت الموائد،
وبذر الدراهم والدنانير للجوائز والصلوات. فجاء رجل من الجماعة، والناس يأكلون، فقعد
على كيس فيه دنانير. فصاح به الخدم: تتح، فليس هذا بموضع لك! فسمع معاوية،

(١) هذه الكلمة بفتح الميم وبكسرهما، والفتح أشهر، كما يدل عليه المعجم الفارسي الإنكليزي لرتشاردسن.

وضبطها ياقوت بالكسر (ج ٤ ص ٦٦٨) واخترنا الفتح لجر يانه على السنة المصريين

(٢) أنظر الفصل الطويل المفيد المشحون بالأسانيد الذي أورده العلامة دوزي الهولندي على هذه

الكلمة في معجم الثياب عند العرب (ص ٣٥٢ - ٣٦٤) وقد قال في آخره إن الهولنديين أخذوا هذا
اللفظ عن (قبای) في اللسان الفارسي فنقلوه إلى لغتهم وقالوا (Kabaai) للدلالة على الثوب الذي

يسميه الفرنسيون Robe de chambre.

(٣) رواها باختصار يسير جدًا صاحب "المحاسن والمساي" (ص ٥٠٦).

(٤) [راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧]. وفي ص: وبذر.

فقال: دَعُوا الرَّجُلَ يَقْعُدْ حَيْثُ آتَيْتُمْ بِهِ الْمَجْلِسَ. فَأَخَذَ كَيْسًا فَوَضَعَهُ بَيْنَ بَطْنِهِ وَحِجْرَتِهِ (١)
سِرَاوِيلَهُ، وَقَامَ. فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ. فَقَالَ الْخَادِمُ: أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!
إِنَّهُ قَدْ نَقَصَ مِنَ الْمَالِ كَيْسُ دَنَانِيرٍ. فَقَالَ: أَنَا صَاحِبُهُ، وَهُوَ مَحْسُوبٌ لِي (٢).

وهذه أخلاق الملوك معروفة في سيرهم وكتبهم.



وإنما يتفق مثل هذا من هو دون الملك. فأما الملك، فيجئ عن كل شيء ويصغر
عنده كل شيء.

والعامة تضع هذا وما أشبهه في غير موضعه. وإنما هو شيء ألقاه الشيطان
في قلوبهم وأجراه على ألسنتهم، حتى قالوا في نحو من هذا في البائع والمشتري: "المغبون
لا محمود ولا مأجور". فحملوا الجهالة على المنازعة للباعة، والمشائمة للسفلة والسوقة،
والمقاذفة للرعاع والوضعاء، والنظر في قيمة حبة، والأطلاع في لسان الميزان، وأخذ
المعايير بالأيدي (٣).

الرد على قولهم:
المغبون لا محمود
ولا مأجور

وبالحري أن يكون المغبون محموداً ومأجوراً. اللهم إلا أن يكون قال له:
اغنيني. بل لو قالها، كانت أكرامة وفضيلة، وفعلة جميلة تدل على كرم عنصر القائل
وطيب مرگيه (٤).

(١) موضع التكة من السراويل.

(٢) رواها باختصار صاحب "الحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦).

(٣) ص: "والمفارقة للرعاع والوضعاء".

(٤) جمع معيار.

(٥) سه: "مكرمة". وهما بمعنى واحد.

ولذلك قالت العرب: "السروُ التغافل!"^(١)

وأنت لا تجد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا عُين، وعن التقصّي إذا بُحس، إلا وجدت له في قلبك فضيلةً وجلالةً ماتقدر على دفعها.

وكذا أدبنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يرحمُ الله سهلَ الشراء، سهلَ البيع، سهلَ القضاء، سهلَ التقاضي!"^(٣)

وهذا الأدب خارجٌ من قولهم: "المغبونُ لا محمودٌ ولا مأجورٌ."

كلمة معاوية

وقال معاوية في نحوٍ من هذا: "إني لأجرّ ذيلي على الخدائع."

كلمة الحسن

وقال الحسن (عليه السلام): "المؤمن لا يكون مكاساً."

سليمان بن عبد الملك
والأعرابي الذي
أخذ رداً

وفما يُحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حياة أبيه لِمُنَزهة، فبَسِطَ له في صحراء، فتغشّى مع أصحابه. فلما حان أنصرافه، تشاغل غلماناه بالترحال، وجاء أعرابيٌّ فوجد منهم غفلةً، فأخذ دُواجَ سليمان فرمى به على عاتقه، وسليمانُ ينظر

(١) في سره: "السرو والتغافل". [وأنظر الحاشية ٥ من صفحة ٥٧ من هذا الكتاب]. ومن المأثور عن السفاح قوله: "التغافل من سببها الكرام". (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٥).

ولشاعرهم:

ليس الغنيُّ بسيدٍ في قومه * لكنَّ سيدَ قومه المتغابي.

(٢) في الأصل: ولا عن.

(٣) ص: "رحم الله من سهّل الشراء وسهّل البيع". والذي رأيتُه في صحيح البخاري: "رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى". (ج ٣ ص ٥٧، طبع بولاق سنة ١٣١١)

(٤) ص: لمنزته.

(٥) الدُواج هو الخفاف الذي يلبس. ولعلَّ شبهه بالمحففة المسماة الآن بالمُضَرَّبِيَّة. وأنظر ما كتبه عليه دوزي في قاموس الثياب (ص ١٨٦) وليس فيه تفصيلٌ يشرح المعنى. قال في مطالع البدور: وجدَّ لأُمَّ المعتز ثلاثة دواويج كانت تستعملهن، فقومُ الدُواج بأكثر من ألف دينار (ج ١ ص ٦٠).

إليه . فبصره بعض حشمه ، فصاح به : أَلَيْسَ مَا عَلَيْكَ ! فقال الأعرابي : " لا لعمري ! لا أَلَيْسَ بِهَذَا كُسُوةَ الْأَمِيرِ وَخَلْعَتَهُ " . فضحك سليمان وقال : صدق أنا كُسُوتُهُ . فتر كَأَنَّهُ إِعْصَارُ الرِّيحِ .

وأحسن من هذا ما فعله جعفر بن سليمان بن علي بالأمس ، وقد عُثِرَ بِرَجُلٍ سَرَقَ دُرَّةً رَائِعَةً ، أَخَذَهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ . فَطَلَبَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ فَلَمْ تَوْجَدْ . فَبَاعَهَا الرَّجُلُ بِبَغْدَادَ ، وَقَدْ كَانَتْ وَصِفَتْ لِأَصْحَابِ الْجَوْهَرِ . فَأَخَذَ وَحَمَلَ إِلَى جَعْفَرٍ فَلَمَّا بَصَّرَهُ ، آسْتَحْيَا مِنْهُ وَقَالَ : أَلَمْ تَكُنْ طَلَبْتَ هَذِهِ الدَّرَّةَ مِنِّي ، فَوَهَبْتُهَا لَكَ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : لَا تَعْرِضُوا لَهُ ! فَبَاعَهَا بِمِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

جعفر بن سليمان
وسارق الدرّة



١٠ . ومن أخلاق الملك إكرام أهل الوفاء وبرّهم والاستئمانه إليهم والثقة بهم والتقدمه لهم على الخاص والعام والحاضر والبادي .

إكرام أهل الوفاء
وشكرهم

وذلك أنه لا يوجد في الإنسان فضيلة أكبر ولا أعظم قدراً ولا أنبل فعلاً من الوفاء . وليس الوفاء شكر اللسان فقط ، لأن شكر اللسان ليس على أحدٍ منه مؤونة .
وَأَسْمُ الْوَفَاءِ مُشْتَمَلٌ عَلَى خِلَالٍ :

١٥ . ففنها - أن يذكُر الرجل من أنعم عليه ، بحضرة الملك فمن دونه . فإن كان الملك

(١) رواها في "المحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦) .

(٢) سه : "إن" صه : "وإن" . [ووضعت حرف الفاء لمنع التشويش في الجملة ، والأضطراب

في السياق .]

فيه سيئ الرأي ، فليس من الوفاء أن يُعينه على سوء رأيه . فإن خاف سوط المملك وسيفه ، فأحسن صفاته أن يُمسك عن ذكره بخيرٍ أوشرٌ .

ومنها - المؤاساة للصاحب في المال حتى يقاسمه الدرهم بالدرهم والنعل بالنعل والثوب بالثوب .

٩١

ومنها - الحفظ له في خلفه وعياله ، ما كان في الدنيا ، حتى يجعلهم إسوة عياله في الجذب والحصب .

ومنها - الشكر له باللسان والجوارح .

وكانت ملوك الأعاجم كلها ، أولها وآخرها ، لا تمنع أحداً من خاصتها وعاقمتها شكر من أنعم عليها أو على أحدٍ منها وتقريظه وذكر نعمه وإحسانه ، وإن كانت الشريعة قد قتلتها والمملك قد سخط عليه . بل كانوا يعرفون فضيلة من ظهر ذلك منه ويأمرون بصلته وتعهدة .

ويقال إن قباد^(١) أمر بقتل رجل كان من الطاعنين على المملكة . فقتل . فوقف على رأسه رجل كان من جيرانه فقال : "رحمك الله ! إن كنت - ما علمت - لتكرم الجار وتصبر على أذاه ، وتواسى أهل الحاجة ، وتقوم بالنائبة ! والعجب كيف وجد الشيطان فيك مساعاً حتى حملك على عصيان ملكك ، فخرجت من طاعته المفروضة إلى معصيته ! وقديماً ما تمكّن من هو أشد منك قوّة وأثبت عزماً . " فأخذ الرجل

قباد وما دح الجاني على المملكة

(١) [أنظر حاشية (٢) صفحة (٧٨) من هذا الكتاب] .

صاحبُ الشرطَةِ فخبسه . وَاَتَهَى كَلَامَهُ إِلَى قُبَادٍ ، فَوَقَّعَ قُبَادٌ : يُحَسِّنُ إِلَى هَذَا الَّذِي
شَكَرَ إِحْسَانًا فُعِلَ بِهِ ، وَتَرَفَّعَ مَرْتَبَتُهُ ، وَزَادَ فِي عَطَائِهِ .

٩٢

* وَهَكَذَا فَعَلَ سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ [الْمَخْزُومِيَّ] ، حِينَ حُمِلَ رَأْسُ
مَرْوَانَ [الْجَعْدِيِّ] إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ [السَّفَّاحِ] بِالْكُوفَةِ ، فَعَقَدَ لَهُ مَجْلِسًا وَجَاءُوا
بِالرَّأْسِ . فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ جَعْدَةَ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ قِيَامًا طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا رَأْسُ

(١) رواها في "المحاسن والمساوي" (ص ١١٤) .

(٢) كان من رجالات مروان الجعدي ، وأشترك معه في وقعة الزاب . (الطبري سلسلة ٣ ص ٢٠٤
و ٢٢٤ والأغانى ج ١١ ص ٧٥ ؛ وابن الأثير في حوادث سنة ١٤٥) .

(٣) هو آخر خلفاء بني أمية بالشرق .

- ١ : وُلِدَ سَنَةَ ٧٢ وَقَبْلَ سَنَةِ ٧٦ . تَوَلَّى هِشَامُ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْجَزِيرَةَ وَأَرْمِينِيَةَ وَأَذَرْبَيْجَانَ لِقَايَةِ
سَنَةِ ١٢٦ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ الْأَخِيرَةِ أَظْهَرَ الْخِلاَفَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ . ثُمَّ سَارَ فِي سَنَةِ ١٢٧ إِلَى الشَّامِ
وَحَارِبَ سُلَيْمَانَ بْنِ هِشَامٍ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَبَايَعَتِهِ . وَتَمَّتْ لَهُ الْبَيْعَةُ بِدِمَشْقَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ . وَهُوَ الَّذِي سُمِّيَ يَزِيدَ
أَبْنَ الْوَلِيدِ بِالنَّاقِصِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِأَرْضِ مِصْرَ فِي سَنَةِ ١٣٢ هِجْرِيَّةً . [وَأَنْظُرْ صَفْحَةَ ١٧٥ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ] .
وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كِتَابِ التَّوَارِيخِ بِمَرْوَانَ الْفَرَسِ ، وَمَرْوَانَ الْحِمَارِ ، وَمَرْوَانَ الْجَعْدِيِّ . سَمَاهُ الْعَبَّاسِيُّونَ
الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَيْهِ وَقَلَبُوا دَوْلَتَهُ بِالْحِمَارِ فِي نَظِيرِ تَسْمِيَتِهِ بِالْفَرَسِ . وَقِيلَ إِنَّهُ لُقِّبَ بِالْحِمَارِ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَخْفَ لَهُ لَبَدٌ
فِي مَحَارِبَةِ الْخَارِجِيِّينَ عَلَيْهِ . (كَانَ يَصِلُ السَّيْرَ بِالسَّيْرِ وَيَصْبِرُ عَلَى مَكَارِهِ الْحُرُوبِ . وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ : "فَلَانَ
أَصْبَرَ مِنْ حِمَارٍ فِي الْحُرُوبِ" ، فَلِذَلِكَ لُقِّبَ بِهِ) . وَقِيلَ إِنَّ الْعَرَبَ سُمِّيَ كُلُّ مَائَةِ سَنَةٍ حِمَارًا . (فَلَهَا قَارِبُ مُلْكِ
بَنِي أُمَيَّةَ مَائَةِ سَنَةٍ لَقَبُوا مَرْوَانَ بِالْحِمَارِ لِذَلِكَ) . وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِقَرَارِهِ عَلَى حِمَارٍ (يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ رُوَيْبَةَ
أَبْنِ الْعَجَّاجِ فِي مَدْحِ السَّفَّاحِ :

- ٢٥ ما زال يأتي الأمر من أقطاره * عن اليمين وعلى يساره ،
مُشَمَّرًا لَا يُضْطَلُّ بِنَارِهِ * حَتَّى أَقْرَأَ الْمَلِكُ فِي قَرَارِهِ
وَفَرَّ مَرْوَانَ عَلَى حِمَارِهِ . =

(١) أبي عبد الملك، خليفتنا بالامس، رحمه الله! فوثب أبو العباس فطعن في حجره .
 وأنصرف ابن جعدة إلى منزله، وتحدث الناس بكلامه . فلامه بنوه وأهله، وقالوا :

== وأما تسميته بالجعدى فنسبة إلى أخذه (حين كان واليا على الجزيرة) بتعاليم مؤدبه الجعد بن درهم مولى
 سويد بن غفلة . وقع هذا الرجل إلى الجزيرة فأخذ برأيه جماعة من أهلها . فلما حارب الخراسانيون مروان
 نسبوا إلى الجعد ما رأوه من سعة عليه . وكان الناس يذمون مروان بنسبته إلى الجعد . وكان الجعد من شيوخ
 المعتزلة وأظهر مقالته بخلق القرآن والقدر والاستطاعة وغير ذلك أيام هشام . ومن أقواله : "إذا كان الجماع
 يتولد منه الولد ، فأنا صانع ولدى ومدبره وفاعله ، لفاعل له غيرى ، وإنما يقال إن الله خلقه مجازاً لا حقيقة" .
 ومن قوله : "إن كان النظر الذى يوجب المعرفة ، تكون تلك المعرفة فعلا لفاعل لها" . وقيل إنه كان زنديقا .
 وعظه ميمون بن مهران ، فقال : "للسَّاءُ قُبَاذُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا تَدِينُ بِهِ ! فقال له مهران : قتلك الله ، وهو قاتلك !"
 وشهد عليه مهران . فطلبه الخليفة هشام حتى ظفر به . فأرسله إلى خالد القسرى ، وهو أمير العراق ، وأمره
 بقتله . فحبسه خالد ولم يقتله . فبلغ الخبر هشاماً فكتب إلى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله . فأخرج خالد
 من الحبس فى وثاقه . فلما صلى العيد يوم الاضحى قال فى آخر خطبته : "انصرفوا وصحوا يقبل الله منكم ، فإنى
 أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم فإنه يقول : ما كلم الله موسى ولا اتخذ إبراهيم خليلاً ! تعالى الله عما يقول
 الجعد علواً كبيراً ! " ثم نزل وذبحه .

أنظر الطبرى سلسلة ٢ (ص ٩٤٠ و ١٥٦٢ و ١٨٢٥ و ١٨٧٠ و ١٨٧٦) ؛ وأنظر الأغاني
 (ج ١٨ ص ١٢٣ و ج ٢١ ص ٨٧) ؛ وأنظر "المحاسن والمساوى" (ص ٢٣٩) ؛ والفصل فى الملل
 والأهواء والنحل (ج ٤ ص ٢٠٢) ؛ وأنساب السمعاني (ص ١٣١) ؛ وابن الأثير (ج ٥ ص ١٩٦
 و ١٩٧ و ٣٢٩) ؛ وسبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب (ص ٨١) ؛ والفرق بين الفرق لعبد القاهر
 البغدادى ، طبع القاهرة سنة ١٩١٠ (ص ١٤ و ٢٦٢) .

(١) هو كنية مروان الجعدى ، باسمه أبه .

(٢) أى فى حصنه .

عَرَضْتَنَا وَنَفْسَكَ لِلبُورِ! فَقَالَ: آسَكْتُوا، قَبَّحَ اللهُ! أَلَسْتُمْ الَّذِينَ أَسَارُوا عَلِيَّ
بِالْأَمْسِ بِحِرَانٍ بِالتَّخْلُفِ عَنْ مَرْوَانَ، فَفَعَلْتُ فِي ذَلِكَ غَيْرَ فَعَلَ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالشُّكْرِ؟
وَمَا كَانَ لِيغْسِلَ عَنِّي عَارَ تِلْكَ الْفَعْلَةِ إِلَّا هَذِهِ. فَإِنَّمَا أَنَا شَيْخٌ هَامَةٌ^(١)، فَإِنْ نَجَّوْتُ يَوْمِي
هَذَا مِنَ الْقَتْلِ، مَتَّ غَدًا. قَالَ: بِفِعْلِ بَنُوهِ يَتَوَقَّعُونَ رُسُلَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَنْ تَطْرُقَهُ
فِي جُوفِ اللَّيْلِ. فَأَصْبَحُوا وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ. وَغَدَا الشَّيْخُ إِذَا هُوَ بِسَلِيمِ بْنِ مُجَالِدٍ. فَلَمَّا
بُصِرَ بِهِ، قَالَ: يَا أَبْنَ جَعْدَةَ! أَلَا أُبَشِّرُكَ بِجَمِيلٍ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِنَّهُ ذَكَرَ فِي هَذِهِ
اللَّيْلَةِ مَا كَانَ مِنْكَ، فَقَالَ: "وَاللَّهِ! مَا أُنْحَرِجُ ذَلِكَ الْكَلَامَ مِنَ الشَّيْخِ إِلَّا الْوَفَاءُ. وَهُوَ
أَقْرَبُ مِنَّا قَرَابَةً، وَأَمْسُ بِنَا رَحِمًا مِنْهُ بِمَرْوَانَ، إِنْ أَحْسَنَّا إِلَيْهِ!" قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ!^(٢)

(١) تقول العرب: فلان هامة، أي يصير في قبره. ومنه قول كثير:

فَإِنْ تَسَلُّ عَنكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَّعِ الْهَوَىٰ، * فَبِالْيَأْسِ تَسْأَلُو عَنكَ، لَا بِالتَّجِدُّ.

وَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَى فِيهِ قَاتِلًا: * مِنْ أَجْلِ هَذِهِ هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدًا.

يقال: فلان هامة اليوم أو غد، أي يموت في يومه أو غده. ويقال ذلك للشيخ إذا أسن، والمرىض إذا طالت
علته، والمحتمر لمدة الأجل. وفي الحديث أن أبا حذيفة بن اليمان قال لثابت بن قيس الأنصاري وقد تخلف
معه في غزوة أُحُدٍ: "إنهض بنا نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنما نحن هامة اليوم أو غد".
(وكانا قد أسنَّا). ومرجع ذلك لأعتقاد العرب في مسألة الهامة. (راجع "الكامل" للبرد ص ٢١١ و ٣٨٧؛

وأنظر "الأغاني" ج ١٣ ص ١٦٥)

(٢) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين ** منقولة عن ص. وقد رواها في "المحاسن والمساعي"

(ص ١١٩ و ١٢٠)

كتاب قيس بن سعد
آين عبادة إلى
معاوية

وهكذا فعل قيس بن سعد بن عبادة [الأنصاري] بمعاوية بن أبي سفيان، حين دعاه إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعته. فكتب إليه قيس بن سعد: "يا وثن آبن وثن! تكتب إلي تدعوني إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعتك وتخوفني بتفرق أصحابه عنه وإقبال الناس عليك وإجفالكهم إليك! فوالله الذي لا إله غيره! لو لم يبق له غيري ولم يبق لي غيره، ما سلمتُك أبداً، وأنت حربُه، ولا دخلتُ في طاعتك وأنت عدوُّه، ولا اخترتُ عدو الله علي وليه، ولا حزب الشيطان علي حزب الله. والسلام!"

الإسكندر
والمقربون إليه
بقتل ملكهم

وفي سيرة الإسكندر ذي القرنين أنه لما قصد نحو فارس، تلقاه جماعة من أساورتهم برأس ملكهم، يتقربون إليه به. فأمر بقتلهم لسوء رعيهم وقلة شكرهم لملكهم ومن أنعم عليهم. وقال: من غدر بملكه كان بغيره أغدر.

شيرة وما دحه
على قتل أبرويز

٩٣

وفيما يحكي عن شيرة أن رجلاً من الرعية وقف له يوماً، وقد رجع من الميدان، فقال: "الحمد لله الذي قتل أبرويز على يديك، وملكك ما كنت أحق به منه وأراح آل ساسان من جبريته وعتوه وبخله ونكده. فإنه كان ممن يأخذ بالحبة،

(١) أنظر في المسعودي مكاتبات أخرى جرت بينهما (ج ٥ ص ٤٥).

(٢) أنظر حاشية ١ صفحة ٩ من هذا الكتاب.

(٣) ص: «جبروته». والجبرية القهر والغلبة. وفيها لغات كثيرة ذكرها في القاموس وفي كامل المبرد. وفي خطبة عتبة بن غزوان: "وإنه لم تكن نبوة إلا تأسختها جبرية". أي ملك غالب وعضوض. | أنظر

"البيان والبيان" ج ١ ص ١٧٢ |

(٤) ص: بالإحطة.

ويقتل بالظن، ويُخيف البريء، ويعمل بالهوى". فقال شيرويه للحاجب: احمله
إلى فحميل. فقال له: -

- كم كانت أرزاقك في حياة أبرويز؟

- كنت في كفاية من العيش.

- فكم زيد في أرزاقك اليوم؟

- ما زيد في رزقي شيء.

- فهل وتركت أبرويز، فانتصرت منه بما سمعت من كلامك؟

- لا.

قال - فمادعاك إلى الوقوع فيه، ولم يقطع عنك مادة رزقك ولا وترتك في نفسك؟

وما للعامة والوقوع في الملوك، وهم رعية؟

فأمر أن يُترَع لسانه من قفاه، وقال: "بحق ما يقال إن الخرس خير من البيان

فيا لا يجب".

وحدثني صباح بن خاقان، قال: حدثني أبي أن أبا جعفر [المنصور] لما أتى برأس

المنصور والضارب
رأس الخارج عليه
بعد قتله

(١) وتره حقه أي قصه. (صحاح) [حاشية في صه]

(٢) روى هذه الحكاية بالحرف في "المحاسن والمساوي" (ص ٤١١).

(٣) هو صباح بن خاقان المقرئ، كان نديما لمصعب الزبيرى، وكان من مشايخ المروءة والعلم والأدب.

وكان منعبا للفرزدق وجرير بفضلهما على الأخطل (أغانى ج ٧ ص ١٧٤ وج ١٥ ص ١٥٩ و ١٦٠).

وكان هو ومصعب جلسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان (كامل المبرد ص ٤٦٠).

وقد امتدحه إسحاق النديم (المشتهب في أسماء الرجال للذهبي ص ٣١٠).

إبراهيم بن عبد الله فوضع بين يديه، جاء بعض أولئك الرويضية فضرب الرأس بعمود^(١)
 كان في يده. فقال المنصور للمسيب: دُقَّ وجهه! فدقَّ المسيب أنفه. ثم قال [المنصور]^(٢)
 له: يا ابن الخنفاء! تجيء إلى رأس أبي عمي (وقد صار إلى حال لا يدفع ولا ينفذ) تضربه
 بعمودك، كأنك رأيتَه وهو يريدُ نفسِي فدفعته عني. أخرج إلى لعنة الله وأليم عذابه!

٩٤

المنصور وما دح
 هشام الأموي

ويقال إن أبا جعفر وجهه إلى شيخ من أهل الشام، كان من بطانة هشام، فسأله
 عن تدير هشام في بعض حروبه الخوارج. فوصف له الشيخ مادبراً، فقال: "فعل
 (رحمه الله) كذا وصنع (رحمه الله) كذا." فقال المنصور: قم، عليك لعنة الله! تطأ
 بساطي، وتترحم على عدوي؟ فقام الرجل، فقال وهو موَّل: إنَّ نعمةَ عدوك لقلادة
 في عنقِي لا يترعها إلا غاسلي. فقال له المنصور: ارجع يا شيخ! فرجع. فقال له: أشهدُ

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٢) هكذا في س، ص. ولا يمكن أن تكون الكلمة محرقة عن الراوندية لأنهم قاموا على المنصور
 في سنة ١٤٠، وإبراهيم بن عبد الله كان قتله في سنة ١٤٥. ولم أتمكن بعد شدة البحث وكثرة التنقيب
 في كتب التواريخ واللغة من الوقوف على معناها أو تقويمها. ولعلها تكون "الدورية" بمعنى أصحاب الدور
 من العساكر وأرباب الحرس، أو الزردية بمعنى لابسى الزرد. ولكنني لست على ثقة من ذلك. والذي في ابن
 الأثير: رجل من الحرس (ج ٥ ص ٤٣٧). وروى الطبري هذه الحكاية على وجه آخر ووصف الرجل
 بأنه من السبابة (سلسلة ٣ ص ٤١٦).

(٣) هو المسيب بن زهير الضبي وهو من ولد ضرار بن عمرو (وبنو ضرار من سادة ضبة). كان على شرطة
 أبي جعفر، وولاه المهدي خراسان. وولى شرطة موسى الهادي. وكانت هذه الوظيفة في أبنائه هارون والأمين
 والمأمون. (معارف ابن قتيبة ص ٢٠٠)

(٤) ص: سو.

أنتك نهيض حرةً وغراسُ شريفٍ! عُدْ إلى حديثك! فعاد الشيخ إلى حديثه حتى إذا فرغ، دعا له بمالٍ ليأخذه فقال: "والله يا أمير المؤمنين، ما بي من حاجةٍ إليه! ولقد مات عني من كنتُ في ذكره آنفاً، فما أحوَجني إلى وقوفٍ على بابٍ أحدٍ بعده. ولولا جلالَةُ عزِّ أمير المؤمنين وإيثارُ طاعته ما لَيْسْتُ لأحدٍ بعده نعمةً." فقال المنصور: "مُتْ إذا شئتَ، فله أنت! فلو لم يكن لقومك غيرك، لكنت قد أقيمت لهم مجداً مُخْلِداً". ويقال إن الرجل كان من شَيَّبانٍ^(١).

٩٥

ومن حقِّ الملك - إذا حضره سَمَّارُه أو مُحدثوه - أن لا يُجِرَّكَ أحدٌ منهم شَفِيته مبتدئاً، ولا يَقَطَعَ حديثَه بالأعراض فيه، وإن كان نادراً شبيهاً، وأن يكون غرضهم حُسْنَ الاستماع، وإشغال الجوارح بحديثه. فإذا فرغ من الحديث فنظر إلى بعضهم، فقد أذن له أن يُحدثَه بنظير ذلك الجنس من الحديث. وليس له أن يأخذ في غير جنس حديثه.

الأدب عند ما يتكلم الملك

وليس لمن حدَّث الملك أن يُفسد ألفاظَه وكلامَه، بأن يقول في حديثه: "فأسمع مني" أو "إفهم عني" أو "يا هذا" أو "ألا ترى". فإن هذا وما أشبهه عيٌّ من قائله وحشوش في كلامه وخروجٌ من بَسْط اللسان ودليلٌ على الفدامة والغثاثة. وليكن كلامه

الأدب في تحديث الملك

(١) نقل المسعودي هذه الحكاية بتصرف يسير (ج ٦ ص ٦٧ و ١٦٨). ونقلها بالحرف الواحد في "الحسان والمساوي" (ص ١٢٠). وكان المنصور في أكثر أموره وتدييره وسياسته متبعاً لهشام في أفعاله، لكثرة ما يستحسنه من أخبار هشام وسيرته. (شذرات الذهب ج ١ ص ١٨١)

(٢) سم: وخروج من بسط الزمان، صم: وخروج يربط اللسان.

(٣) الفدامة التي عن الحجّة، والكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم.

(٤) هي سوء الخلق. ويعبر عنها العامة في أيامنا هذه بقولهم: الغثاثة. ومنها فلان غثوت.

كلاماً سهلاً، وألفاظه عذبةً مُتَّصِلَةً، وَسَقَطُ كَلَامِهِ قَلِيلاً. فإذا فرغ من الحديث، فليس له أن يَصِلَهُ بِحَدِيثٍ آخَرَ، وَإِنْ كَانَ شَبِيهَا بِالْحَدِيثِ الْأَوَّلِ، حَتَّى يَرَى أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَأَصْنَعَى إِلَى حَدِيثِهِ. [فإن أعرض] لشغل يعرض له، [فليس له] أن يمر في حديثه وأن يصل كلامه، فيحتاج الملك إلى الإصغاء إليه ويحتاج إلى التشاغل بما عرض له، فيجمع عليه أمرين. فإن هذا سُخْفٌ من فاعله وخروج من الأدب. ولكن لِيُنْصِتَ مُطَرِّقًا: فَإِنْ أَتَّصَلَ شُغْلُ الْمَلِكِ، تَرَكَ الْحَدِيثَ، وَإِنْ أَتَّقَطَعَ فَنظَرَ إِلَيْهِ، فَقَدْ أَذِنَ لَهُ فِي إِتْمَامِهِ وَإِعَادَتِهِ.

* *

عدم الضحك من
حديث الملك

ومن حقَّ الْمَلِكِ أَنْ لَا يُضْحَكَ مِنْ حَدِيثِهِ إِذَا حَدَّثَ، لِأَنَّ الضَّحِكَ بِحَضْرَةِ الْمَلِكِ جُرْأَةٌ عَلَيْهِ، وَلَا يُظْهَرُ التَّعَجُّبُ بِفَائِدَةِ حَدِيثِهِ. وَإِنَّمَا هَذَا إِلَى الْمَلِكِ. فَإِنْ ضَحِكَ الْمَلِكُ مِنْ الْحَدِيثِ وَأَظْهَرَ السَّرُورَ بِهِ، فَذَلِكَ غَرَضُ حَدِيثِهِ، وَإِلَيْهِ قَصْدٌ. وَإِنْ سَكَتَ، فَلَمْ يَكُنْ فِي الْحَدِيثِ مَا يُلْهِمُهُ وَيُطْرِبُهُ أَوْ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ فَائِدَةً، كَانَ قَدْ سَلِمَ مِنَ الْعَيْبِ، إِذْ لَمْ يَضْحَكَ وَلَمْ يَعِجِبْ.

* *

عدم إعادة الحديث
مرتين على الملك

ومن حقَّ الْمَلِكِ أَنْ لَا يُعَادَ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ طَالَ بَيْنَهُمَا الدَّهْرُ وَغَبَّرَتْ بَيْنَهُمَا الْأَيَّامُ، إِلَّا أَنْ يَذْكُرَهُ الْمَلِكُ. فَإِنْ ذَكَرَهُ، فَهُوَ إِذْنٌ مِنْهُ فِي إِعَادَتِهِ.

٩٧

كلمة روح بن زنباع
في المعنى

وكان رَوْحُ بْنُ زَنْبَاعٍ يَقُولُ: أَقَمْتُ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ أَيَّامِهِ، مَا أَعَدْتُ عَلَيْهِ حَدِيثًا.

(١) انظر الحاشية ١ صفحة ٦٠ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب.

- (١) وكان الشعبي يقول: ما حدثتُ بحديثٍ مرتين لرجلٍ بعينه قطُّ. كلمة الشعبي في المعنى
- (٢) وكان أبو العباس يقول: ما رأيتُ أحداً أغزرَ علماً من أبي بكر الهذليّ، لم يُعدْ عليّ حديثاً قطُّ. كلمة السفاح
- (٣) وكان ابن عيَّاش يقول: حدثتُ المنصورَ أكثرَ من عشرة آلاف حديثٍ. فقال لي ليلَةً، وقد حدثتُه عن يومِ ذي قارٍ: قد أضطُررتُ إلى التكرارِ، يا ابنَ عيَّاش! قلتُ: ما هذا منها، يا أمير المؤمنين. قال: أمّا تذكر ليلَةَ الرعدِ والأمطارِ، وأنتَ تتحدّثُ عن يومِ ذي قارٍ، فقلتُ لك: ما يومُ ذي قارٍ بأصعبَ من هذه الليلة؟ كلمة ابن عيَّاش في المعنى

(١) هو قبة العراق وأشهر من أن يذكر .

(٢) يعني السفاح رأس الدولة العباسية .

(٣) أنظر حاشية ٣ صفحة ٥٩ من هذا الكتاب .

(٤) ذو قار هو اسم ماء لبني بكر بن وائل ، بالقرب من الكوفة . حدثت فيه معركة هائلة بين العرب والعجم قبل البعثة النبوية ، وقيل بين غزوتي بدرٍ وأحدٍ . انتصر فيها العرب على العجم آنصاراً باهراً تغني به شعراؤهم وتحدّث به أخباريوهم . ويسمى هذا اليوم أيضاً بيوم الجنو ، ويوم حنو ذي قار ، ويوم حنو القراقر ، ويوم بطحاء ذي قار ، ويوم قراقر ، ويوم الجبابات ، ويوم ذات العجروم . وكلهن مواضع حول ذي قار . ولكنه الأشهر والأكثر في الاستعمال .

(٥) القار (بتخفيف الراء) هو في لغة العرب هذا الأسود (الزفت) الذي تُطلى به السُّفن ، وهو شجر مرٌّ أيضاً (عن تاج العروس) . وفي لغة الفرس يدل على البياض وعلى السواد (لأنه عندهم من أسماء الأضداد) ؛ وقد أطلقوه من باب التوسع على الثلج وعلى الزفت بسبب لونهما . وليس يستفاد من الحكاية التي أوردها الجاحظ (مع ملاحظة المنصور على جلسه) أن المعركة وقعت في أيام الشتاء ، ولأنه ربما كان لتسميتها بيوم ذي قار علاقةً ب نزول الثلج وأن الموضع ربما سُمي بهذا الاسم لهذه المناسبة . والحقيقة أن اللفظ عربيّ صميمٌ لأنه اسم ماء =

وكان الشَّرْقِيُّ بْنُ الْقَطَامِيِّ يُعِيدُ الْحَدِيثَ مَرَارًا. وَذَلِكَ أَنَّ أَكْثَرَ أَحَادِيثِهِ
مُضَاهِيكُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُ الْمُهْدِيَّ فَيَسْتَعِيدُهُ.

مواطن إعادة
الحديث على الملوك

= لَبْنِي بَكْرَ بْنِ وَائِلٍ كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْحَاشِيَةِ السَّابِقَةِ، وَلِأَنَّ مِنْ نَظَرٍ إِلَى الْخَرِيْطَةِ الْجُغْرَافِيَّةِ يَبِينُ لَهُ أَنَّ عَرْضَ
هَذَا الْمَكَانِ مَا لَا يَقَعُ فِيهِ التَّلْجُ. وَفَوْقَ ذَلِكَ فَالْمَعْلُومَاتُ التَّارِيخِيَّةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْحَرْبَ وَقَعَتْ فِي أَيَّامِ
الْقَيْظِ. يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ التَّغْلِيِّ الَّذِي يَرِيدُ هَلَاكَ بَكْرَ بْنِ وَائِلٍ، حِينَمَا أَسْتَشَارَهُ كَسْرَى أَبُو رِزْقٍ أَمْرَهُمْ:
”أَمَهْلَهُمْ حَتَّى يَقِيظُوا وَيَتَسَاقَطُوا عَلَى ذِي قَارٍ، تَسَاقَطَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ. فَتَأْخُذُهُمْ كَيْفَ شِئْتَ“ (ابْنُ الْأَثِيرِ
ج ١ ص ٣٥٧). وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ وَيُوضِّحُهُ مَا رَوَاهُ صَاحِبُ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٣ ص ١١٣) فَقَدْ أورد
حَدِيثَ التَّغْلِيِّ مَعَ كَسْرَى هَكَذَا:

” - يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ! أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غُرَّةِ بَكْرٍ؟

- بَلَى!

- أَقْرَاهَا، وَأَظْهَرَ الْإِضْرَابَ عَنْهَا حَتَّى يُجْلِيَهَا الْقَيْظُ وَيُدْنِيهَا مِنْكَ. فَإِنَّهُمْ لَوْ قَاطَبُوا، تَسَاقَطُوا عَلَيْكَ بِمَا لَمْ
فِي وَادٍ يُقَالُ لَهُ ذَوْ قَارٍ، تَسَاقَطَ الْفَرَاشُ فِي النَّارِ.“
وَإِنَّمَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ هُوَ أَشْتَدَادُ الْأَمْرِ وَحَرَجُ الْحَالِ وَأَصْطِلَامُ الْحَرْبِ، كَمَا كَانَتْ لَيْلَتُهُ شَدِيدَةً
بِرْعَدِهَا وَمَطَرِهَا.

(أَنْظُرِ التَّفْصِيلَ عَنِ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ وَسَبَبِهَا فِي مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ ج ٤ ص ١٠ - ١٢؛ ”وَالْأَغَانِي“ ج ٢٠
ص ١٣١ - ١٤٠؛ ”وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ“ ج ٣ ص ١١٣ - ١١٦؛ ”وَأَبْنُ الْأَثِيرِ“ ج ١ ص ٣٥٢ -
٣٥٨؛ وَأَنْظُرِ ”صَبْحَ الْأَعْشَى“ ج ١ ص ٢٣٦؛ ”وَتَاجُ الْعُرُوسِ“ فِي ق ٠)

(١) سَمَاءُ فِي الْقَامُوسِ شَرْقِيُّ بْنُ الْقَطَامِيِّ. وَفِي شَرْحِهِ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّهُ بَفْتَحِ الرَّاءِ. وَالْقَطَامِيُّ بَفْتَحِ
الْقَافِ فِي لُغَةِ قَيْسٍ وَعِنْدَ سَائِرِ الْعَرَبِ بِالضَّمِّ.

وَهُوَ الْوَلِيدُ بْنُ الْحَصِينِ الْكَلْبِيِّ. وَالشَّرْقِيُّ لِقَبِّهِ، كَمَا أَنَّ الْقَطَامِيَّ لِقَبِّ أَبِيهِ. كَوْنُهُ وَافِرُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ،
وَأَشْتَهَرَ بِمَعْرِفَةِ الْأَنْسَابِ وَرَوَايَةِ الْأَخْبَارِ وَالِدَوَابِّ. وَلَكِنَّهُ فِي الْحَدِيثِ مَعْدُودٌ مِنَ الضَّعْفَاءِ. كَانَ =

وكان ابن دأب^(١) إذا حدث موسى أمير المؤمنين بالحديث، أعاده عليه في القابلة حتى يحفظه.

ويقال إنه لم يسامر الخلفاء أحدٌ كان أنبل من عيسى بن دأب، ولا أتم صنعة ولا أحسن ألقاها ولا أفكها مجلسا ولا أعظم أمة وقدراً منه. وكان عيسى بن دأب يتكلم في مجلس أمير المؤمنين.

= صاحب سمر. أقدمه أبو جعفر المنصور ليعلم ولده المهدي. وقد سأله: "علام يؤتى المرء؟ فقال: أصلح الله الخليفة! على معروف قدسلف، أو مثله يؤتلف، أو قديم شرف، أو علم مطرف. "صه المنصور إلى المهدي حين خلفه بالرئ، وله معه هناك حديث ظريف عن الغريين (ساقه في "مروج الذهب" ج ٦ ص ٢٥١ - ٢٥٦، وأورده ياقوت برواية أخرى في "معجم البلدان" ج ٣ ص ٧٩١ - ٧٩٢). وله كتب في التاريخ والأنساب. روى عنها المسعودي وياقوت والبلاذري. وله قصيدة في الغريب. سأله رجل ذات يوم عما كانت تقرأه العرب في صلاتها على موتائها. فقال: لا أدري. فقال له الرجل: كانوا يقرؤون:

ما كنت وكواكا ولا بزونك * رويدك حتى يبعث الخلق باعته

فحدث بذلك في المقصورة يوم الجمعة. (انظر "كتاب الفهرست" ص ٩٠ و ١٧٠ و ٣٠٦؛ و "نزهة الألباء". ص ٤٢-٤٣ وابن قتيبة في "المعارف" ص ٢٦٨. وقد صححت البيت عن "لسان العرب" في مادتي زك، وكك).
١٥ (١) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، ويكنى أبا الوليد. (ودأب مأخوذ من قولهم: ما زال هذا دأبه وديده وعادته ودينه أي فعله الذي لا يفارقه). كان هو وأبوه وأخوه من العلماء بأخبار العرب وأشعارهم. وكان عيسى شاعرا فوق ذلك. وكان يضع بالمدينة الشعر وأحاديث السمر وكلاما ينسب إلى العرب. وكان أكثر أهل الحجاز بل ومعاصريه أدبا وعلمها وعذوبة لفظ ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم؛ وكان لذيذ المفاكهة، طيب المسامرة، كثير النادرة، جيد الشعر، حسن الاتزاع له. وهو من نقلة الأخبار ونقاد الأشعار.
٢٠ حظي عند الهادي حظوة لم تكن لأحد قبله. وبلغ من تيمه على الخليفة أنه كان يناديه ولا يتغدى معه. فقيل له في ذلك، فقال: أنا لا أتغدى في مكان لا أغسل يدي فيه. فقال له الهادي: فتغدى فكان الناس إذا تغدوا تحووا للغسل أيديهم، وابن دأب يغسل يديه بمحضرة الخليفة. وبلغ من تيمه ودائه عليه أيضا أن الخليفة كان يدغوله بما يتكلم عليه في مجلسه (وما كان يفعل ذلك بغيره ولم يكن عنده أحد يطعم منه بذلك) =

ولم يكن هذا لأحد. غير أنه يُحكى أن رَوْح بن زِنْبَاع مَرَضَ فكان يدعو له
عبدُ الملك بن مروان بِمَتَكَا. (١)

الأدب في تحديث
الملك

وعلى المحدث لَمَلِك أن لا يعجلَ في كلامه، وأن يُدمج ألفاظه، ولا يُشير بيده، (٢)

- ٥ = وكان يقول له: "ما استطلت بك يوماً ولا ليلاً، ولا غبت عن عيني إلا تمنيت أن لا أرى غيرك".
أمر له مرة بثلاثين ألف دينار. فعاكسه الحاجب في قبضها، فتركها. ثم رآه الهادي، وليس معه إلا غلام
واحد، فأخذ عليه عدم ظهور النعمة فيه. فلما دخل إليه عرض له بذلك وقال له: "أرى ثوبك غسباً، وهذا
شئنا يحتاج إلى الجديده". فقال: باعني قصير. فقال: وكيف، وقد صرفنا إليك ما فيه صلاح شأنك؟ فقال:
ما وصل إلي. فدعا صاحب بيت المال وأستحضر الثلاثين ألف دينار وحملها بين يديه.
- ١٠ وكان كثيراً ما يدعو ويسأله إنشاد الأبيات من أشعر ما قالت العرب. وكان يروى له الأخبار (منها حديث عن
غلام سندی مع مولاه، ساقه المسعودي في ج ٦ ص ٢٦٤ - ٢٦٥) وصاحب "المحاسن والمساوي"
(ص ٦١٣ - ٦١٤)، والأبشيبي في "المستطرف" (ج ٢ ص ٦٥)، وصاحب "تنبيه الملوك والمكائد"
(ص ١١٦ - ١١٧). ومنها حديث عن عيوب مصر وفضائل البصرة والكوفة، ساقه المسعودي أيضاً
في الجزء السادس (ص ٢٧٠ إلى ٢٧٧). وقد أخذ عايبه خلف الأحمر هفوة فقال فيه: "العجب
من ابن دأب! والله لقد طمع في الخلافة حين ظن أن هذا يُقبل منه". وقد هجاه ابن مناذر الشاعر الفصيح
المقدم في العلم باللغة، لأنه قال فيه قولاً قبيحاً. وكان خلف الأحمر ينسب إليه الكذب. وقالوا إنه كان يتشيع
ويضع أخباراً لابي هاشم. (أنظر "كتاب الفهرست" (ص ٩١)؛ و"الأغانى" (ج ٥ ص ١٥٨ و ١٥٩ و ١٠٤
و ١٠٦ و ١١١ ص ٦٩ و ١٧ ص ٢٤ و ١٩ ص ٤٨)؛ وأنظر ابن الأثير ج ٦ ص ٧٢ - ٧٣)؛
وأنظر أيضاً "مروج الذهب" (ج ٥ ص ١١٨ و ١٢٨ و ٢٦٣)؛ وأنظر "المعارف" لابن قتيبة
(ص ٢٦٧)؛ و"كتاب الأشتقاق" لابن دريد (ص ١٠٦)؛ و"كامل المبرد" (ص ١٨٦ و ٢١٢)؛
و"المحاسن والمساوي" (ص ٢٠٧ - ٢٠٨)؛ والطبري سلسلة ٣ (ص ٥٨٩)؛ و"شرح الحماسة"
(ص ٢٠٠)؛ و"البيان والتبيين" ج ١ ص ٢٤ و"تاج العروس" في دأب. وله ترجمة وافية في "معجم الأدباء" لياقوت
روى هذه الأحوال صاحب "محاسن الملوك" بالحرف الواحد عن الجاحظ دون أن يسميه (ص ٢٤).
- ٢٥ (١) دخل محمد بن عمران على المأمون ذات ليلة، فجعل يأمره وينهاه، ثم دعا له بمَتَكَا، فقال: أعيدك
بالله، يا أمير المؤمنين! ما كنت لأتبيك في مجلسك! فقال له: إن على قلبك من ذلك ثَمَلاً وموؤنة. فأردنا
أن يستريح بدنك ليفرغ لنا قلبك. ("مطالع البدر" ج ١ ص ١٠)
- (٢) من قولهم: أدج الحبل أجاد فقله، وقيل: أحكم فقله في رقة. (عن تاج العروس)

ولا يُحرِّك رأسه، ولا يزحف من مجلسه، ولا يراوح بين قَعَدته، ولا يرفع صوته، ولا يلتفت يمينا ولا شمالا، ولا يقبل على غير الملك بملاحظته، ولا يكون غرضه أن يسمع حديثه أو يفهم عنه سواه.

*
*
*

- ٥ ومن حقِّ الملك - إذا تشاءب أو ألقى المروحة أو مدَّ رجله أو تمطَّى أو أتكا أو كان في حالٍ فصار إلى غيرها مما يدلُّ على كسبه أو وقت قيامه - أن يقوم كلُّ من حضره. وكان أردشير بن بابك إذا تمطَّى، قام سُماره.
- وكان الأردوان الأحمر له وقت من الليل وساعات تُحصى. فإذا مضت، جاء الغلام بنعله، فقام من حضره.

أمارات الملوك
للجلاء بالانصراف

- ١٠ * وكان يُستأسف إذا ذلك عينه، قام من حضره.
- وكان يزدجرد الأئيم إذا قال: "شَبُّ بُسْدٍ"^(٣)، قام سُماره.
- وكان بهرام جور إذا قال: "وَوُحْمٌ خُفْتَارٍ"^(٤)، قام سُماره.
- وكان قُباذ إذا رفع رأسه إلى السماء، قام سُماره.^(٥)
- وكان سابور إذا قال: "حسبك يا إنسان!"، قام سُماره.



- ١٥ (١) صم: كلة. (بمعنى كلاله)
- (٢) لعل الصواب: "الأصغر". [وأنظر الحاشية ٦ من صفحة ٢٩ وصفحة ١٥١ من هذا الكتاب]
- (٣) جملة فارسية معناها: صار الليل. وفي هامش صم: يقول ذهب الليل.
- (٤) جملة فارسية معناها: نام مسرورا^(٦).
- (٥) هذه الفقرات الأربع المحصورة بين النجمتين * * منقولة عن صم.

وكان أنوشروان إذا قال: "قزت أعينكم!" قام سُمَّارُه^(١).
وكان عمر بن الخطَّاب إذا قال: "الصلاة!" قام سُمَّارُه^(٢). وكان ينهى عن السَّمَرِ
بعد صلاة العشاء.

وكان عثمان إذا قال: "العزة لله!" قام سُمَّارُه.
وكان معاوية إذا قال: "ذهب الليل!" قام سُمَّارُه ومن حضره^(٣).
وكان عبد الملك إذا ألقى المِخْصِرَةَ، قام من حضره^(٤).
* وكان الوليد إذا قال: "أستودعكم الله!" قام من حضره^(٥).
وكان الهادي إذا قال: "سلام عليكم!" قام من حضره.
وكان الرشيد إذا قال: "سبحانك اللهم وبمجدك!" قام سُمَّارُه^(٦).

- ١٠ (١) وكان كيشاسف يدلك عينه؛ ويزدجرد يقول: شب بشد (أى مضى الليل)؛ وبهرام يقول: حرم
خوش باد (أى كُنْ مسروراً)؛ وأبرويزيمد رجله؛ وقباذ يرفع رأسه إلى السماء. (عن "محاضرات الراغب"
ج ١ ص ١٢١. والتفسير العربى الأول عن المرحوم محمد عارف باشا فى حاشية "المحاضرات")
(٢) إذا قال قامت الصلاة. (فى "محاضرات الراغب" ج ١ ص ١٢١)
(٣) قال أصحاب معاوية له: إنا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك، فتريد أن تجعل لنا علامة نعرف
بها ذلك. قال: علامة ذلك أن أقول "إذا شئتم!". وقيل ذلك ليزيد، فقال: إذا قلت "على بركة الله!"
١٥ وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان فقال: إذا وضعت الخيزرانة. ("العقد الفريد" ج ١ ص ١٦٦ و ٢٨٨)
(٤) قضيب كالسوط، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها. وذلك من شعار الملوك.
(٥) فى المسعودى (ج ٥ ص ٢٥٧) وفى الراغب فى الموضع السابق بيانه، أنه كان يقول: "إذا شئتم"
وكانت سادات العرب يقولون لجليسهم: "إذا شئتم فقم!" وهذه الجملة آستعملها مصعب بن الزبير، كما
٢٠ فى الأغاني. (ج ٢ ص ١٣٨)
(٦) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين منقولة عن ص.
(٧) سبحان الله (الراغب ج ١ ص ١٢١)

وكان المعتصم إذا نظر إلى صاحب النعل، قام من حضره.

وكان الواثق إذا مس عارضيه وتثاءب، قام سُمَّارُه.

وكان المأمون إذا استلق على فراشه، قام من حضره. (١)

غير أن بعض من ذكرنا كان ربما قام بجنس آخر من الإشارة والكلام، وإِنَّمَا أضفنا إلى كل واحد منهم أغلب أفعاله كانت عليه.



ومن حقَّ الملك أن لا يُعَابَ عنده أحدٌ، صَغُرَ أو كَبُرَ.

غير أن من أخلاقها التحريش بين اثنين، والإغراء بينهما.

عدم ذكر أحد
بالعيب في حضرة
الملك

تحريش الملك بين
رجاله



فمن الملوك من يُدبَّرُ في هذا تديراً يجب في السياسة. وذلك أنه يقال: قل آثان
أستويا في منزلة عند الملك والجاه والتبّع والعزّ والحظوة عند السلطان فآتفقا، إلّا كان
ذلك الاتّفاق وهناً على المملكة والمَلِك، وفساداً في تديره. وذلك أنهما إذا آتفقا، وهما
وزير الملك، كانا - متى شاآ أن ينقضا ما أبرم الملك ويحلّا ما عقد ويوهيا ما أكّد -
قدراً على ذلك للاتّفاق والمُجماعة. ومتى انفصلا حتى يتباينا أو يتحارنا كان تباينهما

(١) هذه العبارة غير واردة في ص. وإذا كانت صحيحة فكانها بعد الكلام عن الرشيد، أي قبل هذا

الموضع بسطرين.

(٢) في "مطالع البدور في منازل السرور" (ج ١ ص ١٨٤) أن أول من جعل لندمانه أمانة ينصرفون
بها من مجلسه إذا أراد، كسرى. وهو أن يمدّ رجله، فيعرفون أنه يريد قيامهم، فينصرفون. وتبعه الملوك.
فكان فيروز الأصغر يدلك عينيه، وكان بهرام يرفع رأسه إلى السماء. وكان في ملوك الإسلام معاوية يقول:
الغزة لله!، وعبد الملك يلق المروحة من يده. وحدث بهذا الحديث عند بعض البخلاء. وسئل ما أمرته، فقال:
إذا قلت "يا غلام، هات الطعام!" وأنظر أيضا "محاضرات الراغب" (ج ١ ص ١٢١)

أثبتت في نظام الملك وأؤكد في عزِّ المملكة. وكان متى أراد هذا شيئاً، أراد الآخر
خلافه. فإذا تباينا في ذات أنفسهما، اجتمعا على نصيحة الملك، شاء أم أبياً. وآثرها
كل واحد منهما على هوى نفسه، وانتظم للملك تديره وتم له أمره.^(١)

ومن الملوك من لا يقصد إلى هذا ولا يكون غرضه الإغراء بين وزرائه وبطانته لهذه
العلة، بل ليعرف معايب كل واحد منهما. فإن معرفة ذلك تقطع الوزير عن الأبتساط
في حوائجه والتسحب على ملكه.

*
*
*

ومن الحق على الملك أن يكون رسوله صحيح الفطرة والمزاج، ذا بيان وعبارة،
بصيراً بمخارج الكلام وأجوبته، مؤدياً لألفاظ الملك ومعانيها، صدوقاً للهجة، لا يميل
إلى طمع ولا طبع، حافظاً لما حمّل.^(٢)

وعلى الملك أن يمتحن رسوله محنةً طويلةً، قبل أن يجعله رسولاً.

(١) كان السفاح، إذا تعادى رجلان من أصحابه وبطانته، لم يسمع من أحدهما في الآخر شيئاً ولم يقبله،
وإن كان القائل عنده عدل في شهادته. وإذا أصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه.
ويقول إن الضغينة القديمة تولد العداوة المحضة وتحمل على إظهار المسألة وتحتمل الأفعى التي إذا استكنت
لم تبق. (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٦)

(٢) الطبع: الشين والعيب. ومنه الحديث: "استعيذوا بالله من طبع يهدي إلى طمع". أخذه عروة بن
أذينة شاعر قريش فقال:

لا خير في طمع يهدي إلى طبع * وغفّة من قوام العيش تكفيني.

(عن تاج العروس)

والغفّة البلقّة من العيش.

سنة ملوك العجم
في اختبار السفير

وكانت ملوك الأعاجم - إذا آثرت أن تختار من رعيتهما من تجعله رسولا إلى بعض ملوك الأمم - تمتحنه أولا، بأن توجهه رسولا إلى بعض خاصة الملك ومن في قوار داره في رسائلها. ثم تقدم عينا عليه يحضر رسالته ويكتب كلامه. فإذا رجع الرسول بالرسالة، جاء العين بما كتب من ألفاظه وأجوبته. فقابل بها الملك ألفاظ الرسول. فإن اتفقت أو اتفقت معانيها، عرف الملك صحة عقله وصدق لهجته. ثم جعله الملك رسولا إلى عدوه، وجعل عليه عينا يحفظ ألفاظه ويكتبها، ثم يرفعها إلى الملك. فإن اتفق كلام الرسول وكلام عين الملك وعلم أن رسوله قد صدقه عن عدوه ولم يتريده عليه للعداوة بينهما، جعله رسوله إلى ملوك الأمم، ووثق به. ثم كان بعد ذلك يقيم خبره مقام الحجّة.

١٠ وكان أردشير بن بابك يقول: "كم من دم قد سفكه الرسول بغير حله! وكم من جيوش قد قُتلت وعساكر قد هُزمت وحرمة قد انتهكت ومال قد انتهب وعهد قد نقض بخيانة الرسول وأكاذيبه!"

١٠٢
كلمة أردشير
في حق السفير

وكان يقول: على الملك، إذا وجه رسولا إلى ملك آخر، أن يردفه بأخر. وإن وجه رسولين، أتبعهما بأثنين. وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقات ولا يتعارفان فيتواطأ، [فَعَلَّ]. ثم عليه، إن أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شر، أن لا يحدث في ذلك خيرا أو شرا، حتى يكتب إليه مع رسول آخر يحكى له ما في كتابه الأول حرفا وحرفا، ومعنى معنى. فإن الرسول ربما حرم بعض ما أمل، فأنفعل الكتب وحرّض المرسل على المرسل إليه، فأغراه به وكذب عليه.

كلمة ثانية له

٢٠ (١) أورد القاتشندي هذه الجملة في الجزء الأول (ص ٧٣) من "صبح الاعشى" ببعض تصرف في الألفاظ. وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تلبه الملوك" (ص ٨٩). وكذلك صاحب "المحاسن والمساوى" (ص ١٦٨ - ١٦٩).

ما فعله الإسكندر
بسنده كتاب عليه

ويقال إن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق . فغاه برسالة شكَّ
في حرف منها . فقال له الإسكندر : ويلك ! إن الملوك لا تخلو من مقوم ومسدّد ،
إذا مالت . وقد جئتني برسالة صحيحة الألفاظ بينة العبارة ، غير أنّ فيها حرفاً
ينقضها . أفعلى يقين أنت من هذا الحرف أم شكّ فيه ؟ فقال الرسول : بل على
يقين أنّه قاله . فأمر الإسكندر أن تُكتب ألفاظه حرفاً حرفاً ويُعاد إلى الملك مع رسولٍ
آخره فيقرأ عليه ويُترجم له . فلما قُرئ الكتاب على الملك فترّ بذلك الحرف ، أنكره .
فقال للترجم : ضع يدي على هذا الحرف . فوضعها . فأمر أن يُقطع ذلك الحرف
بسكينته ، فُقطع من الكتاب . وكتب إلى الإسكندر : إن رأس الملكة صحّة فطرة
الملك ، ورأس الملك صدق لهجة رسوله ، إذ كان عن لسانه ينطق وإلى أذنه يودى .
وقد قطعت بسكينتي ما لم يكن من كلامي ، إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولك سبيلاً .
فلمّا جاء الرسول بهذا إلى الإسكندر ، دعا الرسول الأول ، فقال : ما حملك على كلمة
أردت بها فساد ملّكين ؟ فأقرّ الرسول أن ذلك كان لتقصير رآه من الموجه إليه .
فقال الإسكندر : فأراك لنفسك سعيت ، لالنا ! فلما فاتك بعض ما أملت ، جعلت
ذلك ثأراً في الأنفس الخطيرة الرفيعة ! فأمر بلسانه فترع من قناه .

(١) المدية يسميها العرب سكيناً وسكينة . والأسم الأول أشهر وأكثرياً ، والسكين يذكر ويؤنث ، وقال بعضهم إن السكينة خطأ ، وليس كذلك . فقد جاء في شرح الفصيح أنها لغة قوم من بني ببيعة ، وأوردها الفراء وابن سيده . قال الشاعر : سكينته من طبع سيف عمرو * نصابها من قرنت تيس برى .
وفي الحديث : قال الملك لما شقّ بطنه : أتيتي بالسكينة (أنظر "تاج العروس" في س ك ن ، "وشفاء الغليل" صفحة ١٢٣) . وقد استعمل الجاحظ كلا من اللفظين أحدهما هنا والثاني في صفحة ١٠٠ من هذا الكتاب .

(٢) سه : أس .

(٣) أنظر الحاشية ١ من الصفحة السابقة . وقد أورد هذه الحكاية صاحب "مخاسن الملوك" (ص ٦١) واستعمل ألفاظ الجاحظ نفسها .



ومن أخلاق الملك أن لا يكون لنامه في ليل ولا نهار موضع يُعرف به، ولا حاوٍ يقصد إليه. إذ كانت أنفُس الملوِك هي المطلوب غرْبَتها، والموَكَّل برعاية سِنَّتِها وساعة غفلتها. ويقال إن ملوك آل ساسان لم يُعرف مَبِيت أحد منهم قط ولا مَقِيله.

احتياط الملك
في نامه ومقيله

فأما أردشير بن بابك وسابور وبهرام ويزدجرد وكسرى أبريز وكسرى أنوشروان، فكان يفرش للملك منهم أربعون فراشا [في أربعين موضعا] (٤). ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الأفراد لا يشك أنه فراش الملك خاصة [وأنه نائم فيه] (٤). ولعله أن لا يكون على واحد منها. بل لعله ينام على مجلس رقيق. وربما توسد ذراعه، فنام.

سنة ملوك الفرس
في النوم

ولو لم يجب على ملوكنا حفظ نامهم وصيانتته عن كل عين تطرف وأذن تسمع إلا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) فعله - وهو من الله بمكانه المخصوص من كلاءته إيّاه وحراسة الروح الأمين له - لقد كان يحق عليهم أن يقتدوا به ويمثلوا فعله. وقد كان المشركون هموا بقتله، فأخبره جبريل (صلى الله عليهما) عن الله (جل ثناؤه) بذلك، فدعا على بن أبي طالب (عليه السلام) فأنامه على فراشه، ونام هو (صلى الله عليه وسلم) بمكان آخر. فلما جاء المشركون إلى فراشه، فنمض منه على، وأنصرفوا عنه.

السنة النبوية
في النوم



(١) في صه، سه: "حوى" [وأخترت الحاوى لأنه من اصطلاحات الفلسفة بمعنى الحيز]

(٢) صه: عزتها.

(٣) ضبطه في سه: "سُنَّتِها" وهو سبق قلم.

(٤) الزيادة عن "محاسن الملوك".

(٥) سه: إلا ومن ورائه من بعيد على الأفراد فراش لا يشك الخ.

ففي هذا أكبر الأدلة وأوضح الحجّة على ما ذكرنا. إذ كانت أنفُسُ الملوّك هي الأنفُسُ
الخطيرة الرفيعة التي توزن بنفوس كلِّ من أظَلَّت الخضرَاء وأقَلَّت الغبراء.^(١)^(٢)

إِطْلَاعُ الْوَالِدِينَ
فَقَطَّ عَلَى مَنَامِ الْمَلِكِ

وكانت الأعاجم تقول: لا ينبغي للملك أن يَطَّلِعَ على موضع منامه إلاَّ الوالدان^(٣)
فقط، فأما من دونهما، فالوحشة منه وترك الثقة به أبلغ في باب الحزم. وأؤكد
في سياسة الملك، وأوجب في الشريعة، وأوقع في الهويناء.^(٤)^(٥)

ومن حق الملك أن يعامله ابنه كما يعامله عبده، وأن لا يدخل مداخله إلاَّ
عن إذنه، وأن يكون الحجاب عليه أغلظ منه على من هو دونه من بطانة الملك
وخدمه، لئلاَّ يتجمله الدالّة على غير ميزان الحق.^(٦)

مافعله يزدجرد مع
ابنه بهرام

فإنه يُقال إنَّ يَزْدَجَرْدَ رأى بهرام ابنه بموضع لم يكن له، فقال: مررت بالحاجب؟
قال: نعم. قال: وعلم بدخولك؟ قال: نعم. قال: فأخرج إليه وأضربه ثلاثين سوطاً،
ونجّه عن السِّتْرِ، ووكل بالحجابة أَرَادَ مَرْدَ. ففعل ذلك بهرام وهو إذ ذاك ابن ثلاث
عشرة. ولم يعلم الحاجب فيم غضب الملك عليه. فلما جاء بهرام بعد ذلك ليدخل،

١٠٦

(١) السماء.

(٢) الأرض.

(٣) نقل هذه الأحكام صاحب "مخاسن الملوك" باختصار مع استعمال ألفاظ الجاحظ (ص ٩٣)

(٤) سم: وأرفع.

(٥) التؤدة والرفق.

(٦) صم: مراد.

(٧) لم أعر على شيء يتعلق بهذا الحاجب، ولم أجد هذه الحكاية في غير الجاحظ. وفي "مخاسن الملوك"

سماء "فلانا".

دفع أراد مرده في صدره دفعةً ^(١) وقده منها، وقال: إن رأيتك بهذا الموضع ثانية، ضربتكَ ستين سوطاً، ثلاثين منها لجنايتك على الحاجب بالأمس، وثلاثين لثلاث تطمع في الجناية على ^(٢). فبلغ ذلك يزدرجده، فدعا أراد مرده، فخلع عليه وأحسن إليه ^(٣).

ويقال إن يزيد بن معاوية كان بينه وبين أبيه باب. فكان إذا أراد الدخول عليه قال: يا جاريه! أنظري هل تحرك أمير المؤمنين؟ فجاءت الجارية [مرة] حتى فتحت الباب. فإذا معاوية قاعد، وفي حجره مصحف، وبين يديه جارية تصفح عليه. فأخبرت يزيد بذلك. فجاء يزيد فدخل على معاوية. فقال له: أي نبي! إني إنما جعلت بني وبينك باباً، كما بيني وبين العامة. فهل ترى أحداً يدخل من الباب إلا بإذن؟ قال: لا. قال: فكذلك فليكن بابك! فإذا قرع عليك فهو إذنك ^(٣).

ما فعله معاوية مع
أبيه يزيد

وهكذا ذكر لنا أن موسى الهادي دخل على أمير المؤمنين المهدي ^(٤) فزبره وقال: ^(٥)
إياك أن تعود إلي مثلها إلا أن يفتح بابك!

ما فعله المهدي مع
أبيه الهادي

وذكر لنا أن المأمون لما استعربه الوجع، سأل بعض بنيه الحاجب أن يدخله عليه ليراه. فقال: لا والله! ما إلى ذلك سبيل، ولكن إن شئت أن تراه من ١٠٧

ما فعله الحاجب
بولد المأمون

(١) أي أوجعته وآلمته كثيراً. والوقد شدة الضرب. وفي "محاسن الملوك": فدعه دفعةً أوقعه بها.

(٢) في "محاسن الملوك": وثلاثين على استمرار جنايتك.

(٣) روى هذه الحكاية بتلخيص خفيف صاحب "محاسن الملوك" (ص ٨٦ - ٨٧).

(٤) إتهره.

(٥) نقلها في "محاسن الملوك" (ص ٨٧).

(٦) أي أشد عليه، تشبيهاً باستعمار النار. وفي ص: استغفره. [ولعل صواب الرواية: استمر]

وفي "محاسن المساوي": اشتد.

حيث لا يراك، فأطالع عليه من ثقب في ذلك الباب. فجاء حتى أطلع عليه وتأمله ثم أنصرف.

وذكر لنا أن إيتاخ بصّر بالوائق في حياة المعتصم واقفاً في موضع لم يكن له أن يقف فيه، فزّبره وقال: تتحّ! فوالله لولا أني لم أتقدم إليك في ذلك، لضربتك مائة عصاً. وليس لأبن الملك من الملك إلا ما لعبدته من الاستكانة والخضوع والخشوع، ولا له أن يظهر دالة الأبوة وموضع الوراثة. فإن هذا إنما يجوز في التمثيل الأوسط من الناس ثم الذين يلوّهم. فأما الملوك فترقى عن كل شيء يمت به.

وليس لأبن الملك أن يسفك دمًا، وإن أوجبت الشريعة سفكه وجاءت المدة

(١) قد يرد هذا الاسم بتقديم التاء على الياء (إيتاخ) كما في سسه وكما في بعض نسخ "كتاب الفهرست". ولكن الصواب تقديم الياء التحتية. ومعناه في اللغة الفارسية الغازي والفاضل، كما في "برهان قاطع". كان أصل هذا الرجل طبّاخاً ثم ترقت به الأحوال إلى أن صار مقدّم الجيوش وكبير الدولة وصاحب مصر في أيام المعتصم. ولذلك قال بابك إن المعتصم لم يبق لديه أحداً إلا وجهه به إليه، حتى طبّاه. وبعث بذلك المعنى إلى ملك الروم، يفريه بالخليفة حينما ضايقه وأخذ بخناقه، وكتب له: "فإن أردت الخروج إليه، فليس في وجهك أحد يمنعك". وقد تولى إيتاخ أمر اليمن والكوفة والحجاز وتهامة ومكة والمدينة ودعى له على المنابر. وأتته أمره بأن خافه المتوكل وأعمل الحيلة في القبض عليه وإماتته عطشا. وأخذ له من الذهب ألف ألف دينار. كانت وفاته سنة ٢٣٤. (أنظر "النجوم الزاهرة" وأبن الأثير في فهرسهما، و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٥٠٠)

(٢) سسه: أني أتقدم.

(٣) الآداب والحكايات الواردة في هذه الصفحة وفي التي قبلها منقولة بالحرف الواحد وبهذا الترتيب في "المحاسن والمساوي" (ص ١٧٠ - ١٧٢).

(٤) صه: الجنوح.

(٥) في سسه: "تمت". وأملت هو التوسل والتوصل بقرابة أو حرمة أو دالة أو نحو ذلك. وفي صه: فترق عن كل شيء يمت إليه.

مافعاله الحاجب
بولد المعتصم

واجبات ابن الملك

١٠

١٥

٢٠

به ، إلا عن إذن الملك ورأيه . لأنه - متى تفرّد بذلك - كان هو الحاكم دون الملك .
وفي هذا وهن على الملك وضعف في المملكة .^(١)

وكذلك أيضا ليس له أن يحكم في الحلال والحرام والفروج والأحكام ، وإن كان
ولى عهد الملك والمقلد إرث أبيه والمحكوم له بالطاعة ، إلا عن أمره ورأيه .

وليس له - إذا جمعته والملك دار واحدة - أن يأكل إلا بأكل الملك ولا [أن] ①
يشرب إلا بشربه ولا [أن] ينام إلا بمنامه .

وكذا يجب عليه في كلّ شئ من أموره الساترة والضايرة أن يكون له تابعا وحركته
تاليا .

وليس هذا على [من] دون ابن الملك من بطانته وسائر رعيته . لأن ابن الملك عضو
من أعضائه وجزء من أجزائه ، والملك أصل والآب فرع ، والفرع تابع للأصل ؛
والأصل مستغن عن الفرع .

وليس لابن الملك أن يرضى عمن سخط عليه الملك ، وإن كان المسخوط عليه
لاذنب له عنده . لأن من العدل والحق عليه أن يوالى من والى الملك ، ويعادى
من عاداه . ولا ينظر في هذا إلى حظ نفسه وإرادة طبعه ، حتى يبلغ من حق الملك
ما إن وجد إلى غيلته سبيلا أن يقتله . وعلى هذا ينبغي أن يكون نظام العامة لملكها .
١٥

(١) صه : وضعة .

(٢) الواو هنا واو المعية .

(٣) الضمير هنا يعود على المسخوط عليه . وفي صه : حيلته .



وقد تحدث في أخلاق الملك مَلَائَةً لَشَهْوَةِ الأَسْتِبْدَالِ فقط. فليس لصاحب الملك، إذا أحدث الملكُ خُلُقًا، أن يعارضه بمثله، ولا إذا رأى نُبُوَّةً وَأَزْوَارَةً، أن يُحِدِّثَ مثله. فإنه متى فعل ذلك فَسَدَتْ نَبْتُهُ. ومن فسدت نبتُهُ، عادت طاعته معصيةً وولايته عداوةً. ومن عادى الملك، فنهسه عادى وإياها أهان.



ولكن عليه، إذا أحدث الملك الخُلُقَ الذي عليه نبتُهُ أكثر الملوكة، أن يحتال في صرف قلبه إليه. والحيلة في ذلك يسيرة: إنما هو أن يطلب خلوته فيأليه بنادرةٍ مُضْحِكَةٍ أو ضربٍ مثلي نادرٍ أو خبرٍ كان عنه مغطى، فيكشفه له.

ما صنعه ما زيار
المضحك مع أحد
ملوك العجم

كما فعل بعض سُمَّارِ ملوك الأعاجم. أظهر الملك له جَفْوَةَ المَلَائَةِ فقط، فلما رأى ذلك، تعلم نُبْحَ الكلابِ وَعُوَاءَ الذئابِ ونهيق الحمير وصياح الديوك وشحيج البغال وصهيل الخيل. ثم آحتال حتى دخل موضعاً يقرب من مجلس الملك وفراشه يُخْفِي أمره. فنبح نُبْحَ الكلابِ، فلم يشك الملك أنه كلبٌ وأبْنُ كلبٍ، فقال: أنظروا ما هذا! فعوى عُوَاءَ الذئابِ، فنزل الملك عن سريه. فنهق نهيق الحمار، ومصر الملك هارباً. وجاء غلمانُه يتبعون الصوت. فكلمها دنواً منه، أحدث معنى آخر، فأجمعوا عنه. ثم اجتمعوا فآقتحموا عليه، فأخرجوه وهو عريانٌ محتجبٌ. فلما نظروا إليه، قالوا للملك

(١) سه: الأستبداد.

(٢) في المسعودي طبع باريس: "رقاء"؛ وفي طبعة بولاق: "زفاء". وهذا هو الصواب، ومعناه صياح الديك. (أنظر القاموس وشرحه)

(٣) في المسعودي: "وأخفى أمره"؛ ولعل الأقرب للصواب "وأخفى أمره". وفي صه: من مجلس

الملك وموضع منامه.

(١) هذا ما زيار المضحك! فضحك الملك حتى تبسط وقال: ويلك! ما حملك على هذا؟
قال: إن الله مسحني كلبا وذئبا وحمارا، لما غضب على الملك. فأمر أن يُجْلَع عليه
(٣) ويردّ إلى موضعه.

وهذا لا يفعله إلا أهل الطبقة السفلى. فأما الأشراف، فلهم حيل غير هذه،
مما يُشبه أقدارهم.

* كما فعل رَوْح بن زنباع، وكان أحد دُهاة العرب. رأى من عبد الملك بن مروان
نبوة وإعراضا. فقال للوليد: ألا ترى ما أنا فيه من إعراض أمير المؤمنين عني
بوجهه، حتى لقد فغرت السباع أفواها نحوى، وأهوت بجالها إلى وجهي؟ فقال له
الوليد: احتلّ في حديثٍ يُضحكه! فقال رَوْح: إذا أطمأنت بنا المجلس، فسألني عن
عبد الله بن عمر، هل كان يمزح أو يسمع مزاحا؟ فقال الوليد: أفعُل.

وتقدّم فسبقه بالدخول وتبعه رَوْح. فلما أطمأنت بهم المجلس، قال الوليد لروّح:
هل كان ابن عمر يسمع المزاح؟ قال: حدثني ابن أبي عتيق أن امرأته عاتكة بنت
(٤) عبد الرحمن هجته، فقالت:

(١) سماه في المسعودي: "مرزبان" وكرره.

(٢) صه: ويحك.

(٣) نقل المسعودي هذه الحكاية. (مروج الذهب ج ٥ ص ٢٨٣)

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب. وورعه وتقواه أشهر من فارعل علم. (وترجمته في "الطبقات
الكبرى" لابن سعد. وفي "أسد الغابة" وغيرهما من الكتب الكثيرة الخاصة بالصحاب)

(٥) هو عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي خافة. كان من نسل كقريش وطرفاتهم
بل قد بذهم طرفا. وله أخبار كثيرة. في الخلاعة بغير رقت وفي المحبوت بغير فسوق. وقد غلبت عليه
الدعابة وأشهر بها. (أنظر "العقد الفريد" ج ٣ ص ٢٣٨؛ وراجع "كامل" المبرد و"الأغانى"
و"الكامل" لابن الأثير. بمقتضى فهرسها)

ذهب إليه بما تعيش به * وقمرت ليلك أيما قمر.

أنفقت مالك غير محتشم * في كل زانية وفي الخمر.

قال: وكان ابن أبي عتيق صاحب غزل وفكاهة، فأخذ هذين البيتين - وهما في رقعة - فخرج بهما. فإذا هو بعبد الله بن عمر، فقال: يا أبا عبد الرحمن! أنظر في هذه الرقعة، وأشر عليّ برأيك فيها. فلما قرأها، أسترجع عبد الله. فقال: ماترى فيمن هجاني بهذا؟ قال عبد الله: أرى أن تعفوا وتصفح! قال، والله يا أبا عبد الرحمن، لئن لقيت قائلها لأني لئن نيلته نيلاً جيداً! فأخذ ابن عمر أفكلاً^(٢)، وأربد لونه وقال: ويلك! أما تستحي أن تعصى الله؟ قال: هو والله ما قلت لك.

وأفترقا. فلما كان بعد ذلك بأيام، لقيه. فأعرض ابن عمر بوجهه، فقال: بالقبر ومن فيه، إلا ما سمعت كلامي! فتحوب عبد الله، فوقف فوقه وأعرض عنه بوجهه. فقال: علمت يا أبا عبد الرحمن أني لقيت قائل ذلك الشعر فنلتته؟ فصعق ابن عمر وليط به. فلما رأى ما حل به، دنا من أذنه فقال: إنها امرأتى! فقام ابن عمر فقبل ما بين عينيه. فضحك عبد الملك حتى فخص برجله وقال: قاتلك الله ياروح! ما أطيب حديثك! ومد إليه يديه فقام روح فأكب عليه وقبل أطرافه وقال: يا أمير المؤمنين، ألدنّب فأعتذر

(١) أنظر الحاشية ٢ ص ٧٩ من هذا الكتاب.

(٢) الأفكل الرعدة. وفي المسعودي: "أفكل ورعدة". من باب عطف التفسير.

(٣) أقسم عليه بالروضة الشريفة وبالمدفون فيها وهو النبي صلى الله عليه وسلم. فتحوب أى وجد في عدم

الوقوف إثماً، فوقف ولكن معرضاً عنه بوجهه.

(١) أم لملالةٍ فأرجو عاقبتها. قال: لا والله! ماذا من شيءٍ نكرهه. ثم عادله أحسن حالاً*

ونحو هذا يُحكى عن جرير بن الخطمي^(٢)، حين دخل على عبد الملك، وقد أوفده إليه الججاج بن يوسف. فدخل محمد بن الججاج وقال لجرير: كن في آخر من يدخل. فلما دخل جرير، قال محمد: يا أمير المؤمنين هذا جرير بن الخطمي، مادحك وشاعرك! قال: بل مادح الججاج وشاعره. قال جرير: فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشاد مديحه؟ قال هاتِ بالججاج! قال: فقلت: بل بك يا أمير المؤمنين! قال: هاتِ في الججاج! فأنشده قولي في الججاج:

صَبَرْتَ النَّفْسَ يَا ابْنَ أَبِي عَقِيلٍ * مُحَافِظَةً، فَكَيْفَ تَرَى الثَّوَابَا؟

وَلَوْ لَمْ تُرِضْ رَبِّكَ، لَمْ يُسْتَزَلْ * مَعَ النَّصْرِ الْمَلَأَكَةَ الْغَضَابَا.

إِذَا سَعَرَ الْخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ، * رَأَى الْجَجَّاجَ أَثْقَبَهَا شَهَابَا.

فقال: صدقت، هو كذلك! ثم قال للأخطل، وهو خلفي وأنا لا أراه: قُمْ فَهَاتِ

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمتين * منقولة عن ص. وقد نقل صاحب "محاسن الملوك"

هذه الحكاية بالحرف الواحد تقريباً (ص ٧٦ - ٧٧). أما المسعودي فقد أوردتها بألفاظ أخرى وزيادة

ونقص في المعنى (ج ٥ ص ٢٨٤ - ٢٨٦)، وكذلك النويري في "نهاية الأرب في فنون الأدب"

(في الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المحجون والنوادر والفكاهات والملح). ولكن عبارتهم

كلهم فيها خالية من حسن الديباجة وجمال الترفيف الذي تراه في عبارة الجاحظ.

(٢) سماه في "الصحاح" الخيطي. واللفظان معناهما واحد، وهو السريع. وهما مأخوذان من الخطف وهو

الاستلاب. وهو لقب جدّه، لبيت قاله في شعره. ولكن الأسم المخفف الذي آستعمله الجاحظ هو الأكثر

شيوفاً، وقد ورد في شعر الأخطل. (أنظر "تاج العروس"، "تاج الأشتاق" لأبن دريد (ص ١٤١)،

"ديوان الأخطل" الذي نشره الأب الفاضل أنطون صالحاني (ص ٢٢٤)؛ وغيرها من دواوين الأدب)

(٣) سبب تسمية الأخطل أن اثنين تحا كماله فأقسم أنهما لثيان، هما وأمهما وهو نفسه أيضاً. فقبل له إن هذا

نخطل من قولك. فسمى الأخطل. (أمالى القالي ج ٢ ص ٢٣٤)

١١١

مديحنا! فقام فأنشده فأجاد وأبلغ. فقال: أنت شاعرنا وأنت مادِحنا: فم فآرَكة! قال: ^(١) فألقى النصراني ثوبه، وقال: ^(٢) جب! يا ابن المراجعة. قال: وساء ذلك من حصر من المضربة، وقالوا: يا أمير المؤمنين، لا يركب الحنيف المسلم، ولا يظهر عليه. فاستحيا عبد الملك، وقال: دعه! قال: فأنصرفت أنزى خلق الله حالاً، لما رأيت من إعراض أمير المؤمنين عني، وإقباله على عدوي. حتى إذا كان يوم الرواح للوداع، دخلت لأودعه، فكنت آخر من دخل عليه. فقال له محمد بن الحجاج: يا أمير المؤمنين، هذا جرير، وله مديح في أمير المؤمنين. فقال: لا، هذا شاعر الحجاج! قلت: وشاعرك يا أمير المؤمنين! قال: لا. فلما رأيت سوء رأيه، أنشأت أقول:

أتضحو أم فؤادك غير صالح؟ ...

فقال: ذاك فؤادك!

ثم أنشدته حتى بلغت البيت الذي سره، وهو قولي:

أستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راج

فأستوى جالساً، وكان متكئاً، فقال: بلى نحن كذلك، أعد! فأعدت. فأسفر لونه

(١) أمره بوضع يديه على ركبته أو على الأرض ليتمكن من ركوبه. و"جب" فعل أمر من التوجيه بمعنى الأتخاء. قال في "لسان العرب" في مادة ج ب ي مانصه: وجب الرجل وضع يديه على ركبته في الصلاة أو على الأرض. وهو أيضاً أنكبابه على وجهه. والعامة في مصر تقول الآن في مثل هذا المقام: "طاطى البصلة" ويعنون بالبصلة الرأس. وذلك في حال ما يريد أحدهم ركوب الآخر.

(٢) هذا هو اسم أم جرير. وقيل إن الفرزدق والأخطل سميها كذلك في هجاء كل منهما له. وقيل إن ذلك تعبير له ببني كليب لأنهم أصحاب حمير. ووفود جرير على عبد الملك مذکور في كثير من كتب الأدب مثل "الأغانى" و"العقد الفريد" (ج ١ ص ١٥١). ولكن رواية الجاحظ هي أوفى وأحسن ما رأيت.

١١٢

وذهب ما كان في قلبه، ثم التفت إلى محمد [بن المحجاج] فقال: ترى أم حزره ترويهما مائة من الإبل؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين! إن كانت من فرائض كلب فلم تروها، فلا أروها الله! قال: فأمر لي بمائة فريضة، ومددت يدي - وبين يديه صحاف أربع من فضة قد أهديت إليه - فقلت: المحلب، يا أمير المؤمنين! فأخذت منها واحدة، فقال: خذها، لا بورك لك فيها! قلت: كل ما أخذت من أمير المؤمنين مبارك لي فيه.

* وهكذا فعل بالأمس عبد الملك بن مهلهل الهمداني، وكان سليمان بن أبي جعفر قد جفاه. فاتاه يوماً في قائم الظهيرة، والهجرة تقدم. فاستأذن، فقال له الحاجب: ليس هذا بوقت إذن على الأمير. فقال له: أعلمه بمكاني. فدخل عليه فأعلمه، فقال له: مره يسلم قائماً ويخفف! فخرج الحاجب فأذن له وأمره بالتخفيف. فدخل فسلم قائماً ثم قال: أصلح الله الأمير! إني أنصرفت بالأمس نحو منزلي، و[قد]

(١) حزره هي بنت جرير. وكان يكنى بها. قال في "تاج العروس"، ما نصه: "وأبو حزره كنية سيدنا جرير رضى الله عنه". ولا أدري لماذا لقبه بالسيادة ثم ترضى عنه (!) ويظهر أنه فهم أنها كنية جرير بن عبد الله البجلي الصحابي، وليس كذلك.

(٢) ص: كلاب.

(٣) ص: رواها.

(٤) روى صاحب "الأغانى" هذه القصة باختلاف فيه زيادة وفيه نقص (جزء ٧ ص ٦٦ و ٦٧). وأنظر القصة بعينها مروية بتفاصيل وافية في "ذيل أمالي القالي" (ص ٤٣ - ٤٦) ورواها باختصار ألفاظ الجاحظ في "المحاسن والمساوى" (ص ٢٣٠ - ٢٣١).

(٥) ص: عبد الملك بن هلال الهامى، وقد صححت حسبما في المسعودى طبع باريس وبولاق

(٦) هوسليمان بن أبي جعفر المنصور، وكان من قواد موسى الهادى. (مروج الذهب ج ٦ ص ٢٦٦)

(٧) أى كانت شدة الحر تنوقد. وفي مروج الذهب: وأخذت الهجير.

(٨) ص: "أعلمه موضعي". وقد اخترت رواية المسعودى.

(١) أَمْسَيْتُ، فَبَيْنَا أَنَا فِي الطَّرِيقِ، إِذَا بِمُؤَدِّنٍ قَدْ تَوَّابٌ بِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ عَلَى مَسْجِدٍ مَعْلُوقٍ. (٢)
 فَصَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ . . . قَالَ سَلِيمَانُ: فَبَلَغَتِ السَّمَاءَ، فَكَانَ مَاذَا؟ قَالَ:
 فَتَقَدَّمَ إِنْسَانٌ، إِمَّا كَرِيحِيٌّ وَإِمَّا سُنَيْدِيٌّ وَإِمَّا طُمَطَانِيٌّ. ^(٣) فَأَمَّ الْقَوْمَ فَقَرَأَ بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمُهُ
 [وَلُغَةً مَا أَعْرِفُهَا]، فَقَالَ: "وَيْلٌ لِكُلِّ هَرَهٍ زَمًّا مَالًا وَعَدَدَهُ" يَرِيدُ "وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ
 لِمُنْزَةٍ الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَدَهُ". قَالَ: وَإِذَا خَلْفَهُ رَجُلٌ سَكَرَانٌ مَا يَعْقِلُ سُكْرًا، فَلَمَّا سَمِعَ
 قِرَاءَتَهُ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَجَعَلَ يَقُولُ "إِيرَعِكِي! إِيرَعِكِي! إِيرَعِكِي! إِيرَعِكِي! إِيرَعِكِي! إِيرَعِكِي!
 فِي حَرِيمِ قَارِيكِ!" فَضَحِكَ سَلِيمَانُ ثُمَّ تَمَرَّغَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَقَالَ: أُدْنُ مِنِّي يَا [أَبَا] مُحَمَّدُ،
 فَأَنْتَ أَطِيبُ أُمَّةٍ مَجْدٍ! ثُمَّ دَعَا لَهُ بِخُلْعَةٍ وَقَالَ: "الزِّمِ الْبَابَ وَأَعْدُدْ فِي كُلِّ يَوْمٍ."
 (٥) وعاد إلى أحسن حالاته عنده *

(٦) وهذه أخلاق الملوك لمن فهمها. وليس بعجب أن تتلون أخلاقهم، إذ كنا نرى
 أخلاق القرين المساوي والشريك والإلف نتلون ولا تستوى، ولعله يجد عن إلفه

(١ - ٢) تَوَّابٌ: دَعَا إِلَى الصَّلَاةِ. [وَفِي الْمَسْعُودِيِّ طَبَعُ بَارِيْسِ وَبُولَاقِ: "فَدَنَوْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى مَسْجِدِ
 مَعْلُوقٍ". وَظَاهِرٌ أَنَّ رِوَايَةَ صَاحِبِ أَوْقَعُ وَأَقْعُدُ وَأَتَمُّ].

(٣) فِي الْمَسْعُودِيِّ طَبَعُ بَارِيْسِ "إِمَّا كَرْدِيٌّ وَإِمَّا طُمَطَانِيٌّ" وَفِي طَبَعِ بُولَاقِ: "إِمَّا كَرْدِيٌّ أَوْ طُمَطَانِيٌّ"

(٤) أَنْظَرَ الرِّوَايَاتِ الْآخَرَ فِي الْمَسْعُودِيِّ طَبَعُ بَارِيْسِ وَبُولَاقِ. وَكُلُّهَا مَحْرَقَةٌ مِنَ النَّسَاحِينَ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ

وَقَدْ نَبِهَ عَلَيَّ ذَلِكَ مَرْتَبَةً الْمَسْعُودِيُّ. [وَأَنْظَرَ حَاشِيَةَ ٤ صَفْحَةَ ٧٥ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ]

(٥) هَذِهِ الْفَقْرَةُ الْمَحْصُورَةُ بَيْنَ نَجْمَتَيْنِ * * مَنْقُولَةٌ عَنْ صَاحِبِ الْحِكَايَةِ أَوْ رَدَّهَا الْمَسْعُودِيُّ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ

تَقْرِيْبًا عَنِ الْمَحَافِظِ دُونَ أَنْ يَشِيرَ إِلَيْهِ (رَاجِعْ "مَرْوَجُ الذَّهَبِ" طَبَعُ بَارِيْسِ ج ٥ ص ٢٨٦ - ٢٨٨ ٦

وَطَبَعُ بُولَاقِ ج ٢ ص ١٠٣)

(٦) ص: إِنْ فَهَمْتَهَا.

(١) وقرينه وشكله مندوحة . فكيف بمن ملك الشرق والغرب ، والأسود والأبيض ،
والحر والعبد ، والشريف والوضيع ، والعزيز والذليل ؟



وعلى أنه ربما كانت جفوة الملك أصلح في تأديب الصاحب من اتصاله بالأنس ،
وإن كان ذلك لا يقع بمواقفة الجفوة . لأن فيها فراغ الجفوة لنفسه وتخلصه لامره .
ولمّا كان لا يمكنه الفراغ له من مهمّ أمره . وفيها أيضا أنه إن كان الجفوة من
أهل السمر وأصحاب الفكاهات ، فبالحرى أن يستفيد بتلك الجفوة علما طريفا محدثا
له بالكتب ودراستها أو بالمشاهدة والملاقة ، وربما كان لا يمكنه قبل ذلك ، وهو
في شغله . ومنها أن جفوة الملك ربما أدبت الصاحب الأدب الكبير . وذلك انه
كل من أنفس الملك^(٣) مجلسه وطال معه قعوده وبه أنسه ، تميّ الفراغ وطلبت منه
نفسه التخلّص والراحة والخلوّة لإرادة نفسه . كما أنه من كثير فراغه وقلّ أناسه ، جفّى
وأطرح ، وطلب الشغل والأنس وما أشبه ذلك .

فبهذه الأخلاق ركبت الفطر وجبلت النفوس .

فإذا جاءه الفراغ الذي كان يطلبه ويتمناه من الجهة التي لم يقدرها ، طلبت نفسه
الموضع الذي يملّه والشغل الذي كان يهرب منه .

(١) سم : الأحمر .

(٢) سم : وتخلص أمره عليه . صم : وخاص أمره عليه . وقد صححت بحسب السياق .

(٣) بمعنى أن الملك يجد مجلسه وجلسه معه نفيسا . وفي سم ، صم : "نفس" . ولا معنى لها . ولذلك

صححت المتن بما وصل إليه آجهادى .

ثمرات
التأديب بالجفوة

١١٣

ومنها أنه كان في عِزٍّ ومَنَعَةٍ وأَمْرٍ ونَهْيٍ، وكان مرغوباً إليه مرهوباً منه، ثم [لما] حدثت جفوة الملك، أنكروا ما كان يعرف، وعصاه من كان له مطيعاً، وجفاه من كان به برّاً.

ومنها أن جفوة الملك تُحْدِثُ رِقَةً عَلَى الْعَامَّةِ ورَأْفَةً بِهِمْ، وتُحْدِثُ لِلجَفْوَةِ حُسْنَ نِيَّةٍ.

ومنها أن الرضا، إذا كان يعقب الجفوة، وَجَبَ عَلَى المَجْفُوعِ شُكْرَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا لَهَّمَهُ المَلِكُ فِيهِ فَتَصَدَّقَ وَأَعْطَى وَصَامَ وَصَلَّى.

فكُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ المَلِكِ حَسَنٌ فِي الرِّضَا والسُّخْطِ، والأخْذِ والمَنْعِ، والبَدْلِ والإِعْطَاءِ، والسَّرِّاءِ والضَّرَّاءِ. غير أنه يجب على الحكيم المميز أن يجهد بكل وسع طاقته أن يكون من المَلِكِ بالْمَنْزِلَةِ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ. فإنها أحرى المنازل بدوام النعمة، وأستقامة الحال، وقلة التنافس ومصارعة أهل الحسد والوشاة.



وليس من أخلاق المملك أن يُدْنِيَنَّ مِنْ عَظْمِ قَدْرِهِ وَأَتَّسِعَ عَلَيْهِ وَطَابَ مَرْكَبُهُ، أو ظَهَرَتْ أَمَانَتُهُ أَوْ كَمَلَتْ آدَابُهُ.

(١) أي رحمة.

(٢) في سره: "مسارعة". وفي صره: "مشاغبة".

(٣) كذا في سره، صره. نعم إن بقية الكلام ربما تنفي النفي، ولكن قوله بعد ذلك إن الملك يحتاج إلى هذه الطبقة ضرورة يدل على أن تقر بهم ليس من طباع الملوك ولكن من حاجتهم إليهم. ويؤكد ذلك ختام كلامه بأن التقرب للقرناء والمحدثين كائنا من كانوا ومن حيث كانوا.

وهذه الصفات هي جنس آخر يحتاج الملك إلى أصحابه ضرورة؛ لحاجته من
القضاة إلى الفقه والأمانة، وحاجته من الطبيب إلى الحنق بالصناعة والركانة^(١)،
وحاجته من الكاتب إلى تحبير الألفاظ ومعرفة مخارج الكلام والإيجاز في الكتب،
وما أشبه ذلك. فأما القراء والمحدثون وأصحاب الملاهي ومن أشبههم، فكل من دنا
منهم من الملك وعلق به: كائناً من كان ومن حيث كان.

١١٥

وكذا وجدنا في كتب الأعاجم وملوكها.

وفما يذكر عن أنوشروان أنه قال: "صاحبك من علق بثوبك."

كلمة أنوشروان،
وأمثولة كليلية
ودمنة

وكذا وجدنا في أمثال "كليلية ودمنة" أن الملك "مثل الكرم الذي لا يتعلق بأكرم
الشجر، إنما يتعلق بما دنا منه". وقد نجد مصداق ذلك عياناً في كل دهر وأخبار
كل زمان.

(١) الركانة، على ما في "تاج العروس" هي السكون إلى الشيء والأطمئنان به. وربما كان الأصوب
"الركانة" وهي الظن الذي يكون بمنزلة اليقين.

(٢) ص: فأما الغباء والمحدثون.

(٣) نقلت هذه العبارة عن أقدم نسخة معروفة للآن من كتاب "كليلية ودمنة" وهي التي طبعها الاب

الفاضل لويس شيخو اليسوعي سنة ١٩٠٥ (صفحة ٥٧) وأصلحت لفظة "بمن" بلفظة "بما". وقد
وردت هذه العبارة في النسخة التي طبعها العلامة البارون دوسامبي الفرنسي سنة ١٨١٦ هكذا: "مثل شجر
الكرم الذي لا يتعلق إلا بأكرم الشجر" (ص ٨٥). وهي كذلك في النسخة المطبوعة في بولاق عنها
سنة ١٢٨٥ هـ. وهذه الرواية مبثورة ومخيفة جداً، ورواية النسخة القديمة متينة ومعقولة، تؤيدها رواية
الجاحظ وإن كان الذي نسخها قد نسخها. فهي في ص: "كالشجرة ليس يتعلق بأكرم الأشجار، ولكن
بالأقرب منها". وفي ص: "كالشجرة ليس يتعلق بأكرم الأشجار، إنما يتعلق بما قرب منها".



ومن أخلاق المَلِكِ السَّخَاءُ وَالْحَيَاءُ،^(١)

سَخَاءُ
المَلِكِ وَرَحْمَتُهُ

فهما قريتا كلِّ مَلِكٍ كان على وجه الأرض. ولو قال قائل إنهما رُكَّبَا في الملوِكِ كتركيب الأعضاء والجوارح، كان له أن يقول. إذ كما لم نشاهد ولم يبلغنا عن مضى من الملوِكِ، ملوك العجم ومن كان قبلهم، وملوك الطوائف وغيرهم، القِصَّةَ والبُخْلَ. فاما السخاء فلو لم يكن أحد طبائع الملوِكِ، كان يجب أن يكون باكتساب، إن كان المَلِكُ من أهل التمييز. وذلك أنه يُفِيدُ أكثر مما يُنْفِقُ. فإذا كانت هذه صفة كلِّ مَلِكٍ، فما عليه من اتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ وَعَمِّ الْمَنَنِ وَالإِحْسَانِ إِلَى مَنْ نَأَى عَنْهُ أَوْ دَنَا مِنْهُ من أوليائه، والرحمة للفقير والمسكين، والعائدة على أهل الحاجة.

وأما الحياء فهو من أجناس الرحمة.^(٤)

وحقيق للملك (إذ كان الراعي) أَنْ يَرْحَمَ رَعِيَّتَهُ، (وإذ كان الإمام) أَنْ يَرِقَّ عَلَى الْمُؤْتَمِّرِ بِهِ، (وإذ كان المولى) أَنْ يَرْحَمَ عَبْدَهُ.

فقد نَحِطُّ الْعَامَّةُ وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَاصَّةِ فِي الْمَلُوكِ حَتَّى يُسَمَّوْنَهُمْ بِغَيْرِ أَسْمَائِهِمْ وَيَصِفُونَهُمْ بِغَيْرِ صِفَاتِهِمْ وَيَتَّخِلُونَهُمُ الْبُخْلَ وَالْإِمْسَاكَ، إِذَا رَأَوْا الْمَلِكَ عَلَى سَنَنِ مِنْ

(١) ص: الملك الكرم والسخاء. ورواية سه أصح. لان الكلام التالي منتمم إلى موضوع السخاء. وإلى موضوع الحياء. ولذلك اعتمدتها في المتن.

(٢) أفاده واستفاده وتفيده بمعنى واحد. (عن القاموس)

(٣) ص: وتعميم.

(٤) زاد في سه هنا: "للفقير والمسكين والعائدة على أهل الحاجة". وقد سبقت هذه الجملة في الموضوع

المناسب لها في السطر السابق، فلا حاجة لتكرارها.

(٥) ص: الابلخال.

القصد وعَدْلٍ من حدِّ الإنفاق، وَيَغْفُلُونَ عَمَّا أَدَّبَ اللهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَهُ (صلى الله عليه وسلم) بقوله عزَّ وجلَّ: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ"، وبمدحه الصالحين من عباده بالقصد في ذات أيديهم، بعلمهم أن أرضى الأحوال عنده مَادَخَلَ في باب الاقتصاد، بقوله: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا."

وقد ذكر بعض من لا يعلم (في كتاب ألفه في البخل من الملوك) أن هشام بن عبد الملك بن مروان ومروان بن محمد وأبا جعفر المنصور وغيره، منهم . ولولا أنا

الرد على من وصف المنصور بالبخل

(١) هو غير الكتاب الذي ألفه الجاحظ في البخل عامَّةً، وقد طبعه في ليدن سنة ١٩٠٠ المستشرق الهولندي فان فولتن Van Volten، ثم قلده المتأمنون على سرقة المطبوعات في مصر. وقد روى الجاحظ فيه (ص ١٦٣) أن هشاماً هذا "دخل حائطاً ببستاناً له فيه فاكهة وأشجار وثمار ومعه أصحابه . فجعلوا يأكلون ويدعون بالبركة . فقال هشام : يا غلام ! اقلع هذا، وأغرس مكانه الزيتون". فذلك يدل على أنه أراد تحقيق دعوة أصحابه، لأن الزيتون هو الشجرة المباركة . ويدل أيضاً على بخله، حتى إذا جاء حائطه مرة أخرى لم يجد أصحابه سبيلاً إلى الإتيان على فاكهته وثمراته . روى صاحب "شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٨١) هذه الحكاية بما يدل على بخل هشام، وختمها بقول هشام لقيم البستان: "اقلع شجرة وأغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل أحد منه شيئاً". ولم يذكر الجاحظ شيئاً من هذا القيل عن المنصور في كتابه في البخل.

(٢) من الغريب أن صاحب "محاسن الملوك" نقل كثيراً عن الجاحظ بالحرف الواحد أو بالاختصار ولكنه لم يسمه ولم يشر إلى كتابه، فكان مثله كمثل المسعودي ونفر كثير من المؤرخين والمتأدبين . ولكنه حينما جاء إلى ذكر المنصور وتبجيله ذكر أسم الجاحظ، فقال في صفحة ١٠٢ مانصه: "قال الجاحظ: ربما وصف الأعيان المنصور بالبخل، وليس الأمر كذلك . فإنه لم يسمع عن أحد من الخلفاء والملوك أنه وهب لرجل واحد ألف ألف غيره . وفرق على أهل بيته في ليلة واحدة ألف ألف .". ثم روى القصة الآتية عن زيد مولى عيسى بن نهبك باختصار وختمها بهذه العبارة: "قال الجاحظ: فهل يجوز أن يعد من فعل هذا الفعل بخيلاً؟"

(١١٧)

(١) آحتجنا إلى الإخبار عن جهل هذا، لم يكن لذكره معنى ولا للتشأغل بالرد عليه. وكيف يكون المنصور ممن دخل في جملة هذا القول، ولا يعلم أن أحدا من خلفاء الإسلام ولا ملوك الأمم وصل بألف ألف لرجل واحد غيره! ولقد فرق علي جماعة من أهل بيته عشرة آلاف ألف درهم. ذكر ذلك الهيثم بن عدي والمدائني. وحدثني بعض أصحابنا عن أبيه عن زيد مولى عيسى بن نهيك قال: دعاني المنصور بعد موت مولاي

(١) ص: ولو احتجنا.

(٢) المنصور هو أول خليفة أعطى ألف ألف لكل رجل من عمومته الأربعة (طبرى سلسلة ٣ ص ٤٢١) وما يدخل في مكارم المنصور أن الشعراء دخلوا عليه فأنشدوه من وراء حجاب، فاستحسن أقوال بعضهم، فأمر برفع الحجاب وظهر لهم وأمر لأحدهم بعشرة آلاف دينار وأعطى الباقي ألفين ألفين (ذيل الأمالى للقالى ص ٤١). ودخل عليه رجل من أهل الشام فأعجبه كلامه فقال: ياربيع لا ينصرف من مقامه إلا بمائة ألف درهم. فحلمت معه (ذيل الأمالى للقالى ص ٢٢٨).

ودخل عليه قتي بن بنى حزم فذكر له ما فعله بنو أمية بقومه وأنشده شعرا للأحوص كان سببا في حرمانهم من أموالهم منذ ستين سنة. فأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم كتب إلى عماله برّد ضياع آل حزم عليهم وإعطاءهم غلاتها في كل سنة من ضياع بنو أمية، وتقسيم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناضح، ومن مات منهم وفر على ورثته. فأنصرف القتي بما لم ينصرف به أحد من الناس. (طبرى سلسلة ٣ ص ٤٢١)

(٣) سماه في محاسن الملوك "يزيد".

(٤) كان الأمير عثمان بن نهيك على حرس المنصور. فلما مات سنة ١٤٠ في فتنه الراوندية، استعمل الخليفة أخاه عيسى هذا على حرسه. وكان ذلك بالهاشمية. وهناك ابن نهيك آخر استعمله المهدي وأمره بضرب بشاز بن برد حتى قتله. وأما إبراهيم بن عثمان بن نهيك فقد قتله الرشيد لأنه كان يبكي على قتل جعفر البرمكي =

فقال: يا زيد! قلت: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: كم خلف أبو يزيد من المال؟ قلت: ألف دينار أو نحوها. قال: فأين هي؟ قلت: أنفقتها الحرة في مائة. قال: فاستعظم ذلك، وقال: أنفقت في مائة ألف دينار! ما أعجب هذا! ثم قال: كم خلف من البنات؟ قلت: ستاً. فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: أغد على باب المهدي. فعدوت فقيل لي: معك بغال؟ فقلت: لم أومر بإحضار بغل ولا غيره، ولا أدري لم دُعيت. قال: فأعطيت ثمانين ومائة ألف دينار، وأمرت أن أدفع لكل واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار. ففعلت. ثم دعاني المنصور فقال: قبضت ما أمرنا به لبنات أبي يزيد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين! قال: أغد على بكفأهن حتى أزوجهن

١١٨

= وعلى ما وقع للبرامكة. فكان إذا أخذ منه الشراب، يقول لغلامه: هات سيفي! فيسله ويصيح: واجعفراد! ثم يقول: لا تحدنن ثارك، ولا قتلن قاتلك! فتم عليه آبه عثمان للفضل بن الربيع فأخبر الرشيد، فكان ذلك سبب قتله. (ابن الأثير ج ٥ ص ٣٨٤ و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٢٣٠ و"النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٥٢٤) وروى صاحب "المحاسن والمساوي" رواية أخرى في وشاية الولد بأبيه للرشيد (ص ٥٩٢).
وأما لفظ "نهبك" فهو "مشتق من النهاكة وهي الجراة والإقدام يقال: اتَهَكَ فلان فلانا إذا نال من عرضه وشتمه. ومنه: اتَهَكَ المحارم، ونَهَكَته الحمى إذا أَضْرَّتْ به، وأنَهَكَه عقوبة إذا أوجعه ضرباً."
(الأشتقاق لأبن دُرَيْد ص ١٢٨)

(١) هذا اللقب كان يُعطى عادة في أيام الدولة الأموية والعباسية لنساء الأمراء والأشراف والسادات والأكابر. فلما تغلبت الدولة التركية في العراق، وفي مصر خصوصاً، صار لقب نساء الملوك "خونده" "حاتون"، "آدر (جمع دار)"، وهذا اللقب الأخير كان خاصاً بمصر في زمان المماليك. وفي عصرنا هذا نقول: "حرم"، و"هانم"، وهما لقبان يطلقان على نساء الأكابر. (أنظر ص ١٢١ من كتاب "زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك" المطبوع في باريس)

منهم . قال : فغدوت عليه بثلاثة من ولد العكي^(١) وثلاثة من آل نهيك من بني عتمه .
 فزوج كل واحدة منهم على ثلاثين ألف درهم ، وأمر أن يجعل صدقهن من ماله .
 وأمرني أن أشتري بما أمر لهن ضياءاً يكون معاشهن منها .^(٢)

فهل سمع هذا الجاهل الخائن بمثل هذه المكارم لعربي أو عجمي ؟ ولو أردنا أن
 نذكر محاسن المنصور على التفصيل والتقصي لطلال بها الكتاب وكثرت فيه الأخبار .
 وقبلما استعملت العامة وكثير من الخاصة التميز ، إيثاراً للتقليد . إذ كان أقل
 في الشغل وأدل على الجهل وأخف في المؤونة . وحسبك من جهل العامة أنها تفضل
 السمين على النحيف ، وإن كان السمين مأفوناً والنحيف ذا فضائل ؛ وتفضل الطويل
 على القصير ، لا للطول ولكن لشيء آخر لا ندرى ماهو ؛ وتفضل راكب الدابة على
 راكب البغل وراكب البغل على راكب الحمار ، اقتصاراً على التقليد إذ كان أسهل
 في المأثي وأهون في الاختيار .^(٣)



ومن حق الملك - إذا اعتل - أن لا تطلب خاصته الدخول عليه في ليل ولا نهار ،
 حتى يكون هو الذي يأمر بالإذن لمن حضر ؛ وأن لا يرفع إليه الحاجب أسماءهم

(١) الظاهر أن العكي المذكور هنا هو مقاتل بن حاتم العكي الذي استخلفه المنصور على حران ، وقد حاصره
 بها عبدالله بن علي عم المنصور ثم قتله . فهو إذن من أولياء المنصور . (أنظر الطبري - سلسلة ٣ ص ٩٣ ، ٩٤)

(٢) روى الطبري هذه الحكاية حرفاً حرفاً . (سلسلة ٣ ص ٤٢٠)

(٣) لعل الصواب : المائز ، بمعنى الكاذب .

(٤) صه : آثرنا .

(٥) المأفون الضعيف الرأي والعقل . وفي صه : مؤوفاً . أي ذا آفة وعاهة .

مبتدئاً حتى يأذن له . فإذا أذن له بالدخول ، فمن حقه أن لا تدخل عليه الطبقة العالية مع التي دونها ، ولا يدخل عليه من هذه الطبقة جماعة ، ومن غيرها جماعة . ولكن على الحاجب أن يحضر الطبقات الثلاث كلها أو من حضر منها ، ثم يأذن للعليا جملة . فإذا دخلت ، قامت بحيث مراتبها ، فلم تسلم عليه فتُحَوِّجُه إلى رد السلام ، فإذا علمت أنه قد لاحظها ، دعت له دعاءً يسيراً مَوْجِزاً ، ثم خرجت . ودخلت التي تليها ، فقامت على مراتبها أقل من قيام الأولى ، ودعت دعاءً أقل من دعاء الأولى . ثم دخلت بعدهما الثالثة ، فكان حظها أن يراها فقط . وليس من عادة الملوك وقوف هذه الطبقة الثالثة تتأمل الملك وتدعوه وتتنظر إليه . وإنما مراتبها أن يراها فقط .

ومن حق الملك أن لا ينصرف أحد من هذه الطبقات إلى رحله إلا في اليوم الذي كان فيه ينصرف في صحبة الملك . وبالحري ينبغي أن لا يبرح ^(٢) فناء سيده ومالكة ، أنتظاراً لإفافته من علته ^(٣) وخصاً عن ساعات مرضه .

١٢٠

* *

ومن الحق على الملك تعهد بطانته وخاصته بجوائزهم وصلاحاتهم ، إن كان ذلك يكون مشاهرة أو مساناة .

جوائز
البطانة وصلاحاتهم

ومن أخلاق الملك أن يوكل بأدكاره صلاحاتهم ، ولا يُحَوِّجَ أحداً منهم إلى رفع رُعيَةٍ أو إذكار أو تعريض . فإن هذا ليس من أخلاق المتيقظ من الملوك .

(١) صه : بجنب .

(٢) راجع الحاشية ١ صفحة ٢٢ من هذا الكتاب عن لفظ "برح" .

(٣) صه : وخصى .

سنة ملوك
ساسان في الجواهر

وكانت ملوك آل ساسان يفعلون في هذا فعلاً بقي لهم ذكره إلى هذه الغاية وإلى
انقضاء مدة العالم.

فكان الملك منهم يُقدّر للرجل من خاصته وبطانته تقديراً وسطاً بين الإسراف
والاقتصاد في مؤنّه كلّها، وحوائجها خاصّها وعامها. فإذا كان التقدير - على الجهة
التي وصفنا - عشرة آلاف درهم في الشهر، وكانت للرجل ضيعة^(١)، أمر أن يُدفع إليه
في كل ثلاثين ليلة عشرة آلاف درهم، لأنزله ونفقاته وحوائجه. ويقول له الملك:
”قد علمنا أنّ الضيعة التي أفدتها هي مما تقدّم من صلاتنا لك وقد تسلّنا شكرتلك^(٢)
النعمة منك، وليس من العدل أن تكون في خدمتنا، وتكون نفقتك من شيء أفدته^(٣)
بشكرٍ قد تقدّم وحرمة قد تأكّدت. فليكن ما أثمرت لك ضيعتك ظهرياً لنواب
الزمان وتخرّم الأيام وأتقلاب الدّول وحوادث الموت. ولتكن مؤنك^(٤) وكفلك^(٥) على خاص
أموالنا.“

وكذلك الطبقات على هذا النظام والإحكام. فيمضي على أحدهم عشرون سنة
لا يفتح فاه يطلب درهم ولا غيره، منبسطة زمانه مبهجة^(٦) بنعم ملكه مسرورا بما يكفي
عن التذكار وشكوى الحال.^(٧)

(١) الأتزال (جمع نزل): القوم النازلون على الإنسان، أو ماهية الضيف أن ينزل عليه، كما في تاج العروس.

(٢) ص: أخذتها.

(٣) ص: أخذته.

(٤) سم: وحوادث الأيام والموت. ص: وحوادث المؤن.

(٥) ص: وكلك.

(٦) في ص: ”مستنشاط“. وليس لها معنى في اللغة يوافق هذا المقام، فلذلك أصلحناها بما اقتضاه
الحال. وهي من الكلمات التي تفرّد بها ص.

(٧) ص: بما كفى من التذكار وشكر الحال.



ومن حقّ الملك هدايا المهرجان والنيروز. ^(١) ^(٢)

هدايا المهرجان
والنيروز من
الملك وله

والعلة في ذلك أنّهما فصلاً السنة.

فالمهرجان دخولُ الشتاء وفصلُ البرد، والنيروز إذنٌ بدخول فصلِ الحرِّ. إلا أن
في النيروز أحوالاً ليست في المهرجان. فمنها استقبالُ السنة وأقتراحُ الخراج وتوليةُ
العمال والأستبدال وضرب الدراهم والدنانير وتذكية بيوت النيران وصبّ الماء وتقريب
القربان وإشادة البنيان وما أشبه ذلك. ^(٣) ^(٤)

فهذه فضيلةُ النيروز على المهرجان.

ومن حقّ الملك أن يُهدى إليه الخاصة والحامة.



والسنة في ذلك عندهم أن يُهدى الرجل ما يُحبُّ من ملكه، إذا كان في الطبقة
العالية. فإن كان يُحبُّ المسك، أُهدى مسكاً لا غيره، وإن كان يحب العنبر،

(١) كلمتان فارسيتان معناهما محبة الروح.

(٢) كلمتان فارسيتان معناهما اليوم الجديد أي رأس السنة.

(٣) ص: والأخذ بالاسفند. [والذي في المعجم الفارسي العربي الإنكليزي لرتشارد صن أن الإسفند

هو أسم اليوم الثالث من الخمسة الأيام التي يضيفها الفرس لآخر الشهر الثاني عشر من السنة. ولما كان الشهر
عندهم ثلاثين يوماً فهم يضمون خمسة أيام على آخر الشهر من السنة ليجعلوها معادلة للسنة الشمسية. وربما

كان الجاحظ يشير إلى حفلة خاصة بالفرس في ذلك اليوم بتقريب القربان].

(٤) كل هذه رسوم فارسية نقلها الجاحظ عن آيينهم، بغير ملاحظة لما أخذ المسلمون أو تركوا منها.

(٥) هذا وما يليه يؤيد ما أشرنا إليه في الحاشية السابقة

أهدى عنبراً، وإن كان صاحب بزّة ولبسة، أهدى كسوة وثياباً، وإن كان الرجل من الشجعاء والفُرسان، فالسنة أن يهدى فرساً أو رمحاً أو سيفاً، وإن كان رامياً، فالسنة أن يهدى نُسباً، وإن كان من أصحاب الأموال، فالسنة أن يهدى ذهباً أو فضة، وإن كان من عمال الملك، وكانت عليه موانيد للسنة الماضية، جمعها وجعلها في بدرٍ حريصٍ صينيٍّ وشريحات فضة وخيوط إبريسم وخواتيم عنبر ثم وجهها.

(١) ص: صاحب كسوة وثياب.

(٢) ص: "أصحاب العال". [ولعلها أصحاب الأعمال].

(٣) وردت هذه الكلمة مهملة في ص، صه هكذا (موايد)، فوجدناها في شفاء الغليل (بعد مراجعة غيره من كتب اللغة) هكذا: "موايد" وفسرها بقوله "بقايا في شعر الفرزدق. مُعَرَّبٌ." (ص ٢٠٨) ولكن الناسخ أو الطابع جعلها بالتاء المثناة الفوقية بدلا من النون. وهي واردة على صحتها في كتاب "المُعَرَّب من الكلام الأجمعي" للإمام الجواليقي (طبع العلامة الألماني سخاو بمدينة ليسك سنة ١٨٦٧ في صفحة ١٤٣) وقد آستشهد عليها، بقول الفرزدق.

"خَرَجَ مَوَانِيدَ عَلَيْهِمْ كَثِيرَةً * تُسَدُّهَا أَيْدِيهِمُ بِالْعَوَاتِقِ"

وقد رأيت هذا البيت في قصيدة طويلة في مدح عمر بن هبيرة الفزاري، ضمن ديوان الفرزدق الذي طبعه باللغة العربية وترجمه إلى الفرنسية العلامة المستشرق المسيو بوشيه (R. Boucher) في باريس سنة ١٨٧٠. (أنظر صفحة ٢٣٨ من القسم العربي و ٧١٧ من القسم الفرنسي). وقد ظن هذا العالم أن الكلمة ربما كان الأصح في كتابها الدال المهملة بدلا من المعجمة، وظن أنها تعريب كلمة "مانده" الفارسية. وأقول إن العرب يجعلون الدال ذالا عند التعريب (مثل أستاذ، تلهيد، فالودج، فولاذ، بغداد، كلواذ، مروالوذ الخ). وأما الاصل الفارسي فهو "مانده" من مصدر "مانیدن" بمعنى البقاء. وجمعوا الكلمة بعد تعريبها على "موانيد" يجعل الدال ذالا جزياً على عادتهم في التعريب.

(٤) ص: بيت.

وكذلك، إنما كان يفعل من العَمَلِ مَنْ أراد أن يترينَ بفضلِ نفاقته أو بفضلِ عَمَلته أو أداءِ أمانته.

وكان يهدى الشاعرُ الشعرَ، والخطيبُ الخطبةَ، والنديمُ التحفةَ والطرفةَ والبالكورةُ من الخضرَاواتِ.

١٢٢

وعلى خاصة نساء الملك وجواريه أن يهدين إلى الملك ما يؤثره ويفضله كما قدمنا في الرجال. غير أنه يجب على المرأة من نساء الملك - إن كانت عندها جارية تعلم أن الملك يهواها ويُسِّرُ بها - أن تُهديها إليه بأكمل حالاتها وأفضل زينتها وأحسن هياتها. فإذا فعلت ذلك، فمن حقها على الملك أن يُقدمها على نسائه ويخصها بالمتزلة ويزيدها في الكرامة، ويعلم أنها قد آثرته على نفسها وبذلت له ما لا تجود النفس به وخصته بما ليس في وسع النساء - إلا القليل منهن - الجود به.

ومن حق البيطانة والخاصة على الملك في هذه الهدايا أن تعرض عليه وتقوم قيمة عدل.

فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أثبتت في ديوان الخاصة. فإن كان صاحبها ممن يرغب في الفضل ويذهب إلى الربح ثم نابتة نائبة من مصيبة يصاب بها أو بناء يتخذها أو مادبة يادبها أو عرس يكون من تزويج ابن أو إهداء ابنة إلى بعلمها، نُظِرَ إلى ما له في الديوان (وقد وكل بذلك رجلٌ يرعى هذا وما أشبهه ويتعهده). فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أُضِعَّتْ له ليستعين بها على نائبته.

(١) ص: يؤثره وبفضيلته.

(٢) ص: يجده.

(٣) في ص: يجدها. وليست في ص.

١٢٤

وإن كان الرجل من أهدي نُسابة أو درهما أو تُفَاحَة أو أُتْرَجَة ، فإن تلك الهدية إنما قدمها لثبَّت له في الديوان ، ويُجَبَّر الملكُ إن نابتَه نائِبَةٌ . فعلى الملك إعانتَه عليها ، إذا كان من أساورته وِبِطَانَتِه أو مُحَدِّثِه . فإذا رُفِعَ للملك أن له في الديوان نُسَابَةٌ أو درهماً أو أُتْرَجَةٌ أو تُفَاحَةٌ ، أَمَرَ الملكُ أن تؤخذ أُتْرَجَةٌ فتملأَ دنانيرَ منظومةً ويوجَّهَ بها إليه . وكان لا يُعطى صاحبُ التُّفَاحَةِ إلا كما يُعطى صاحبُ الأُتْرَجَةِ . وأما صاحبُ النُسَابَةِ فكانت تخرج نُسَابَتُهُ من الخزانة وعليها اسمه ، فتُنصَبُ ويوضعُ بإزائها من كِسْوَةِ الملكِ ومن سائر الكِسَاءِ . فإذا أرتفعت حتى تُوازى نَصَلَ النُسَابَةِ ، دُعِيَ صاحبُها فدُفِعَتْ إليه تلك الكِسْوَةُ .

وكان من تقدَّمت له هدية في النيروز والمهرجان (صغرَتْ أم كبرت ، كثرَتْ أم قلت) ، ثم لم يُجْرَجْ له من الملكِ صِلَةٌ عند نائِبَةٍ تنوبه أو حَقٌّ يلزمه ، فعليه أن يأتي ديوان الملكِ ويُدْكَر بنفسه ، وأن لا يغفلَ عن إحياءِ السَّنَةِ ولزومِ الشريعة . وإن غفَلَ عن أمره بعارضٍ يحدث ، فإن تَرَكَ ذلك على عمْدٍ ، فمن سُنَّةِ الملكِ أن يجرمَه أَرْزاقَه لستة أشهرٍ ، وأن يدفعها إلى عدوِّه ، إن كان له . إذ أتى شيئاً فيه شينٌ على الملكِ وضعت في المملكة .

١٢٥

وكان أردشير بن بابك وبهرام جور وأنوشروان يأمران بإخراج مافي خزائهم في المهرجان والنيروز من الكسبي فتفرق كلها على بطانة الملك وخاصة ، ثم على بطانة البطانة ، ثم على سائر الناس ، على مراتبهم .

وكانوا يقولون : إن الملك يستغنى عن كسوة الصيف في الشتاء ، وعن كسوة الشتاء في الصيف ؛ وليس من أخلاق الملوك أن تُجَبَّأَ كسوتها في خزائنها ، فتساوى العامة في فعلها .

فكان يلبس في يوم المهرجان الحديد من الخرز والوشى والملحم. ثم تفرق كسوة الصيف على ما ذكرنا.

فإذا كان يوم النيروز، لبس خفيف الثياب ورقيقها، وأمر بكسوة الشتاء كلها ففترقت. ^(١)

ولا نعلم أن أحدا بعدهم أقتفى آثارهم، إلا عبد الله بن طاهر، فإنه سمعت من محمد بن الحسن بن مضعب يذكر أنه كان يفعل ذلك في النيروز والمهرجان، حتى لا يترك في خزائنه ثوباً واحداً إلا كساه. وهذا من أحسن ما حكى لنا من فضائله.

أمير مسلم اقتدى بالفرس في تفریق كسوته

*
*
*

ومن أخلاق الملوك اللهو.

غير أن أسعدهم من جعل للهو وقتاً واحداً، وأخذ نفسه بذلك. فإنه إذا فعل ذلك، أستطاب اللهو والهزل والمفاكهة. وإذا أدمن ذلك، خرج به اللهو من بابه حتى يجعله جداً لا هزل فيه، وحقاً لا باطل معه، وخُلُقاً لا يمكنه الانصراف عنه. وليس هذا صفة الملك السعيد.

هو الملوك

١٢٦

ومن أدمن شيئاً من ملاذ الدنيا، لم يجد له من اللذة وجود القرم النهم المشتاق. ^(٣)

ترك الإدمان في الملاذ

وهذا قد نراه عياناً. وذلك أن ألد الطعام وأطيبه ما كان على جوع شديد؛ وألد الجماع وأطيبه، إذا اشتد الشبق وطالت الغزبة؛ وألد النوم وأهنأه ما كان يعقب التعب والسهرة.

(١) ص: ثياب سابور.

(٢) راجع حاشية ٢ من ص ٧٤ من هذا الكتاب وقد أورد أسم الأب هنا بلفظ "الحسن" على صحته.

(٣) ص: اللذة وجودة الطعم وجودة النوم.

(٤) ص: الغربة.

وعلى هذا جميع ملاذ الدنيا.

فالملوك الماضية إنما جعلت للملاذ وقتاً واحداً من اليوم واللييلة، لهذه الفضيلة التي فيها.

فعلى الملك السعيد أن يقسم يومه أقساماً. فأوله لذكر الله تعالى وتعظيمه وتهليله، وصدرة لرعاياه وإصلاح أمرها، ووسطه لأكله ومنامه، وطرفه للهو وشغله. وأن لا يثابر على إدمان الشغل في كل يوم. وإن طالت هذه الأقسام بمواضعها، فلا يجد للهو لذته، ولا للتعميم موضعه الذي هو به.



وكانت الملوك الماضية من الأكَسرة تشرب في كل ثلاثة أيام يوماً، إلا بهرام جور والأردوان الأحمر وسابور. فانهم كانوا يذمنون الشرب في كل يوم.

وكان ملوك العرب (كالنعمان) وملوك الحيرة وملوك الطوائف، أكثرها يشرب في كل يوم وليلة مرة.

وكان من ملوك الإسلام، من يذمن على شربه، يزيد بن معاوية. وكان لا يمتشي إلا سكران، ولا يصبح إلا مخموراً.

وكان عبد الملك بن مروان يسكر في كل شهر مرة حتى لا يعقل في السماء هو

(١) لعل الصواب: الاصغر. (أنظر حاشية ٦ صفحة ٢٩، و صفحة ١١٨ من هذا الكتاب).

(٢) صه: في كل جمعة يوماً وليلة.

(٣) صه: عبد الله.

(١) أو في الماء، ويقول: "إنما أقصد في هذا إلى إشراق العقل، وتقوية منة الحفظ،
وتصفية موضع الفكر." (٢) غير أنه كان إذا بلغ آخر هذا السكر، أفرغ ما كان في بدنه حتى
لا يبقى في أعضائه منه شيء. فيصبح خفيف البدن، ذكي العقل والذهن، نشيط
النفس، قوي المنة.

وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويدع يوماً

وكان سليمان [بن عبد الملك] يشرب في كل ثلاث ليال ليلة.

ولم يشرب عمر بن عبد العزيز منذ أفضت إليه الخلافة إلى أن فارق الدنيا، ولا
سمع غناء.

* وكان هشام يسكر في كل جمعة.

وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يذمnan اللهو والشرب. * فأما يزيد بن الوليد،
فكان دهره بين حالين، بين سكرٍ وحمارٍ، ولا يوجد أبداً إلا ومعه إحدى هاتين.

وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت.

وكان أبو العباس [السفاح] يشرب عشية الثلاثاء وحدها، دون السبت.

(١) ص: الأرض.

(٢) ص: وتقوية و تصفية.

(٣) ص: آخر حد السكر.

(٤) هاتان الجملتان المحصورتان بين نجمتين * * متقولتان عن ص.

(٥) ص: وحدها في كل جمعة.

(١) * وكان المهديّ والهادي يشربان يوماً، ويدعّان يوماً.

وكان الرشيد يشرب في كل جمعة مرتين. وربما قدّم أيامه وأخرها. على أنه لم يره أحد قطّ يشرب ظاهراً. إلا أنه كان يقعد هذين اليومين لندمائه. (٢)

وكان المأمون في أوّل أيامه يشرب الثلاثاء والجمعة. ثم أدمن الشرب عند خروجه إلى الشام في سنة خمس عشرة [ومائتين] إلى أن توفّي.

وكان المعتصم لا يشرب يوم الخميس ولا يوم الجمعة.

وكان الواثق ربما أدمن الشرب وتابعه. غير أنه لم يكن يشرب في ليلة الجمعة ولا يومها. *



لبس الملوك

وأخلاق الملوك تختلف في اللبسة والطيب. ١٠

فمن الملوك من كان لا يلبس القميص إلا يوماً واحداً أو ساعة واحدة. فإذا نزع لم يعد إلى لبسه.

ومنهم من كان يلبس القميص والجبة أياماً، فإذا ذهب روثقه رمى به فلم يلبسه بعد. (٣)

فأما أردشير بن بابك ويزدجرد وبهرام وكسرى أبرويز وكسرى أنوشروان ١٥

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمتين * منقولة عن ص.

(٢) وأنظر حاشية ٥ ص ٣٧ من هذا الكتاب.

(٣) ص: روثقه وبعض مائه رمى. [ولعله: وبعض بهائه رمى]

وَقَبَادَ، فَإِنِّهِمْ كَانُوا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ وَيُغْسَلُ لَهُمْ ثُمَّ يَلْبَسُونَهُ وَيُغْسَلُ لَهُمْ . فَإِذَا غُسِلَ
ثَلَاثَ عَرَكَاتٍ لَمْ يُغْسَلْ بَعْدَهَا، وَجُعِلَ فِي الْخَلَعِ الَّتِي تُخْلَعُ عَلَى الْوَلَدِ وَالْقَرَابَاتِ وَالْعَمِّ
وَأَبْنِ الْعَمِّ وَالْأَخِ وَأَبْنِ الْأَخِ . وَلَمْ يَكُونُوا يَخْلَعُونَ مَا قَدْ لَبَسُوهُ إِلَّا عَلَى الْقَرَابَاتِ مِنْ
أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلُوكَةِ خَاصَّةً، لَا يُجَاوِزُونَهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ . فَأَمَّا الْخَلَعُ الَّتِي تُقَطَّعُ وَتُتَّخَذُ
لِلطَّبَقَاتِ وَسَائِرِ النَّاسِ، فَتُنَكِّفُ صَنْفٌ آخَرٌ .

وَكَانَ مَلُوكُ الْعَرَبِ مِنْهُمْ مَنْ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ مَرَارًا وَيُغْسَلُ لَهُ غَسَلَاتٍ : مَعَاوِيَةُ
وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَسَلِيمَانُ وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهَشَامٌ وَمُرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَأَبُو الْعَبَّاسِ
وَأَبُو جَعْفَرٍ وَالْمَأْمُونُ .

فَأَمَّا يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ وَيَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْمُهَدِيَّ وَالْهَادِيَّ
وَالرَّشِيدَ وَالْمُعْتَصِمَ وَالْوَالِقَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ إِلَّا نَبَسَةً وَاحِدَةً،
إِلَّا أَنْ يَكُونَ الثَّوْبُ نَادِرًا مُعْجَبًا غَرِيبًا .

فَأَمَّا الْجُبَابُ وَالْأَرْدِيَّةُ، فَلَمْ تَزَلْ الْمَلُوكُ تَلْبَسُهَا السَّنَةَ أَوْ كَثْرَ أَيَّامِ السَّنَةِ . وَمِنْهُمْ
مَنْ كَانَ يَلْبَسُ الْجُبَّةَ وَالْمَطْرَفَ السَّنِينَ الْكَثِيرَةَ . وَلَيْسَ الْجُبَابُ وَالْأَرْدِيَّةُ كَالْقَمِيصِ
وَالسَّرَاوِيلِ . لِأَنَّ الْقَمِيصَ وَالسَّرَاوِيلَ هُمَا الشَّعَارُ، وَسَائِرُ الثِّيَابِ الدَّنَائِرُ . وَلِذَلِكَ كَرِهَ
مَنْ كَرِهَ إِعَارَةَ لُبْسِهَا

(١) أَي مَرَّاتٍ . وَالْعَرَكَةُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ . وَفِي ص: مَرَاتٍ .

(٢) هُوَ دَاءٌ مِنْ خَزْمَرٍ لِهْ أَعْلَامٌ . وَلَمْ يَذْكَرْهُ دُوزِي Dozy فِي "مَعْجَمِ أَسْمَاءِ الثِّيَابِ عِنْدَ الْعَرَبِ" .

(٣) س: إِعَادَةٌ .



تطيب الملوك

وأخلاق الملوك في العطر ومسّ الطيب وتغلّل الغالية تختلف^(١).

فمن الملوك من إذا مسّ الطيب وتغلّل بالغالية لم يعد إلى مسّ طيب ما دام عبّها في ثوبه.

ومن الملوك من كان إذا مسّ الطيب وتغلّل بالغالية فتضوّعت منه وعلقت بياحه، أمر بصب ماء الورد على رأسه حتى يسيل^(٢). فإذا كان من غد، فعل مثل ذلك.

١٣٠

فأما من كان لا يمسّ طيبا مادام يحمد عبّ الطيب في ثيابه: فأردشير بن بابك وقباد [بن فيروز] بن زجرد وكسرى أبرويز وكسرى أنوشروان، ومن ملوك العرب: معاوية وعبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام وسروان [بن محمد]، ومن خلفاء بني العباس: أبو العباس وأبو جعفر والمأمون،

وكان المعتصم قلما يمسّ الطيب. وكان يذهب في ذلك إلى تقوية بدنه وإعانتة على شدة البطش والأيد. وأما في أيام حروبه، فكان من دنا منه وجد رائحة صدى السلاح والحديد من جسمه.

(١) في حاشية ص: "أبو نصر: سألت الأصمعي هل يجوز تغلّل من الغالية؟ قال: إن أردت أنك أدخلتها في لحيتك أو شاربك، فإثر. وكذلك غلّت بها لحيتي؛ شدّد للكثرة. صحاح.

(٢) في تاج العروس: غلّ الدهن في رأسه أدخله في أصول شعره، وغلّ شعره بالطيب أدخله فيه". [وأظر صفحة ٦٧ من هذا الكتاب والحاشية ٢ منها].

(٣) ص: المأورد. [وقد استعمل الكتاب هذا التركيب المزجي ونسبوا إليه فقالوا: المأوردى].

زيارة الملوك
تكريماً لرجالهم ،
وأنواعها

ومن أخلاق الملوك الزيارة لمن خُصَّ بالتكريم منهم وآثروه المنزلة ورفع المرتبة .
وزيارة الملك على أربعة أقسام : فمنها الزيارة للطعام والمانامة ، ومنها الزيارة
للعيادة ، ومنها الزيارة للتعزية في المصيبة ^(١) ، ومنها الزيارة للتعظيم فقط .

وأكبر هذه الأقسام وأرفعها ذكراً الزيارة للتعظيم .

لأن هذه الأقسام الثلاثة أكثر ما تقع وتتفق بسؤال المذور الملك وتلطّفه في ذلك . ^(٢)

(١٣١)

(١) من هذا القبيل ما تفضّل به مولانا الخديو المعظم الحاجّ عباس حلمي الثاني على المأسوف عليه
بطرس غالي باشا رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية سابقاً ، بعد أن آغاثته يد أئمة في ١٠ صفر سنة ١٣٢٨
(٢٠ فبراير سنة ١٩١٠) . فقد يمّ المستشفى (حفظه الله) بموكبه الجليل في يوم إصابته ، ثم تنازل بالتوجه إلى
دار الفقيّد بالفجالة في القاهرة ، عقب مماته في ١٢ صفر (٢٢ فبراير) وواسى بنفسه أولاد القتيل وقرابته .
١٠٠ تخفّف بذلك مصابهم الجلل ، وأعرب عن جميل عنايته بجميع صنوف رعيته .

ولقد اتّفق مثل هذا الصنيع الجميل ، في حادث من هذا القبيل ، لأحد السابقين من ملوك النيل ، وهو السلطان
الملك الناصر حسن صاحب الجامع الأشهر القريب من القلعة . وذلك أنه في يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ٥٧٨ هـ
حاول أحد المماليك اغتيال رئيس الحكومة وصاحب الحلّ والعقد في ديار مصر ، وأغنى به الأتابكي سيف الدين
شيوخو العمري (وهو أول من تلقّب باسم أمير كبير ، وكانت وظيفته إذ ذاك تعادل رئاسة مجلس النظار في أيامنا
١٥ هذه) ، فضر به وهو في الإيوان في يوم الموكب بالسيف في وجهه ثلاث ضربات . فوقع الأتابكي إلى الأرض
مغشياً عليه . فحملوه إلى بيته وبه بعض رمق . وهناك ضمّدوا جراحاته . فنزل السلطان من القلعة في اليوم التالي
وذهب بموكبه إلى داره وترجّل عن فرسه وواسى رئيس حكومته . ولكن الأتابكي مات في يوم الجمعة ١٦
ذي القعدة من السنة المذكورة . فأحتفل السلطان بجزائه وحضرها بنفسه وصلّى عليه قبل دفنه . (راجع ابن
٢٠ إياس ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥)

(٢) في سه ، صه : تلفظه .

وربما رفع الملك مرتبة الوزير وخصه وقدمه على سائر بطانته، فيكون من حيل الوزير أن يتعالل فيعوده الملك، فيظهر للعامة منزلته عنده وتكرمه إياه وإيثاره له . وأيضاً، فقلّ ملك سألّه وزيره أو صاحب جيشه أو أحد عظمائه زيارته إلا أجا به إلى ذلك، و[لا] سيمًا إذا علم أن غرضه في ذلك الزيادة في المرتبة والتنويه بالذكر . فإذا كانت الزيارة من الملك على أحد هذه الأقسام الثلاثة، فهي منزلة كان صاحبها يحاولها فبلغها، وأمنية طلبها فأدر كها .

فأما الزيارة للتعظيم، فإنها لاتقع بسؤال ولا بإرادة المزور . إذ كان ليس من أخلاق وزير ولا شريف أن يقول للملك : زُرني لتعظمني، ولترفع في الناس من ذكري وقدرى .

فإذا كان ذلك من الملك ابتداءً، فقد علمنا أن تلك أرفع مراتب الوزراء، وأفضل درجات الأشراف .

(١) سر : وقرّبه .

(٢) [أنظر الحاشية ٣ ص ٥ هـ ٤ من هذا الكتاب] .

(٣) صر : يأملها .

(٤) يدخل في هذا الباب ما تكرم به أيضا الخديو المعظم الحاجّ عباس حلمي الثاني على عبده وصنيعته وغرس نعمته، وخادم دولته، محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية الحالي . فقد زاره بمنزله في رمل الإسكندرية في ١٥ رمضان سنة ١٣٢٩ (٨ سبتمبر سنة ١٩١١) . وقد جمعت هذه الزيارة مزيتين في آن واحد : مزية التكرم ومزية العيادة اللتين أشار إليهما الجأحظ . ولقد كانت هذه الزيارة على غير أنتظار البتة .

وكنّت حاضراً ليلتها في دار الوزير، وهو لا يعلم بذلك . لأنه قبل تشريف الملك بهنبة، كان بملابس نومه . فإهو إلا أن فاجأنا الخبر بالتلقون، مبشراً بهذه الزيارة الجليلة . وقد كانت بعد ذلك بدقائق .

وذلك لعمرى يشابه كثيراً من الأيادي البيضاء التي أسداها الخلفاء والسلاطين في مصر إلى رجال دولتهم . أكتفى بذكر مثال واحد يضارع هذه الأكرامة . وذلك أن السلطان قايتباي الشهير بما ثره الجليلة في خدمة العلم والأدب والفنون الجميلة نزل من قصره بالقلعة في شهر رمضان سنة ٨٧٣ هـ لزيارة الأمير بشيك الدوادار الكبير، بمناسبة التوعك الذي حصل في جسده . وكان هذا الأمير قد جمع في يده أكبر وظائف الدولة على ذلك العهد، وهي : الاستادارية، والدوادارية، والوزارة، وكشوفية الكشاف . وقد عظم أمره جدّاً حتى قال فيه ابن إلياس : "ما أظن أن هذه الوظائف قد جمعت لأحد من الأمراء قبله . (أنظر "بدائع الزهور في وقائع الدهور" ج ٢ ص ١٠٧-١٠٨)

وكان أردشير وأنوشروان إذا زارا وزيراً من وزرائهما أو عظيماً من عظمائهما
للتعظيم لا لغيره، أَرَحَّتِ الفرس تلك الزيارة، وخرجت بذلك التاريخ كتبهم إلى الآفاق
والأطراف .

وكانت سنة من زاره الملك للتعظيم أن تُوغر ضياعه وتوسم خيله ودوابه لثلاث
سبعمائة ولا تمتهن^(٢) . ويأتيه خليفة صاحب الشرطة في كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومائة
راجل، يكون يبابه إلى غروب الشمس . فإن ركب كانت الرجال مشاة أمامه^(٣) ،
والركبان من خلفه ، ولا يجلس أحد من حامته وخاصته لجناية جناها ، ولا يحكم على أحد
من عبيده بحكم ، وإن وجب على أحد من بطانته جد ، وجه به إليه ليرى فيه رأيه ،
ويؤخر عليه وظيفة ما عليه من خراج أرضه حتى يكون هو الحامل له ، وتقدم هداياه
في النيروز والمهرجان على كل هدية وتعرض على الملك ، ويكون أول من يأذن له
الحاجب ، ويكون من الملك إذا ركب عن يمينه منزويًا ، وتكون مرتبته إذا قعد
عن يمينه ، وإذا خرج من دار المملكة ، لم يقعد بعده أحد .

(١) في سنة : "توغر" وفي صه : "يوغر" . يقال أوغر الملك الرجل الأرض : جعلهاله من غير
خراج ، أو هو أن يودى الخراج إلى السلطان الأكبر فراراً من العال (قاموس) . وهذا المعنى الثاني هو الذي أراده
الجاحظ ، لقوله بعد ذلك بخمسة أسطر : "ويؤخر عليه وظيفة ما عليه من خراج أرضه حتى يكون هو الحامل له" .

(٢) صه : ولا تمتهن .

(٣) صه : الرجال .

(٤) صه : وعامته .

* وكانت ملوك آل ساسان لا تزور أحدًا لعلّة من هذه العلة التي قدّمنا ذكرها،
 فينصرف ^(١) بخلعة أو طيب أو تحفة أو هدية من جارية أو غلام. غير أنه كان إذا نزل
 الملك، وطأ لرجله فرسًا راجعًا بسرج مذهب وأداة تامة، فقدم إليه إذا أراد الأنصراف.
 فكان الأمر كذلك، حتى ملك بهرام بن يزيد حرد. فكان ينادم الأساورة من أبناء أهل
 الشرف، فيخلع عليه في كل ساعة خلعة مجددة، ويشتهي الزمارة والمغنية والرقاصة
 فيأخذها. وكان أول من أطلق يده في ذلك، لغلبة اللهو عليه وإيثاره هواه.
 فأما من كان من ملوكهم قبله، فعلى الأمر الذي ذكرنا والحكاية التي أدّينا ^(٤) *



استقبال الناس
في الأعياد

ومن أخلاق الملك القعود للعامة يومًا في المهرجان، ويومًا في النيروز. ولا يُحجب ^(٥)
 عنه أحدٌ في هذين اليومين من صغير ولا كبير، ولا جاهل ولا شريف.

وكان الملك يأمر بالنداء قبل قعوده بأيام، ليتأهبّ الناس لذلك. فيبيئ الرجل ^(٦)
 القصة، ويبيئ الآخر الحجّة في مظامته، ويصالح الآخر صاحبه إذا علم أن خصمه



(١) لعلّه: فنصرف. وبقية الكلام يدلّ على أن الضمير هنا يرجع للوك ولعلّ الفاعل مقسّد و يكون
 المعنى: فينصرف الملك منهم.

(٢) أى: وطأ المزور لرجل الملك الزائر.

(٣) أى الأسوار المزور.

(٤) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن ص.

(٥) وهذا أيضا من منقولات الجاحظ عن آيين الفرس.

يتظلم منه إلى الملك. فيأمر الموبد أن يوكل رجلا من ثقات أصحابه فيقفون بباب العائمة، فلا يمتع أحد من الدخول على الملك. وينادي مُناديه: "من حبس رجلا عن رفع مظلمته، فقد عصي الله وخالف سنة الملك؛ ومن عصي الله، فقد أذن بحرب منه ومن الملك."

التظلم من الملك
إلى القاضي

- ٥ ثم يؤذن للناس وتؤخذ رِقاعهم، فينظر فيها. فإن كان فيها شيء يتظلم فيه من الملك، يدي به أولاً، وقدم على كل مظلمة. ويحضر الملك الموبد الكبير والديربد ورأس سدنة بيوت النار، ثم يقوم المنادي فينادي: "ليعتزل كل من تظلم من الملك!" فيمتازون. ويقوم الملك مع خصومه حتى يثوبين يدي الموبد فيقول له: "أيها الموبد، إنه مامن ذنب أعظم عند الله من ذنب الملوك! وإنما خوفاً الله تعالى رعاياها لتدفع عنها الظلم وتُدب عن بيضة الملك جورَ الجائرين وظلمَ الظالمين. فإذا كانت هي الظلمة الجائرة، حَقَّ لِمَنْ دونها هدمُ بيوت النيران، وسلبُ ما في النواويس من الأكفان. ومجلسي هذا منك - وأنا عبدٌ ذليلٌ - يشبه مجلسك من الله غداً. فإن آثرت الله آثرك، وإن آثرت الملك عذبك." فيقول له الموبد: "إن الله إذا أراد سعادة عباده، آختر لهم خير أهل أرضه. فإذا أراد أن يعرفهم قدره عنده، أجرى على لسانه ما أجرى على لسانك." ثم ينظر في أمره وأمر خصمه بالحق والعدل. فإن صحَّ على الملك،
- ١٠

١٣٤

(١) شبه، ص: الدرديد. [وأظر صفحة ٧٧ من هذا الكتاب وحاشية ٢ منها، و صفحة ١٧٣

منه أيضاً.]

(٢) في "محاسن الملوك" أن الخصم هو الذي يقول ذلك الكلام للقاضي، لا الملك. (ص ٣٩)

شيء أخذ به، وإلا حبس من آدعى عليه باطلاً، ونكّل به. ونودى عليه: "هذا جزء

(١) في تواريخ الإسلام غر كثيرة من هذا القبيل. فالخلفاء وآل بيتهم والملوك ووزراؤهم كانوا يساؤون أقلّ الخصوم في مجلس القاضى ويجرى عليهم الحكم الشرعى كما يجرى على سائر الناس. فقد تحاكم على بن أبى طالب أمام عمربن الخطاب (مستطرف ج ١ ص ١١٨)، ثم تحاكم وهو خليفة مع ذمى أمام القاضى شريح (ابن خلكان في ترجمة شريح)؛ وتحاكم هشام الأموى مع صاحب حرسه أمام القاضى فى دار الخلافة (ابن عبد ربه ج ٢ ص ٣٣٩)؛ وخاصم رجل من حلوان مصر انخليفة عمر بن عبدالعزيز وتوجهها معا الى مجلس القاضى فساوى بينهما فى كل شيء. وقضى للرجل عليه (المحاسن والمساوى ص ٥٢٥، وفيها وفيها يليها وقائع أخرى من هذا القبيل لعمر بن الخطاب)؛ وتحاكم المأمون بين يدى القاضى يحيى بن أكرم "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٤ و"المحاسن والمساوى" ص ٥٣٢ و"المستطرف" ج ١ ص ١١٩؛ وتحاكم إبراهيم بن المهدي مع بختيشوع الطيب عند القاضى أحمد بن أبى دؤاد "العقد الفريد" ج ١ ص ٣٣؛ وتحاكم الوزير ابن الزيات فى مجلس القضاء، وفى دار الوزارة "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٤؛ وتحاكم الأشعث عند شريح القاضى "العقد الفريد" ج ١ ص ٣٤. والأمر أشهر من أن يذكر، والوقائع أكثر من أن تحصر. وأبدع من ذلك كله ماجرى بالقاهرة فى أيام الأيوبيين فقد روى السيوطى أنه فى سنة ٦٣٩ للهجرة تولى عبد العزيز المعروف بجز الدين بن عبد السلام المشهور بسطان العلماء قضاء مصر والوجه القبلى. وكان قدم فى هذه السنة من دمشق بسبب أن سلطانها الصالح إسماعيل أستعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف، فأنكر عليه الشيخ عز الدين وترك الدعاء له فى الخطبة، وساعده فى ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكي. فغضب السلطان منهما، فخرجا إلى الديار المصرية، فأرسل السلطان إلى الشيخ عز الدين (وهو فى الطريق) قاصداً يتلطف به فى العود إلى دمشق. فأجتمع به ولأينته، وقال له: ما زيد منك شيئاً إلا أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير. فقبل الشيخ له: يا مسكين! "ما أراضه يقبل يدي فضلا عن أن أقبل يده! يا قوم، أتم فى وادٍ وأنا فى وادٍ! والحمد لله الذى عافانا مما آبتلاكم به!" فلما وصل إلى مصر، تلقاه سلطانها الصالح نجم الدين أيوب وأكرمه وولاه قضاء مصر. فاتفق أن أستاذ داره نجر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ (وهو الذى كان إليه أمر الملكة) عمد إلى مسجد بمصر، فعمل على ظهره =

(١)
مَنْ أَرَادَ شَيْئَ الْمَلِكِ، وَقَدَحَ فِي الْمَمْلَكَةِ!

== بناء طبلخاناه، وبقيت تضرب هنالك. فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين، حكم بهدم ذلك البناء وأسقط
نجر الدين، وعزل نفسه من القضاء. ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان. وظن نجر الدين وغيره أن هذا
الحكم لا يتأثر به في الخارج. فاتفق أن تجهز السلطان رسولا من عنده إلى الخليفة المستعصم ببغداد. فلما وصل
الرسول إلى الديوان، ووقف بين يدي الخليفة وأدى الرسالة له، خرج إليه وسأله: هل سمعت هذه الرسالة
من السلطان؟ فقال: لا، ولكن حملتها عن السلطان نجر الدين ابن شيخ الشيوخ، أستاذ داره. فقال الخليفة:
إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام، فنحن لا نقبل روايته. فرجع الرسول إلى السلطان حتى شافه بالرسالة،
ثم عاد إلى بغداد وأداها. ولما تولى الشيخ عز الدين القضاء تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك، وذكر
أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين. فبلغهم ذلك، فعظم الخطب
عندهم، وأحتم الأمر، والشيوخ مصمم لا يوضح لهم بيما ولا شراء ولا نكاحا. وتعتلت مصالحهم لذلك
وكان من جملتهم نائب السلطنة، فاستشاط غضبا. فأجتمعوا وأرسلوا إليه. فقال: نقعد لكم مجلسا، وننادي
عليكم لبيت مال المسلمين! فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه، فلم يرجع. فأرسل إليه نائب السلطنة
بالملاطفة، فلم يقد فيه. فأتزعج النائب، وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ، ويبيعنا ونحن ملوك الأرض!
والله لأضربن به بسيفي هذا! فركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلولا في يده. ففرق
الباب. فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السلطنة ما رأى، وشرح له الحال. فأكثر ذلك. وقال: يا ولدي
أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله! ثم خرج. فحين وقع بصره على النائب، بيست يد النائب وسقط السيف
منها، وأرعدت مفاصله. فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال: ياسيدي، إيش تعمل! قال: أنادي عليكم
وأبيعكم! قال: فقيم تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين! قال: من يقبضه؟ قال: أنا! فقم
ما أراد ونادي على الأمراء واحدا واحدا، وغالى في ثمنهم ولم يبيعهم إلا بالثمن الوافي، وقبضه وصرفه في وجوه
الخير. ("حسن المحاضرة" ج ٢ ص ٩٨ و ٩٩ من النسخة المطبوعة على الحجر بالقاهرة). وقد روى
السبكي هذه الحكاية بتفصيل في ترجمة الشيخ عبد العزيز في "طبقات الشافعية" (ج ٥ ص ٨٠ - ١٠٧)
(١) صه: أراد شر المملكة والقدح فيها بالباطل. اقتطع صاحب "محاسن الملوك" هنا سياق الكلام،
وأضاف حاشية نبه على أنها ليست من الخبر، وهذا نصها: "وذكر أن أحد خلفاء العلويين القاطمين فعل
مثل فعل هذا وجلس بين يدي قاضي القضاة محاربا لخضم ولم يتحرك له القاضي عند حركته للعود بين يديه
وحكم القاضي بالحق بينه وبين خصمه فلما بت الحكم وقضى به، وثب مقبلا للأرض، جالسا دون مجلس
الخليفة. فقال: والله! لو تحرك لي أولا ونرج عن حكم الحق، لضربت عنقه" [

فإذا فرغ الملك من مظالمه في نفسه، قام فحمد الله ومجده طويلاً، ثم وضع التاج، على رأسه وجلس على سرير الملك، وألقت إلى قرابته وحامته وخاصته وقال: "إني لم أبدأ بنفسى فأنصف منها إلا لئلا يطمع طامع في حيفي. فمن كان قبسه حق فليخرج إلى خصمه منه، إما بصلح وإما بغيره."

(١) فكان أقرب الناس إلى الملك [في الحق] كأبعدهم، وأقواهم كأضعفهم.

فلم يزل الناس على هذا من عهد أردشير بن بابك ثم هلم جراً حتى ملكهم يزدجرد الأثيم، وهو المحسن البارئ. فغير سنن آل ساسان وعاث في الأرض وظلم الرعايا وأظهر الجبرية والفساد، وقال: "ليس للرعية أن تنتصف من الراعي، ولا للسوقة أن تنتظم من الملوكة، ولا للوضيع أن يساوي الرقيق في حق ولا باطل." (٢)

العقوبة الربانية
للك الظالم

فذكرت الأعاجم في كتبها وسير ملوكها أنه بينا هو قاعد في الإيوان - والناس على طبقاتهم ومراتبهم - إذ دخل من باب الإيوان فرس مسرج ملجم، لم يرقط شيء أحسن منه منظراً، ولأكل أداة. فأهوى نحو يزدجرد البارئ. فقامت إليه الأساورة

(١) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه الآداب كلها في تظلم الناس من الملك إلى القاضي وبالخرف الواحد تقريباً عن الجاحظ. (ص ٣٩ - ٤١)

(٢) هكذا في سـ. والمشهور أنه يسمى يزدجرد المليم الأثيم، ويزدجرد الأثيم كما هو في صفحة ١١٨ من هذا الكتاب. (أنظر غرر أخبار الفرس وشيهم للتعالي صفحة ٥٣٩ - ٥٤٩). ولم ترد هذه الكلمات الثلاث في صـ.

(٣) سـ: يستأدى.

(٤) صـ: يزدجرد الأثيم

(١) (٢) لتدفعه عنه . فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رَمَحَهُ فأرداه . وهو في خلال ذلك يقصد إلى الملك . فقام إليه يزدجردُ وقال للأساورة : دَعُوهُ ، فإنه إلى يقصد .

(٣) فدنا منه حتى أخذ بمَعْرِفَتِهِ ، فذَلَّ له الفرسُ وتطامنَ حتى ركبهُ . فلما جال في متنه ، خَطَا به خُطَاً ، ثم رَدَّهُ إلى قرار مجلسه ، فنزل عنه وجعل يمسحُه بيده ، مُقْبِلًا ومُدْبِرًا . حتى إذا وجد الفرسُ منه مَمَكًا وَعَفْلَةً ، رَمَحَهُ فأصاب حَبَّةً قلبه ، فقتله . فقالت الفرسُ : هذا ملكٌ من الملائكة ، جعله الله في صورة فرس ، فبعثه لقتل يزدجرد ، لما ظلم الرعية وعاث في الأرض . (٦)

١٣٦

ما صنعه بهرام جور
لأخذ ملك أبيه

وكان بهرام جور بن يزدجرد في حجر النعمان بن المنذر ، ملك الحيرة . وضعه أبوه عنده ليتأدب بأداب العرب ويعرف أيامها وأخبارها ولغاتها . فبلغه خبر أبيه ، وأنَّ الفرسَ ملكتُ عليها رجلاً ليس من أبناء ملوكها . فاستنصَّ النعمان بن المنذر وأستنجده . وقال : "إِنَّ بِي عَلَيْكَ حَقًّا ، إِذْ كُنْتُ أَحَدَ أَوْلَادِكَ . وَإِنَّ أَبِي قَدْ مَاتَ وَمَلَكْتَ

(١) أي نفسه برجله أو برجله . يقال ذلك للفرس والبغل والحمار وكل ذي حافر ، وربما استعير لذي الخف . (تاج العروس)

(٢) أي فأهلكه . وفي صه : فأداره .

(٣) صه : بعرفه .

(٤) صه : حال .

(٥) صه : بثوبه .

(٦) قارن ذلك بما أورده الثعالبي (في غرر أخبار الفرس) عن هذه القضية وتفصيلها مع اختلاف .

(صفحة ٥٥١ - ٥٥٣)

الفُرسُ رجلاً من غير بيت المُلك . فإن أنت خَدَلْتَنِي ، ذهبَ ملك آل ساسان .“
فقال له النعمان : ”ما أنا وآل ساسان ، وهمُ الملوِكُ وأنا رعيَّةٌ؟ ولكنِّي أخرجُ معك
في جيشي لتقوى نيتك^(١) وتصحَّ عزمتك . ثم أنت أولى بقومك ، وهم أولى بك .“ قال :
فهذا أريد .

٥
فخرج النعمان مع بهرام حتى صار بالمداين ، وبلغ الفُرسَ قدمُهما . فخرجوا إلى
بهرام ، فقالوا : ما تريد؟ فقال : مُلكَ أبي وإرثَ آل ساسان . قالوا : إن أباك سامنا
العذابَ أيامَ مدته ، فأنفرد الله بقتله . فلا حاجة لنا في أحدٍ من عقبيه . فقال بهرام :
إت جورَ أبي وظلمه لا يلزمني^(٣) ، ولا يكسبني ذمًّا^(٤) . وأنتم لم تجربوني ، فيجب عليَّ
حمدٌ أوزم . قالوا : فإنَّا قد أقمنا رجلاً رضاه . فقال : إت هذا فسادٌ في صلبِ المملكة أن
١٠
تملكوا من ليس من أهلها . فإذا فعلتم ، فأمتحنوني وهذا الرجلُ محنةٌ توجبُ المملكة .
قالوا : وما هي؟ قال : تعمدون إلى أسدين ضارِبين فتجمعونهما في موضعٍ واحدٍ ،
وتضعون تاجَ المملكة بينهما ، وتقولون لهذا الذي ملكتموه أمرُكم يأخذهُ من بينهما .
فإن فعل فهو أحقُّ بالملك وأولى . وإن أبى أن يفعل ، وفعلتُ أنا ذلك ، كنتُ أحقُّ
بالمُلك منه . قالوا : نعرضُ عليه هذا .

(١) صه : متك .

(٢) روى الثعالبي هذه القصة بعبارة أكثر اختصاراً من الجاحظ . (غرر أخبار الفرس ص ٤٨٥)

(٣) صه : لا يلزمني لائمته .

(٤) صه : مذمته .

فقالوا ذلك له ، فقال : ما أقدرُ على هذا ، ولكن قولوا له فيفعل . فإن أخذ التاج من بين الأسدين فهو أحقُّ بالملك وأولى .

فأخذوا التاج وعمدوا إلى أسدين فأجاعوهما ثم وضعوا التاج بينهما وقالوا لبهرام : شأنك ! فنزل بهرام عن فرسه وأخذ الطبرزين^(٢) ومضى نحوهما . ثم بدا له بفعل الطبرزين في منطقتيه . ودنا من الأسدين فأهوا نحوه ، فأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نظحه به حتى قتلهما جميعا . وشدَّ على التاج فأخذه من موضعه فجعله على رأسه .

١٣٨

فلكته الفرس أمرهم ، وأنصرف النعمان إلى الحيرة . وسار بهرام سيرة حسنة

(١) ص : وغدوا .

- (٢) جمه طبرزينا [أنظر البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٦] . وهذا اللفظ مأخوذ من كلمة فارسية (تبر ، تير) ومعناها الفأس . وهي آلة للقتال عبارة عن عمود له حدان ، وكانوا يعلقونها في السرج ليستخدما الفارس في وقت النزال والبراز . وقد عرب المشارقة وأهل الأندلس هذا اللفظ الفارسي فيما بعد فجعلوه " طبرزين " . قال في " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " للراشدي (ص ٩٠) مانصه " فخرج المعتمد ويده الطبرزين ... فعلاه بالطبرزين الذي في يده ولم يزل يضرب به حتى برد " . وقال في " المحاسن والمساي " (ص ٥٩٣) . " وكان معه طبرزين فضرب به كسرى ... ثم ضربه بالطبرزين حتى مات " .

(وأنظر أيضا تاج العروس ، وبرهان قاطع ، وشفاء الغليل ، وتكملة المعجمات العربية لدوزي .)

- كذلك كان الشأن عندآب المشارقة . ولكنهم عادوا فأقتصروا على التعبير بالطبر . قال في صبح الأعشى (ج ١ ص ٣٦٥) مانصه : " الطبر . وهو باللغة الفارسية الفأس . ولذلك يسمى السكر الصلب بالطبرزد يعني الذي يكسر بالفأس . وإلى الطبر تنسب الطبردارية . وهم الذين يحملون الأبطال حول السلطان . " .
- وقد بقيت هذه الآلة مستعملة إلى ما بعد اختراع المدافع ثم أعدمتم بالكلية . وكانت مستعملة بمصر إلى زمن الفتح العثماني . وقد رأيت منها رواميز كثيرة محفوظة بدار التحف العسكرية بالقسطنطينية . وأشار إليها ابن إياس في " بدائع الزهور في وقائع الدهور " مرات عديدة منها قوله : " وضر به بطبر كان معه على وجهه فسقط إلى الأرض معشياً عليه " (ج ١ ص ٢٤٧) ؛ وقوله : " خرج عليهم التركان بالقسي والنشاب والسيوف والأبطال " (ج ٢ ص ١١٠) ؛ وقوله : " فلما خرجوا بهم قطعوهم بالأبطال قطعاً قطعاً " (ج ٣ ص ٢٦٩) .

وَعَدَلَّ فِيهِمْ، حَتَّى كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ مَلُوكِ آلِ سَاسَانَ. ^(١)

إِلَّا أَنَّ اللَّهْوَ وَاللَّعِبَ كَانَ أَغْلَبَ أَحْوَالِهِ عَلَيْهِ.

استقصاء الملك
لأحوال رعيته

وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْبَحْثُ عَنْ سَرَائِرِ خَاصَّتِهِ وَحَاقَتِهِ، وَإِذْ كَأَنَّ الْعِيُونَ عَلَيْهِمْ خَاصَّةً وَعَلَى الرَّعِيَّةِ عَامَّةً.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمَلِكُ رَاعِيًا لِیَفْحَصَ عَنْ دَقَائِقِ أُمُورِ الرَّعِيَّةِ وَخَفِيِّ نِيَّاتِهِمْ. وَمَتَى غَفَلَ الْمَلِكُ عَنْ فُحْصِ أَسْرَارِ رَعِيَّتِهِ وَالْبَحْثِ عَنْ أَخْبَارِهَا، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ أَسْمِ الرَّاعِي إِلَّا رَسْمُهُ، وَمِنْ الْمَلِكِ إِلَّا ذِكْرُهُ.

فَأَمَّا الْمَلِكُ السَّعِيدُ، فَمِنْ أَخْلَاقِهِ الْبَحْثُ عَنْ كُلِّ خَفِيٍّ وَدَفِينٍ حَتَّى يَعْرِفَهُ مَعْرِفَةً نَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَهَمَّ وَلَا أَكْبَرَ فِي سِيَاسَتِهِ وَنِظَامِ مُلْكِهِ مِنْ الْفَحْصِ عَمَّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ. ^(٢) ^(٣)

الملوك والخلفاء
الذين اشتهروا
بذلك

وَلَمْ يُرْمَلِكْ قَطُّ كَانَ أَعْجَبَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَك. وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يُصْبِحُ فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بَاتَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ فِي قِصْبَةِ دَارِ مَمْلَكَتِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيُمْسِي فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ أَصْبَحُوا عَلَيْهِ. فَكَانَ مَتَى شَاءَ قَالَ لِأَرْفَعِهِمْ وَأَوْضَعِهِمْ: كَانَ

١٣٩

(١) روى ابن ظفر هذه الحكاية والتي قبلها بتطويل كبير وتفصيل كثير. (أنظر "سلوان المطاع في عدوان الأتباع"، المطبوع على الحجر بالقاهرة سنة ١٢٠٨ هـ من صفحة ١٠٠ إلى صفحة ١٠٤؛ وأنظر ترجمته إلى الإنكليزية للعلامة ميشل أماري الطلياني Michel Amari، طبع لوندرة سنة ١٨٥٢ ج ٢ ص ١٥٤-١٦٥).

(٢) ص: ودقيق.

(٣) ص: معرفة تفية.

عندك في هذه الليلة كَيْتٍ وَكَيْتٍ^(١) . ثم يحدثه بكل ما كان فيه إلى أن أصبح .
 فيقال إن بعضهم كان يقول إنه كان يأتيه مَلَكٌ من السماء فيُخبره^(٢) . وما كان ذلك
 إلا لتيقظه وكثرة تعهده لأمر رعيته^(٣) .

ثم كان فيمن نأى من أهل مملكته على مثل هذه الحال .

فيقال إن الأمم كلها، أولها وآخرها، وقديمها وحديثها، لم تخف أحداً من ملوكها
 خوفاً أردشير بن بابك من ملوك الأعاجم ومن كان قبلهم، وعمر بن الخطاب من
 خلفاء الإسلام^(٤) .

فإنَّ عُمَرَ كان علمه بمن نأى عنه من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه في مهادٍ
 واحدٍ، وعلى وسادٍ واحدٍ . فلم يكن له في قطرٍ من الأقطار ولا ناحية من النواحي
 عاملٌ ولا أمير جيشٍ إلا وعليه له عينٌ لا يفارقه ما وجدته . فكانت ألفاظُ من بالمشرق
 والمغرب عنده في كلِّ مُمْسَى ومُصْبِحٍ . وأنت ترى ذلك في كُتُبِهِ إلى عماله وعمّالهم

(١) بفتح التاء، وبكسرهما أى كذا وكذا .

(٢) أنظر التفصيل الذى أورده الأبهسى في "المستطرف" (ج ١ ص ١٠٨) .

(٣) ورد هذا الخبر في "الحاسن والمساوى" ص ١٥٣ . وكان كسرى أنوشروان أشد الناس تطلعا
 في خفايا الأمور وأعظم خلق الله تعالى في زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور . وكان يثب العيون على
 الرعايا، والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الأحوال ويطلع على غوامض القضايا . فيعلم المفسد فيقاله
 بالتأديب، والمصلح فيجازيه بالإحسان . ويقول: متى غفل الملك عن تعرف ذلك، فليس له من الملك إلا
 اسمه وسقطت من القلوب هيئته . (مستطرف ج ٢ ص ١١٤)

(٤) روى ذلك في "الحاسن والمساوى" ص ١٥٣

١٤٠

حتى كان العامل منهم لِيَتَّبِعُوا أَقْرَبَ الْخَلْقِ إِلَيْهِ وَأَخْصَهُمْ بِهِ . فساس الرعية سياسة
أردشير بن بابك في الفحص عن أسرارها خاصة .^{(١) (٢)}

ثم أقتفى معاوية فعله وطلب أثره ، فانتظم له أمره وطالت له مدته .^{(٣) (٢)}

وكذا كان زياد بن أبيه يتخذى فعل معاوية كاحتذاء معاوية فعل عمر . وفيما يحيى
عنه أت رجلا كلمه في حاجة له ، فتعزف إليه - وهو يظن أنه لا يعرفه - فقال : أصلح
الله الأمير ! أنا فلان بن فلان . فتبسم زياد وقال : نتعزف إلى ، وأنا أعرف بك منك
بأبيك ؟ والله إنى لأعرفك وأعرف أباك وجدك وأمك وجدتك ، وأعرف هذا البرد
الذى عليك ، وهو فلان بن فلان . فبهت الرجل وأرعب حتى أُرْعِدَ [وكاد يُغشي عليه] .^{(٤) (٢)}
وعلى هذا كان عبد الملك بن مروان ، والمججاج بن يوسف .^{(٥) (٢)}

ثم لم يكن بعد هؤلاء أحد في مثل هذه السياسة حتى ملك المنصور . فكان أكثر
الأمر عنده معرفة أحوال الناس ، حتى عرف الولي من العدو والمُداجي من المسلم .^(٦)
فساس الرعية وليسها ، وهو من معرفتها على مثل وضع النهار .^{(٧) (٨)}

(١) وأنظر ما وقع له مع نفر الذين كانوا يشرّبون المزرخفية ومع المرأة التي جاءها المخاض ،
في "المستطرف" ج ١ ص ١٠٨ وج ٢ ص ١١٤ و ١١٥

(٢) روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٤ .

(٣) أنظر ماجاء في المستطرف (ج ٢ ص ١١٥)

(٤) روى صاحب "المستطرف" الحكاية التي أوردتها الجاحظ (ج ٢ ص ١١٥ وج ١ ص ١٠٨)

(٥) "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥)

(٦) روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٤ .

(٧) لبسها أى تملئ بها دهرًا طويلاً .

(٨) أنظر التفصيل الذي أوردته في "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥ - ١١٧)



ثم دَرَسَتْ هذه السياسةُ حتى مَلَكَ الرَّشِيدُ. فكان أشدَّ الملوكِ بحثًا عن أسرارِ رعيته وأكثَرهم بها عنايةً وأحزَمهم فيها أمرًا.

وعلى نحو هذا كان المأمونُ أيامه. والدليل على ما قلنا فيه ما شاهدنا من رسالته إلى إسحاق بن إبراهيم في الفقهاء وأصحاب الحديث، وهو بالشام. ^(١) خبر فيها عن عيب واحدٍ واحدٍ، وعن حالته وأُموره التي خَفِيَتْ - أو أكثرها - عن القريب والبعيد.

ثم ما عَلِمْتُ أن أحدًا من كان دون السلطان الأعظم في دهرنا هذا، كان أشدَّ على الأسرارِ بحثًا وأكثرَ لها خصصًا حتى بلغ من هذا الجنس أقصى حدِّه وأخرَ نهايته وأبعدَ مداه، وجَعَلَهُ أكثرَ شُغْلَهُ في ليله ونهاره، إلا إسحاق بن إبراهيم. فحدثني موسى بن صالح بن شيخ، قال: كَلَّمْتُهُ في امرأةٍ من بعض أهلنا وسألته النظرَ لها.

(١) صه: حصر.

(٢) كان للمأمون ألف مجوز وسبعائة، يتفقد بهن أحوال الناس من الأشقياء ومن يُحِبُّه ويُبغِضه ومن يُفسد حرم المسلمين، وكان لا يجلس إلى دار الخلافة حتى تأتيه كلها. وكان يدور ليلاً ونهاراً مستتراً. (محاضرات الأوائل)

(٣) صه: علمنا. [وأهمل هذه الكلمة في "المحاسن والمساوي" وأستعمل صيغة مطلقه فقال: ولم يكن أحد

من كان الخ. ولكنه نسي ذلك فعاد وقال حدثني موسى بن صالح وهي من كلام الجاحظ كما تراه بعد كلمات.]
(٤) هو المصعب أمير بغداد.

(٥) روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٦) هو موسى بن صالح بن شيخ (بالشين المعجمة والياء المثناة التحتية والحاء المعجمة) ابن عميرة الأسدي. كان من ندماء الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعب أمير بغداد.

وأنظر أيضاً القصة التي رواها صاحب "الأغانى" في ج ٥ ص ٨٤ و ٨٥ وفيها إشارة إليه؛ وكذلك الحكاية التي رواها المسعودي عن هذا النديم في "مروج الذهب" (ج ٧ ص ٢١١ و ٢١٢). وكانت وفاته في سنة ٢٥٧ في خلافة المعتد على الله، وقد نبغ على التسعين. وقبض أبه بعد أن عمّر ٩٩ سنة. ("مروج الذهب" ج ٨ ص ٢١٠)

فقال: يا أبا محمد! من قصة هذه المرأة ومن حالها ومن فعلها. قال: فوأنه! لم يزل يصفها ويصف أحوالها حتى بهت^(٢).

[وحدث أبو البرق الشاعر قال: كان يجرى على أرزاقا فدخلت عليه، فقال بعد أن أنشدته: "كم عيالك؟" تحتاج في كل شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا." فأخبرني بشيء من أمر منزلي مما جهلت بعضه وعلمه كله.]^(٣)

وحدثني بعض من كان في ناحيته، قال: رفعت إليه رقعة أسأله فيها إجراء أرزاق. فقال: كم عيالك؟ فزدت في العدد. فقال: كذبت! فهبت وقلت في نفسي: ياتفس من أين علم أني كذبت! فأقمت سنة لا أجتري على كلامه. ثم رفعت إليه رقعة أخرى في إجراء أرزاق. فقال: كم عيالك؟ فقلت: أربعة. فقال: صدقت. فوقع في حاشية رقعتي: يجرى على عياله كذا وكذا.

ولولا أن يطول كتابنا في إسحاق وذكره، لحكىنا عنه أخبارا كثيرة. وهي من هذا الجنس، وفيما ذكرناه كفاية.

فعلى الملك أن يميز بين أوليائه وأعدائه بالفحص عن أسرارهم ودقيق أخبارهم، حتى إن أمكنه أن يعرف مبيت أحدهم ومقبلة وما أحدث فيهما، ففعل.

التمييز بين
الأولياء والأعداء.

(١) يعني: من قصتها كيت وكيت. وقد ترك المؤلف الخبر لأنه معلوم. وهذه عادة شائعة بين أكابر الكتاب. ١٥

(٢) هذه الكلمة مضبوطة في سه: بهت. [وهو خطأ ظاهر من النسخ. وقد روى الأبشهي هذه القصة ونسبها للأمون. (المستطرف ج ١ ص ١٠٨)]. روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٣) هذه الزيادة من "المحاسن والمساوي" ص ١٥٥:

(٤) رجع صاحب "المحاسن والمساوي" هنا إلى صيغة المطلق فقال: حدث بعض من كان الخ. وذكر القصة بتمامها وبحروفها. (ص ١٥٥) ٢٠

فإن الرعية لا تسكن قلوبها جلاله ملكها - ولو عبدته الجحش والإنس ودانت له
ملوك الأمم كلها - حتى يكون أشد إشرافاً عليها وأكثر بحثاً عن سرورها، من أم الفريد
عن حركته وسكونه.



وأيضاً فإنه يُقال في بعض كتب الأوائل في مواضع الملوك وآدابها:

بماذا تطول مدة
الملك

”إن الملك تطول مدته إذا كانت فيه أربع خصال:

إحداها، أنه لا يرضى لرعيته إلا ما يرضاه لنفسه؛

والأخرى، أن لا يسوف عملاً يخاف عاقبته؛

والأخرى، أن يجعل وليَّ عهده من ترضاه وتختاره رعاياه لا من تهواه نفسه؛

والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية، فخص المُرضع عن منام رضيعها.“

وقد نجد مصداق هذا القول ونشهد به. وذلك أنا لم نر مدة طالت لملك عربي

ولا عجمي قط إلا لمن فحص عن الأسرار، وبحث عن خفي الأخبار، حتى يكون

في أمر رعيته على مثل وضح النهار.

(١) في سه: إشراف.

(٢) في سه: ”سرايرها في الفريد“. [وللم يكن للجملة معنى أرتضيه فقد صححتها على ما هو في المتن ليكون
المعنى ”أن الملك يجب أن تكون عنايته بهذه الأمور أكثر من عناية الأم بمركبة ولدها الوحيد الفريد
وبسكونه.“ وبذلك يستقيم المعنى وينسجم الكلام. [يؤيد هذا التخريج قول الجاحظ بعد ذلك بستة سطور:

”والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية فخص المُرضع عن منام رضيعها.“

(٣) في سه: الكتب.



واجبات الملوك
عند الأحداث
الخطيرة

ومن أخلاق الملك، إذا دهمه أمرٌ جليلٌ من فتقٍ تغرٍ أو قتلٍ صاحبِ جيشٍ أو ظهورِ عدوٍّ يدعو إلى خلافِ الملةِ أو قوةٍ مناويٍّ، أن يترك الساعات التي فيها لهوه ويحعلها وسائر الساعات في تدبير مكايده عدوه وتجهيز جنوده وجيوشه، وأن يصرف في ذلك شغله وفكره وفراغه (على مثل ما فعل من مضى من ملوك الأعاجم وغيرها) ولا يجعل للتسويق والتتقى وحسن الظنِّ بالأيام نصيباً.

فإن هذا معجزٌ من أملكٍ ووَهْنٌ يدخل على أملك.

سنة الأعاجم
إذا دهمتهم
الكوارث والعظام



وكانت ملوك الأعاجم، إذا حَزَبها مثلُ هذا، أمرت بالموائد التي كانت توضع في كل يوم أن تُرفعَ وظائفها، وأقتصرت على مائدةٍ لطيفةٍ تقربُ من الملك ويحضرها ثلاثة: أحدهم موبدان موبدٌ والديربذ ورأس الأساورة. فلا يوضع عليها إلا الخبزُ والملحُ والخلُّ والبقل. فيأخذ منه شيئاً هو ومن معه. ثم يأتيه الخباز بالبزماورد في طبق. فيأكلُ

(١) في سه: والدمويد. وفي صه: الربر. | وأنظر الحاشية ٢ صفحة ٧٧ ووصحة ١٦٠ من هذا

الكتاب |

(٢) الخباز (هنا وفي كتب المسعودي وفي كتاب الأغاني) معناه خادم المائدة، لا بمعنى الذي يصنع الخبز. وذلك هو الذي نسميه الآن بالسفره جي.

(٣) قال عاصم افندي في ترجمة المعجم الفارسي "برهان قاطع" إلى اللغة التركية ماعناه "بزماورد هو طعام يسمى لقمة القاضي، ونفذت، ولقمة الخليفة. وهو مصنوع من اللحم المقلَّب بالزبد والبيض. ويقال فيه أيضاً بزماورد بالراء المهملة". وقال الشهاب الخفاجي في "شفاء الغليل" مانصه: "زماورد، والعامّة تقول بزماورد. كلمة فارسية آستعملها العرب للرفاق الملقوف باللحم. كذا في حواشي الكشاف. وفي القاموس: الزماورد بالضم طعام من البيض واللحم. وفي كتب الأدب: طعام يقال له لقمة القاضي ولقمة الخليفة. ويسمى =

(١) ثم يرفعُ المائدةَ ويتشاعَلُ بتدبيرِ حربِهِ وتجهيزِ عساكرِهِ. ولا تزالُ هذه حالُهُ حتى يأتيه عن ذلك الفتق ما يرتقهُ، وعن ذلك العدو ما يُحِبُّ. فإذا أتاه، أمرَ أن يُتَّخَذَ له طعامٌ مثلُ طعامهِ الأوَّلِ، وأمرَ الخاصَّةَ والعامَّةَ بالحضور. وقامت الخطباءُ أولاً بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له. ثم قام الموبدُ فتكلمَ، ثم الوزراءُ بنحوٍ من كلامِ الخطباءِ. ثم مدَّ الناسُ أيديهم إلى الأُطعمة على مراتبهم. فإذا فرغوا، بسطَ للعامَّةِ في ظهرِ الإيوانِ، وللخاصَّةِ في صحنِهِ بحضرة الملك. وقعدَ صاحبُ الشرطة للعامَّة، كقعود الملكِ للخاصَّة. ثم دعا بالمغنين وأصحاب المِلاهي.

وكانوا يقولون: إنَّ حقَّ شكرِ النعمة أن يُرى أثرُها.

= بخراسان نواله، ويسمى زرجس المائدة وميسر ومهياً. والذى في شرح القاموس في مادة (ورد) مماثل هذا الكلام، ولكنه قال في مادة (زم رد) إن الزماورد دواء معروف، ووعد بشرحه في مادة (ورد) ولم يفعل. ويتلخص من هذا البيان أن الباء أصلية في بنية الكلمة كما يشهد به صاحب "برهان قاطع" وكما يدل عليه استعمال الجاحظ. وربما رأى العرب التخفيف فحذفوا الباء من أوَّل الكلمة. ولكن ذلك لا يجوز معه القول بأن زماورد من كلام العامة. ويكون هذا الطعام عبارة عما نسميه الآن (الكفتة). وأما لُقمة القاضي فهي الآن في مصر عبارة عن صنف من الحلوى يُتَّخَذُ من الدقيق معجوناً بالسمن والسكر ثم يُقلى ذلك المخلوط على أقراص مستديرة لها صومعةٌ ربَّما تكون فوقها قطعة من القشدة. ورأيت في "كتاب مبادئ اللغة" لأبن الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ ما نصه: "الزماورد هو المهنب والميسر. وقال بعض المتأخرين:

أَكَلُ المَيْسَرِ من رَأْسَيْنِ، يَأْسَكُنِي * لَا يَسْتَطَاعُ وَلَا سَيْفَانِ في غَمَدِهِ.

وقد ذكر صاحب "الأغاني" هذا الطعام. (ج ٤ ص ١٥٤)

(١) في سه: لُقْمًا.

(٢) روى ذلك صاحب "مخاسن الملوك" باختصار ووقف عند هذا المكان، ثم زاد أن ملوك الفرس كانوا يقولون: "أسعدُ الملوك من غلبَ عدوهُ بالحيلة." (ص ١٠٥)

[وكانت الخلفاء والأمرء إذا دهمهم أمرٌ - فزعوا إلى المنابر وحرصوا الناس على
(١)
الطاعة ولزوم الجماعة.]

وفما يُذكر عن معاوية أنه قال: ما ذُقْتُ أيامَ صَفِينِ لَحْمًا ولا شَحْمًا ولا حُلْوًا ولا
حامضًا، ما كان إلا الخُبْزُ والجُبْنُ وخِشْنُ المِلْحِ [إلى أن تمَّ لي ما أردته].^(٢)

١٤٥
ما فعله معاوية
أيام صفين

ويُحكى عن عبد الملك بن مروان أن صاحب إفريقية أهدى إليه جاريةً تامَّةَ
الحاسن، شبيهةً المتأمل. قال: فلما أن دخلت على عبد الملك بن مروان، نظر إليها
وفي يده قضيبٌ خيزرانٍ. فصعد ببصره إليها وصوبه، ثم رمى بالقضيب. وقال: رُدِّيهِ
عليّ. فَوَاتَتْ. فنظر إليها مُقبِلَةً ومُدْبِرَةً. فقال: أَنْتِ والله أَمْنِيَّةُ المَتَمَنَّى. قالت: فما
يَمْنَعُكَ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إذ كانت هذه صَفِيَّتِي عِنْدَكَ؟ قال: بَيْتٌ قاله الأَخْطَلُ:

ما فعله عبد الملك
عند خروج آين
الاشعث عليه

قومٌ إذا حاربوا، شدوا ما زَرَهُمْ * دون النساء، ولو باتت بأطهار.^(٣)

وكان هذا في خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. ثم أمر بها أن تُصانَ
وتُحَدَّم. فلما فُتِحَ عليه، كانت أوَّلَ جاريةٍ دعا بها.^(٤)

ما فعله مروان
آين محمد عند ظهور
العباسيين

ويُحكى عن مروان بن محمد الجعدي أنه أقام ثلاثين شهرًا لم يَطَّأ جاريةً إلى أن
قُتِلَ. وكان إذا استهدفت إليه الجارية قال: إِلَيْكَ عَنِّي! فوالله لا دنوتُ من أنثى

(١) هذه الزيادة عن "محاسن الملوك" (ص ١١٠).

(٢) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذا الخبر باختصار قليل وأضاف عليه الجملة التي زدناها في المتن.

(ص ١٠٥ - ١٠٦)

(٣) أورد هذا صاحب "محاسن الملوك" في صفحة ١٠٦.

(٤) آخر خلفاء بني أمية | وأنظر حاشية ٣ صفحة ١٠٦ من هذا الكتاب.

وَلَا حَلَّتْ لَهَا عَقْدَ حَمَقِي، وَخِرَاسَانَ تَرْجِفُ بِنَصْرِ، وَأَبُو مَجْرِمٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِالْمَخْتَقِ! (٤)

١٤٦

(١) ترجف بنصر أي تضطرب به . وهو نصر بن سيار الذي ولّاه هشام بن عبد الملك إقليم خراسان فلم يزل واليا عليه حتى وقعت الفتنة بظهور العباسيين وطلبهم الخلافة على يد صاحب الدعوة أبي مسلم الخراساني . وكتب نصر إلى مروان الجعدي آخر الخلفاء الأمويين يستنجده بالأبيات المشهورة ، وهي :

أرى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِصَّ نَارٍ * ويوشك أن يكون له ضِرَامٌ .

فإنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكِّي * وإنَّ الحَرْبَ أَوْهَلَا الكَلَامُ .

فإن لم تطفؤوها ، تَجِبْ حَرْبًا * مشعرة يشيب لها الفِلامُ .

أقول من التعجب : لَيْتَ شِعْرِي ! * أيقاظُ أميَّة أم نيامُ ؟

فإن يك قومنا أضْحَوْا نِيَامًا ، * فقل : قوموا ، فقد حان القيامُ !

فَقَرِّي عَن رِحَالِكَ ثُمَّ قَوْلِي : * على الإسلام والعرب السلام !

وأخباره معروفة ، تراها في "مروج الذهب" و"معارف" و"آب قتيبة" و"وفيات الأعيان" و"فتوح البلدان" وأبي الفداء و"الأغانى" و"آبن خلدون" و"معجم البلدان" .

(٣) في سه : "أبو مخزوم" . وهو تحريف من الناسخ . والإشارة هنا إلى أبي مسلم الخراساني الذي

كان قد ضيق الخناق على نصر بن سيار المذكور في الحاشية السابقة . وقد لقبه مروان بأبي مجرم بدلا من أبي مسلم

بمعنى أبي الذئب والإجرام . وقد بقى له هذا النبز في الدولة العباسية . فإن المنصور خاطبه بعد أن قتله بقوله :

زعمت أن الدين لا يقتضى ؟ * فاستوف بالكيل ، أبا مجرم !

اشرب بكأس كنت تسقى بها ، * أمر في الخلق من العلقم !

وقال أبو دلامة : أبا مجرم ، ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد !

أفي دولة المنصور حاولت غدرة ؟ * ألا إن أهل الغدر أبواك الكرد !

أبا مسلم خوفتني القتل . فأنتحي * عليك بما خوفتني الأسد الورد !

وأنظر آبن خلكان في ترجمته ، و"شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩) [وأنظر ص ٨٢ من هذا الكتاب] . وأنظر "البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥٥"

(٤) لخص ذلك صاحب "محاسن الملوك" (ص ١٠٦) . وقد أورد المسعودي هذه الحكاية ، فقال :

" وأقام مروان أكثر أيامه لا يدنو من النساء إلى أن قُتل . وتراء له جارية من جواريه ، فقال لها : والله

لادنوت منك ، ولا حلت لك عقدة ، وخراسان ترجف وتنصرم بنصر بن سيار ، وأبو مجرم قد أخذ منه بالمختق " .

("مروج الذهب" ج ٦ ص ٦٣ و ٦٤ طبع أوروبا ؛ ج ٢ ص ١٥٩ طبع بولاق)



ومن أخلاق الملوك المكيدة في حروبها .

مكيدة الملوك
في الحروب

ولذلك كان يقال ينبغي للملك السعيد أن يجعل المحاربة آخِرَ حِيلِهِ . فإن النفقة في كلِّ شيء إنما هي من الأموال ، والنفقة في الحروب إنما هي من الأنفس . فإن كان للحيل محمودٌ عاقبةً ، فذلك بسعادة الملك ، إذ ربحَ ماله وحققَ دماءَ جيوشه . وإن آعبت الحيلُ والمكائدُ ، كانت المحاربةُ من وراء ذلك . فأسعدُ الملوك من غلبَ عدُوّه بالحيلة والمكر والخديعة .

وقد روينا عن نبينا (صلى الله عليه وسلم) ما يُحقِّقُ هذا ويؤكدُه بقوله : "الحربُ خديعةٌ" .

وليس لأحدٍ من الخدع ما للملوك الأعاجم . والأخبارُ في ذلك عنهم كثيرة . ولكننا نقتصرُ من ذلك على حديثٍ أو حديثين .

فمن ذلك ما يذكر عن بهرام جور أنه لما ملك بعد أبيه يزدجرد ، بلغه أن ناحيةً من نواحي أطرافه قد أخذت ، وغلبَ عليها العدو . فاستخفَّ بها وأظهر الاستهانةَ به حتى قوى أمر ذلك العدو واشتدت شوكتُه ، فكان إذا أُخبرَ بحاله ، استخفَّ بأمره وصغرَ من شأنه . حتى قيل إنه قد زحفَ إليك ووجهَ جيوشه إلى قرار دارك . فقال : دعوهُ فليس أمره بشيءٍ . فلما رأى وزراؤه تهاونَه وتراخيَه عن أمرِ عدُوّه واستهانتَه به ، اجتمعوا إليه فقالوا : إن تراخى الملك عن عدوه ليس من سياسة الملك ولا تدبير المملِكة ، وقد قربَ هذا العدو من قرار دار الملك ، وأمره كلُّ يومٍ في علوِّ . فقال بهرام : دعوه ، فإنا أعلمُ بضعفه وصغر شأنه منكم . وأقبلَ على اللهو واللعب ، وترك



ما يجب عليه من الصمد لعدوه والقصد له . فلما دنا عدوه منه وأشرف عليه وخاف
 الوزراء ورؤساء أهل المملكة اجتياحه ، أجمعوا فتأمروا بينهم على توبيخ الملك وتعنيفه
 وإعلامه ما قد أشرفوا عليه من البوار والهلكة . وبلغه الخبر . فأمر مائتي جارية من
 جواريه ، فلبسن الثياب المصبغة المختلفة الألوان ، ووضعن على رؤوسهن أكاليل
 الریحان ، وركبن القصب . وفعل بهرام كما فعلن . فلبس من ثيابهن المصبوغة ، وركب
 قصبه . وأذن للوزراء ، فدخلوا عليه . فلما رآهم ، صاح بالجواري . فمررن يخطرن ،
 وبهرا م خلفهن يغني ، وهن يغنين معه ، ويصحن ويلعبن . فلما رأى ذلك وزراؤه
 يسوا منه وأجمعوا على خالعه . وبلغه الخبر . فدعا جارية من خاص جواريه ، وقال :
 لك الويل إن علم أحد من أهل المملكة ما أريد أن أفعل ! ثم أمرها أن تحلق رأسه ،
 فحلقته . ودعا مدرعة صوف فتدرعها ، وخرج في جوف الليل ومعه قوسه ونشابيه .
 وتقدم إلى الجارية أن تخفي أمره وتظهر أنه عليل إلى رجوعه إليها . ومضى وحده
 حتى انتهى إلى طلائع العدو . فكمن في مغار على ظهر الطريق . فجعل لا يمر به طائر
 في السماء ولا وحش في البر ، إلا وضع سهمه منه حيث أحب . وجعل يجمع كل
 ما صاد من ذلك ، بجمعه بين يديه حتى صار كالشيء العظيم . قال : فمتر به صاحب
 طليعة العدو ، فنظر إلى أمره بهت له . فأخذه وقال : ويلك ! ما أنت ومن أنت ومن أين
 أنت ؟ قال : إن أعطيتني الأمان ، أخبرتك ! قال : فلك الأمان ! قال : أنا غلام سائس ،
 وإن مولاي غضب علي - وكان لي محسنا - فأوجعني ضرباً ونزع ثيابي وحاتق رأسي
 وألبسني هذه المدرعة وأجاعني . وإني طلبت غفلة ، فخرجت أطلب شيئاً أصيده

(١) الصمد هو القصد كما فسره المؤلف بعده بواو العطف .

(٢) في سه "وحاق" وقد اعتمدت رواية صه .

فَأَكَلَهُ . فَلَمَّا أَعْجِبْنِي كَثْرَةَ مَا صِدْتُ ، أَرَدْتُ أَنْ أُرْمِيَ بِكُلِّ مَا مَعِيَ مِنْ هَذِهِ السِّهَامِ ،
ثُمَّ أَنْصِرِفَ .

فَأَخَذَهُ حَمَلُهُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَرِمْ بَيْنَ يَدَيَّ ! فَرَمَى بَيْنَ
يَدَيْهِ . فَكَانَ لَا يَضَعُ سَهْمَهُ فِي طَائِرٍ وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا أَصَابَهُ حَيْثُ أَرَادَ . فَبُهِتَ الْمَلِكُ ، وَطَالَ
تَعْجِبُهُ . فَقَالَ : وَيْلَكَ ! فِي هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ مَنْ يَرْمِي رِمَائِكَ ؟ فَضَحِكَ بَهْرَامٌ ، وَقَالَ :
أَيُّهَا الْمَلِكُ ! أَنَا أَحْسَنُهُمْ رِمَايَةً وَأَحْقَرُهُمْ قَدْرًا . وَعِنْدِي جَنْسٌ آخَرٌ مِنَ التَّقَافَةِ . قَالَ :
وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : أَدْعُ لِي بِبَيْرٍ . فَدَعَا لَهُ بِهَا . فَأَخَذَ إِبْرَةً فَرَمَى بِهَا عَلَى عَشْرَةِ أَذْرَعٍ ،
ثُمَّ أَتَبَعَهَا بِأُخْرَى فَشَكَّهَا ، ثُمَّ أَتَبَعَهَا بِأُخْرَى فَشَكَّهَا كَذَلِكَ ، حَتَّى جَعَلَهَا سِلْسَلَةً قَدْ تَعَلَّقَ
بَعْضُهَا بِبَعْضٍ .

فَبُهِتَ الْمَلِكُ وَمُلِيَ قَلْبُهُ رُعبًا . فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! مَلِكُكُمْ هَذَا جَاهِلٌ ! أَمَا يَعْلَمُ أَنِّي
قَدْ قَرُبْتُ مِنْ قَرَارِ دَارِهِ ؟ فَضَحِكَ بَهْرَامٌ ، وَقَالَ : إِنَّ أَعْطَانِي الْمَلِكُ الْأَمَانَ ، نَصَحْتُهُ .
قَالَ : قَدْ أَعْطَيْتُكَ الْأَمَانَ . قَالَ : إِنْ مَلَكَكَ إِنَّمَا تَرَكْتَ اسْتِهَانَةً بِأَمْرِكَ ، وَتَصَغِيرًا لَشَأْنِكَ ،
وَعِلْمًا بِأَنَّكَ لَا تَخْرُجُ مِنْ قَبْضَتِهِ . وَذَلِكَ أَنِّي أَحْسَنُ مَنْ فِي دَارِ مَمْلَكَتِهِ وَأَنْحَلُهُمْ ذِكْرًا .
فَإِذَا كُنْتُ - وَأَنَا بِهِذِهِ الْحَالِ - أَقْتُلُ بِأَلْفِ سَهْمِ أَلْفِ رَجُلٍ ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْمَلِكِ ، وَلَهُ
مِائَةُ أَلْفِ عَيْدٍ فِي قَرَارِ دَارِهِ ، أَصْغَرُهُمْ شَأْنًا أَكْبَرُ مِنِّي ؟ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : صَدَقْتَنِي فِيمَا
قُلْتَ ! وَلَقَدْ حَبَّرْتُ عَنْ بَهْرَامٍ مِنْ تَصْغِيرِهِ لَشَأْنِي وَأَسْتِخْفَافِهِ بِأَمْرِي مَا طَابَقَ خَبْرَكَ .
وَمَا تَرَكْنِي أُبَلِّغُ هَذَا الْمَوْضِعَ مِنْ مُلْكِهِ إِلَّا لِمَا ذَكَرْتَ .

فَأَمَرَ عَظِيمَ جَيْشِهِ أَنْ يَتَّحِلَ مِنْ سَاعَتِهِ . وَنَادَى فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ . ثُمَّ خَرَجَ لَا يَلْوِي
عَلَى شَيْءٍ ، وَأَطْلَقَ بَهْرَامٌ . فَانْصَرَفَ بَعْدَ ثَالِثَةِ حَتَّى دَخَلَ دَارَهُ لَيْلًا . فَلَمَّا أَصْبَحَ ،

قَعَدَ لِلنَّاسِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْوِزْرَاءُ وَالْعِظَاءُ . فَقَالَ : مَا عِنْدَكُمْ مِنْ خَبَرِ عَدُوِّنَا هَذَا ؟ فَأَخْبَرُوهُ
بِانْصِرَافِهِ عَنْهُمْ . فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ صَغِيرُ الشَّانِ ، ضَعِيفُ الْمَنَّةِ ^(١) .
وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَا كَانَتْ الْعِلَّةُ فِي انْصِرَافِهِ ^(٢) .

وكان كسرى أبرويز، بعد بهرام جور، صاحب مكاييد وخدج في الحروب ونكايه
في العدو ^(٣) .

مكاييد أبرويز

وكان قد وجهه شهر براز لمحاربة ملك الروم، وكان مقدما عنده في الرأي والنجدة ^(٤) ^(٥)

١٥١

(١) أى القوة .

(٢) نقل هذه الحكاية بالحرف صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٣٤ - ٣٨)، ولخصها صاحب "محاسن
الملوك" (ص ١٠٧) .

(٣) الحكاية الآتية نقلها أيضا صاحب كتاب "تنبيه الملوك والمكاييد" المنسوب للمحافظ، وفيها تحريف
كثير وسقط متواتر وأضطراب في التعبير (ص ٢٢ - ٢٦) .

(٤) فى سم : شهر يزاد . وهو تصحيف من الناسخ ، وفى صه : شهر يار وقد صحف ناسخو ابن الأثير
هذا الاسم فجعلوه شهر يراز وشهر يزار ، كما صحفوه فى نسخ "مروج الذهب" فجعلوه مثل صه شهر يار
(وقد صححه العلامة باربيه دومينار فى ترجمته فجعله شهر بار ليكون مطابقا للأسم الوارد فى تواريخ الروم) .
وأما الصحيح فهو الذى أعتمدهنا . (أنظر جميع المؤرخين وخصوصا الثعالبي فى "غرر أخبار ملوك الفرس"
ص ٧٠١ حيث أورد هذه القصة) . وأنظر ابن الأثير . (ج ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٩) وقد أورد قصة
أخرى فى سبب أنتفاض شهر براز وفى الخديعة التى أستعملها أبرويز لصد ملك الروم عنه . (وأنظر "التنبيه
والإشراف" ص ١٥٦ و ١٥٧) .

وقد أورد هذه القصة برواية أخرى فى "المحاسن والمساوى" ص ١٣٦ - ١٣٧ . وسمى القائد "شهر براز"
على الوجه الصحيح الذى أعتمدهنا فى المتن .

(٥) فى سم : فكانت .

والبسالة ويمن النقيبة. فكان شهر براز قد ضيق على ملك [الروم] أقرار داره وأخذ بمخنقه
حتى هم بمهادنته ومَلَّ محاربتَه وطَلَبَ الكَفَّ عنه. فأبى ذلك عليه شهر براز.
وَأَسْتَعَدَّ له مَلِكُ الروم بأفضل عُدَّة وأتم آلة وأحد شوكة، وتأهب للقائه في البحر .
بجاءه في جمع لا تُحصى عِدته. قد أعد في البحر كل ما يحتاج إليه من مالٍ وسلاح
وكرأج وآلة وطعام وغير ذلك، والسفن مشحونة موقرة. فبينما هو كذلك إذ عصفت
ريح في تلك الليالي فقلعت أوتاد تلك السفن كلها وحملتْها إلى جانب شهر براز،
فصارت في ملكه. وأصبح ملك الروم، قد ذهب أكثر ما كان يملك من الأموال
والخزائن والعدد والسلاح. فوجه شهر براز بتلك الخزائن والأموال إلى أبرويز. فلما
رأى أبرويز ما وجه به شهر براز، كبر في عينه وعظم في قلبه. وقال: ما نفس أحق يطيب
الثناء ورفع الدعاء والشكر على الفعل الظاهر من شهر براز! جاد لنا بما لا تسخو به
النفوس ولا تطيب به القلوب! بجمع وزراءه وأمر بتلك الأموال والخزائن فوضعت
نصب عينيه، ثم قال لوزرائه: هل تعلمون أحدا أعظم خطراً وأمانة، وأحرى بالشكر
من شهر براز؟ فقامت الوزراء فتكلم كل واحد منهم، بعد أن حمد الله وشكره ومجده،
وأثنى على الملك وهنأه، ثم ذكر ما خصَّ الله به الملك من يمن نقيبة شهر براز وعفاهه
وطهارته ونبله وعظيم عنايته. حتى إذا فرغوا، أمر بإحصاء تلك الأموال والخزائن.
ثم قام أبرويز فدخل إلى نسائه. وكان للملك غلام يقال له رسته، وكان سيء الرأي
في شهر براز. فقال: أيها الملك! قد ملأ قلبك قليل من كثير، وصغير من كبير، وتأفه
من عظيم، خانك فيه شهر براز وآثر به نفسه. ولئن كان الملك، مع رأيه الثاقب
وحزمه الكامل، يظن أن شهر براز أدى الأمانة، لقد بعد ظنه من الحق وحس

(١) نصيبه . فوقع [في] نفس أبرويز ما قال رُسْتَه ، فقال له : ما أَظُنُّكَ إِلَّا صادقًا . فما الرأى عندك ؟ قال : تَكْتُبُ إليه بالقدم وتُوهِمُهُ أَنَّ بك حاجةٌ إلى مناظرته ومشاورته في أمرٍ لم تجز الكتابة به . فإنه إذا قَدِمَ ، لم يُخَلِّفَ ما يملك وراءه ، إذ كان لا يدري أيرجعُ إلى ما هناك أم لا . فيكون كلُّ ما يقدِّمُ به نُصِبَ عينيك .

٥ فكتب أبرويز إلى شهر براز يأمره بالقدم عليه لمناظرته ومشاورته في أمرٍ يدقُّ عن الكتاب والمراسلة .

فلما مضى الرسول ، أوردفه برسولٍ آخر . وكتب إليه : ”إني قد كنتُ كتبتُ إليك أمرك بالقدم لأنظرك في مهمٍّ من أمرى . ثم علمتُ أن مقامك هناك أفدحُ في عدوك وأنكى له وأصلحُ للملك وأوفرُ على المملكة . فأقيم . وكن من عدوك على حذر ، ومن غزته على تيقظ . فإنه من ذهب ماله ، حمل نفسه على التلف أو الفلج .^(٢) والسلام !“

وقال للرسول الثاني : إن قدمتُ فرأيتَه قد تاهبَ للخروج إلى وظهر ذلك في عسكره ، فادفعُ إليه هذا الكتاب . وكتب : ”أما بعد ، فإني كتبتُ إليك وقد استبطأتُ جواب قدمك وحركتك . وعلمتُ أن ذلك لأمرٍ يُصلحه من أمر نفسك أو مكيدة عدوك . فإذا أتاك كتابي هذا فخلِّفْ أخاك على عمالك وأغدِّ السير ولا تُعرج على مهمٍّ ولا غيره . إن شاء الله !“ . وإن لم تره استعدَّ للخروج ولا تاهب له ، فادفع إليه الكتاب الأول .

(١) في سه : ”نفسه“ . ولعل الصواب : ”نصيبه“ . قال في القاموس : ”حسن نصيبه جعله خسيسا

دينيا حقيرا“ . ولم ترد هذه الكلمة ولا التي قبلها في ص

٢٠ (٢) في سه : الفتح ، وفي صه : الخنف . وقد صححتُ بما في المتن ليكون المعنى ان الذي بذهب ماله يركب أحسن المراكب فإما أن يتلف وإما أن يظفر وينجح . لأنه يكون في حالة بأس تحمله على المخاطرة بنفسه أو يفوز .

فقدِمَ الرسولُ الثاني، وليس لشهرِ براز في الخروجِ عزمٌ ولا خاطرٌ، ولا همٌّ به. فدفع إليه الكتابُ الأوَّل. فقال شهر براز: أوَّلُ كُلِّ قِتْلَةٍ حِيَلَةٌ. وكان خليفة شهر براز بيباب المَلِكِ قد كتب إليه ما كان من قولِ رُسْتَه المَلِكِ وما كان من جواب المَلِكِ له. ثم نازعت أبرويز نفسه ودعاها شرههُ إلى إعادة الكتاب إلى شهر براز بالقدوم عليه.

فلما قرأ شهر براز كتابه الثالث قال: كان الأمر قبل اليومِ باطنًا، فأما اليوم فقد ظهر. فلما علم أبرويز أنَّ نية شهر براز قد فسدت وأنه لا يقدر عليه، كتب إلى أخي شهر براز: "إني قد وليتُكَ أمرَ ذلك الجيش ومحاربة ملك الروم. فإن سَلِمَ لك شهر براز ما وليتُكَ، وإلا فخاربه!"

فلما أتاه كتابه أظهره وبعث إلى شهر براز يخبره أن الملك قد ولّاه موضعه، وأمره بمحاربتِه إن أبى أن يُسَلِّمَ إليه ما ولّاه. فقال له شهر براز: أنا أعلم بأبرويز منك. هو صاحب حيلٍ ومكايد، وقد فسدت نيتُه لي ولك. فإن قتلتني اليوم، قتلك غداً، وإن قتلك اليوم، كان علي قتلي غداً أقوى.^(١)

ثم إن شهر براز صالحَ ملك الروم، لما خاف أبرويز. وتوثق كلُّ واحدٍ منهما من صاحبه. واجتمعوا على محاربة أبرويز. فقال له شهر براز: دعني أتوتلي محاربتِه، فإني

(١) هذه رواية صر. وأما سه فروايتها: يقدر

(٢) رواية ابن الأثير في هذا الموضوع أحسن وأمتن. ومحصلها أن شهر براز لما امتنع عن إجابة كسرى، بعد طلبه ثلاث مرات، أمر الملك بعزله وبتولية أخيه فرخان الذي كان معه، وأمره بقتله. فلما أراد فرخان أن يقتله، قال له شهر براز: أمهلني حتى أكتب وصيتي. ثم أحضر درجا وأخرج ثلاثة كتب من كسرى يأمره فيها بقتله، وأطلعها عليها، وقال له: أنا راجعتُ فيك أربع مرّات ولم أقتلك، وأنت تقتلني في مرة واحدة. فأعتر فرخان إليه وأعادته إلى الإمارة. واتفقا على موافقة ملك الروم على كسرى. (ج ٢ ص ٣٤٨)

أبصر بمكايدِه وعوراتِه^(١). فأبى عليه ملكُ الروم، وقال: بل أقيم في دار مملكتي حتى أتوتني أنا محاربتَه بنفسِي. فقال شهربراز: أما إذ أبيتَ عليَّ فإني مصورٌ لك صورةً، فأعملُ بما فيها وأمثلُها.

ثم صور له كلَّ منزلٍ ينزلُه بينَه وبين أبرويز في طريقه كلَّه، وأى المنازل ينبغي له أن يقيم فيه، وأيها يجعلها طريقاً وسيراً ماضياً حتى إذ أقامه من طريقه كله على مثل وصحَّ النهار، قال له: فإذا صرتَ بالنهروان، فأقيم دونه ولا تقطعهُ إليه، وأجعله منزلك وجهز جيوشك وعساكرك إليه.

فمضى ملك الروم نحوه. وبلغ أبرويز الخبر فضاق به ذرعه، وأرتج عليه أمرُه. فكان أكثرُ جنوده قد تفرَّقوا لطلب المعاش. لتقطعِهِ عنهم ما كان يجب لهم من إقطاعهم وأرزاقهم. فبقِيَ في جُنْدٍ كالميتِ أكثرُهم هزلياً أضراً^(٢).

وكان ملك الروم يعمل على ما صورَه له شهربراز في طريقه كلَّه، حتى إذا أشرف على النهروان، عسكرَ هناك وأستعدَّ للقاء أبرويز. وقد بلغه قلةُ جموعه وتفرُّق جنوده وسوءُ حال من بقي معه. وكان في أربعمائة ألف، قد ضاقت بهم النجاح والمسالك. فطمع في قتل أبرويز ولم يُشكَّ في الظفر به.

فدعا أبرويز رجلاً من النصارى، كان جدُّه قد أنعمَ على جدِّ النصارى وأستتقده من القتل أيام قتل ماني، وكان من أصحابه الذين استجابوا له. فقال له أبرويز: قد علمت ما تقدم من أيادينا عندكم، أهل البيت قديماً وحديثاً. قال: أجل أيها الملك! وإني لشاكر ذلك لك ولا بآئك. قال: نخذ هذه العصا وأمض بها إلى شهربراز، فأتته في قرار

(١) حصه: وغدراته.

(٢) أى اضطرب.

(٣) أى مهزولون مرضى. | والذي في سسه: هزلا وضرا.

ملك الروم، فأدفعها إليه من يدك إلى يده. وعمد إلى عصا مشقوبة، فأدخل فيها كتاباً صغيراً منه إلى شهر براز: "أما بعد فإني كتبت إليك كتابي هذا وأستودعته العصا. فإذا جاءك، فحرق دار مملكة الروم، وأقتل المقاتلة، وأسب الذرية، وأنهب الأموال، ولا تترك عينا تطرف ولا أذنا تسمع ولا قلباً يعي، إلا كان لك فيه حكم. وأعلم أني واثب بملك الروم يوم كذا وكذا. فليكن هذا وقتك الذي تعمل فيه ما أمرتك." ٥

١٥٧

قال: وأمر للنصراني بمال وجهه، وقال: لا ترجع على شيء ولا تقيم يوماً واحداً. وإياك ثم إياك أن تدفع العصا إلا إلى شهر براز، من يدك إلى يده!

ثم ودعه ومضى النصراني. فلما عبر النهر وان، اتفق أن كان عبوره مع وقت ضرب النواقيس. فسمع قرع عشرة آلاف ناقوس أو أكثر. فأنهملت عيناه وقال: ١٠
يئس الرجل أنا، إن أعنت على دين النصرانية وأطعت أمر هذا الجبار الظالم!

فأتى باب ملك الروم، فاستأذن عليه، فأذن له. فأخبره بقصة أبرويز حرفاً. ثم دفع إليه العصا، فأخذها ونظر فيها. ثم استخرج الكتاب منها فقرأ عليه. ففخر، وقال: خدعني شهر براز! ولئن وقعت عيني عليه، لأقتلنه!

وأمر فقوضت أبيته من ساعته، ونادى في الناس بالرحيل. وخرج ما يلوي على أحد. ١٥

١٥٨

ووجه أبرويز عيناً له يجيئه بخبره. فأنصرف إليه فأخبره أن الملك قد مضى ما يلبثت لفته. فضحك أبرويز، وقال: إن كلمة واحدة هزمت أربعمائة ألف لليل قدرها ورفيع ذكرها! ^(١)

(١) والعرب تقول: أفتد من الرمية، كلمة خفية. ("العقد الفريد" ج ١ ص ١٦٥)

خاتمة الكتاب

وإذ قد آتمينا إلى هذا الموضع من كتابنا هذا، وأخبرنا بأخلاق الملوك في أنفسنا، وما يجب على رعاياها لها، بقدر وسع طاقتنا، فلنختم كتابنا هذا بذكر من بعثنا على نظمه، وكان مفتاحا لتأليفه وجمعه.

وَلِنَقُلْ إِنَّا لَمْ نَزَلْ فِي صَدْرِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَلَا فِي تَارِيخِهَا وَأَيَّامِهَا إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ قَتَّى اجْتَمَعَتْ لَهُ فُضَائِلُ الْمُلُوكِ وَأَدَابُهَا وَمَكَارِمُهَا وَمَنَاقِبُهَا، فَحَازَ الْوَلَاءَ مِنْ هَاشِمٍ وَالْخِصِيصَةَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ الطَّيِّبِينَ، وَالتَّيَّبِيَّ مِنَ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ وَإِخْوَتِهِ الْأَبْرَارِ مِنْ أُمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَرَثَةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، عِدَا الْأَمِيرِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

فَلْتَهْنِئْهُ هَذِهِ النَّعْمَةُ الْمُهْدَاةُ! وَبَارِكْ لَهُ وَاهْبِأْهُ، وَزَادَهُ إِلَيْهَا الدَّابَّ عَلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَ بِهِ أَرْفَعُ يَفَاعِهَا وَأَسْنَى ذِرْوَتِهَا وَأَعْلَى دَرَجَاتِهَا، فِي طُولِ مِنَ الْعُمُرِ وَسَلَامَةٍ مِنْ عَوَادِي الزَّمَانِ وَغَيْرِهِ وَتَكْبَاتِهِ وَعَثْرَاتِهِ! فَإِنَّهُ رَحِيمٌ كَرِيمٌ!

في آخر النسخة السلطانية ما نصه:

تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه. والحمد لله وحده!

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا!

حسبنا الله ونعم الوكيل!

(١) أي الاختصاص بالفضل.

تكمل

لبعض الروايات والملاحظات الاستدلالية التي وضعت في حواشي هذا الكتاب .
والغرض من هذا التكميل أن يردّد فوائد من سبق استيفاء بحث خاص أو التوسع
في مطلب مما جرى به فم المحاطة .

تكميل للروايات

مقدمة (١) و

تصحیحات مطبعية

١ - ورد اسم "محمّد" في كتاب "السير" (١٠١٩ و ١٠٢٠) لكن المحاطة قد كتبت
"محمّد" ووصف مقدارها كما في كتاب "مع الأسماء" كذا . كذلك في نسخة
(ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٥) حكم ذكره وأضفه لقباً آخر وهو "الأمر" بدلاً من
"الأمر" أو "الأمير" . ولأنك أن هذه الأسماء كلها محرّكة من حيث واحد من مادة واحدة ، ولما جرت
كاتباً بعداً كلها تنطوية في الشكل والمصوغة . وهذه التصحيحات من حيث واحد من اسمين السابقين .
٢ - أبلغ المحاطة بذكر "علم القمار" وبتأنيده وأثبت في كتابه . وقد وصفه بطول القصة
وأشار إلى بعض فوائد وأحواله ، حررنا به ، التي كان يرثيها إليه .
ويستدل من كلام المحاطة أنه كان معاصراً له .

أخر كتاب "الترغيب والترهيب" (١٠١٩ و ١٠٢٠) وكتاب "السير" (ج ١ ص ٢٢٤
وغيره من ص ١٦٦) وكتاب "الحيوان" (ج ١ ص ١٦١) وكتاب "الملك" (ص ١٦٦ و ١٦٧
الكتاب) و"المعجم والأسماء" (من حيث هو ، القاموس)

٣ - ذكر المحاطة "المعجم السويدي" في كتاب "الملك" (ص ٢٢٨) ، وهذه السويدي
وهي الأكل . وقد ذكر أيضاً في كتاب "الحيوان" (ج ١ ص ١٦٦)

حاشية الكتاب

وراد قد أتينا إلى هذا الموضع من كتابنا هذا، وأخبرنا بإخلاق الملوك في أنفسهم، وما يجب على رعاياها من أداء حقوقهم، فقلنا: قلنا هذا بما ذكرنا من مقتضى على ظننا، وكان مقتضى تأليفه وحسنه.

والقول أن لم ترق صدور هذه العروة المباركة العباسية ولا في تاريخها وآياتها إلا هذه الغاية التي اجتمعت لفضائل الملوك وأدائها ومكارمها ومناقبها، فحاز الولاة من ملوكهم والضيعة من خلفاء بني العباس الطيبين، والتي من المتصم بالله وأخوته الأبرار من أمّة المؤمنين وورثة خاتم النبي، هذا الأمير الفتح بن خاقان مولد أمير المؤمنين. ثم جعله تاليفه

تكرّمه هذه التهمة المهداة، ويحك لمولعها، وزاده إليها اللب عليها حتى يبلغ به ارتفاع بقاياها وأسنن قدرتها وأعلى درجاتها، في كقول من القدر وسلامته من عبادي الزمان وغيره، ونكاته وعذابه، يا به رحم كريم!

في أمر التسمية بالملك

تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه، والحمد لله وحده،
ورصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً!
حسبنا الله ونعم الوكيل!

(١) أي الأعمام بالتحليل

تكميل

لبعض الروايات والملاحظات الانتقادية التي وضعتها في حواشي هذا الكتاب .
والقصد من هذا التكميل أن تزداد فوائده لمن يعينهم آستيفاء بحث خاص أو التوسع
في مطلب مما جرى به قلم الجاحظ .

صفحة ١١ (حاشية ١)

١ - ورد اسم "ميسرة" في كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٢٨) ولكن الجاحظ نتمه فيه بلقب
"التياس" ووصف مقدار أكله ، وماذا كان يصنع إذا أجهده الكفلة . كذلك ابن أبي الحديد
(ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) تكلم عن هذا الأكل وأعطاه لقباً آخر وهو "الراس" بدلا من
"التراس" أو "البراش" . ولاشك أن هذه الألفاظ كلها محرّفة عن لقب واحد من مادة واحدة . ولو اعتبرنا
كتابتها نجدها كلها متقاربة في الشكل والصورة . وهذه التحريفات مصدرها إهمال النساخين المساخين .

٢ - أولع الجاحظ بذكر "قاسم التار" وبمداعبته والعبث به في كتبه . وقد وصفه بطول العنق ،
وأشار إلى بعض نوادره وأحواله ، هو وأبنته ، الذي كان شرّ شبيهه بأبيه .
ويستفاد من كلام الجاحظ أنه كان معاصرا له .

أنظر كتاب "التربيع والتدوير" (ص ٨٩ و ١٠١) ؛ وكتاب "اليان والتبيين" (ج ٢ ص ٣
وخصوصا ص ١٦١) ؛ وكتاب "الحيوان" (ج ٥ ص ٦١) ؛ وكتاب "البخلاء" (ص ٢١٥ و ٢١٦
بأكلهما) ؛ و"المحاسن والأضداد" (ص ٩ حيث سماه : القاسم التار) .

٣ - ذكر الجاحظ "أباهم السنوط" في كتاب "البخلاء" (ص ٢٢٨) ، وسماه السموط ،
ووصفه بالأكل . وقد ذكره أيضا في كتاب "الحيوان" (ج ١ ص ٥٥) .

- ٤ - مما يجب بيانه في موضوع المشهورين بكثرة الأكل في الإسلام أن ابن أبي الحديد نص (في شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) على أن الذي منهم هو "أبو الحسن بن أبي بكر الحسن بن علي ابن العلاف" أي ابن الشاعر الشهير بأبن العلاف . وقد ورد ذكر هذا الأبن عرضاً في "وفيات الأعيان" لابن خلكان فقال عنه : "وهو الأكل المقدم في الأكل ، في مجالس الرؤساء والملوك" . ثم قال عنه في موضع آخر : "وهو المشهور بكثرة الأكل" (ج ١ ص ١٩٤ ، ٥٣١ طبعة بولاق سنة ١٢٧٥ أي في ترجمة أبيه الحسن بن العلاف ، ثم في ترجمة علي بن الفرات) .
- ٥ - ذكر ابن أبي الحديد أيضاً "هلال بن أشعر" وهو نفس الذي سميناه "هلال بن الأسعر" . لأن صحة اسمه بالسین المهملة . (أنظر "تاج العروس" في مادة - س ع ر - وفي مادة - رزم - وأنظر ترجمته في "الوفاء بالوفيات") . وهو هو الذي سميناه في حاشية صفحة ١١ من التاج : "هلال ابن مسعر" والغلط عن الكتب التي نقلنا عنها وأشرنا إليها في تلك الحاشية .
- ٦ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسماً جديداً يجب ضمه إلى إخوانه وهو "عنبسة بن زياد" إن لم يكن هو "عبيد الله بن زياد بن أبيه" رجلاً واحداً . فإن تحريف "عبيد" إلى "عنبسة" ليس ببعيد .
- ٧ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسماً جديداً آخر ، وهو "أبو خارجة" الذي روى لنا الجاحظ أخباره وقال عنه إنه يضرب به المثل . (أنظر "الحيوان" ج ٥ ص ١٤٧) .
- ٨ - هذا وأنا أعتقد أن "مزودا" الذي ذكرته في ضمن أسماء الأكلة في تلك الحاشية إنما هو "مزرد" وهو لقب ضرار بن الشماخ . والتحريف راجع إلى تلك الكتب التي نقلت اسمه عنها . وأنظر "تاج العروس" في مادة - زرد - وإن كان لم يخبرنا بأنه من الأكلة .
- ٩ - وقد نقل ابن أبي الحديد عن كتاب "الأكلة" للدائني - الذي ذكرناه في آخر تلك الحاشية - أحوالاً وأخباراً تراها في الجزء الرابع من "شرح نهج البلاغة" (ص ٣٢٤ - ٣٢٦) .

صفحة ١٢ (حاشية ١)

عرّفنا الجاحظ بإبراهيم بن السديّ بن شاهك ، فقال في رسالة "مناقب التّرك وعامة جُند الخلافة" إنه "كان عالماً بالدولة شديداً لِحُبِّ لأبناء الدعوة ... وكان نغم المعاني ، نغم الألفاظ . لو قلتُ : لسانه كان أردّ على هذا الملك من عشرة آلاف سيف شهير وسنان طير ، لكان ذلك قولاً ومذهباً" .
وعرّف به الجاحظ أيضاً في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٩) بقوله :

كان رجلاً لانظيره ، وكان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان فقيهاً ، وكان عروضياً وحافظاً للحديث ، راوية للشعر ، شاعراً . وكان نغم الألفاظ ، شريف المعاني . وكان كاتب القلم ، كاتب العمل . وكان يتكلم بكلام رؤوبة ، ويعمل في الخراج بعمل زاذان فروخ الأعور . وكان منجماً ، طبيباً . وكان من رؤساء المتكلمين ، وعالماً بالدولة وبرجال الدعوة . وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوماً ، وأصبرهم على السهر .

صفحة ١٦ (حاشية ١)

أضف على البيانات التي أوردتها فيها عن استعمال لفظة "الاستكفاء" بمعنى التولية وتقليد المناصب قول الجاحظ نفسه :

قال يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاه على خراسان : إن أبالك كفى أخاه عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً . فلا تتكلم على عذر مني لك ، فقد أتكلت على كفاية منك . وإياك مني ، قبل أن أقول : إياي منك . فإن الظن إذا أخلف منك ، أخلف مني فيك . وأنت في أدنى حظك ، فأطلب أقصاه . وقد أتعبك أبوك ، فلا تريحن نفسك . وكن لنفسك ، تكن لك . وأذكر في يومك أحاديث غذك ، تسعد . إن شاء الله !
(البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٩ ثم ص ٢٠٤) .

صفحة ١٦ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن ابن أبي الحديد روى في "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ٣٨٠) قصة الرجل الذي أراد سابور أن يمتحنه قبل أن يوليّه قضاء القضاة .

صفحة ١٩ (حاشية ٢)

أضف على ما أورده من البيانات بخصوص الآين أن الجاحظ نفسه قد استعمل هذا اللفظ ثلاث مرات في كتاب "البخلا" طبع ليدن فقال :

١ - الآين فيأخن فيه أن تكون إذا كنت أنا الجالس وأنت المار أن تبدأ أنت فتسلم فأقول أنا حينئذ مجيباً لك : وعليكم السلام . (ص ٢٧) .

٢ - وإن كنت آكل ، فهأنا آين آخر . وهو أن أبدأ أنا فأقول هلم ! وتجب أنت فتقول : هنيئا ! فيكون كلامٌ بكلام . فأنا كلامٌ بفعال ، وقولٌ بأكل ، فهذا ليس من الإنصاف . (ص ٢٨) .

٣ - إحضار الجدى إنما هو شئ من آين الموائد الرفيعة . وإنما جعل كالعاقبة والخاتمة ، كالعلامة لليسر والقراع ، وإنه لم يُحضر للتمزيق والتخريب . (ص ١٠٣) .

هذا وقد ذكر ياقوت في الجزء الثاني من معجم الأدباء (ص ٥٩) نقلاً عن الفهرست أن أحمد بن محمد ابن نصر الجبائي ألف "كتاب آين" و"كتاب الزيادات في كتاب آين في المقالات" .

صفحة ٢٠

الحكاية الواردة في متن هذه الصفحة قد أوردها الجاحظ بنصها وفصحا مع زيادة كلمتين فقط (في "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٣٢) . ثم أوردها أيضاً في كتاب "البخلا" (ص ١٩٣) .

وعنه نقلها ابن عبد ربه في "العقد الفريد" بدليل نقله أيضاً للكلام الذي عقب به الجاحظ في موضوع آخر من باب الاستطراد .

صفحة ٢٠ (حاشية ١)

أضف إلى ما كتبتُه عن بلال بن أبي بردة ما ذكره لنا الجاحظ من أنه خطب بالبصرة يوماً، فرأى الناس نداءً استحسنا كلامه، فقال لهم: "لا يمتعنكم سوء ما تلهون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا".

(البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠٨)

وقد ذكره الجاحظ في مواضع كثيرة من كتاب "البخلاء" (ص ٧٥ و ١٦٣ و خصوصاً ص ١٦٩) حيث أورد له كلمة ضافية في المقارنة بين البخل والكرم، وتفضيل الكرم.

صفحة ٢٠ (حاشية ٢)

كان الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا مفضل - من أبين الناس وأحسنهم حديثاً. وكان راوية علامة، شاعراً مقلقاً. وكان من رجال الشيعة. ولما استنطقه الحجاج قال: ما ظننتُ أن بالعراق مثل هذا. وكان يقول: ما أمكنتني وإلّا من أذنه إلا غلبت عليه، ما خلا هذا اليهودي (يعني بلال بن أبي بردة). وكان عليه متحاملاً. فلما بلغه أنه (أي الحجاج) وهقه (أي بلالا) حتى رقت ساقه وجعل الوتر في خصيه أنشأ يقول:

لقد قرّعتني أن ساقه رقتا * وأن قوى الأوتار في البيضة اليسرى

بخلت وراجعت الخيانة والحنأ * فيسرك الله المقدس للعسرى

فما جذع سوء حرب السوس جوفه * يعالجه النجار يبرى كما تبرى

وإنما ذكر الخصية اليسرى، لأن العامة تقول إن الولد منها يكون.

(البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦ و ١٢٧)

صفحة ٢٤ (حاشية ١)

الشائع عند العرب استعمالهم "الأساورة" بصيغة الجمع . ولكنهم كانوا يستعملون المفرد أيضا . والامثلة كثيرة ، نختار منها ما أورده الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١١٤) حيث قال "بصرت بفهد على قاب غلوة ؛ فسعيتُ إليه ، وأنا أسوار كما تعلمون . فوالله ! ما أخطأتُ حاقَّ لهزمه حتى رزق الله عليه الظفر" .

صفحة ٤٣ (سطر ٨)

ما يجب تعليقه على ما رواه الجاحظ بخصوص تهاون الأمين إبان محاصرة الجيوش له في بغداد ، أن صاحب "بدائع البداهة" روى القصة الآتية (في صفحة ٦٨) وهي :

خرج كوثر ، خادم الأمين ، لينظر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين لبغداد ، فأصابه سهم غرب ، فخرجه . فدخل على الأمين يبكي لألم الجراحة . فلم يمالك الأمين أن جعل يمسح عنه الدم ويقول :

ضربوا قرّة عيني ، * ومن أجلى ضربوه !

أخذ الله قلبي * من أناس أوجعوه ...

ثم أرتج عليه . فاستدعى الفضل بن الربيع وأمره بإحضار شاعر يُجيزُ البيتَين . فاستدعى لذلك عبد الله بن محمد بن أيوب التيميّ وأنشدهما له فقال :

ما لِمَن أهوى شبيهه ، * فيه الدنيا تبيهُ !

وَصَلَهُ حُلُو ، وَلِكِن * هجره مرّ كَرِيه !

مَن رأى الناسَ له الفضل * عليهم ، حسدوه !

مثل ما قد حسد القا * ثم بالملك أخوه .

فأمر الأمين له بوقر ثلاثة أبغل دراهم .

صفحة ٤٣ (حاشية ٣)

أضف على ما أوردته في هذه الحاشية شرحاً للفظه "بأو" ما أوردته الجاحظ في "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٣٧) وهو :

قال جعدة بن هيرة :

أبي من بني مخزوم، إن كنت سائلاً، * ومن هاشم أُمِّي، لخير قبيل !
فن ذا الذي "يَبَّأى" على بخاله، * وخال عليّ، ذو الندى، وعقيل ؟

صفحة ٤٤ (حاشية ١)

الشجرة المعروفة عند العرب بأسم "السرحة" تكلم عنها علماء النبات من الإفرنج مثل العلامة "فورسكال" قديماً، والأستاذ "شوينفُرت" الموجود الآن .

فقال الأوتل : CADABA farinosa ; foliis ovatis, oblongis, farinosis.

Descr. Folia alterna, semipollicaria, farinosa-tomentosa, plana, integra, obtusa, alterna. Pedunculi racemi ramorum terminales. Rami recentes tomentoso-farinosi. Nectarium album, parvum lingua tubo angustiore revoluta. Petala 4, undulata. Stamina inserta pedicello germinis in fra medium.

Arab. Asal. aliiis Korrah vel Saerah سرح Usus antitoxicus : dum rami recentes & minores masticantur ; vel pulveris forma eduntur.

(P. Forskal, *Descriptiones plantarum flora Aegyptiaco-Arabicae* : pp. 68)

Sserahh. Saerah سرح 140 Cadaba c) farinosa Forsk. وقال الشافعي مانصه :

(Schweinfürth G., *Arabische Pflanzennamen aus Aegypten, Algerien und Jemen* : p.p. 117)

ولكن شرح هذين العالمين ينطبق على نجم أي شجيرة، مع أن المفهوم من كتب اللغة العربية أنها شجرة كبيرة .

صفحة ٤٧ (حاشية ٤)

أضف على ما بها من المعلومات أن الجاحظ أورد البيانات الخاصة بأبي أحيحة وعمامته (في "البيان والتبيين" ج ٢ ص ٧٧) فقال مانصه: "وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص إذا أعمت بمكة لم يعتم معه أحد. هكذا في الشعر. ولعل ذلك أن يكون مقصورا في بني عبد شمس. وقال أبو قيس بن الأسلت:

وكان أبو أحيحة، قد علمتم، * بمكة غير مهتضم ذميم.

إذا شدد العصابة ذات يوم * وقام إلى المجالس والخصوم،

فقد حرمت على من كان يمشي * بمكة غير مدخل سقيم.

وكان البخترى غداة جمع ^(١) * يدافعهم بلقان الحكيم.

هو البيت الذي بنيت عليه * قریش السر في الزمن القديم.

وسطت ذوائب الفرعين منهم، * فأنت لباب سرهم الصميم! ^(٢)

صفحة ٤٨ (حاشية ٦)

أضف ما أفادناه صاحب كتاب "الفهرست" عن أبي حسان الزيادي أنه . كان "فاضيا فاضلا، أديبا ناسبا، جوادا كريما يعمل الكتب وتعمل له، وكانت له خزنة حسنة كبيرة... ومات... سنة ٢٤٣، وله سبع وثمانون سنة وأشهر. وله من الكتب: كتاب مغازي عروة بن الزبير، كتاب طبقات الشعراء، كتاب ألقاب الشعراء، كتاب الآباء والأمهات". (عن كتاب "الفهرست" ص ١١٠).

(*) يغلط كثير من ناسخى الكتب وطابعيها فيقولون "العاصي" في هذا الرجل وفي عمرو بن العاص وغيرهما من أبناء هذا البيت. والحقيقة أنه من "العوص" لا من "العصيان"، ولذلك يقال لهم "الأعياص" (راجع "الأشتقاق" لأبن دريد و"لسان العرب" وغيرهما من كتب الأنساب واللغة والأدب).

(١) البخترى الحسن المثنى والجسم. (أنظر اللسان ج ٥ مادة - ب خ ت ر-).

(٢) أى توسطت فكنت أنت الواسطة بين الفرعين.

هذا ، وقد أوهمتني عبارة أبي المحاسن عند كلامه على السنة الثانية من ولاية عنبسة بن إسحاق على مصر أن المتوكل وليّ أبا حسان الزياديّ هذا قضاء الشرقية ، أن المقصود هو إقليم الشرقية بديار مصر . ذلك خاطر سبق إلى وهى ، وأنا أبرأ إلى الله منه . لأن الشرقية التي تولّى قضاءها أبو حسان الزياديّ هي أحد شقّي بغداد . وقد وصفها يعقوبيّ (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب) فقال : ” وإيّا سميت الشرقية لأنها قدّرت مدينةً للمهدىّ قبل أن يعزم [أبو جعفر المنصور] على أن يكون نزول المهديّ في الجانب الشرقيّ من دجلة . فسميت الشرقية ؛ وبها المسجد الكبير ، وكان يُجمع فيه يوم الجمعة ، وفيه منبر . وهو المسجد الذي يجلس فيه قاضي الشرقية ” . (أنظر كتاب البلدان لليعقوبيّ طبع ليدن سنة ١٨٦٠ صفحة ١٧) .

صفحة ٥٢ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ قد شرح لنا ” التتابع ” بقوله : فالمتتابع ، لا يثنيه زجر وليست له غاية دون التلف . (كتاب ” البخل ” ص ١٨٣) .

صفحة ٥٣ (سطر ١٤)

أورده الجاحظ ” في البيان والتبيين ” أيضاً (ج ١ ص ١٦٦) .

صفحة ٥٤ (سطر ١ - ٢ من المتن)

روى الجاحظ مقولة الشعبيّ في ” البيان والتبيين ” (ج ١ ص ١٦٦) . ولكن طابعه أورد ” تنابذاً ” بدلاً من ” تناقداً ” التي في طبعتنا تقلاعن صر . والظاهر أن هذه الثانية أفضل ، لأن السياق يدل عليها .

صفحة ٥٤ (سطر ٣ - ٧ من المتن)

روى الجاحظ أيضا في "البيان والتبيين" الحديث الذي كان بين المأمون وبين سعيد بن سلم بشأن أستحسان الخليفة له فيما يديه من "حسن الإفهام وحسن الفهم". (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦، وفيها اختلاف طفيف في بعض الألفاظ مما لا عبرة به).

صفحة ٥٤ (حاشية ١)

أضف إلى الرواية التي أشرنا إليها أن الجاحظ روى كلمة عمرو بن العاص أيضا في "البيان والتبيين" برواية ثانية فيها اختلاف في اللفظ لا المعنى، وهي مغايرة لرواية المبرد التي أشرنا إليها في تلك الحاشية. (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦).

صفحة ٥٦ (حاشية ٤)

في "المختص" لأبن سيده شرح "السهم العائر، والسهم الغرب" (ج ٦ ص ٧٦). [وأنظر عن "السهم الغرب" ما أورده في صفحة ١٩٤ عن تكميل صفحة ٤٣ ص ١٠].

صفحة ٥٨ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبها على أبي بكر الهذلي ما قاله الجاحظ عنه في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٦) أنه كان قاصًا وعالمًا بينًا وعالمًا بالأخبار والآثار. وقد سماه (ج ٢ ص ١٢٠) "سلي" ونقل عنه هذه الكلمة: "إذا جمع الطعام أربعة، فقد كل: إذا كان حلالا، وكثرت عليه الأيدي، وسمى الله على أوله، ومحمد على آخره". وأضف على ذلك ما قاله الجاحظ في ذلك الكتاب أيضا (ج ١ ص ١٣٦) من أنه كان خطيبًا قاصًا وعالمًا بالأخبار والآثار؛ وأنه لما ناظر أهل الكوفة قال: "لنا الساج والعاج

والديباج والخراج والنهر العجاج“ . وقد روى الجاحظ هذه الكلمة في كتاب ”الحيوان“ (ج ٧ ص ٧٢) على هذا المثال : ”نحن أكثر منكم عجا وساجا وديباجا وخراجا“ . ونسبها للأحنف بن قيس فيما نخر به على أهل الكوفة ، ثم قال الجاحظ : ويقال إنها من كلام خالد بن صفوان أو من كلام أبي بكر الهذلي . وقد أورد الجاحظ هذه الكلمة في كتاب ”البيان والتبيين“ (ج ١ ص ١٨٤) ولكنه اقتصر على نسبتها للهذلي هذا ، دون غيره .

صفحة ٦٠ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبتها عن رُوح بن زُبَاع ما رواه الجاحظ من أن معاوية همّ به فقال له رُوح : ”لَأَتَشْمِتَنَّ بِبِي عَدُوًّا أَنْتَ وَقَمْتُهُ* ، وَلَا تَسُوَانَّ بِي صَدِيقًا أَنْتَ سِرْرَتُهُ ، وَلَا تَهْدِمَنَّ مَنِّي رِكْبًا أَنْتَ بَيْتُهُ ! هَلَّا أَتَى حَلْمِكَ عَلَيَّ جَهْلِي وَإِسَاءَتِي ؟“ (البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٧) . وأنظر خطبته التي آستمال بها الناس لمبايعة مروان بن الحَكَم بالخلافة (في الكتاب المذكور ص ١٤٧) . وأنظر في ”البيان والتبيين“ (ج ١ ص ١٨٠) كلمة عبد الملك بن مروان التي نقلناها عن ”العقد الفريد“ في تلك الحاشية . فلا بد أن يكون ابن عبد ربّه قد أخذها عن الجاحظ .

صفحة ٦٠ (حاشية ٣)

أضف على ما ذكرته عن أسماء بن خارجة الفزاري أن الحجاج بن يوسف الثقفي لما بلغه موته ، قال : ”هل سمعتم بالذي تاش ماشاء ثم مات حين شاء ؟“ (البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٣ ، ١٧٧) .

(*) وَقَمْتُهُ أَي قَهْرْتُهُ وَأَذَلَّتُهُ . [حاشية عن طابع ”البيان والتبيين“] .

صفحة ٦١ (حاشية ١)

أضف عليها ما أورده الجاحظ في كتاب "الحيوان" حيث قال :

١ - العقرب تقع في يد السنور ، فيلعب بها ساعة من الليل ، وهي في ذلك مسترخية "مستخدية"
لا تضربه (ج ٤ ص ٧٢) .

٢ - ولولا أن الأبعث [هو هو البعثة] على حال يعلم أن الصقر ... قد أعطى في سلاحه وكفه فضل
قوة لم "أستخدي" له ولما أطمعه فيه بهربه (ج ٦ ص ١٠٣) .

٣ - ولولا أن الهريمين في الهرب غاية الإمعان ثم لحقته [الهرة] ، لقطعه وهو "مستخدي" (ج ٧
ص ٤٧) .

(صفحة ٦٢ - ٦٥)

أورد في كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن أمتحان أنوشروان لمن
خانه في حريمه . والعبارتان يكاد لفظهما يكون واحدا . على أن النصّ الوارد في روايتنا قد أستوفى نصيبه من
التصحيح والتحقيق (أنظر كتاب المحاسن والأضداد طبع العلامة نانفلوتن ص ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٦٥ (حاشية ٣)

أولا - ورد أسم خالد بن يزيد في أثناء الكلام . وقد رأيت من الواجب زيادة التعريف به لأنه من السابقين
إلى إدخال علوم الفلسفة في اللغة العربية . فقد زوى لنا عنه صاحب "كتاب الفهرست" بعض الشيء ، ووصفه
بأنه "حكيم بنى أمية" . ولكن المعلومات التي أوردها عنه تدلّ على أنه كان منقطعاً إلى الكيمياء . أما الجاحظ
فقد أظهر لنا فضلّه الكبير في خدمة الأدب والعلم ، فقال : إنه "كان خطيباً شاعراً ، وفصيحا جامعاً ، جيد الرأي
كثير الأدب . وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء . " (البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦) .

وأنا أريد على ذلك أن هذا الأمير كان مرثعاً للخلافة، فلها حُرِّمها أقطع لخدمة العلم والأدب، فأبقى لنفسه
نغراً باقياً على مدى الأبد.

وليت امرء الشرق في هذا العصر يقتدون به، لينفعوا أنفسهم ووطنهم وأمتهم!!!

ثانياً - أنظر أيضاً مكاتبات عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد الأشدق (في "البيان والتبيين"
ج ٢ ص ١٨٥)، وواقيب سعيد بلطيم الشيطان (ج ١ ص ١٥٢ و ١٨٤)، وأسبابا لطيفة في تسميته
بالأشدق (ج ١ ص ١٩١).

ثالثاً - ذكرتُ في هذه الحاشية قولَ ابن الزبير "إن أبا ذبَّان قتل لطيم الشيطان". وأعلم أن
"أبا ذبَّان" هو كما في "لسان العرب" (لقبُ غلب على عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، لفساد
كان في فمه. والعرب تكنى الأبخر "أبا ذباب" وبعضهم يكتبه "أبا ذبَّان". قال الشاعر مشيراً إلى هشام
ابن عبد الملك بن مروان :

لعلَّ ابنَ مالتِ بي الرَّيحُ مِيلةً * على ابنِ أبي الذَّبَّانِ، أن يتندَّما).

وقال الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٨) : "يقال لكل أبخر : أبو ذبَّان . وكانت -
فيما زعموا - كنية عبد الملك بن مروان . وأنشد قول ابن خرابة :^(١)

أمسى أبو ذبَّان مخلوع الرِّسن * خلع عنان قارح من الرسن ،

وقد صفت بيعتنا لابن الحسن".

هذا، وقد أورد الجاحظ في كتاب الحيوان معلومات عن "لطيم الشيطان" (ج ٦ ص ٥٥)، كما أن ياقوت
ذكر في "معجم الأدباء" أن لوط بن مخنف له كتاب في مقتل عمرو بن سعيد بن العاص، المعروف بالأشدق
و بلطيم الشيطان . (ج ٦ ص ٢٢١).

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة، والتحرير فيها كثير . وصحة اسم هذا الشاعر هو "أبو خرابة"
(بالهاء المهملة ثم الزاي المعجمة) فإنه من الذين خرجوا مع ابن الأشعث على الخليفة عبد الملك بن مروان
(أنظر "الأغاني" ج ١٩ ص ١٥٢؛ وأنظر "المشبه" للذهبي طبع ليدن، ص ١٦٠).

وقد روى الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٣) أن بعض بني مروان قال في قتل عبد الملك عمرو بن سعيد :

كَانَ بَنِي مَرْوَانَ إِذْ يَقْتُلُونَهُ * بَغَاثَ مِنَ الطَّيْرِ اجْتَمَعْنَ عَلَى صَقْرٍ!
[أى إن هذا من العجب] .

صفحة ٦٧ (حاشية ٣)

أضف على البيانات التي أوردتها عن "البان" أن أحد الشعراء المتأخرين قد وصفه بما يدلنا على هيئته وشكله ، فقال :

لله بستانٌ حللنا دَوْحَهُ * في جَنَّةٍ قد فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا!
والبانُ تحسبه سنانيراً رَأَتْ * قاضى القضاة ، فَنفَسَتْ أذنانَهَا!

(بدائع الزهور لابن إياس ج ١ ص ١٢٩)

صفحة ٧٥ (حاشية ٢)

أضف على الشواهد التي أوردتها ما قاله صاحب "لسان العرب" في مادة - رهن - وهذا نصه :
الرهينة الرهن ، والهاء للبالغة ، كالشئمة والشتم ، ثم استعملا بمعنى المرهون .

صفحة ٧٨ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ نفسه تكفل بشرح "تحصن الفرس" ، فقال في كتاب "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠) مانصه : "فما تقول في فرس تحصن تحت صاحبه - وهو في وسط موكبه - وغبار الموكب قد حال بين أستبانة بعضهم لبعض ، وليس في الموكب حجر ولا رمكة ، فيلتمت صاحب الحصان فيرى حجراً أو رمكة على قاب عرض أو عرضين أو غلوة أو غلوتين؟ حدثني : كيف شم هذا الفرس تلك الفرس الأثني؟".
ففي ذلك تأكيد تام لما توهمته بطريق التخمين عند شرحي كلمته هناك . وكأنتى كنت أنظر بنور الله إلى هذا الشرح حينما أوردت حكاية قايىباى ، سلطان مصر .

صفحة ٨١ (حاشية ٤)

روى الجاحظ أيضا مسaire سعيد بن سلم للخليفة الهادي بنفس ألفاظها التي أوردها في "التاج" وقال: إن الخليفة نعت به "الخائن" (البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥).
فأنت ترى أن جميع الروايات قد تطابقت على هذا النعت، دون غيره.

صفحة ٨٩ (حاشية ١)

أورد الجاحظ في كتاب "الحيوان" أيضا ما قاله طويس المغني لبعض ولد عثمان بن عفان (أعنى هو سعيد ابن عثمان بن عفان) ثم عقب عليه بقوله: ولو قال شهدت زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك، لم يحسن ذلك. [وأنظر مقدمة هذا الكلام في الجزء الرابع ص ١٩].

صفحة ٩٥ - ٩٧

أورد في كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن أمتحان أبرويز لرجاله في حفظ الحرم. والعبارتان تكادان تكونان بلفظ واحد، غير أن التي عندنا قد أخذت حظها من العناية في التصحيح.
(أنظر "المحاسن والأضداد" طبع العلامة فان فلوتن بمدينة ليدن صفحة ٢٧٧ - ٢٨٠).

صفحة ٩٩ (حاشية ١)

أحلت القارى على بعض المواطنين التي يرى فيها تفاصيل شافية عن بيت النار المعروف بأسم "النو بهار". وأزيد على ذلك أن ابن فضل الله العمري تكلم عنه في "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" (ج ١ ص ١٦٦، ج ٢ ص ١٥٥ و ١٥٦ من النسخة المحفوظة بدار الكتب الخديوية التي نقلتها بالفتوغرافية عن نسخة السلطان المؤيد شيخ، الموجودة الآن بجزارة طوب قيو بالقسطنطينية).

صفحة ١٠٢ (سطر ٨) و صفحة ١٠٣ (سطر ٦)

للملاحظ شرح لطيف على قولهم : " المعيون لا محمود ولا ماجور " . (أنظره في كتاب " البخله " ص ٢٧ و ٢٠٣) .

صفحة ١٠٧ (حاشية ٣)

أوردت في آخر هذه الحاشية التي اتصلت بصفحة ١٠٨ معلومات عن الجعد بن درهم بحسب ما وصل إليه أجتهدى بعد مراجعة كثير من الكتب ، وذكرت المصنفات التي عثرت فيها على شيء من هذا القبيل . ثم رأيت ترجمته في " شرح العيون " لابن نباته (ص ١٥٩) فأحييت لفت النظر إلى ذلك ، وإن كان في الحقيقة لا يحتوي على شيء يذكر أكثر مما أتيت عليه .

صفحة ١٠٨ (حاشية ٢)

أوردت في المتن اسم " سليم بن مجالد " اعتماداً على رواية صخر ، وأشرت في الحاشية إلى أن صاحب " المحاسن والمساوى " قد أورد القصة . ولكن فاتني أن أقول إنه سماه " سليمان بن مجالد " . وأنا أضيف الآن أن ابن أبي الحديد روى هذه القصة أيضاً في " شرح نهج البلاغة " وسماه مثل صاحب " المحاسن والمساوى " أي " سليمان " وقال إنه " مولى بنى زهرة وكانت له من السَّفاح منزلة عظيمة " (وأورد تفصيلات أوفى . أنظرها في ج ٢ ص ٢٠٧) .

وقد أوردته في النسخة الحلية لكتاب " التاج " صحيحاً : " سليمان بن مجالد " .

صفحة ١٠٩ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ نفسه روى بعض المكاتبات التي دارت بين معاوية وبين قيس ابن سعد بن عباد أمير مصر من قبل علي بن أبي طالب (في " البيان والتبيين " ج ١ ص ٨٢) ، وكذلك ابن أبي الحديد (في " شرح نهج البلاغة " ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤) .

صفحة ١٠٩ (حاشية ٣)

أضف على هذه الحاشية: "ومن خطبة أبي حمزة الخارجي: وأما بنو أمية، ففرقة ضلالة، وبطشهم بطش جبرية. يأخذون بالظن، ويقضون بالهوى، ويقتلون على الغضب، ويحكمون بالشفاعة، ويأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها في غير أهلها." (عن "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٩٥).
وقال أيضا: أثر الإمامة على ملك الجبرية. (من كتاب فضائل الترك، ص ٤١)

صفحة ١١٠ (حاشية ٣)

أضف على الخلاصة التي أوردتها عن صباح بن خاقان رأى الجاحظ فيه أنه "كان ذاعلم وبيان، ومعرفة وشدة عارضة، وكثرة رواية مع سناء واحتمال وصبر على الحق ونصرة للصدق وقيام بحق الجار." ("البيان والتبيين" ج ١ ص ٣٦).

صفحة ١١٦ (حاشية ١)

أضف على المعلومات التي أوردتها عن "ابن دأب" ما رواه الجاحظ في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٤، ١٢٥)

صفحة ١١٨ - ١٢٠

أضف إلى الحواشي التي كتبتها عن علامات الأنصراف ما أورده الجاحظ في "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٦٠).

صفحة ١١٩ (حاشية ٤)

أضف إلى شرحى لكلمة "مخصرة" قول ابن سيده: "المخصرة ما يُشير به الملك إذا خطب" (عن المخصص ج ١١ ص ١٨) . وأما الجاحظ نفسه فقد وثق هذا الموضوع حقه في "كتاب العصا" الذى أدمجه فى كتاب "البيان والتبيين" وقال فيه (ج ١ ص ١٣٩) مانصه : "كانت المخاصر لانفارق أيدى الملوك فى مجالسها ، ولذلك قال الشاعر :

فى كَفِّهِ خَيْرُ رَانَ رِيحِهَا عَبَقٌ * بِكَفِّ أَرْوَعٍ فِى عَرِينِهِ شَمَمٌ^(١) .

وأنظر بقية الأبيات هناك . وقد أورد الجاحظ هذا البيت فى "الحيوان" (ج ٣ ص ١٥٢) وعلق عليه بقوله : لأن الملك لا يختصر إلا بعود لذن ناعيم .

وأنظر أيضا كتاب "العصا" لأسامة بن منقذ ، وقد طبعه العلامة هرتويف درنبرغ Hartwig Derenbourg فى ضمن كتابه على أسامة بن منقذ Ousâma Ibn Mounkidh, *un émir syrien aux premiers siècles des croisades.*

صفحة ١٢١ (حاشية ٢)

ذكرت فى هذه الحاشية شاعر قريش "عروة بن أذينة" . وما يجب التنبيه إليه أن هناك رجلا آخر اسمه "عروة بن أذينة" . وقد غلط صاحب القاموس فوصفه بأنه "شاعر" . وترتب على ذلك أن الشارح وقع فى التخلیط مع أن شيخه عرف المصواب فنص على (أن الصحيح أنه "ابن أذينة" تصغير أذن) . ولكن الشارح رد على ذلك بأن الصاغاني نسب هذا القول إلى العامة . (أنظر "تاج العروس" ج ١٠ ص ٣) . والتحقق أن "عروة بن أذينة" منسوب إلى جدته "أذينة" . وأما أبوه فهو حُدَيْر أحد بنى ربيعة بن حنظلة . وقد قتله زياد بن أبيه فى أيام معاوية (أنظر "الكامل" للبرد طبعة ليبسك ص ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣) .

أما "عروة بن أذينة الشاعر" ، شاعر قريش ، فقد عاش إلى أيام الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان . ونسبه وأخباره وأشعاره كثيرة جدا تراها فى "الأغانى" خصوصا فى الجزء ٢١ ص ١٦٢ - ١٧١ (وأنظر فهرسه أيضا) .

(١) الأروع : الذى يروعك ويعجبك لحسنه أو شجاعته .

صفحة ١٢٣ (حاشية ١)

أضف على ما أورده عن استعمال "السكينة" أن صاحب بدائع البدائيه (ص ٢٢٧) قد أنشد لأن فلاس
الإسكندريّ مرتجلا :

أنا الفقيه بيّخية * وسكينة قد أجيدت صقالا ،
فقطّع بالبرق بدر الدجى * وناول كلّ هلال هلالا .

صفحة ١٢٤ (س ١ من المتن، ثم ح ١)

اتفقت النسخ على التعبير بلفظ "الحوى" عن المكان الذى قد يتام فيه الملك . وكنت آثرت استعمال
"الحاوى" لأنه من اصطلاحات الفلاسفة . والآن أرى أن الرجوع إلى اللفظ الأول أفضل . لأنه وارد
في جميع النسخ الثلاث ، ولأن اللغة لا تمنع من ذلك .

صفحة ١٢٩ (س ٢)

شرح الجاحظ الملل وشبهه الاستبدال في كتاب "البيان والتبيين" . (ج ٢ ص ١٥٨) .

صفحة ١٣١ (حاشية ٥)

ترى تعريف لطيفا عن ابن أبي عتيق في الجزء الثانى من كتاب "الحيوان" (ص ٢٨) .

صفحة ١٤٣ (سطر ٦ وما يليه)

قارن ما كتبه الجاحظ في "التاج" عن رأى الناس في المشهور المتداول بما أورد في كتاب "الحيوان"
(ج ٢ ص ٣٦) مما يدخل تحت هذه البابه ويندجج في ذلك المعنى .

صفحة ١٥٥ (حاشية ٢٠١)

أضف على هاتين الحاشيتين أن الجاحظ يقول إن الموسوس غلفاء بن الحارث "كان يتغلف" ويغلف أصحابه بالغالية، فُسِمَى "غلفاء" بذلك "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ١٦١).
قال في الصحاح "وتغلف الرجل بالغالية وتغلف بها لحيته غلفاً، ومعد يركب بن الحارث بن عمرو أخو شريحيل بن الحارث يُلقَّبُ بالغلفاء لأنه أوَّل من غلَّفَ بالمسك، زعموا". ونحوه في "اللسان" (ج ١١ مادة غ ل ف).

صفحة ١٦١ (حاشية ١)

يضاف على السطر الثالث منها أن ابن أبي الحديد روى محاكمة علي بن أبي طالب مع خصمه أمام عمر بن الخطاب "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ١٣٣).
هذا، وقد صنف أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري كتاباً خاصاً في هذا الموضوع سماه "كتاب من آحتم من الخلفاء إلى القضاة". [ذكره ياقوت الحموي في ص ١٣٧ من القسم الأول من الجزء الثالث من "معجم الأدباء".]

وقد سهوت عن ذكر شيء مما وقع من هذا القبيل بالأندلس، مع علم الخاص والعام بغرامى بهذا القطر وبمن كانوا فيه. فرأيت أن أتلفي الآن ذلك الإهمال بالإحالة على ما حصل من قاضي قضاة قرطبة محمد بن بشير (المصري الأصل) مع الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ومع عمه ووزيره (وأنظر التفتيش الوافي في فتح الطيب، ج ١ ص ٣٩٥ طبعة بولاق، ج ١ ص ٥٥٥ طبعة ليدن؛ وفي كتاب بفيضة الملتمس للضبي طبع مدريد، ص ٥١؛ وفي كتاب النكمة لكتاب الصلة لابن الأبار، طبع مدريد، ص ٩٠؛ وفي كتاب المدارك للقاضي عياض، الذي أشار إليه صاحب نهج الطيب). ومثل ذلك ما وقع أيضاً لمنذر بن سعيد البلوطي مع الخليفة الأكبر عبد الرحمن الناصر (وأخبار هذا القاضي مشهورة بتجد المعجب والمطرب منها في الكتب المذكورة - بمراجعة فهارمها) وأنظر على الخصوص نهج الطيب طبع أوروبا (ج ١ ص ٤٧٠) وما يليها.

صفحة ١٦٦ (سطر ٣ - ٧)

أنظر ما رواه الجاحظ في كتاب "الحيوان" عن مهارة بهرام وفروسيته في صيد الحمار الوحشي .
(ج ١ ص ٩٤) .

صفحة ١٦٩ (حاشية ٢)

أضف على المعلومات التي أوردتها عن "الطير" و"الطبرزين":

١ - أن ابن جرير الطبري الشهير ذهب إلى أبي حاتم السجستاني ليأخذ عنه حديثاً في القياس . فأفاده أبو حاتم ، ثم سأله عن بلده ، فقال : طبرستان . ولما سأله عن سبب هذه التسمية ، قال : لا أدري . فقال أبو حاتم : إن المسلمين بعد أن فتحوا هذا الإقليم شرعوا في بناء المدينة ، وكانت أرضاً ذات شجر ، فالتسوا ما يقطعون به الشجر . فخاؤوهم بهذا الطير الذي يقطع به الشجر ، فسمى الموضع به " . (أنظر "معجم الأدباء" لياقوت ج ٦ ص ٤٢٨) . وقد ذكر الجاحظ "الطبرزين" و"الطبرزيات" في كتاب "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٧٦) وفي كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٥٣) .

٢ - أن أهل مصر توسعوا في القرن الثامن للهجرة فأطلقوا لفظة "طبر" على السلاح جملة . يدل على ذلك قول تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي في كتاب "معيد النعم ومبيد النقم" (ص ٥٠ من طبعة لوندرة سنة ١٩٠٨) : الطبردار وهو الذي يحمل السلاح بين يدي السلطان لأجل حفظ نفسه .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٢)

يظهر من كلام الجاحظ نفسه أن الخباز عندهم كان هو الطاهي والطباخ ، وأنه هو الذي كان يقدم الطعام لمخدوميه .

قارن ما ذكره في صفحة ١٧٣ من كتاب "التاج" بما ذكره قبل ذلك في صفحة ٢٠ . وأعتبر كلامه في "الحيوان" (ج ٤ ص ٢٦) حيث قال : إن "العرب تقول للرجل الصانع ... خبازاً ، إذا كان يطبخ ويعجن" . وقد نال في الجزء الخامس منه (ص ١٣٦) : "ولذلك صار الخبازون الخدائق قد تركوا

الضأن ، لأن المغزيق شحمه ولحمه فيصلح أن يسمن مرآت ، فيكون أرشح لأصحاب العرس . وأنظر في الجزء السادس منه (ص ١٦٦ - ١٦٧) قصة الطباخ السندی الذي اشتراه ثمامة [بن أشرس] ثم قال عنه للملاحظ :
 "إنه أحسن الناس خبزا وأطبихهم قدرا" .

وورد في كتاب "البخلاء" للملاحظ :

- ١ - إنك لتغالي بالخباز والطباخ والشواء والخباص [أي الذي يصنع الخبيصة] (ص ٧٠) .
 - ٢ - قَرَبَ خبازُ أسد بن عبد الله - وهو على خراسان - شواء قد نضجه نضجا ، وكان يعجبه ما رطب من الشواء ، فقال لخبازه : أتظن أن صنيعك يخفى على ؟ (ص ١٦٠) .
 - ٣ - جاء الخبازون فرفعوا الطعام (ص ١٦٤) .
- فكل هذه النصوص تؤيد ما قلناه من أن الخباز عندهم كان هو القائم بخدمة الآكلين ، وأنه كان فوق ذلك قد يصنع بعض ألوان الطعام .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٣)

ذكر الملاحظ البزماورد في كتاب "الحيوان" فقال : والدجاج أكثر اللحوم تصرفا ، لأنها تطيب شواء ، ثم حارًا وباردًا ، ثم تطيب في البزماورد (ج ١ ص ٩١) . ثم قال في موضع آخر : إن "أهل خراسان يعجبون بأثخاد البزماورد من فراخ الزناير ، ويعافون أذئاب الجراد الأعرابي السمين . " (ج ٤ ص ١٥) .
 ثم أورد في الجزء السادس منه (ص ٢٨) أن الفضل بن يحيى استظرف بزماورد الزناير حينما كان واليا على خراسان . فلما عاد إلى بغداد كان يشتهيها ، فطلب له من كل مكان . وحكى حكاية رجل بدوى تناول الطعام على مائدة الأمير ، وقد عيره الندماء بأكل الجراد الأعرابي . ثم مالبث الرجل أن رأى القوم أحضروا على المائدة صحيفة ملانة من فراخ الزناير ليتخذوا منها بزماوردا للأمير . فخرج البدوى وهجاهم بأبيات ، تراها هناك .

صفحة ١٧٦ (حاشية ٣)

أنظر أيضا التفصيل الذي أورده الجاحظ عن قتل المنصور لأبي مسم الخراساني في "البيان والتبيين"
(ج ٢ ص ٥٥).

صفحة ١٨٤ (سطر ١٥)

ماني النوى. هو القائل بالنور والظلام. والطالب يرى ترجمته في "سرح العيون" (ص ١٥٥).
والقائلون بمذهبه يسمون "مانية" و"مانوية". وأسمه عند الفرنسيين Maniché, Manès
وأسم أصحابه Manichéens. وكان مولده باليمن حينما كانت تابعة للفرس.

تصحیحات

لأغلاط مطبعية طفيفة وردت في المتن وبعض الحواشي، رأيت وجوب أستدراكها ليكون الكتاب آية في الكمال بقدر الإمكان .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	١٤	أبو الحسن بن بكر	أبو الحسن بن أبي بكر
٢٠	٨	ويُتَّسع ، ويقصر ويجهتد	وتتسع ، ويقصر ويجهتد
٢٤	١٠	بمخاطبة ...	على مخاطبة
٣٣	١٤	بهرام جور	بهرام جور
٤٠	١١	وجاؤا ...	وجاؤوا
٤٧	٨	حتى ...	حين
٤٧	١٩	ص ٢٠ من طبعتنا	ص ٢٥ من طبعتنا
٤٨	٢١	قضاء مديرية الشرقية بمصر	قضاء الشرقية ببغداد
٧٠	١٤	حالات ...	حالات
٧٨	١٤	تتب ... تكون	يثب ... يكون
٧٨	١٥	قدامها ...	قدامه
٩٨	١١	تذاكروا ، تذاكروا	خلوا ، تذاكروا
٩٩	١٥	الأطلاع	الأطلاع
١٠٢	٩	السفلة ...	السفلة
١١١	١	الرويدية	الزويدية (١)
١١٦	١٢	يقرون ...	يقروون
١٢١	٩	بمخارج ...	بمخارج
١٢٥	{ ١٢	أراد مرد	آزاد مرد (٢)
١٢٦	{ ٣٤١		
١٣١	٣	غزل ...	هزل (٣)

- (١) هذا التصحيح عن النسخة الحلبية . ولعله قريب من الصواب . ويكون الواجب تصحيح رواية
 سه ، ص بمقتضاه ، أي نجعل بدل " الرويدية " لفظة " الزويدية " بطريق التصغير والتحقيق لكلمة
 " الزويدية " (كما فعل في صفحة ١٣٥ س ٣) .
- (٢) هذا التصحيح عن الحلبية أيضا . والفُرس يسمون بهذا الاسم ، ومعناه " الرجل الحر " .
- (٣) هذا التصحيح عن الحلبية أيضا . وهو وجه جلدًا ومتحتم يقضى به السياق .

استدراك^(١)

للهي من الاختلافات في رواية النسخة الحلبية ، وخصوصا للزيادات

التي أنفردت بها دون نسختي س ، ص .

(الكلمات الزائدة في الحلبية أدجنها في الرواية بحرف كبير ، تميزا لها وتنبها على موتعها)

- ص ٢ س ٩ " هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات " [والآية التي في آخر سورة " الأنعام " (آية ١٦٥ سورة ٦ من مصحف الحافظ عثمان) ليس فيها لفظ " في " ، والذي أوجب الخلط على ناسخ الحلبية قوله تعالى في سورة " فاطر " :
- " هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره " . (آية ٣٩ سورة ٣٥) وهي غير الآية التي يريدنا الملاحظ ، وليس فيها محل الشاهد الذي توخاه .
- ص ٤ س ٤ " أي ليناه " بدلا من " قال كنياه " . [وما أعمدناه هو الصواب كما تراه في تفسير الرازي وغيره] .
- ص ٥ س ٥ جمع الوارد في هذه الصفحة ناقص في س وهو موجود في الحلبية مثل ما هو في ص مع بعض اختلاف وقع من الناسخ الحلبى .
- ص ٧ س ١ اقتصر صاحب الحلبية على ترجمة الباب بقوله " في الدخول على الملوك " ثم ابتدأ الكلام بقوله : " قال رحمه الله : مما يجب لذلك إن كان الرجل من الأشراف والطبقة العالية أن يقف " . [وعندى أن ذلك الترتيب أفضل من روايتنا ولذلك أعمدته في فذلكة المضامين] .
- ص ١٣ س ١ " عبد الرحيم " [مثل س] بدلا من " عبد الرحمن " [الذي أعمدناه عن ص] .
- ص ١٣ س ١ " الملك " بدلا من " إسحاق " . [فكأن ناسخ الحلبية أتفق مع ناسخ س إلا في وضعه لفظة " الملك " في موضع البياض الذي تركه صاحب س ، وأنظر حاشية ٣ من ص ١٣] .

(١) أنظر صفحة ٦٢ من التصدير .

- ص ١٧ س ٤ "يعتني" بدلا من "يقتدى". [وربما كانت رواية الحلبية أحسن].
- ص ١٧ س ١٠ "كان" بدلا من "الحاق". [ولا بأس برواية الحلبية أيضا].
- ص ٢١ س ٤ "واذوات" بدلا من "وأدوات". [وكلا الروايتين لامتني له وأنظر حاشية ١].
- ص ٢٢ س ٦ في الحلبية: "وإن كان الملك يشرب الخمر والعباذ بالله ليس للرجل الواقف في خدمته أن يختار" بدلا من "وليس له أن يختار".... [وفي رواية الحلبية تمطيط لا يتفق مع المهود من أسلوب الجاحظ].
- ص ٢٣ س ٣ "حدّ يليها" بدلا من "جديلها". [وروايتنا هي الصواب وأنظر الحاشية رقم ٢].
- ص ٢٤ س ١١ "عن أصلها وفصلها" بدلا من "عن فضيلتها". [وروايتنا توافق المهود من أسلوب الجاحظ].
- ص ٢٥ س ١ "وحصر كل طبقة منها قسمها" بدلا من "وخص كل طبقة على قسمها". [فقد وافق حزنا ما في الحلبية عند ما صححنا "خص" بكلمة "حصر" التي عينها لنا السياق. وأنظر حاشية ١ في تلك الصفحة].
- ص ٢٨ س ١٠ "خرتوماش" بدلا من "خرم باش". (ورواية الحلبية مغلوطة، وأنظر الحاشية رقم ٢).
- ص ٢٨ س ١٢ (» » » » » » »)
- ص ٢٩ س ٨ "تنقى" بدلا من "شغلى". [ورواية الحلبية تتفق مع رواية سه].
- ص ٣٠ س ١٥ "بقوائين" بدلا من "بآيين". [ورواية الحلبية تتفق مع رواية سه].
- ص ٣١ س ١ في الحلبية: "إبراهيم الموصلى".... [وأنظر الحاشية التي وضعها في أسفل تلك الصفحة].
- ص ٣٤ س ٧ "واحدا من مغنيه ويطانته في عشرين"....
- ص ٣٥ س ٧ "قليل العطاء سيئ النظر" بدلا من "قليل الإغضاء سيئ الظن". [وعندي أن روايتنا أفضل].
- ص ٣٥ س ٩ "لا تعطينى" بدلا من "لا يعطينى". [وعندي أن روايتنا أفضل].

- ص ٤٥ س ٧ ”و[لا] سيماء“ فقد توافقنا مع الحلبيّة في إضافة أداة النفي. ولكن الحلبيّة عادت فأهملت أداة النفي في موضع آخر. فأوردت ”سيماء“ في الموضوع الذي أشرنا إليه في صفحة ١٥٧ من طبعتنا. وهذا الموضوع قد اتفقت فيه النسخ الثلاث على إهمال أداة النفي [وأنظر الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ والحاشية، ثم س ٤ ص ١٥٧] .
- ص ٤٦ س ٨ لا يمسا طيبا يتطيب به الملك دونهم ... [وهذه الزيادة في الحلبيّة جميلة لتخصيصها نوع الطيب الذي يستعمله الملك] .
- ص ٤٧ س ٢ ”منه وإلا لم يكن بين الملوك والسوقة فرق“ .
- ص ٤٨ س ٢١ ”وإبراهيم بن المهديّ وقد دخل عليه ابن أبي دؤاد“ بدلا من ”وهذا إبراهيم بن المهديّ بالأمس دخل على ابن أبي دؤاد“ . [فاتفق سه وصره على أن الداخل هو إبراهيم ابن المهديّ بخلاف ما جاء في الحلبيّة . وعندى أن روايتهما هي أقرب إلى الصواب لأن إبراهيم من بيت الخلافة، بل إنه أتى عليه حين من الدهر تبوأ فيه مقعدها وقام بأمرها . ولا شك أنه تخوّف دسيسه من ابن أبي دؤاد حينما أنتقد عليه لبسة هي خاصة بالخليفة] .
- ص ٤٩ س ٩ ”في الشرب إذا كان الملك يسكر وأن“ ...
- ص ٤٩ س ١١ ”تجاوز حدّ العدل على الخاصة“ بدلا من ”تجاوز حق العدل على الخاصة“ ...
- [ورواية الحلبيّة أحسن وأمتن] .
- ص ٥٠ س ١٠ ”هذه الخصال منه“ بدلا من ”هاتان منه“ ... [وعندى أن رواية الحلبيّة أكثر حسنا وأتم بيانا] .
- ص ٥٠ س ١٣ ”ولايته اللهم إلا أن“ ... [وعندى أن هذه الزيادة في الحلبيّة في غاية الجمال] .
- ص ٥١ س ٩ ”ومن أخلاق الملك السعيد الكامل العقل والأدب أن لا يعاقب“ ...
- ص ٥١ س ١١ ”الأمة“ بدلا من ”الملة“ . [وعندى أن كلمة ”الأمة“ مصحفة عن ”الأئمة“ الواردة في سه . وقد استحسننت ”الملة“ الواردة في صه من أجل المجانسة مع الشريعة الواردة في جميع النسخ] .

- ص ٥٢ س ١ "غيره" بدلا من "السوقة" ... "العالم" بدلا من "الحاكم". [وهاتان الروايتان أحسن مما أعتمدها عن سه و صه].
- ص ٥٣ س ١٣ و ١٢ "والحديث عنها أقوم منهم إلى فوائد" بدلا من "والحديث عنهم أقرم وأشهى منها إلى فوائد". [ولا شك أن رواية الحلبي محرقة وصوابها "أقرم وأنهم إلى فوائد". وأنظر الحاشية رقم ٢].
- ص ٥٨ س ٣ "فارتاع من حضر" بدلا من "فارتاع ومن حضره".
- ص ٦١ س ٩ "يتيق" بدلا من "يتيق".
- ص ٦٤ س ١٠ "الجواميس" بدلا من "الجواسيس". [ومثل هذه السخافات كثير في الحلبي].
- ص ٧٢ س ١٠ "باب في الخلال التي تساوى الندماء فيها الملوك : قال صاحب الكتاب رحمه الله تعالى : ينبغي أن يكون لندماء الملك و بطانته". [وهو تقسيم وجيه لطيف ، ويجب اعتمادها في طبعتنا].
- ص ٨١ س ٧ "عبد الله بن حسين" بدلا من "عبد الله بن حسن".
- ص ٨٧ س ٢ "بأسم غير اسمه أو أسم أبيه" بدلا من "بأسم أبيه". [ورواية الحلبي أكل].
- ص ٩٥ س ٢ "أن لا" بدلا من "أن [لا]". [فكانت زيادتنا لحرف النفي موافقة لما في الحلبي].
- ص ٩٥ س ١٥ "النبالة" بدلا من "التأله". [وهذا التصحيف فيه تباه من الناسخ].
- ص ٩٦ س ٣ "فأمتحن بعض الملوك" ... [وهذه الزيادة سخيفة ، وهي توجد في سه أيضا . والرواية المتعينة هي الواردة في صه ، وهي التي أعتمدها في الطبع].
- ص ٩٦ س ١٧ "إلى نساته اللواتي" بدلا من "إلى بستانه الذي".
- ص ٩٨ س ٢ "النبالة" بدلا من "التأله" ... [وهو تباه ثان من ناسخ الحلبي].
- ص ٩٩ س ٩ "يته لعله صلح بخلافها ومن فسدت نيته لغير علة" ... [ورواية الحلبي وجيهة جدا وواجبة . فينبغي اعتمادها في طبعتنا].

- ص ١٠١ س ١٣ "دراهم" بدلا من "دنانير".
- ص ١٠٣ س ١ "أكثرنا التغافل" بدلا من "السرو التغافل". [وروايتنا هي الصحيحة].
- ص ١٠٤ س ٢ ولا كرامة لك
- ص ١٠٦ س ٥ ثم قال : نعم هذا
- ص ١٠٦ س ٥ "وجازوا بالرأس فوضع بين يديه . فقال لمن حضره : فيكم من يعرف هذا الرأس ؟ فقام" [وهذه الزيادة يقتضيها السياق . فلتتمد في طبعتنا].
- ص ١٠٧ س ١ رحمه الله : وعاد إلى مجلسه فقعد فوثب [» » » »]
- ص ١٠٨ س ٧ "فقال : أما والله"
- ص ١٢٠ س ١٠ "والخطوة والسultan" بدلا من "والخطوة عند السultan". [ولعل رواية الخلية أفضل . ويكون السultan فيها بمعنى السلطة ، وأما في رواية سه ، صه فعناه الملك الأعظم].
- ص ١٢٢ س ١٥ "فتواطآن على كذب" بدلا من "فتواطآن".
- ص ١٢٤ س ٧ "ليس منها فراش إلا ومن ورائه من بعيد على الأتفراد لا يشك أنه" بدلا من "ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الأتفراد لا يشك أنه"
- ص ١٣٠ س ٧ "أما ترى" بدلا من "ألا ترى". [ورواية الخلية حسنة جدا].
- ص ١٣٤ س ٦ "هلال الهمداني" بدلا من "مههل الهمداني". [وروايتنا هي الصواب].
- ص ١٣٤ س ١٠ "وقد" بدلا من "وقد". [فتصححنا جاء موافقا لما في الخلية].
- ص ١٣٥ س ٣ "كردى" بدلا من "كريجى". [ورواية الخلية أقرب للصواب وإنما ينقصها التصغير للتحقير].
- ص ١٣٥ س ١١ "ولعله لا يجده" [وزيادة أداة النفي هنا وجهة ومتممة].
- ص ١٣٦ س ١٠ "كل من قرب من نفس الملك" بدلا من "كل من أنفك الملك". [ورواية الخلية جيدة والاصح اعتمادها . ويكون المعنى : كل من جعله الملك نفيسا عنده].

- ص ١٤١ س ٥ "عيسى بن برمك" بدلا من "عيسى بن نهيك". [ورواية الحلبيّة مغلوطّة في هذا المقام ولكنها صحيحة في بقية الكلام لأنها عادت فسمته عيسى بن نهيك].
- ص ١٤٣ س ٩ "لشيء هوفيه لم ندر" بدلا من "لشيء آخر لا ندرى"....
- ص ١٤٤ س ١٤ "مشاهدة أو مشافهة" بدلا من "مشاهدة أو مساناة". [ومخافة الحلبيّة ظاهرة].
- ص ١٤٥ س ١٠ "حوادث الدهر والموت" بدلا من "حوادث المؤن".
- ص ١٤٧ س ٤ "موانيد" بدلا من "موابيد".
- ص ١٤٨ س ١٥ "يُجِدِّده ... يجِدِّدها" بدلا من "يُخِذُه ... يأديها".
- ص ١٥٠ س ١٤ "وجود أنهم المشاق" بدلا من "وجود القرم الزهم المشتاق".
- ص ١٥٠ س ١٥ "لذة الطعام وطيبته" بدلا من "لذة الطعام وأطيبه". [ورواية الحلبيّة أطيّب].
- ص ١٥١ س ١٢ "جمعة يوما وليلة" بدلا من "يوم وليلة مرة". [ورواية الحلبيّة أحسن].
- ص ١٥٣ س ٦ "الجمعة وربما لم يشرب في بعض البواقي من أيام الجمعة. فأما هذان اليومان فلم يكن ليشرب فيهما بته".... [ورواية الحلبيّة أجود وأكل].
- ص ١٥٣ س ١٣ "فإذا ذهب رونقه وبعض ما به رمى".... [ولعل الصواب "وبعض مائه" كما في نسخة ص. والماء هنا بمعنى الرقيق والبهاء كما يقال في الجواهر الكريمة والأججار النفيسة. وحينئذ فلا يكون هنالك وجه لما أوردناه في حاشية تلك الصفحة من الظن بأحتمال أن "مائه" محرقة عن "بهائه"].
- ص ١٥٤ س ١١ نادرا معجزا معجبا غريبا... [ولا معنى لوضع "معجزا" في هذا المقام بل هي زيادة من الناسخ تدل على عجزه].
- ص ١٥٥ س ٢ "أختلاف الملوك" بدلا من "أخلاق الملوك".
- ص ١٥٥ س ٣ "فن الملوك من كان إذا".... [وزيادة "كان" واجبة].
- ص ١٥٩ س ٤ "من أبناء الملوك وأهل الشرف"....

- ص ١٥٩ س ٧ "من ملوكهم قبله وبعده"
- ص ١٦٢ س ١ في الملكة بالباطل
- ص ١٦٣ س ٧ "النحس الكبير" بدلا من "النحس الباركر". [ورواية الخلية ربما لاترسل الإبهام].
- ص ١٦٥ س ٣ "لتقوى متك" بدلا من "لتقوى نيتك".
- ص ١٦٦ س ٣ "فاخذوا التاج" بدلا من "فاخذوا التاج".
- ص ١٧١ س ٢ "وحدثني أبو الترب الشاعر: كان يُجْرِي على أرزاقا فدخلت عليه"
 "يوما. فقال، بعد أن أنشدته وسألني عن عيالي: تحتاج عيالك في كل"
 "شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا ومن كذا إلى كذا".
 "فأخبرني بشيء من أمر منزلي جهلت بعضه وعلمت كله".
- [وقد وضعت هذه الزيادة في طبعي تقلا عن "المحاسن والمساوي" للبيهقي . وليس
 بين رواية الخلية وبين رواية البيهقي خلاف كبير إلا في أسم الشاعر ولست أدرى صحته
 أهو أبو البرق أم أبو الترب؟ وأما العبارة التي أوردتها في طبعي فهي أصح وأوجه].
- ص ١٧١ س ١٢ "وفيا ذكرناه كفاية والله أعلم بالصواب". [وهنا وقفت الخلية مبتورة].

التعريف بكتاب

”تنبيه الملوك والمكائد“

المنسوب للجاحظ



ذكرتُ هذا الكتاب في ”التصدير“ وأكثرُ من الإشارة إليه في الحواشي التي حليتُ بها ”التاج“ .

فلا بد أن يكون القارئ قد تشوّف إلى الإمام بشيء عنه . فلذلك رأيت أن التعريف به قد تكون فيه فائدة .

عثرتُ على النسخة الأصلية - وهي الوحيدة فيما أعلم - بخزانة الكوبرلي بالقسطنطينية تحت رقم ^(١) ١٠١٥ .

وقد وضع بعضهم فوق حرف الباء من لفظة ”كتاب“ عبارة بخط حادث هذا نصها. ”تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ“ . ثم جاء رجل آخر فأيد هذه الرواية إذ كتب تحت العنوان سطرا ثالثا بخط جديد أيضا يغير خط النسخة من أولها إلى آخرها، وهي ”للجاحظ رحمة الله عليه“ .

ظننتُ أنني ظفرتُ بذرّة يتيمة من تلك الدرر التي تفرّد بها الجاحظ . فأنشأتُ أتصفّح الكتاب ، ولكنني ماقرأتُ منه سطرين حتى نقضتُ الحكم ورجعتُ عن الضلال الذي أوقعني فيه ذاك الجاهلان المجهولان .

(١) نقلت بالصوير الشمسي نسخة من هذا الكتاب ، هي الآن محفوظة بدار الكتب الخديوية بالقاهرة .

بل هذه مقدمة الكتاب بنصها وفصمها :

”بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : الحمد لله الذي أفتح بالحمد كتابا ، وفتح للعبد إذا وافى إليه بابا ، قسم بين خلقه فطوَّروا أطوارا وتحزَّبوا أحزابا . أنفذ فيهم سَمَمَهُ ، وأمضى فيهم حُكْمَهُ ، وجعل لكلِّ شيءٍ أسبابا . فهم دائرون في دائرة إرادته لا يستطيعون عنها انقلابا . داهشون في بدائع حكمته ، ومشيتته وإرادته ، يُعزَمَنُ من يشاء ، ويُدبَلُ من يشاء ، ويرزق من يشاء ، ولم يزل كريما وهابا . نحمده على ما أولى وأنعم ، ونصلى على نبيه المبعوث إلى العرب والعجم ، صلى الله عليه وعلى آله وشرفه وكرمه ! (أما بعد) فهذا كتابٌ يشتمل على ذكر تنبيه الملوك والمكاييد ، ليحصل عند مطالعته الاحتراسُ من كلِّ صديق ورفيق وما تحت ثيابه من البُغْضِ والتحاسُدِ . فنعوذ بالله من ذلك ، ونستعينُ بالله ، ونتوكل على الله ، ومن يتوكل على الله فوَحْسِبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعُمْرَةِ قَدْرًا ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا“ .

فهذه المقدمة وحدها تنادى بلسان الحال أن الجاحظ لا يمكن أن يكون هو المؤلف لهذا الكتاب .

تعالى الجاحظ أن يجرى قلمه بمثل هذا السجع المرصع أو بمثل هذه العبارات المنمقة ! فهو أعلى كعبا وأرسخ قدما من أن يتنازل لأفتتاح أحد كتبه بمثل هذا الكلام . هذا الحكم يؤيده الكتاب نفسه . ففي تضاعيفه أحوال كثيرة عن خلفاء وملوك ورجال لم يخلقهم الله إلا بعد وفاة الجاحظ بسنين وأعوام . مات الجاحظ في سنة ٢٥٥ للهجرة ، فكيف يصح في الأذهان أنه يسرد في صفحة ٣٠٥ بعض الحوادث التي وقعت في سنة ٢٦٨ ؟ ثم كيف يعود في صفحة ٤٣٠ فيفصل الوقائع التي حصلت في سنة ٣٥٨ ؟ ويا بُعد ما بين ابن طولون وكافور الأخشيدى والمتنبى وبين الجاحظ ! ومع ذلك فقد تضمن الكتاب لمعاً من أخبار هؤلاء الرجال !!!

حينئذ لم يبق لدينا أدنى شبهة في أن المؤلف كان متأخرا عن الجاحظ بزمان مديد .
وكيف لا وقد أفاض في شرح المكايد والحوادث التي وقعت بعد وفاة الجاحظ ،
شرحا يدل على أن المؤلف كان محيطا بأحوال عصره ، واقفا على ما جرى من دهره ؟
نعم إن المؤلف سطا على كثير من الحوادث التي رواها الجاحظ في كتاب "التاج"
فأوردها في النصف الأول من كتابه ، وقد وضعنا جدولا للسراقات^(١) تراه في غير هذا
المكان .

ولكن هذا السطو الجزئي هل يكون مبررا للسطو الكلي ، فيجعل لبعض المتأخرين
المتأخرين مساغا في نسبة الكتاب برمته إلى الجاحظ ؟ كلا نعمرى !

هذا . والكتاب في حد نفسه وفي باب مفيد ، وجامع للغرض الذي توخاه المؤلف ،
وجدير بأن يظهر في عالم المطبوعات العربية . وهو يقع في ٤٣٨ صفحة في كل صفحة
١٥ سطرا . ولكنه يحتاج لعناية في التصحيح والتهديب .
أما موضوعات هذا المؤلف فتتخصر في أربعة أقسام :

(١) مكايد الفرس وملوكهم (من صفحة ٣ - ٤٩) .

(٢) » الهند (» ٤٩ - ٥٤) .

(٣) » الروم (» ٥٥ - ٦٣) .

وما بقي من الكتاب ، قصّره على أخبار العرب في مكايدها سواء كان في أيام الجاهلية
أم في صدر الإسلام أم بعده . وأسهب الكلام في المكايد التي وقعت من خلفاء

(١) أنظر جدول السراقات في صفحة ٦٩ من التصدير الذي وضعناه في أول هذا الكتاب .

الإسلام أو من رجالاتهم في أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية والعباسيين، ثم في زمن أحمد بن طولون وكافور الأخشيدى . وقد ختم كتابه بقوله في صفحة ٤٣٠ :

”فهذا ما قصد إيداعه في هذا الكتاب ! وليعلم أن كل ما يصنع من هذه المكاييد نصراً لكلمة الدين وإقامة لعمود الملك فهو حسنٌ عقلاً وشرعاً : لأن في المكاييد سلامة الأولياء من المخاطرة بالمُهَج ، ولهذا صار أهني الفتح ما بلغ بالمكاييد فيه الغرض المقصود . فإن قُصِيَ بن كلاب إنما غلبت على أهل مكة حيث آتزعها بالمكيدة التي استعملتها . وكذلك أردشير مؤسس ملك آبن ساسان المرتجع له من أيدي الذين آقتسموه من ملوك الطوائف ، إنما وصل إلى ما وصل إليه من جمع المملكة كلها له بما استعمله من المكاييد . قال النبي صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ” الحرب خدعة “ . وقد أكد عليه السلام من ذلك بأفعاله التي كان يستعملها في محاربة أعداء الدين من التورية عن مقصده عند مسيره في غزواته ، وخصوصاً ما استعمله في فتح مكة “ .

ثم قال في صفحة ٤٣٨ :

فقد بان أن الشرع والعقل يمدان المكاييد إذا صرفت على الوجه الذي يعز به الدين وينتفع به المسلمون . وأرتفع بهذا وجه اللوم في جميع هذه المكاييد في هذا الكتاب .
نجز الكتاب ” تنبيه الملوك “ .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، في ” سلخ ربيع الآخر سنة أربعين وستائة “ .

أما المؤلف في ذاته فلم أتوصل إلى معرفته مع إنبام النظر في كتابه . وغاية ما توفقتنا إليه أنه عرفنا بنفسه عن نفسه تعريفاً مبهماً مجهولاً نستنتج منه أنه من الشيعة ، كما أنه آكتفى بتسمية نفسه مرتين بأسم ” جامع الأخبار “ .

روي ” جامع الأخبار “ أنه سهر ليسلة عاشوراء بخندق الموالي القصرية وأطال التفكير فيما عرض لأهل النبوة ومعدن الرسالة والإمامة من آستيلاء أعدائهم عليهم

حتى تلاعبت به الظنون في وجه الحكمة والعدل في ذلك . فاستولى عليه النوم ورأى الإمام عليا في صفة الساخط عليه لاعتراضه . وما زال المؤلف يستعطفه حتى حطى بنعمة الرضوان . ثم استيقظ وكان بجانبه قاضي "الناحية المذكورة" فاستعلم منه عن سبب انزعاجه وقلقه فشرح له الأمر . فقبل القاضي بيده ، لأنها لمست يد الإمام دلي . ففى ذلك دليل على أن المؤلف كان موجودا بالقاهرة في أيام الفاطميين ، وأنه كان من الشيعة .

ثم عاد المؤلف (في صفحة ٣٥١) إلى تسمية نفسه بجامع الأخبار فقال :

" هذا الكتاب بين فضل المجلس العالى السيدى الصالحى خلد الله ملكه الذى ينزه بأن يخدع بمثل هذه المحاولات ولهذا يقول في بعض قصائده .

ولا خدعتنا منه قط ملاحم * تسدى بأصناف المحال وتلمح .

فأضعفها ما كان فيه رواية * وأسقمها الخط الذى هو أقدم ."

فهذا القول ، أعنى " المجلس العالى السيدى " لا ينصرف بحسب الاصطلاح الرسمى المقتر في ديوان الإنشاء إلا لصاحب الوزارة الكبرى في أيام المماليك أو الأيوبيين أو القواطم ، كما يشهد بذلك ابن فضل الله في " التعريف بالمصطلح الشريف " والقلقشندى في " صبح الأعشى " .

أما المماليك ، فلا شأن لهم هنا . لأن دولتهم إنما كان مبدؤها في سنة ٦٥٥ أى بعد ١٥ سنة من تاريخ نسخ هذا المخطوط في سنة ٦٤٠ .

وأما الأيوبيون ، فقد قضوا قضاء مبرماً على مذهب الشيعة بديار مصر . فلا يمكن أن يكتب أحد المؤلفين في أيامهم شيئاً مثل العبارة الأولى التى نقلناها عن وجود

صاحبنا بين القصرين . وفضلا عن ذلك ، فإن صلاح الدين هدم القصرين ،
وعبارة مؤلفنا تدلنا على تمام العمران بهذه الخطة حيث كان لها قاض خاص بها
في أيامه .

فلم يبق لدينا أدنى شبهة في أن التأليف إنما ظهر في أيام الفواطم باسم أحد
وزرائهم الأكابر .

فلننظر من هو هذا الوزير حتى نتمكن من تعيين تاريخ التأليف بغاية ما يمكن من
التقريب والتحقيق .

أشار المؤلف إلى هذا الرجل باسم "الصالحى" وأنشد له شعرا . فهذا النعت
لا ينصرف إلا إلى الصالح طلائع بن رزيك ، خصوصا وقد شهد ابن خلكان بأنه
من كانوا ينظمون الشعر الجيد ، وأورد لنا غررا من أقواله ، وعرفنا بأنه رأى
ديوانه في جزأين .

فهذا الوزير تولى الأحكام على عهد الفاطمى ، وأستقل بالأمور وتدير
أحوال الدولة ، وكانت ولايته في ١٩ ربيع الأول سنة ٥٤٩ . وبعد وفاة الفائز ،
أستمر الصالح على وزارته وزادت حرمة وتزوج العاضد الفاطمى ابنته . ثم دس
العاضد عليه من قتله . فكانت وفاته في ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ .
(١)

وحيث يتعين القول بأن مؤلف كتاب "تنبيه الملوك والمكاييد" قد أخرج
كتابه للناس في أنحراب الدولة الفاطمية بمصر ، وأن تأليفه كان في أواخر النصف
الثانى من القرن السادس للهجرة .

(١) أنظر ترجمته في ابن خلكان ، في حرف الطاء .

التعريف بكتاب
 "محاسن الملوك"
 لبعض الفضلاء

هذا تعريفٌ وحيزٌ عن ذلك الكتاب الذي أشرتُ إليه كثيراً في "التصدير" وفي الحواشي . كُتِبَتْه ليكون القارئ محيطاً بجميع العيون والمستندات التي لها علاقة بكتاب "التاج" .

عُثِرَتْ عَلَى النسخة الأصلية لكتاب "محاسن الملوك" في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية ، تحت رقم ٣٠٥٢ . وهو عبارة عن القسم الأول من مجموعة تشتمل أيضاً على كتاب آخر يتعلق برسل الملوك وسفرائهم^(١) .

فأما "محاسن الملوك" فيقع في ١٢١ صفحة ، وفي كل صفحة منها ١٥ سطراً . وعلى طرته أنه "جمعه بعض الفضلاء" . وقد ابتدأه مؤلفه بعد البسملة بقوله :

"الحمد لله المتطول بالعوارف ، المميز بالمعارف ، وجاعل الملوك قأمين في الأرض بالوظائف التي على الخلائف ؛ الأمر بإعظام السلاطون لقيامه بأعباء الإيالة ، وانتضائه للخلق بالكفالة ؛ وتقلده ما تنظم به أحوال العالم في المعاش الذي هو وسيلة معادهم ، وسبب إحرازهم لأصل الخير وأزدياده . أحمدته على نعمه"

ثم نوه بالملك الذي ألف له هذا الكتاب وسماه "مولانا السلطان الملك العزيز" . وقد نعت المؤلف نفسه "بالمملوك" . ثم ختم الكتاب بالدعوات لهذا السلطان ، وكرر في غضون التنويه به إذ قال : "ولا زال مولانا العزيز" .

(١) وقد نقلت نسخة من كل من هذين الكتابين بالتصوير الشمسي وأحضرتهما إلى دار الكتب الخديوية بالقاهرة .

وقد تصفحنا الكتاب فلم نجد أثرا آخر يدلنا على المؤلف أو عصره . فبحثنا عن
هو "السلطان الملك العزيز" هذا .

فأينما أن هذا الاسم لم يكن إلا لثلاثة من ملوك الإسلام : اثنان منهما من بني
أيوب ، والثالث من سلاطين الماليك .

فهذا الثالث هو الملك العزيز بن برسباي . تولى سلطنة مصر في سنة ٨٤١ هجرية ،
ولكنه لم يجلس على سريره سوى ٣ شهور فقط . فلا يكون حينئذ هو المعنى بالتفخيم
والتعظيم الذي أورده المؤلف ، خصوصا أن الكتاب منسوخ في سنة ٧٩٥ هجرية ،
أي قبل أن يأتي هذا السلطان إلى الوجود بنصف قرن تقريبا .

أما السلطان الثاني المسمى "بالمملك العزيز" فهو ابن الملك الظاهر غياث الدين
غازي الأيوبي . تملك حلب في سنة ٦١٣ ، بعد وفاة أبيه غياث الدين .

وكان هذا السلطان صغيرا فانتزع عمه الأفضل الملك منه في سنة ٦٣٤ . ثم صارت
حلب لعمه العادل . وتوفي الملك العزيز هذا في سنة خلعه ، أي ٦٣٤ . فتكون مدة
حكمه ٢١ سنة . وقد كان يكون القول بأن الكتاب مؤلف له وباسمه وجيها وصحيحا ،
لولا شهادة التاريخ بأنه تولى الملك وهو في سن الطفولة مما جعل عمه ينتزع العرش
منه . وفوق ذلك فإن الأوصاف الملوكانية والنعوت السلطانية الواردة في أول الكتاب
وآخره لا تطلق مطلقا على صاحب حلب ، ولا يمكن أن تنطبق على غير سلطان مصر ،
فإنه هو الذي كان متفردا بلقب "السلطان الملك" . وأما من عداه من أولياء الأمر
في الأصقاع الأخرى مثل حلب وحماة وغيرهما فإنما كان لقبهم الوحيد هو "الملك فلان"
أو "فلان صاحب حلب أو صاحب حماة" لا غير ، دون إضافة لقب "السلطان"

على أسمهم مهما كانت الأحوال . تشهد بذلك الكتب المؤلفة لهم والتاريخ يؤيد هذه الشهادة التي تستفاد بالصرحة وبالبداهة من اصطلاح القوم في تلك الأيام ، على ما تراه في ” التعريف بالمصطلح الشريف ” لأبن فضل الله العمري ، وفي ” صبح الأعشى ” للقلقشندي .

لذلك لم يبق لنا سوى القول بأن الكتاب مؤلف بأسم ثالث الملوك المعروفين ” بالملك العزيز ” وهو الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي . ذلك الذي جلس على عرش مصر بالنيابة عن أبيه في حياته ، ثم أستقل بملكها من سنة ٥٨٩ إلى سنة وفاته وهي سنة ٥٩٥ ، أي إن مدة حكمه كانت ست سنين .

وقد جرت عادة المؤلفين في الأيام المتقدمة أن يُسمى الواحد منهم نفسه ” المملوك ” إذا خدم بتأليفه أحد الأكارب وخصوصا أحد الملوك أو السلاطين . وهذا الاصطلاح كان متفشيا بمصر خصوصا في عصر المماليك ، وعلى الأخص في أيام الأيوبيين من قبلهم .

والمتصفح لهذا الكتاب يرى من أسلوبه ومن عباراته أنه مَصُوغ على الطريقة المألوفة في أيام الأيوبيين بمصر . ولا يمكن القول - كما قد يستفاد من عبارة الختام - بأن تأليف هذا الكتاب كان في ” شهر المحرم أول سنة ٧٩٥ ” . لأن هذه السنة لم يكن فيها رجل من الملوك في العالم الإسلامي يُسمى ” بالملك العزيز ” . فوجب حينئذ الجزم بأن هذه السنة هي سنة أنتساخ الكتاب ، لاسنة تأليفه . ويكون قد مضى قرنان بين وقت تأليفه وبين وقت أنتساخه .

أما الكتاب ، فهذه موضوعاته :

- | | |
|---|--|
| • الأوب في أستطاف الملوك . | • أوب الوقوف على باب السلطان . |
| • أوب من أسدى إليه الملك يدا . | • أوب الداخلى على السلطان . |
| • أوب من رفع الملك قدره . | • الأوب في تخبر وعد السلطان . |
| • الأوب في مازحة الملك . | • الأوب في تعهد السلطان خدمه . |
| • أوب الصلاة مع السلطان . | • أوب من يجالس السلطان . |
| • الأوب في مسارة السلطان . | • الأوب في الأنصراف عن مجلس السلطان . |
| • أوب حجاب الملك وحجابه . | • أوب من يخاطب السلطان . |
| • الأوب في الرسول . | • أوب من سأله السلطان عن اسمه . |
| • أوب الملك في منامه . | • أوب مؤاكلة السلطان . |
| • الأوب في آتخاذ الكاتب . | • أوب السلطان في إقامة الحدود والتعزير . |
| • الأوب في استعمال الملك الأناة وترك العجلة . | • الأوب في عزاء الملك . |
| • سخاء الملوك . | • أوب التعزية بالملوك . |
| • أوب الملوك إذا دهمهم أمر . | • الأوب في مسامرة الملوك . |
| | • أوب مناصحة السلطان . |

وفى كل هذه الأبواب أستطرادات تتعلق بالموضوع ، تتعلقا قريبا أو بعيدا .

فهارس الأجدى الأول

باسماء الكتب التي استعملتها للرجعة وتحرير المطبوع

الأسماء لأن تكون أسماء مطبوعة
بمراة كثر وما عليها تحقيق في طبعة
ولأن في هذا العام

القرآن لتقارن أن يكون في المطبع
مع الطبعة سنة ١٢١٥

الأعلام النبوية لأحمد بن محمد بن
العلامة في حقه من طبعة
١٨١١ [وغيرها من الكتب
المطروقة العربية]

المحاسن والأضداد فاصط مع الطبعة
فان يكون طبعة لندن سنة ١٨٦٨

الأغاني لأن شرح الأسماء في ٢٠
بمراة مع بولاق سنة ١٨١٢ مع
الشرح والمشرحة مع طبعة الأستاذ
بدمشق سنة ١٢٣٠

مدارس الأسماء طبعة بيروت ودمشق مع
طبعة سنة ١٨٩٥ - ١٩٠٠

الأغاني وشرحها لأن في المطبع مع
بمراة سنة ١٢٦٤

الأسماء المستعارة مع طبعة
بدمشق سنة ١٢٤٥

(١)

الأعلام النبوية عن القرون الخالية لأن
الرجعة التي في مطبع الصلاة
الشرق الأسماء مع
سنة ١٨٧٨

أعلام البلاد وأخبار العباد مع
العلماء وبتطبعة سنة ١٨٨٠

أحسن التلخيص في معرفة الأقاليم فليس
المعروف بالمشهور مع الطبعة
دمشق مطبعة لندن سنة ١٨٧٧
[وغيرها من الكتب المطروقة العربية]

إرشاد الألباء إلى طبقات الأدباء
مع الطبعة

أساس البلاغة لرحمته مع الطبعة
سنة ١٢٩٨

أشد الغاية في معرفة الصحابة لأن الأسماء
مع الطبعة سنة ١٢٤٠

الأصطفاق لأن في مطبع الصلاة وبتطبعة
بدمشق سنة ١٢٤٤

فهارس أجدية

لكتاب "التاج"

(١) هذه الفهارس الأجدية كلها موجودة في فهارس من المصنفات الواردة في التلخيص - هذه الفهارس

بعضها ككتاب "الحج" فانه من كل ما يتعلق بهذه الموضوعات
 عربيا وانحصرت في صورة اخصاوا كما لو برزنا، واشتاق اليه بعض مسلوبات
 ليس سرته أولا، ويجعل نفسه ثانيا حقا في اسناد التاليف اليه وفي خدمة
 سلطان مصر.

(١) انظر جدول المرات في صفحة ٦٩ من "تخصير" الذي برزناه في اول هذا الكتاب.
 فيلجأ الى قوله

"ولست" بالحق

الفهرس الأبجدى الأول^(١)

بأسماء الكتب التي استخدمتها للمراجعة وتحرير الحواشي

الأصنام لأبن الكلبي (نسخة مخطوطة

بخزانه كتي وجار طبعها بتحقيق في مطبعة

بولاق في هذا العام)

إنجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاقي ،

طبع القاهرة سنة ١٣١٥

الأعلاق النفيسة لأحمد بن عمر بن رُسْتَه ،

طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن

سنة ١٨٩١ [وهو السابع من المكتبة

الجغرافية العربية]

المحاسن والأضداد لملاحظ طبع العلامة

فان فلوتن بمدينة ليدن سنة ١٨٩٨

الأغانى لأبي الفرج الأصفهاني ، في ٢٠

جزء طبع بولاق سنة ١٢٨٥هـ ، والجزء

الحادي والعشرون منه طبع الأستاذ

رودلف بروثو بمدينة ليدن سنة ١٣٠٥هـ

فهارس الأثاني للعلامة جويدى وزملائه ، طبع

ليدن سنة ١٨٩٥ - ١٩٠٠

الأمالي (وذيله) لأبي علي القاسم ، طبع

بولاق سنة ١٣٢٤هـ

الأنساب للسمعاني ، طبع العلامة

مرجونيوت بمدينة لوندن سنة ١٩١٣



الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبي

الريحان البيروني ، طبع العلامة سخاو

المستشرق الألماني بمدينة ليسيك

سنة ١٨٧٨

آثار البلاد وأخبار العباد للزويني ، طبع

العلامة وستفيلد بمدينة جوتنجن سنة ١٨٤٨

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للقدسي

المعروف بالبشاري ، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٧٧

[وهو الثالث من المكتبة الجغرافية العربية]

إرشاد الألباء إلى طبقات الادباء =

معجم الأدباء

أساس البلاغة للزمخشري ، طبع القاهرة

سنة ١٢٩٩

أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبن الأثير ،

طبع القاهرة سنة ١٢٨٠

الإشتقاق لأبن دريد ، طبع العلامة وستفيلد

بمدينة جوتنجن سنة ١٨٥٤

(١) هذه الفهارس الأبجدية كلها لم يرد فيها شيء من المسجمات الواردة في التصدير . فتنبه لذلك .

تاريخ الطبرى = تاريخ الرسل والملوك

تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار
البشر

التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة ،
مرآة

شرح التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة ،
مرآة

تقريب التهذيب للمافظ العسقلاني طبع
الهند سنة ١٢٩٠ هـ

تكملة المعجزات العربية للعلامة دوزى ، طبع
ليدن سنة ١٨٨١

التنبيه والإشراف للسعودى ، طبع العلامة
ده جويه بمدينة ليدين سنة ١٨٩٣ [وهو
الثامن من المكتبة العربية الجغرافية]

تنبيه الملوك والمكاييد ، منسوب للمحافظ .
[ونسخته محفوظة بدار الكتب الخديوية ،
منقولة بالفتوغرافيا عن مكتبة الكوبر بلى
بالقسطنطينية]

ح

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
للسيوطى ، طبع حجر بالقاهرة بدون تاريخ
سنة الطبع

الحماسة (شرحها للتبريزى) ، طبع العلامة فريتاغ
بمدينة بون سنة ١٨٢٨

الحيوان للمحافظ ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ

ب

كتاب البخلاء للمحافظ طبع العلامة فان فلوتن
بمدينة ليدين سنة ١٩٠٠

بدائع الزهور في وقائع الدهور لأبن
إياس ، طبع بولاق سنة ١٣١١ هـ

برهان قاطع (معجم فارسى نقله عاصم
افندى إلى اللغة التركية) ، وأسمه
تبيان نافع في ترجمة برهان قاطع ،
طبع بولاق سنة ١٢٥١ هـ

مختصر كتاب البلدان للهذاني المعروف بأبن الفقيه ،
طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدين
سنة ١٣٠٢ هـ وستة ١٨٨٥ م
[وهو الجزء الخامس من المكتبة
الجغرافية العربية]

كتاب البلدان لليقوتى ، طبع العلامة جونبول
بمدينة ليدين سنة ١٨٦٠

البيان والتبيين للمحافظ ، طبع القاهرة
سنة ١٣١٣ هـ

ت

تاج العروس في شرح القاموس ، طبع
القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ

تاريخ ابن خلدون = كتاب
العبر الخ

تاريخ الرسل والملوك لأبن جعفر
محمد بن جرير الطبرى ، طبع العلامة
ده جويه وزملائه بمدينة ليدين
سنة ١٨٧٩ - ١٩٠١

سيرة ابن هشام ، طبع المرحوم الزبير
رحمت باشا ببولاق سنة ١٢٩٥ ، وطبع
العلامة وستفلد بمدينة جوتنجن سنة
١٨٥٦ - ١٨٦٠ م

﴿ ش ﴾

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي
الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العسكري
المعروف بأبن العماد الحنبلى [مخطوط
بدار الكتب الخديوية نمرة ١١١٢ تاريخ]

شرح القاموس = تاج العروس

شرح نهج البلاغة = نهج البلاغة

شفاء الغليل للخفاجى ، طبع القاهرة
سنة ١٢٨٢ هـ

﴿ ص ﴾

صبح الأعشى للقلقشندي (الجزء الأول ، طبع
بولاق سنة ١٩٠٥)

الصحاح للجوهري ، طبع بولاق سنة ١٢٨٢

صحيح البخارى ، طبع السلطان عبد الحميد الثانى
ببولاق سنة ١٣١١ - ١٣ فى تسعة أجزاء

﴿ ط ﴾

طبقات الشافعية للسبكي ، طبع القاهرة
سنة ١٣٢٤

الطبقات الكبرى لأبن سعد ، طبع العلامة
سخاو وزملائه بمدينة لندن من سنة ١٣٢١ هـ
[ولا يزال العمل فيه جاريا إلى الآن]

﴿ خ ﴾

خاتمة الأشموني (كتاب فى النحو) طبع
القاهرة ، مرارا

خزانة الأدب للبغدادى طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ

الخطط للقرزى ، طبع بولاق سنة ١٢٧٠ هـ
وطبع فيث بالقاهرة سنة ١٩١١

﴿ د ﴾

ديوان حسان بن ثابت طبع تونس
سنة ١٢٨١ هـ ، وطبع القاهرة سنة ١٣٢١
ديوان الفرزدق ، طبع العلامة بوشير ومعه
ترجمته له إلى اللغة الفرنسية فى باريس
سنة ١٨٧٢ - ٧٥

﴿ ذ ﴾

ذيل الأمالى للقالى = الأمالى

﴿ ز ﴾

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
للخليل بن شاهين الظاهري ، طبع بولس
راويس بمدينة باريس سنة ١٨٩٤

﴿ س ﴾

سلوان المطاع فى عدوان الأتباع
لأبن ظفر الصقلى طبع الحجر فى القاهرة
سنة ١٢٠٨ هـ [وترجمته الإنكليزية
بمعرفة العلامة ميشل أمارى الطليانى ، طبع
لوندرة سنة ١٨٥٢]

الفصل فى الملل والنحل لأبن حزم الأندلسى

طبع القاهرة سنة ١٣١٧ - ١٣٢١

كتاب الفهرست لأبن النديم ، طبع العلامة فلوجل

بمدينة ليبسيك سنة ١٨٧٠

فوات الوفيات لأبن شاكر الكتبي ، طبع بولاق

سنة ١٢٨٣ هـ

﴿ ق ﴾

القاموس للفيروز آبادى ، طبع القاهرة

سنة ١٣١٩ هـ

قاموس الثياب = معجم الثياب عند

العرب

﴿ ك ﴾

الكامل فى الأدب للبرد ، طبع العلامة ريت

المستشرق الإنكليزى بمدينة ليبسيك من

سنة ١٨٦٤ - ١٨٨١

الكامل فى التاريخ لأبن الأثير طبع العلامة

تورنبرج بمدينة ليدن سنة ١٨٥١ - ١٨٧١

الكلمات الطليانية المأخوذة عن اللغة

العربية للدكتور رينا لدى طبع مدينة

ناپولى سنة ١٩٠٦ م

كليلة ودمنة ، طبع العلامة ده ساسى بمدينة

باريس سنة ١٨١٦

كليلة ودمنة ، طبع بولاق سنة ١٢٨٥ هـ

كليلة ودمنة ، طبع العلامة الأب لويس

شيخو بمدينة بيروت سنة ١٩٠٥

طراز المجالس للناجى ، طبع القاهرة

سنة ١٢٨٤ هـ

﴿ ع ﴾

كتاب العبوديان المبتدا والخبر فى أيام العرب

والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى

السلطان الأكبر لأبن خلدون ، طبع بولاق

سنة ١٢٨٤ هـ

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

للزوينى ، طبع العلامة وستنفلد بمدينة

جوتنجن سنة ١٨٤٩

كتاب العصا لأسامة بن منقذ ، طبع باريس

كتاب العصا للمحافظ (فى ضمن كتاب البيان والتبيين)

العقد الفريد لأبن عبد ربه ، طبع بولاق

سنة ١٢٩٣

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لأبن

أبى أصيبعة ، طبع العلامة أغسطن ملر

فى القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ

﴿ غ ﴾

غرر أخبار الفرس وسيرهم للثعالبي ، طبع

العلامة زوتنبرج مع ترجمته له إلى الفرنسية ،

باريس سنة ١٩٠٠

﴿ ف ﴾

فتوح البلدان للبلاذرى ، طبع العلامة ده جويه

بمدينة ليدن سنة ١٨٦٦

الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادى ، طبع

القاهرة سنة ١٩١٠

محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر لعل

دده ، طبع القاهرة سنة ١٣٠٠

المخصص لأبن سيده ، طبع بولاق سنة ١٣١٦

١٣٢١ -

مسالك الممالك لإبراهيم الإصطخري المعروف

بالفارسي ، طبع العلامة ده جويه بمدينة

ليدن سنة ١٨٧٠ [وهو الأول من المكتبة

الجغرافية العربية]

كتاب المسالك والممالك لأبن حوقل ، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدين سنة ١٨٧٣ [وهو

الثاني من المكتبة الجغرافية العربية]

المسالك والممالك عن ابن خردادبه ،

طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدين

سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م [وهو

السادس من المكتبة الجغرافية العربية]

المشتبه في الأسماء للذهبي ، طبع العلامة

ده يونج بمدينة ليدين سنة ١٨٨١

مطالع البدور في منازل السرور لعلاء الدين

على البهائي الغزولي ، طبع القاهرة

سنة ١٢٩٩ - ١٣٠٠

المعارف لأبن قنينة ، طبع العلامة وستنفلد بمدينة

جوتنجن سنة ١٢٦٧ هـ - ١٨٥٠ م

المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، لعبد

الواحد المرآكشي طبع العلامة دوزي

بمدينة ليدين سنة ١٨٨١

معجم الأدياء لياقوت الحموي طبع العلامة

مرجوليوت بالقاهرة ، من سنة ١٩٠٧

[ولا يزال العمل جاريا الآن]

ل

لسان العرب لأبن المكرم المعروف أيضا

بأبن منظور ، طبع بولاق سنة ١٣٠٠ -

١٣٠٨ هـ

لف القمط في تصحيح ما استعمله العامة من

العرب والدخيل والمولد والأغلاط ، للسيد

حسن صديق خان صاحب مملكة بهوپال

بالهند (وعليه هوامش للسيد نور الحسن)

طبع ، حجر بالهند سنة ١٢٩٦

م

مبادئ اللغة لأبن الخطيب الإسكافي طبع

القاهرة حديثا سنة ١٣٢٥ هـ

المحاسن والأضداد ، المنسوب للمجاهد ،

طبع العلامة فان فلوتن بمدينة ليدين

سنة ١٨٩٨

محاسن الملوك لبعن الفضلاء [نسخة محفوظة

بدار الكتب الخديوية نقلا بالفتوغرافية

عن الاصل المحفوظ بخزانة طوبقو

بالقسطنطينية]

المحاسن والمساوي لإبراهيم بن محمد البيهقي ،

طبع العلامة فريد بك شوالى بمدينة جيسن

سنة ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م

محاضرات الأدياء للراغب الإصفهاني ، طبع

محمد عارف باشا رئيس جمعية المعارف

بالقاهرة سنة ١٢٨٧ هـ

﴿ ن ﴾

نقائض جرير والفرزدق طبع العلامة بيفن

بمدينة ليدن سنة ١٩٠٥

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،

لأبي المحاسن تفرى بردى ، طبع العلامة

جونول بمدينة ليدن سنة ١٨٥١ -

١٨٦١

النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، طبع

القاهرة سنة ١٣١١

نهاية الأرب في فنون الأدب للتويرى ،

[عن النسخ المقلولة بالفتوغرافيا المخطوطة

بدار الكتب الخديوية]

نهج البلاغة (شرح لأبن أبي الحديد) طبع

القاهرة سنة (١٣٢٩)

﴿ و ﴾

الوسيط في تراجم أدياء شقيقط للرحوم الشيخ

أحمد الأمين الشنقيطى ، طبع القاهرة

سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)

وفيات الأعيان لابن خلكان ، طبع بولاق

سنة ١٢٧٥ هـ

معجم الثياب عند العرب للعلامة دوزى

طبع مدينة أمستردام سنة ١٨٤٥

المعجم الفارسى العربى الانكليزى

لرتشاردسن ، طبع لوندرة سنة ١٨٢٩

المعرب من الكلام الأجمعى للجوالقى طبع

العلامة سخاو بمدينة ليسيك سنة ١٨٦٧

معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ، طبع لوندرة

مفاتيح العلوم للخوارزمى ، طبع العلامة فان

فولتن بمدينة ليدن سنة ١٨٩٠

مفردات آبن البيطار [الترجمة الفرنسية

للعلامة لوسيان لوكلير] طبع باريس

سنة ١٨٧٧ - ١٨٨٣ م

المفضليات ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٤

مقدمة آبن خلدون ، طبع بولاق سنة ١٢٨٤ هـ

الملاهى للضبي [نسخة مخطوطة بدار الكتب

الخديوية نقلها بالفتوغرافيا عن الأصل

المحفوظ بجزاة طوب قيو بالقسطنطينية]

مناقب الشافعى لأبى عبد الله محمد بن عمر

الرازى ، طبع حجر بالقاهرة في ١٧ شوال

سنة ١٢٧٩

الفهرس الأبيدي الثاني
بأسماء المصنفات المذكورة في متن الكتاب أو في حواشيه وتكميله

الأغاني (كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصلي . وأصله فيما يقال لأبيه وأبن جامع وأبن العوراء ، هذبه إسحاق بأمر الخليفة الواثق . وقال أبو الفرج إنه ليس له ، بل هو مصطنع عليه . ونسبه المسعودي له)	كتاب الآباء والأمهات لأبي حسان الزيادي
ألقاب الشعراء لأبي حسان الزيادي	كتاب آيين لأحمد بن محمد بن نصر الجيهاني (وانظر كتاب الزيادات في هذا الفهرس)
كتاب البخلاء [يشير إليه الجاحظ في صفحة ١٤٠ وهو غير الذي ألفه هو] بدائع البدائنه لأبن ظافر الجمهرة لأبن دريد	آيين الأكارسة
درة الغواص للحريري ، طبع الجواثب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ ، وطبع لپسيك سنة ١٨٧١ م	آيين الفرس
الزيادات في كتاب آيين في المقالات لآحمد بن محمد بن نصر الجيهاني (وانظر كتاب آيين له)	آيين ابن المقفع
سرح العيون لأبن نباته طبع بولاق طبقات الشعراء لأبي حسان الزيادي	كتاب أخبار الأكلثة للدايني
الكشاف [وحواشيه] تفسير القرآن للزمخشري ، طبع مرارا بالناهرة	كتاب أخبار زياد بن أبيه للهيم بن عدي
مسالك الأبصار لأبن فضل الله العمري معجم الشعراء للرزباني [توجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة باريس الأهلية]	أخبار زياد بن أبيه للدايني
مغازي عروة بن الزبير لأبي حسان الزيادي	أخبار ولد زياد بن أبيه ودعوته للدايني
مقتل عمرو بن سعيد بن العاص	أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة [من كتب الجاحظ]
من أحتكم من الخلفاء إلى القضاة للمسكري	الأدب الكبير { لأبن المقفع ، طبع الأدب الصغير { أحمد زكي باشا
	الأغاني (كتاب يشير إليه الجاحظ ، هو غير الذي لأبي الفرج الاصهاني)
	الأغاني (كتاب ذكره المسعودي ، وهو خلاف الذي لأبي الفرج)
	الأغاني (كتاب لإبراهيم بن المهدي)
	الأغاني (كتاب لإبراهيم الموصلي وإسماعيل ابن جامع وطيح بن العوراء)

<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>
<p>في اللغة العربية</p>	<p>في اللغة العربية</p>

الفهرس الأبيجدى الثالث

بأسماء الرجال المذكورين في "التاج" وحواشيه وتكميل الروايات

(تنبيه : الرقم الكبير يدل على الصفحة من متن الكتاب ؛ والرقم الصغير يدل على الصفحة من حاشية الكتاب ومن تكميل الروايات ؛ والشرطة - تحت الرقم الكبير أو الصغير تدل على تكرار الاسم . وهكذا الشأن في الفهارس التالية)



كسرى أبرويز (ملك الفرس) ٩٤٦٨٢٦٩٦٩

١٠٩٦٩٩٦٩٨٦٩٧٦٩٤٦

٦١٢٤٦١١٩٦١١٥٦١١٠

١٨١٦١٨٠٦١٥٥٦١٥٣

٢٠٣٦١٨٥

أحمد بن أبي خالد الأحول [من مشاهير

الأكلة] ١١

أحمد بن أبي دؤاد [من مشاهير الأكلة] ١١

= ابن أبي دؤاد

أحمد بن الأمين الشنقيطي - ٤٤

أحمد بن سهل = أبو زيد البلخي

الأمير أحمد بن سهل ٨٩

أحمد بن عبد الرحمن الحزاني ١٣

أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني ١٩٢

آدم (أبو البشر) ٣٨

آزاد مرد (حاجب يزدجرد) ١٢٦٦١٢٥

إبراهيم (النبي) ١٠٧٦٩٦٣

إبراهيم الحزاني ٣٦٦٣٦

إبراهيم بن السندي بن شاهك ١٢٦١٢

١٩١٦

إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن

علي بن أبي طالب ١١١٦١١٢٦٨١

إبراهيم بن عثمان بن نهيك ١٤١

إبراهيم بن المهدي (وهو المعروف بأبن شكاة)

١٦١٦٨٥٦٤٨٦٤٣٦٤٢٦٣١٦٢٣

إبراهيم الموصلي (المغني) ٣٦٦٣١٦٢٣

٦٤١٦٤٠٦٣٩٦٣٩٦٣٨٦٣٨

٤٢

إسحاق بن إبراهيم الموصلى ٣١٦٣١
٣٢٦٣٧٦٣٢٦٤٢٦٤٣
١١٠٦٤٥٦٤٣

إسحاق برصوما = برصوما

إسحاق الحامى [من مشاهير الأكلة] ١١

أسد بن عبدالله (والى خراسان) ٢١٠

الإسكندر (ذوالقرنين) ١٩٦٢٩٦١٠٩
١٢٣

أسماء بن خاروجة الفزارى ٦٠٦٠٦٠١٩٩٦

إسماعيل أبو القاسم بن جامع = ابن جامع

أسيد بن عبدالله الخزاعى ٣٣٦٣٣

الأشدق ٦٦٦١٩٨٦١٩٩٦ = عمرو

ابن سعيد بن العاص

الأشعث ١٦١

الأصمعى ٤٤٤١٥٥

الأعشى (أعشى قيس) ٢٦

الأعشى (شاعر قهمدان) ٨٤

إمرؤ القيس ٣٨٤٥

الأمين (الخليفة العباسى) ٣١٦٤٢٦٤٣١

١١١٦١٩٤

ابن أنس = السيد بن أنس الحميرى

الأب أنطون صالحانى اليسوعى ١٣٢

كسرى أنوشروان (ملك الفرس) ٢٨٦٣٨٦٤٦

٥٤٦٢٦٣٦٦٤٦٩٠

١٠١١١٩٦١٢٤٦١٣٨

١٤٩١٥٣٦١٥٥٦١٥٨٦٢٠٠

إيتاخ ١٢٧٦١٢٧

الأحنف (واسمه أبو بحر الضحاك بن قيس،

وهو المشهور بالحلم) ٣٩٦٣٩١٩٩

الأحوص الشاعر ١٤١

أبو أحيحة ٤٧٦٤٧٦١٩٦٦ = سعيد بن

العاص

الاخطل الشاعر ١١٠١٣٢٦١٣٢

١٣٣١٧٥٥

ارادمرد (حاجب يزيدجرد) [صوابه آزادمرد]

أردشير بن بابك (ملك الفرس وأول بنى ساسان)

٢٥٦٢٥٦٢٤٦١٥٦١٢٦٩

٢٨٦٢٧٦٢٩٦٣٨٦٤٧٦٥٤

٦٥٥٦٨٩٦١١٨٦١٢٢٦١٢٤

١٤٩١٥٣٦١٥٥٦١٥٨

١٦٣٦١٦٧٦١٦٨٦٦٩

الأردوان ٢٩

الأردوان الأحمر (ملك الفرس، ولعله

الأردوان الأصغر) ٢٩٦٢٩٦١١٨٦١٥١

الأردوان الأصغر (من ملوك فارس وهو ابن

بهرام بن بلاش - آخر ملوك الأشكانية

الذى تله أردشير) ٢٩

الأردوان الأكبر (من ملوك نارس) ٢٩

أزبك (الأتابكى، وهو منشئ الأربكية

بالقاهرة) ٧٨

أسامة بن منقذ ٢٠٦

إسحاق ١٧١ = إسحاق بن إبراهيم المصعبى

إسحاق بن إبراهيم المصعبى (حاكم بغداد فى

أيام المأمون) ١٣٦١٣٦٣١

١٧٠

﴿ ب ﴾

بُقَيْلَة = ثعلبة بن سنين
 أبو بكر الصّدِّيق (الخليفة الراشد) ٨٦
 أبو بكر الهذليّ ١٩٩٦١٩٨٦١١٤٦٥٨
 بلال بن أبي بردة [من مشاهير الأكلة ١١]
 ثم ١٩٣٦٢٠٦٢٠
 بندار بن خورشيد ٥٥
 بهرام جور بن يزجرد (ملك الفرس) ٢٨
 ٦١١٩٦١١٨٦١٠٠٦٣٣٦٣٠
 ٦١٤٩٦١٢٥٦١٢٤٦١٢٠
 ٦١٦٤٦١٥٩٦١٥٣٦١٥١
 ٦١٧٨٦١٧٧٦١٦٦٦١٦٥
 ٢٠٩٦١٨٠٦١٧٩

بابك الخزرمي ١٢٧
 بابل بن قيس الجذامي ٦٠
 أبو بحر الضحاك = الأحنف
 ابن بختيشوع (هو جبريل الطيب) ١٦١٦٣٧
 برصوما الزامر (وأسمه إسحاق) ٣٩٦٣٨
 ٤١٦٣٩
 أبو البرق الشاعر ١٧١
 بسرة الأحول [من مشاهير الأكلة] ١١
 بشار بن برد الأعمى (الشاعر) ٨٦
 بشر بن عبد الملك بن مروان ٦٠
 بطرس غالي باشا رئيس مجالس النظار وناظر
 الخارجية كان ١٥٦

﴿ ث ﴾

ثمّامة بن أشرس ٢١٠٦١٩٠

ثابت بن وقش الأنصاري ١٠٨
 ثعلبة بن سنين المشهور ببقيلة (ويسمى أيضا
 الحارث) ٨٢

﴿ ج ﴾

جبريل (الملك) ٢٤
 جبريل بن بختيشوع (الطيب) ٣٧
 جرير بن الحطّفي (الشاعر) ١١٠٦٨٦
 ١٣٣٦١٣٢
 ابن جرير الضبّري ٢٠٩
 جرير بن عبدالله البجلي الصحابي ١٣٤

الجاحظ (في مواضع متفرقة من حواشي
 الكتاب وتكميل الروايات)
 الجارود بن أبي سبرة (ويلقب بأبي مفضل)
 ١٩٣٦٢٠
 ابن جامع (إسماعيل أبو القاسم) ٣٨٦٣٦٦٢٣
 ٤١٦٣٩٦٣٩٦٣٨

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ٢٠٨ حمزة (الخارجي) ٢٠٥ حميد بن ثور (الشاعر) ٤٤ حنين (الغني العبادي) ٨٤ حوشب (اسم رجل بني بناة) ٨٢	الحطيفة (الشاعر) ٢٠ حفص الكيال لعله حاتم - [من مشاهير الأكلة] ١١٦١١ حفص بن المغيرة (أحد أزواج أم الخليفة معاوية) ٨٩
---	---

﴿ خ ﴾

خرابة ٢٠١ [وصوابه : أبو خرابة] الخطفي والخيطفي خلف الأحمر ١١٧ الخيزران (أم الرشيد) ٨٥	أبو خارجة [من مشاهير الأكلة] ١٩٠ خالد بن صفوان ١٩٩ خالد القسري (أمير العراق) ١٠٧ خالد بن الوليد (الصحابي) ٨٢ خالد بن يزيد (المشهور بحكيم بن أمية) ٢٠٠٦٦٥
---	---

﴿ د ﴾

درواس [من مشاهير الأكلة] ١١ إبن أبي دؤاد القاضي ١٦١٦٥٠٠٤٨ دورق القصاب [من مشاهير الأكلة] ١١	إبن دأب ١٧٦١١٦٦١١٧٦٢٠٥٦ داود (النبي) ٨٨ داود بن أبي داود ٥١
---	---

﴿ ذ ﴾

أبو ذبان = عبد الملك بن مزوان

﴿ ر ﴾

رسته (غلام كسري أبرويز) ١٨١ ١٨٣٦١٨٢	الربيع بن خيثم ٨٩ الربيع (حاجب الخليفة المنصور) ١٢١٤١٦
--	---

الروح الأمين = جبریل	الرشید (الخليفة العباسی) ٦٣٧٦٣٧٦٢٣
روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامی	٦٤٣٦٤٢٦٤١٦٤٠٦٣٩٦٣٨
(وكنيته أبو زرعة) ٦٦٠٦٦٠٦١٣	٦٨٠٦٦٦٦٦٦٥١٦٥٠٦٤٦
١٩٩٦١٣١٦١٣٠٦١١٧	٦٩٤٦٩٣٦٩٢٦٨٧٦٨٥٦٨١
روح بن القاسم (من المحدثين) ٦٠	٦١٤٢٦١٤١٦١١٩٦١١١
ذو الرياستين = الفضل بن سهل	١٧٠٦١٥٤٦١٥٣
رسول الله = محمد	ذو الرمة (الشاعر) ٢٦٦٢٠
	رؤبة بن العجاج ١٩١٦١٠٦

﴿ ز ﴾

زُهیر بن أبی سُهْمی (الشاعر) ٣٨	زاذان فروخ الأعور ١٩١
ابن الزيات (الوزير العباسی) ١٦١	ابن الزبير = عبد الله بن الزبير
زياد بن أبيه ١٥٦١٥٦١٦٩٦٢٠٦	الزجاج (النحوی اللغوی) ٨٦
أبو زيد البلخي ٨٩	زرزر (الغني) ٤٤٦٤٤٦٤٣
زيد (مولی عيسى بن نبيك) ١٤٢٦١٤١٦١٤٠	زلزل (منصور الضارب بالعود، من آلات الملاهي)
زيد مناة ٣٩	٤١٦٤٠٦٣٩٦٣٩٦٣٨٦٣٨
	زهمان [من مشاهير الأكلة] ١١

﴿ س ﴾

سعید بن العاص = أبو أحيحة	سابور ذو الأكتاف (ملك فارس) ٦١٥
سعید بن عثمان بن عفان ٢٠٣٦٨٩	١٩٢٦١٥١٦١١٨٦٧٣٦١٦
سعید بن عمرو بن جعدة بن هبيرة	ساطيح (الكاهن) ٨٢
المخزومي ١٠٦	سعید بن سلم (بن قتيبة بن مسلم)
سعید بن مرة الكندي ٨٨٦٨٧	الباهلي ٦٨٠٦٨٠٦٨٠٦٥٤
	٢٠٣٦١٩٨

سليمان بن أبي جعفر المنصور ١٣٤
 سليمان بن سلامة ٣٩
 سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي
 [من مشاهير الأئمة ١١] ثم ١٠٣٦٣٢
 ١٥٥٦١٥٤٦١٥٢٦١٠٤
 سليمان بن مجالد ٢٠٤٦١٠٨
 سليمي (اسم محبوبية) ٣٦
 أبو السمح = شرحبيل بن السمط
 سنيذ (ضارب بالعود، فارسي) ٤٠
 السيد بن أنس الحميري ٨٨

سعيد بن وهب البصري (أبو عثمان
 البصري) ٤١٦٤١
 السفاح (الخليفة العباسي) ٣٥٦٣٤٦٣٣
 ٦٨١٦٨١٦٥٩٦٥٨٦٥٨٦٣٧
 ٦١٠٨٦١٠٦٦١٠٣٦٩٢٦٨٢
 ٦١٥٤٦١٥٢٦١٢١٦١١٤
 ٢٠٤٦١٥٥
 أبو سفيان ٥٦
 سلم بن زياد ١٩١
 سلمى ١٩٨ (هو أسم أبي بكر الهذلي)
 سلمى (اسم محبوبية) ٣٨
 سليم بن سلام (أبو عبد الله الكوفي) ٣٩
 سليم بن مجالد (صوابه سليمان)

﴿ش﴾

شكلة (هي أم إبراهيم بن الخليفة المهدي) ٢٣
 شهر براز (قائد فارسي حارب الروم في أيام
 كسرى أبرويز) ١٨٠٦١٨٠٦١٨٠
 شهر يار = شهر براز
 شهر يزداد (هو تحريف من الناخبين لاسم شهر براز)
 شوينفرت (علامة ألماني) ١٩٥
 شيخو (الأتابكي سيف الدين العمري، صاحب
 المسجد المشهور بأسمه الآن في القاهرة) ١٥٦
 شيرويه بن أبرويز، (ملك الفرس ويسميه العرب
 في كتبهم "شيري" أيضا) ٦٩٦٩
 ١١٠٦١٠٩٦٥٥٦٥٠
 شيزي = شيرويه

الشافعي (محمد بن إدريس، الإمام) ٥٠
 شاه بور = سابور
 شبابة (من رواية الحديث) ٤
 ابن شبرمة ٨٤
 أبو شجرة = يزيد بن شجرة الرهاوي
 شرحبيل بن الحارث بن عمرو ٢٠٨
 شرحبيل بن السمط (وكنيته أبو السمح
 وأبو يزيد) ٧٩
 الشرقي بن القطامي أو شرقي بن
 القطامي ١١٥٦١١٥
 القاضي شريح ١٦١
 الشعبي ١٩٧٦١١٤٦٥٤

﴿ ص ﴾

<p>صباح بن خاقان المنقرى ١١٠٠٦١١٠ ٢٠٥</p>	<p>الصالح نجم الدين أيوب = نجم الدين الأيوبى</p>
---	--

﴿ ض ﴾

<p>ضرار بن عمرو (من سادة ضبة) ١١١</p>	<p>الضحك = الأحنف ضرار بن الشماخ (ويلقب بمزد) ١٩٠</p>
---------------------------------------	---

﴿ ط ﴾

<p>طويس (المنى) ٢٠٣٠٨٩</p>	<p>طاهر بن الحسين ١٩٤٦٣١ طاهر ذو اليمينين ٧٤</p>
----------------------------	--

﴿ ع ﴾

<p>عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كرز القرشى ٢٠ عبد الجبار بن عبد الرحمن (والى خراسان) ٥٩ عبد الحميد الثانى (سلطان آل عثمان) ٤٢ عبد الرحمن الخزانى ١٣ عبد الرحمن بن على الهاشمى (عم الخليفة المصور) ٥٩ عبد الرحمن بن محمد (الأشعث) ١٧٥٠٥٩ عبد الرحمن الناصر، أكبر خلفاء الأندلس ٢٠٨ عبد الرحمن = عبد الله بن عمر بن الخطاب ابن عبد الظاهر (صاحب كتاب الخطط الذى روى عنه المقرئى) ٦٤</p>	<p>عاتكة بنت عبد الرحمن ١٣٠ العادل الأيوبى [سلطان مصر، من مشاهير الأكلة] ١١ أبو العالبة [من مشاهير الأكلة] ١١ عائشة أم المؤمنين ٦١ الحاج عبّاس حلمى الثانى خديو مصر ١٥٦ ١٥٧ العبّاس بن عبد المطلب (عم رسول الله) ٨٨ أبو العبّاس = السفاح أبو العبّاس = عبد الله بن طاهر ٧٥٠٧٤ أبو العبّاس ٩٢ = عبد الله بن مالك الخزاعى أبو العبّاس (كنية فرعون موسى) ٤</p>
--	---

عبد الملك بن مهاهل الهمداني ١٣٤

عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي

٣٥٦٣٤٠

أبو عبد الملك = مروان بن محمد الجعدي

أبو عميد (الغوي) ٢٤

عميد الله بن زياد بن أبيه [من مشاهير

الأكلة] ١١ (وأَنْظَر ١٩٠)

عتبة بن غزوان ١٠٩

أين أبي عتيق ١٣٠٠٦١٣١٣١٣٠٧٦

عثمان بن شيخ الشيوخ (نجر الدين،

وهو أستاذ دار السلطان نجم الدين

الأيوبي وكان إليه أمر المملكة) ١٦١

عثمان بن عفان (الخليفة الراشد) ٥٥٩

٢٠٣٦١١٩٦٨٦٦٧٩

عثمان بن نهيك ١٤٢٦١٤١

عدى بن زيد (الشاعر العبّادي من أهل

الحيرة) ٨٤

عروة بن أديّة (وهو عروة بن حدير

أحد بني ربيعة بن حنظلة) ٢٠٦

عروة بن أديّة (شاعر قرينش) ١٢١

عز الدين (وهو عبدالعزيز بن عبدالسلام

المشهور بـ سلطان العلماء) ١٦١٦٢٢٦

العزّي (من ألهة العرب) ١

عقيل ١٩٥

عقيل ١٣٢

القاضي

أين أبي

عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب

٨١٦٨١

عبد الله بن الزبير ٦١٩٨٦٥٦٠٦٥٩

٢٠١

عبد الله بن طاهر (وكنيته أبو العباس) ٦٧٤

١٥٠

عبد الله بن أبي عتيق بن عبدالرحمن بن

أبي بكر الصّدّيق = ابن أبي عتيق

عبد الله بن عليّ الهاشمي (عمّ الخليفة المنصور

العبّاسي) ١٤٣٦٥٩

عبد الله بن عمر بن الخطاب ٦١٣٠٦٦٠

١٣١٦١٣٠

عبد الله بن مالك الخزاعيّ ٨١٦٨٠

٩٣٦٩٢

عبد الله بن محمد بن أيوب التيميّ

(شاعر الأمين) ١٩٤

عبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن بقلّة

الغسانيّ ٨٢

أبو عبد الملك = مروان بن محمد الجعديّ

عبد الملك بن صالح الهاشميّ ٨٥٦٤٨

عبد الملك بن مروان (الخليفة الأمويّ)

٦٠٦٥٩٦٥٠٦٤٧٦٣٦٦٣٢

٦١١٧٦٩١٦٩١٦٦٥٦٦٥

٦١٣٠٦١٢٠٦١١٩٦١١٩

٦١٣٣٦١٣٣٦١٣٢٦١٣١

٦١٦٩٦١٥٥٦١٥٤٦١٥١

٢٠٢٦٢٠١٦٢٠٠٦١٩٩

عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق

٢٠٢٦٢٠١٦٦٥٦٥٦٥٥٩

مرو بن العاص ١٩٨٦٧٩٦٥٣

عمرو بن معد يكرب [من مشاهير الأكلة]

١١

عنيسة بن إسحاق (والى مصر) ١٩٧

عنيسة بن زياد (لعله مصحف عن عبيد الله

أبن زياد) ١٩٠ (وأنظر ١١)

أبو عون = عبد الملك بن يزيد الخراسانى

الأزدى

ابن عيَّاش ١١٤٦٥٩٦٥٩٦٥٨

عيسى بن موسى بن محمد بن على الهاشمى

٨٣٦٨٢٦٨٢

عيسى بن مهيك ١٤٢٦١٤١

عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب = ابن

دأب

العتكى ١٤٣٦١٤٣

علويّه الأعسر (وهو أبو الحسن على بن

عبد الله بن سيف) ٤٤٦٤٣

على بن الخليل (الشاعر الذى يقال له الزنديق)

٨٨

على بن أبى طالب ٦٧٩٦٥٩٦٥٥

١٠٩ ١٢٤ ١٦١ ٦٢٠٤٦

٢٠٨

دو العمامة = أبو أحيحة سعيد بن العاص

عمر بن الخطاب (الخليفة الراشد) ٨٦٦٤٤

٦١٦٨٦ ١٦١٦ ١١٩٦ ٨٨٦

٢٠٨٦١٩٥٦١٦٩

عمر بن عبد العزيز (الخليفة الأموى) ٣٣

١٦١٦١٥٥٦١٥٤٦١٥٢٦٩١٦

عمر بن هبيرة الفزارى ١٤٧

ابن عمر = عبد الله بن عمر بن الخطاب

عمرو الغزال ٣٩

﴿ غ ﴾

نلفاء بن الحارث = الموسوس معديكرب بن الحارث بن عمرو، أخو شرحبيل بن الحارث.

﴿ ف ﴾

الفراء ١٢٣

أبو الفرج الأصبهاني (صاحب كتاب الأغاني)

٢٣٦٢٢

فوخان (أخو شهر براز) ١٨٣

الامير الفتح بن خاقان (الوزير العباسى، الذى ألق

الجاحظ هذا الكتاب باسمه) ١٨٦٦٤

فخر الدين = عثمان بن شيخ الشيوخ

الفضل بن يحيى (والى خراسان) ٢١٠	الفرزدق (الشاعر) ١٤٧٦١٣٣٦١١٠
فليح بن العوراء (الغنى) ٢٣	فرعون (ملك مصر) ٣
فورسكال (عالم نباتى سويدي) ١٩٥	الفضل بن الربيع (من رجالات الرشيد والأمين) ١٩٤٦١٤٢
فيروز الأصغر (ملك الفرس) ١٢٠	الفضل بن سهل (ذوالرياستين) ٤٩٠٤٨

﴿ ق ﴾

القرنين = الإسكندر ذو	قاسم التمار [من مشاهير الأكلة] ١٨٩٦١١
القطامي = الحصين الكلبي	القاسم (بن هارون الرشيد) ٤٩٦٤٩
قف الملتئم [من مشاهير الأكلة] ١١	أبو القاسم الكلبي ٥٨
قلاقس الإسكندري ٢٠٧	قايتباي (سلطان مصر الشهير بآثره الجليلية فى خدمة العلم والأدب والفنون الجميلة) ٧٨٠٧٨
ابن قيس بن الأسلت (الشاعر) ١٩٦	٢٠٢٦١٥٧
أبو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري	قباد (ملك الفرس) ٧٨٠٧٨٠٥٦١٠٥
٢٠٤٦١٠٩	١١٨٦١٠٧٦١٠٦
	قباد بن فيروز بن يزيد جرد ١٥٥
	قثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ٦٦٦٦٦

﴿ ك ﴾

كيشاسف (لغديستاسف ملك الفرس) ١١٩	كثير (الشاعر، صاحب عزة) ١٠٨
كيومرث ١٨	كسرى ١٦٦ = كسرى أبرويز
	كوثر (خادم الخليفة الأمين) ١٩٤

﴿ ل ﴾

لقمان الحكيم ١٩٦	اللات (من آلهة العرب) ١
لوط بن مخنف ٢٠١	لطم الشيطان = عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق
الاب لويس شيخو اليسوعي ١٣٨	

المتعمد بن الرشيد (الخليفة العباسي) ١٣٢

١٢٧٦١٢٠٠٤٨٦٤٨٦٣١

١٨٦٦١٥٥٦١٥٤٦١٥٣٦١٢٧

المتعمد بن عباد (صاحب إشبيلية بالأندلس)

١٦٦

المتعمد على الله (الخليفة العباسي) ١٧٠

معد يركب بن الحارث بن عمرو ٢٠٨

المغيرة ٨٨

مفضل ١٩٣ = الجارود بن أبي سبرة. أبو

مقاتل بن حكيم العنكي ١٤٣ = العنكي

مقدام (من رواة الحديث) ٤

المقفع ٢٤٦١٩ ابن

مناة (من آلهة العرب) ١

مناذر (الشاعر) ١١٧ ابن

منذر بن سعيد البلوطي قاضي قضاة

قرطبة ٢٠٨

المنتصر (الخليفة العباسي) ٩

المنصور (أبو جعفر الخليفة العباسي ، وأسمه

عبد الله بن محمد) ٦١٢ ٦٣٤ ٦٣٥

٦١١٠٠٩٤٦٨٣٦٨١٦٥٩٦٣٧

٦١١٢٦١١٢٦١١١٦١١١

٦١١٦٦١١٥٦١١٤٦١١٤

٦١٤١٦١٤١٦١٤٠٦١٤٠

٦١٥٥٦١٥٤٦١٤٣٦١٤٢

٢١١٦١٩٧٦١٧٦٦١٦٩

منصور زلزل = زلزل

منصور الضارب بالعود = زلزل

مروان الحمار ، مروان القرس =

مروان بن محمد الجعدي

مروان بن محمد الجعدي (آخر خلفاء بني

أمية بالشرق) ٦٣٢٤٦٣٤٦١٠٦٦١٠٦٦

٦١٥٥٦١٥٤٦١٥٣٦١٤٠٦١٠٧

١٧٦٦١٧٥

مزود ولعله مصحف عن مزرد [من مشاهير

الأكلة] ١١ (وأنظر ١٩٠)

المستعصم (آخر الخلفاء العباسيين ببغداد) ١٦٢

مسرور (خادم الرشيد ، وكنيته أبو هاشم)

٦٦٦٦٦

أبو مسلم الخراساني (صاحب الدعوة العباسية)

(وأسمه عبد الرحمن ، وكنيته أبو محرم) ٦٣٣

٦١٧٦٦١٧٦٦٨٢٦٨٢٦٥٩٦٣٤

٢١١

المسيب بن زهير السبي (من رجالات

المنصور العباسي) ١١١٦١١١

مضعب بن الزبير ١١٩٦١١٠

مُعَاذ الطيب (الغني) ٣٦

معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي [من

مشاهير الأكلة ١١] ثم ١٤٦١٤٦١٥٦

٦٥٦٦٥٥٦٥٥٦٤٦٦٣٦١٥

٦٨٩٦٨٨٦٧٩٦٧٩٦٠٦٥٧

٦١١٩٦١٠٩٦١٠٣٦١٠١

٦١٥٥٦١٥٤٦١٣٦٦١٢٠٦١١٩

٢٠٦٦٢٠٤٠١٩٩٦١٧٥٦١٦٩

موسى بن صالح بن شىخ بن عمير
الأسدى ١٧٠٠، ١٧٠

أبو موسى الأشعرى ٧٩

ميسرة [البراش أو التراس أو التمار أو التياس

أو الراس من مشاهير الأكلة] ١١٦٠، ١١٦
١٨٩

ميمون بن مهران ١٠٧

المهدى (الخليفة العباسى) ٢٣، ٤٠٣، ٤٣٥، ٤٣٤

٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٨، ١١١، ١١٥، ١١٦

١١٦، ١٢٦، ١٤٢، ١٥٣، ١٥٤

١٩١، ١٩٧

المهلب ٨٩

مهيار الديلمى (الشاعر) ١٩

الموسوس غفاه بن الحارث ٢٠٨

موسى (النبي) ٣، ١٠٧

موسى ٨١ = الهادى (الخليفة العباسى)

﴿ ن ﴾

نعم بن خازم ٥١

النفس الزكية = محمد بن عبد الله
ابن الحسن الخ

نفظويه (النحوى) ٣٨

نبيك (من رجالات المهدي العباسى) ١٤١
ابن (وأظفر عثمان وعيسى، وهما آخران)

نور الحسن ١٩

أبو نوفل = الجارود

الناقدى ١٣

الناقص = يزيد بن الوليد الخليفة
الاموى

النبي، نبينا = محمد

نجم الدين الأيوبى (سلطان مصر) ١٦١

ابن أبى نجيج (من رواة الحديث) ٤٤٤

نصر بن سيار (صاحب خراسان) ١٧٦، ١٧٦، ١٧٦

النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) ١٦٤، ١٦٤

١٦٥، ١٦٦

﴿ ه ﴾

هارون = الرشيد

هاشم (ابن أخى الأبرد) ١٣

أبو هاشم = مسرور خادم الرشيد

هروتويغ درنبرغ ٢٠٦

الهادى (الخليفة العباسى، وأسمه موسى) ١٧

٣١، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٨، ٤٨، ٤٨، ٤٨

٤٨، ٤٨، ٤٨، ٤٨، ٤٨، ٤٨، ٤٨، ٤٨

٤٨، ٤٨، ٤٨، ٤٨، ٤٨، ٤٨، ٤٨، ٤٨

هلال بن سعد المازني [من مشاهير الأكلة]

١١

هلال بن مسعر التيمي = هلال بن

الأسعور زوجته [من مشاهير الأكلة] ١١

أبو همام السننوط (أو السموط) [من مشاهير

الأكلة] ١٨٩

الهيثم بن عدى (من أكابر مؤلفي المسلمين

في العصر الأول) ١٤١٦١٥

هرثمة بن أعين ١٩٤

هشام بن عبد الملك بن مروان (الخليفة

الأموي) ٣٢ ١٠٦٦ ١٠٧٦

١١٢ ١٤٠٦ ١٤٠٦ ١٥٢٦

١٥٤ ١٥٥٦ ١٦١٦ ١٧٦٦ ١٩٨٦

٢٠٦٢٠١

هلال بن الأسعور (أو ابن أشعور أو ابن

مسعر) [من مشاهير الأكلة] ١٩٠٦١١

﴿ و ﴾

الوليد بن عبد الملك (الخليفة الأموي) ٣٢٢

٦١٣٠٦١١٩٦٩١٦٨٥٦٠

١٥٥٦١٥٢

الوليد بن يزيد بن عبد الملك (الخليفة

الأموي) ١٥٤٦١٥٢٦٣٢٦٩

أبو الوليد (كنية فرعون موسى) ٤

أبو الوليد = ابن دأب

الوائق الخليفة العباسي [من مشاهير الأكلة] ١١

ثم ١٣ ٦٢٣ ٦٤٨ ٦٣١

١٥٤٦١٥٣٦١٢٧

أبو وائل ٨٩

ورقاء (من رواة الحديث) ٤

الوليد بن الحُصَيْن الكلابي = الشرق

أبن القطامي

﴿ ي ﴾

يزدجرد (آخر الملوك الساسانية) ٢٨

يزيد بن شجرة الرهاوي (وكنيته أبو شجرة)

٥٧٠٥٦٦٥٥٦٥٥

يزيد بن عبد الملك (الخليفة الأموي)

٣٢٦٣٠

يحيى بن أكثم ١٦١

يحيى بن خالد البرمكي ٨١

يزدجرد (أبو بهرام) وهو المعروف بالأنيم والمليم

١١٨ ١١٩ ١٢٤ ١٦٣

١٧٧٦١٦٤٦١٦٣

أبو يزيد ١٤٢ = عيسى بن نهبك	يزيد بن معاوية (الخليفة الأموى) ٦٩١
يستاسف ١١٨	١٩١٦١٥٤٦١٥١٦١٢٦٦١١٩
الأمير يشبك الدوادار (الأستادار، الوزير،	يزيد بن الوليد بن عبد الملك (الخليفة
كاشف الكشاف بمصر) ١٥٧	الأموى) ١٩١٦١٥٤٦١٥٢٦١٠٦٤٩
ذو اليمينين = طاهر	أبو يزيد = شرحبيل بن السمط

الفهرس الأبجدى الرابع

بأسماء الأمم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها

بكر = بنو بكر	(أ)
بنو بكر ١١٤١١٥٦	الأترك = الترك
(ت)	الأحامرة ٢٤
الترك ٤٢٦١٩	الأساورة ٤٦٢٤٦٢٥٦٢٨٦٥٥٦
التركمان ١٦٦	١٠٩٦٧٧٦١٥٩٦٣٦١٦٤٦
بنو تميم ٦٩	١٩٤٦١٧٣
(ج)	الإسبانيون ٢٦
جرهم ٨٣	الأشكانية ٢٩
(ح)	الأعاجم = العجم
بنو حزم ١٤١	الأكاسرة ١٥١٦٧٧
(خ)	الأمويون والدولة الأموية = بنو أمية
الخراسانيون ١٠٧	بنو أمية ٣١٦٣٢٠٠٦٠٢٠٥٦
خزاعة ٥٦	أهل الأندلس ١٦٦
الخرز ٨٠٦٥٤٦٥٤	الأيوبيون ١٦١
(ر)	(ب)
الراونديّة ١٤١٦١١٦٣٥	البرامكة ١٤٢
بنو ربيعة ١٢٣	بنو بقليلة (وغلط من كتب أو نال نقيلة) ٨٢٦٨٢
ربيعة بن حنظلة ٢٠٦	

بنو العباس، العباسيون، الدولة العباسية

١٠٦٤٤٨٦٣٧٦٣٤٦٢٧

١٨٦٦١٧٦٦١٥٥

بنو عبد شمس ١٩٦

آل عبد الملك بن صالح الهاشمي ٧٥

العجم ١٥٦١٥٦١٩٦١٥٦٢٤

٦٥٨٦٣٠٦٢٩٦٢٨٦٢٦٦٢٦

٦١٠٥٦٨٠٦٧٨٦٧٢٦٦٩

٦١٢٩٦١٣٥٦١٢٢٦١١٤

٦١٦٣٦١٤٦٦١٣٩٦١٣٨

٦١٦٨٦١٦٦٦١٦٥٦١٦٤

٢١٠٦١٧٤٦١٧٣

العرب ١٥٥٦٣٠٦٢٦٦١٩٦١٥٦١

٦١٠٣٦٩٢٦٨٥٦٧٥٦٦٧

٦١١٦٦١١٥٦١١٤٦١٠٨

٦١٤٧٦١٣٠٦١٢٣٦١١٧

٢٠٨٦١٧٦٦١٧٤٦١٧٣٦١٥١

العلويون الفاطميون ١٦٢

﴿ ف ﴾

الفرس = العجم

الفرنج ١٦١

الفرنسيون ١٠١

بنو قزارة ٦٠

الروم ٥٥٠٦٨٠٦١٨٠٦١٨١

١٨٥٦١٨٣

الرويدية (لعل صوابه : الزويدية)

﴿ ز ﴾

الزنج ١٨

بنو زهرة ٢٠٤

الزويدية ١١١٦١١١

﴿ س ﴾

ساسان (آل وبنو) ٤٧٦١٨٦٩٦٥

٦١٤٥٦١٢٤٦١٠٩٦٩٩٦٨٣

١٦٧٦١٦٥٦١٦٣٦١٥٩

بنو سنين ٨٢

﴿ ش ﴾

شيان ١١٢

﴿ ض ﴾

ضبة ١١١

ضرار بن عمرو (من سادة ضبة) ١١١

﴿ ط ﴾

الطبردارية (طائفة من جيش الممالك بمصر)

١٦٦

الطوائف (ملوك) ١٥١٦١٣٩٦٢٩

﴿ ع ﴾

عاد ٨٣

بنو مروان ٢٠٢	﴿ق﴾
المشاركة ١٦٦	قريش ٦١٣٠٦١٢١٦٨٤٦٥٦٦٥٦
المضرية ١٣٣	٢٠٦٦١٩٦
بنو معاوية ٧٩	أهل القصر (أى أهل بيت الملك فى أيام الفاطميين
الممالك (بمصر) ١٥٦٦١٤٢	بالقاهرة) ٦٤
المانية = المانوية	قيس ١١٥
المهاجرون ٥٧	﴿ك﴾
﴿ن﴾	كلب ١٣٤
النبط ٢٩	الكرد ١٧٦
﴿ه﴾	بنو كليب ١٣٣
بنو هاشم ١٩٥٦١١٧٦٤٨	﴿م﴾
الهولنديون ١٠١	المانوية ٢١٠
	المجوس ٧٧٦١٥
	مخزوم ١٩٥٦٧٥٦٧٤٦٥٦٦٥٦

الفهرس الأبجدى الخامس والأخير
بأسماء البلاد والمدن والمواضع والأماكن ونحوها

بركة زلزل (بغداد) ٣٨

البصرة ٠٢٤٦٢٠٠٨٦٢٤٦٦٠٠٠٨٦٢٤٦٢٠
١٩٣٦١١٧

بطحاء ذى قار = ذوقار

بغداد ٢٢٠٢١٦٣٨٠٤٨٦٤٩٦
٠٤٦٨٤٦٧٨٠٤٦٨٤٦٧٨
٠٤٦٨٤٦٧٨٠٤٦٨٤٦٧٨
٢٠٩٦١٩٧٦١٩٤٦١٧٠

بلخ ٩٩

بوشنج ٣١٦٥٦٣١

البيت الحرام وبيت الله الحرام = الكعبة

بيسان ٧٩

﴿ ت ﴾

تهامة ١٢٧

﴿ ج ﴾

جامع ابن طولون (بالقاهرة) ٣٥

جامع العسكر (بالقاهرة) ٣٥

جامع الفاكهانى (بالقاهرة) ٦٤

﴿ ا ﴾

آسيا الصغرى ٥٥

أجنادين ٧٩

أحد (جبل) ٠٨١١٤٦١٠٨

أذربيجان ١٠٦٦٨١

أرمينية ٠٦٦٨١٦٨٠

الأزبكية (محلة بالقاهرة) ٧٨

إصطخر ١٥

إفريقية (تونس الآن) ١٧٥

الأنبار ٨٢

الأندلس ٢٠٨٦٢٦

إنواتيل = ذوالسرح

الإيوان (قلعة القاهرة) ١٥٦

الإيوان (إيوان كبرى) ١٧٤٦١٦٣

﴿ ب ﴾

بدر ١١٤

برقة ٣٥

دائرة جُلجل ٤٥

دجلة ١٩٧

الدَّخُول ٣٨

دِمَشْق ١٦١٦٣٤

الديار المِصرِيَّة = مِصر

﴿ ر ﴾

رمل الإسكندرية ١٥٧

الرُّها (وهي الآن أُرقة) ٥٥

الرَّوَضَة الشَّرِيفَة (الحرم المدني) ١٣١

الري ١١٦

بلاد الروم ٦٢

﴿ ز ﴾

الزَّاب (بأرض الموصل) ١٠٦

﴿ س ﴾

ذو السَّرْح (موضعُ بَشْقِيْط) ٤٤

ذو السَّرْح (موضعُ بِلاد العرب) ٤٤

ذات السَّرْح (موضعُ بِلاد العرب) ٤٤

السَّرْحَة (موضعُ بِلاد العرب) ٤٤

سَرْحَس ٤٩

سَرَمَنْ رَأْي (مدينة بالعراق) ٨٤٦٧٨

الجبابات = ذوقار

الجزيرة (أى ما بين النهرين) ١٠٧٦١٠٦٦٨٠

﴿ ح ﴾

الحجاز ١٢٧٦١١٦٦٦٠

حُلوان (مدينة بالعراق العجمي) ٧٨

حُلوان (مدينة بالقرب من القاهرة) ١٦١٦٧٨

حِمْص ٧٩

الحِنُو = ذوقار

حِنُوذَى قار = ذوقار

حِنُو القراقِر = ذوقار

حَوْمَل ٣٨

الحيرة ١٦٦٤٦١٥١٦٨٤٦٨٣٦٨٣٦٨٢

١٦٦

﴿ خ ﴾

خُرَّاسَان ٥٥٨٦٤٩٦٣٥٦٣٢٦٣١

٦١٧٤٦١١١٦٨٢٦٧٥٦٧٤٦٥٩

٢١٠٦١٩١٦١٧٦٦١٧٦

﴿ د ﴾

دار السلام = بغداد

دار التحف العسكرية بالقسطنطينية ١٦٦

﴿ ش ﴾

الشام ١٤١٦٨٢٦٠٦١٥

شبين القناطر = شبين القناطر

الشرقية (أحد شقي بغداد) ١٩٧

الشرقية (مديرية بمصر) ٤٨ (وأنظر ١٩٧)

الشَّقِيف (قلعة بالشام) ١٦١

شقيقط ٤٤

شبين القناطر (مدينة بمديرية القليوبية من

مصر وأسماها الآن شبين القناطر) ٧٨

﴿ ص ﴾

صَفِين ١٧٥٦٥٧

صيدا ١٦١

﴿ ط ﴾

طبرستان ٢٠٩

﴿ ع ﴾

ذات العجروم = ذوقار

العراق ١٤٢٦٨٤٦٧٨٦٠٦١٥

بلاد العرب ٦٧٦٤٤

بادية العرب ٢٦

العسكر (موضع كان بمصر القاهرة) ٣٥

﴿ غ ﴾

بلاد الغرب ٢٦

الغَرِيَّان ١١٦

﴿ ف ﴾

فارس ٦٩٧٦٤٦٤٠٦٢٩٦١٣٦٩

١٠٩

الفَجَّالَة (بالقاهرة) ١٥٦

فلسطين ٦٠٦٣٥

﴿ ق ﴾

القادسية ٧٩

دو قار ١١٥٦١١٤٦١١٤

القاهرة ١٦١٦٧٨

قراقر = ذوقار

قُرْطَبَة ٢٠٨

قَطْرِبَل ٣٩

القلعة (بالقاهرة) ١٥٧٦١٥٦

قلعة الشَّقِيف = الشَّقِيف

﴿ ك ﴾

كازرون (مدينة بفارس) ٧٨

الكعبة ٩٩٦٩٣٦٦٦٦٦٦

كلواز ١٤٧

الكُوفَة ٦٨٣٦٧٨٦٦٠٦٥٨٦٢٤

١٩٩٦١٩٨٦١١٧٦١٠٦٦٨٤

باب كيسان (بدمشق) ٣٤

pour ce merveilleux artiste dont il reproduit d'ailleurs plusieurs passages. Il aurait voulu ainsi, en écrivant ses *Mœurs des rois*, enrichir la littérature arabe d'un *Kitâb el Tâdj*, qui ferait en quelque sorte le pendant du monument des Sassanides.

Voilà la raison qui m'a déterminé à donner les deux titres à mon édition, imitant en cela l'exemple du Codex de Sainte Sophie.

*
* *

A la présente édition, j'ai ajouté des index alphabétiques, aussi soigneusement faits que possible, afin de provoquer chez les orientaux l'habitude de recourir à cet instrument de travail d'une importance capitale, toutes les fois qu'ils essayeront d'éditer un ouvrage arabe d'une certaine valeur.

AHMED ZÉKI PACHA.

Le Caire, Avril 1914.

P.S. — Je dois renvoyer les lecteurs arabisants à mes prologomènes arabes placés d'autre part en tête de la présente édition.

On y trouvera des renseignements détaillés et des notes critiques sur le livre et son auteur, sur les deux manuscrits conservés à Stamboul et sur celui d'Alep, ainsi qu'une dissertation documentée sur les deux titres de cet ouvrage.

Je crois avoir réussi à prouver que Djâhiz est incontestablement l'auteur du livre que je présente aux érudits de l'Orient et de l'orientalisme.

A. Z.

le copiste indiquait son nom, la bibliothèque pour laquelle il l'avait exécuté, dans la ville d'Alep, en l'an 885 de l'Hégire.

Si le texte d'Alep nous renseigne sur sa date, en revanche il ne porte aucun titre.

On verra dans mes prolégomènes arabes tout le parti que j'ai tiré, quoique tardivement, de ce manuscrit qui venait de tomber entre mes mains d'une façon si inattendue.

Qu'il me suffise ici de remercier M. Sherman qui a eu l'amabilité de mettre son manuscrit à mon entière disposition. J'ai pris les *fac-similés* de la première et de la dernière page, et je les ai ajoutés à ceux que je m'étais déjà procurés d'après les deux manuscrits de Stamboul, les deux seuls connus et dont l'un a été découvert par moi à Top-Kapou.

*
* *

Les nombreux renseignements que nous trouvons dans le présent volume sont, à n'en pas douter, reproduits par Djâhiz d'après des traités persans consacrés à l'étiquette et au protocole royal. Quelquefois même, comme nous l'avons fait ressortir, Djâhiz nous induit simplement en erreur en reproduisant, comme existant à son époque, un cérémonial qui était à coup sûr tombé en désuétude. Il fait souvent allusion au آین "Ayin" des Persans, au "Ayin" des Cosroés, à leur "Ayin" au "Ayin" tout court, livre de l'étiquette sassanide que l'auteur arabe met à contribution.

Nous savons d'autre part qu'il y avait chez les Persans un *Kitâb el Tâdj* qui a été traduit en arabe par Ibn el Moqaffa'. Il est très vraisemblable de supposer que cette version a été mise à profit par Djâhiz qui avait une véritable admiration

que le livre de Top-Kapou n'est pas mentionné dans le soi-disant *catalogue* et que le texte de Djâhiz se trouve dans un volume contenant tout d'abord deux traités d'Ibn el Moqaffa'. Il est encore à remarquer que ce titre d'*El Tâdj* n'est donné par aucun des auteurs qui ont parlé des œuvres de Djâhiz. Tous, comme lui-même d'ailleurs, font mention seulement d'un livre intitulé : "*Mœurs des rois.*"

Par un hasard heureux, il m'a été donné d'utiliser encore une troisième copie, mais seulement à la dernière minute.

Depuis assez longtemps déjà, le texte de Djâhiz avait été imprimé, et lorsque dans les premiers jours de décembre 1913 mes prolégomènes arabes et les additions et index étaient enfin presque sous presse, j'eus la bonne fortune de recevoir au Caire la visite de M. Sherman. Il venait d'acquérir à Constantinople la belle collection des manuscrits orientaux de Khâlis Bey, un des favoris de l'ex-Sultan Abdul Hamîd II. Il me pria d'examiner cette collection et de lui faire le catalogue de la partie arabe. Quelle ne fut pas ma surprise et surtout ma satisfaction lorsque j'y rencontrai une nouvelle copie insoupçonnée de *Kitâb el Tâdj* !

Dépourvu de la moindre indication au sujet du titre même de l'ouvrage, rempli d'autre part d'une foule d'erreurs, souvent grossières, présentant enfin plus d'une lacune, et amputé pour ainsi dire vers sa fin, par le copiste, qui a sauté une quinzaine de feuilles environ, le manuscrit que j'avais sous les yeux présentait cependant pour moi, un intérêt tout particulier.

A l'encontre des codex que j'ai mis à contribution pour ma présente édition le manuscrit contenait un colophon où

* * *

J'ai pris pour base de cette édition le manuscrit conservé à la Bibliothèque de Top-Kapou, que je désigne par la lettre س; il porte le titre de *Kitâb el Tâdj* (كتاب التاج).

La seconde copie de cette œuvre, conservée à la Bibliothèque de Sainte Sophie, a pour titre أخلاق الملوك "Mœurs des rois." J'en ai obtenu dans la suite une copie photographique qui a servi à la révision de mon édition, où elle est indiquée par la lettre ص. Les deux textes, malgré leurs nombreux défauts, se sont complétés, grâce surtout à des recherches patientes et laborieuses que j'ai entreprises dans une foule de documents imprimés et manuscrits.

Le texte de Top-Kapou portait uniquement le titre de *Kitâb el Tâdj*; celui de Sainte Sophie portait écrit de la main originaire le titre de كتاب أخلاق الملوك *Mœurs des rois*, avec le mot التاج ajouté par une main moderne sur la lettre ب du titre. Nul renseignement sur la provenance ou sur la date, de l'une ou de l'autre copie, ni au commencement ni à la fin. Sauf pourtant que le copiste de Sainte Sophie a ajouté à la fin de son manuscrit cette mention: وكان بالأصل سقامة "L'original qui a servi à cette reproduction était en mauvais état."

La copie de Top-Kapou portait donc formellement le titre *Kitâb el Tâdj* qui était reproduit incidemment en tête de la seconde. Dans quelles conditions cette suscription, évidemment moderne, a-t-elle été écrite sur le manuscrit de Sainte Sophie? Mystère. L'auteur de cette indication l'aurait-il prise dans le manuscrit de Top-Kapou? Rien n'autorise cette hypothèse, puisque nous ne possédons aucun indice à cet égard. D'ailleurs cela est peu probable, étant donné

les Abbassides et nous dépeint les stratagèmes qu'ils employaient pour reconquérir la faveur du monarque ou des grands dignitaires de l'Empire. Il nous décrit le protocole qui régit les rapports des Princes avec le Souverain. Une légende est accréditée en Orient qui dépeint le khalife El Mansour sous les traits d'un avare. Djâhiz combat cette légende avec énergie et produit pour soutenir sa thèse des preuves qu'emploieront ensuite Tabarî et d'autres.

Cérémonial employé lorsque le khalife est malade ; façon dont les persans et arabes se comportent avant et après l'Islam, dans les festivals et les réunions intimes ; visites des souverains aux grands dignitaires ; attitude des khalifes pendant les grandes crises qui ébranlent leurs trônes, etc., etc., tout cela est passé en revue par notre auteur.

Le *Livre de la Couronne* est peut-être l'ouvrage où il y a le plus d'ordre relatif, parmi les productions que nous devons à la plume féconde de Djâhiz. Le souci constant qu'il a de ne pas lasser le lecteur l'entraîne ordinairement en effet à traiter, à tout propos et quelquefois hors de propos, les sujets les plus disparates, les plus variés, comme les plus opposés et même les plus contradictoires.

Il explique d'ailleurs lui-même sa méthode dans son grand traité littéraire et indique les moyens de fixer l'attention du lecteur. "Si le livre, dit-il, est de longue haleine, l'auteur, pour captiver et tenir en éveil l'attention du lecteur, doit recourir à divers subterfuges, pour être toujours en faveur auprès de lui. Il est, par exemple, nécessaire de varier les sujets, sans toutefois dépasser les limites du cadre qu'il s'est imposé. Il faut en un mot le renseigner et l'instruire." (1)

(1) Cf. entre autres, BAYÂN, t. II, p. 154, et HAYAWÂN, t. V, pp. 50, 51, 64 et 65.

orientaux, les Abbassides suivaient les règles établies par les Sassanides. Cela s'explique d'ailleurs par la contribution armée que les Persans apportèrent pour mettre les Abbassides sur le trône. Les plus grands personnages de l'Empire, du reste, étaient d'origine persane. Mais Djâhiz n'oublie pas néanmoins de nous renseigner sur l'étiquette purement arabe.

Je me permets d'attirer l'attention du lecteur sur *l'interview* (dans le sens actuel du mot) que Djâhiz prit à l'un de ses plus illustres contemporains, Ishâq Ibn Ibrâhîm el Mawsilî. Cette *interview* rappelle les informations de nos plus grands *reporters* modernes. Elle nous initie à la vie intime des khalifes omayyades et abbassides. Nous assistons à leurs divertissements, alors qu'ils boivent en écoutant des chansons. Djâhiz mélange à sa narration ses appréciations personnelles ; il y ajoute des notes complémentaires, d'où résulte une confusion avec les paroles mêmes de l'interviewé que le système de ponctuation nous a permis de dégager et de rendre claires (voir pages 31 à 43 du texte arabe).

Djâhiz nous rapporte tranquillement quelques-unes des particularités de l'étiquette sassanide, alors que ces particularités étaient devenues incompatibles avec l'Islam. Entraîné par son sujet, il oublie même d'attirer le moins du monde l'attention du lecteur sur ce fait.

Il nous renseigne sur la toilette et le costume des souverains ainsi que sur l'usage des parfums qui leur étaient exclusivement réservés. Il nous raconte plusieurs anecdotes et cite des mots historiques. Il nous apprend qu'il ne faut jamais appeler le souverain par son nom, sauf dans la poésie. Il nous donne les raisons de la disgrâce dont furent frappés quelques courtisans sous

bution une foule d'auteurs pour arrêter le texte de façon aussi rigoureuse que possible. Partout où il était nécessaire, pour obvier au défaut de lecture, provoqué par le système graphique de l'alphabet arabe, j'ai mis les points-voyelles pour fixer la prononciation de tel ou tel mot qui présentait une difficulté quelconque. De même pour l'intelligence du texte, j'ai utilisé le nouveau système de ponctuation, adapté par moi à la grammaire arabe, ce qui facilite la lecture en la simplifiant.

Les divisions en paragraphes, destinées à éviter les confusions, ainsi que les manchettes qui jouent un rôle utile pour indiquer les changements de sujet, feront de mon édition, un travail à peu près complet et soigneusement présenté.

Les notes critiques et documentaires, auxquelles s'ajoutent souvent de nombreuses références, permettront au lecteur de trouver facilement tous les détails complémentaires qu'il pourrait souhaiter.

*
* * *

J'avais pensé faire une analyse en français du présent ouvrage, mais cela pourrait être un excellent exercice pour un jeune orientaliste qui se trouvera parfaitement en mesure de le faire, grâce aux indications bibliographiques et aux notes explicatives que j'ai semées à profusion à travers tout l'ouvrage.

Je me contenterai donc de dire un mot sur le sujet traité par Djâhiz.

Dans ce livre, l'auteur a voulu nous faire un tableau complet de l'étiquette en usage à la Cour de Bagdad sous les Abbassides, ainsi que du cérémonial adopté par les Omayyades à Damas.

De même que nous voyons aujourd'hui employer l'étiquette européenne, française ou anglaise, à la Cour des Souverains

plus ou moins honnêtes qui lui ont été faits, depuis Tabarî lui-même qui ne le nomme pas une seule fois dans sa vaste compilation historique.

Mass'oudî reproduit souvent des passages entiers du Kitâb El Tâdj, sans indiquer l'auteur ni l'ouvrage. Lorsqu'il est amené à citer une appréciation personnelle de Djâhiz, l'auteur des "Prairies d'Or" se contente d'écrire : *des personnes érudites qui s'occupent de littérature ont dit...*

Cependant Mass'oudî consacre à Djâhiz un article élogieux où il rend hommage à sa profonde érudition et à son talent encyclopédique.

Je ne crois pas utile de citer tous les auteurs postérieurs qui sont dans le même cas, car ils sont légion. Je me suis efforcé d'ailleurs, dans les annotations du présent ouvrage, de relever, dans la mesure du possible, tous les emprunts qui lui ont été faits. Du reste, un tableau de ces emprunts a été ajouté à mes prolégomènes arabes, en tête du présent volume.

La fécondité de Djâhiz est connue de tous ceux qui ont étudié la littérature arabe. L'orientaliste hollandais Van Vloten avait annoncé son intention de dresser la liste des œuvres de Djâhiz, lorsqu'il fut surpris par la mort. Je me suis donné la tâche ardue et délicate de consacrer à ce sujet une monographie détaillée et documentée, qui paraîtra bientôt, je l'espère.

*
* *

Quant au livre même que je publie aujourd'hui, étant donné qu'il fait partie des ouvrages qui inaugurent la série de l'œuvre de la **Renaissance des Lettres Arabes**, j'ai essayé d'en faire une véritable édition nationale. J'ai mis à contri-

sentés, ces ouvrages, fussent-ils médiocres à son sens, étaient cependant accueillis avec enthousiasme.

Notre subtil auteur n'ignorait pas les avantages de ce que nous appelons la vogue. Djâhiz mettait à profit cette pensée juste et que devait exprimer malicieusement La Bruyère en écrivant: "Il n'est pas si aisé de se faire un nom par un ouvrage parfait, que d'en faire valoir un médiocre par le nom qu'on s'est déjà acquis."

Djâhiz se plaint d'ailleurs — et cela ne manque pas de piquant — d'avoir été obligé de recourir à cette supercherie. Il déplore que ses ouvrages les plus soignés n'aient eu vis-à-vis des jaloux et des détracteurs d'autre tort que *d'être signés d'un auteur contemporain*.

Le même subterfuge fut employé par des auteurs postérieurs qui voulurent à leur tour exploiter la célébrité que Djâhiz s'était acquise, mais la ruse eut alors moins de succès.

Djâhiz est, d'autre part, le littérateur qui a été le plus pillé par ses successeurs.

De nombreux plagiaires se font un devoir de s'approprier non seulement ses idées mais encore ses expressions et les formules qui caractérisent son style d'une manière si typique. Leur seule préoccupation en cette occurrence, c'est d'éviter soigneusement de le nommer, sauf à de très rares exceptions. C'est à la faveur d'une inadvertance heureuse qu'ils nomment parfois Djâhiz. Quand ils rapportent ses paroles, au lieu de citer son nom, ils écrivent d'habitude: *on a vu, on a rapporté, on a assisté*. Ils ont organisé à son endroit une véritable conspiration du silence.

Je me suis attaché pour le cadre restreint du livre que je présente aujourd'hui au public à faire ressortir les emprunts

ou par qui que ce soit. Ils se recommandent d'eux-mêmes. Réunissant avec un scrupule parfait tous les arguments qui peuvent être invoqués pour soutenir telle ou telle théorie, ils se distinguent en dehors de la solidité du fond par la noblesse du style et par la clarté et la simplicité de l'exposition. Ils sont aussi bien à la portée du vulgaire que de l'aristocratie ; les intelligences les plus simples peuvent en profiter comme les esprits les plus cultivés." (1)

On peut se renseigner complètement sur la doctrine de Djâhiz en consultant le vaste traité littéraire de son disciple, Ibn Abi el Hadîd qui le désigne chaque fois qu'il parle de lui, et il en parle souvent, sous le nom de "Notre maître Abou Osman (شيخنا أبو عثمان)."

La méthode littéraire de Djâhiz, adoptée par plusieurs littérateurs arabes, a pour caractère essentiel le souci constant de tenir en éveil l'attention du lecteur, de ne jamais laisser languir l'intérêt de l'ouvrage. Celui de ses disciples qui l'admirait le plus, au point qu'on peut dire qu'il avait pour Djâhiz un véritable culte, Abou Hayyân Tawhîdî, a, selon moi, réussi à l'égaliser et même à le surpasser quelquefois. Je suis heureux de posséder de ce dernier deux grands ouvrages (2), photographiés d'après les originaux conservés à Stamboul.

Comme on l'a remarqué (entre autres Mr. Van Vloten), Djâhiz, pour répandre ses idées et pour s'assurer l'accueil bienveillant du public a eu recours à un ingénieux subterfuge : il nous avoue franchement qu'il avait publié quelques traités sous le nom du grand écrivain Ibn el Moqaffa'. Ainsi pré-

(1) Cf. BAYÂN, t. II, p. 157.

(2) Le Kitâb الامتاع والمؤانسة de la Bibliothèque de Top-Kapou, et le Kitâb البصائر والذخائر de la Bibliothèque de Fâtih.

ou de l'autre cause. Djâhiz sait mettre en valeur et en évidence les mérites des deux tribus concurrentes.

Aussi, ses contemporains n'ont-ils pas manqué de lui reprocher cette dualité d'opinion. Mais ces attaques ne l'effrayaient nullement et il trouve la réponse judicieuse à ces critiques en déclarant "qu'il se borne à exposer les arguments de deux camps opposés, les faisant parler par sa bouche, en *reporter* fidèle, qui rapporte consciencieusement les opinions les plus diverses pour mieux les faire connaître au grand public. Quant à ses idées personnelles, ajoute-t-il, elles sont notoirement connues." (1)

Et nous savons qu'il les défend avec tout le talent dont il peut disposer.

Le brillant khalife El Mâmoun, qui n'était pas un esprit médiocre, se fit apporter les livres de Djâhiz sur *l'Imamat* (pouvoir spirituel souverain) et les donna à un de ses hommes de confiance, Yazîdî, dont il appréciait le sain jugement, pour qu'il lui en fit un compte-rendu succinct mais exact. Vivement intéressé par ce que lui en dit ce critique éclairé, El Mâmoun voulut les lire lui-même et convoqua Djâhiz qu'il félicita en ces termes : "Des personnes dont l'esprit judicieux nous est connu et en qui nous avons la plus grande confiance, nous ont informé que vos livres étaient des ouvrages de valeur. Nous avons pensé néanmoins que la critique pouvait en être trop élogieuse, aussi avons-nous voulu les lire nous-mêmes. Nous avons constaté avec plaisir que vos œuvres méritaient ces éloges et que l'appréciation flatteuse qu'on nous en avait donnée n'était pas exagérée. Examinant ces livres avec le soin le plus méticuleux, nous avons reconnu leur grand intérêt. Ils n'ont pas besoin d'être prônés ou défendus par leur auteur

(1) Voir l'introduction de son grand ouvrage, *Kitâb el Hayawân*.

convaincre ses contradicteurs les images les plus vives et les termes les plus osés, selon ses habitudes littéraires.

Quelqu'un lui demandait un jour comment le Coran avait pu être *créé*, et Djâhiz de répondre: "Comme un homme, comme une femme, comme une vache, en un mot comme tout être quelconque mâle ou femelle."

Cette réponse, qui traduit sa pensée de la manière la plus claire, la plus crue, fut interprétée par ses adversaires de façon malveillante et leur parti-pris en dénatura le sens.

N'imaginèrent-ils pas en effet d'en conclure et de répandre *urbi et orbi* que Djâhiz professait que le Coran pouvait devenir tantôt un homme, tantôt une femme, etc. ?

L'école motazilite de Bassora, dont Djâhiz était un des plus grands représentants, consacrait la préséance d'Abou Bakr, le premier khalife rachidite, à l'encontre notamment de l'école chéite qui soutenait et soutient encore que la succession de Mahomet au pouvoir pontifical devait être dévolue à son gendre, Aly, le quatrième khalife rachidite. Malgré sa conviction, Djâhiz écrivit cependant un livre à l'intention de cette dernière école, livre dans lequel notre auteur réussit peut-être mieux que les partisans les plus déterminés de Aly à mettre en lumière les mérites de ce khalife et à faire ressortir les titres qui le désignaient en première ligne pour recueillir directement la succession du Prophète

Quand éclata la grande querelle entre Omayyades et Abbasides, Djâhiz, en brillant avocat, sut exposer avec une égale éloquence et même avec une égale désinvolture, les titres des uns et des autres dans deux traités différents.

S'agit-il de faire ressortir les titres nobiliaires de telle ou telle tribu ? Mieux que n'importe quel partisan convaincu de l'une

ainsi à tout ce que lui inspire sa verve parfois outrancière, et même son extravagance.

Sa plume se complait à nous retracer des tableaux de mœurs, des scènes de la vie publique ou privée, des incidents, des anecdotes, et il sait, à l'exclusion de la plupart des classiques arabes, trouver la formule la mieux appropriée, le mot juste, l'expression typique. Son amour de la couleur exacte est si vif qu'il ne recule pas au besoin devant l'emploi de termes crus ou grossiers et d'expressions réalistes ou même triviales. Il est en effet le seul parmi les littérateurs arabes, qui sacrifie sans hésiter la noblesse du style à la précision. C'est un réaliste épris de descriptions, et dont la verve inépuisable sait user avec hardiesse de tout ce qui peut servir à donner la note vraie à ses relations. Presque tous les autres classiques s'ingénient au contraire à éviter la moindre vulgarité dans leurs récits même les plus osés, et dans les gauloiseries arabes, s'il est possible de s'exprimer ainsi. En un mot, Djâhiz n'a jamais sacrifié, comme tant d'autres, le fond pour la forme convenue.

*
* *

L'influence de Djâhiz s'est manifestée spécialement à deux points de vue différents. Il a fait double école : une école doctrinale de la secte motazilite et une école purement littéraire ; l'une et l'autre portent son nom.

Nombreux sont les adeptes de sa doctrine religieuse très hardie et qui confine à la libre pensée.

Il professait que le Coran est un objet *créé* (مخلوق), combattant ainsi la théorie qui a prévalu par la suite dans l'Islam orthodoxe, et qui soutient que le texte sacré est *incréé* (قديم = غير مخلوق).

Il défend très vigoureusement ses idées et emploie pour

PREFACE

Djâhiz n'a pas besoin d'être présenté au public. C'est un des rares auteurs parmi les classiques arabes dont les œuvres, très populaires en Orient, jouissent d'une faveur particulière auprès des orientalistes européens, qui y trouvent le même intérêt que les Arabes.

Il est dans la littérature arabe, ce que sont dans la littérature française Voltaire et Renan. Qu'il traite les sujets les plus arides, qu'il aborde les questions les plus ardues, il réussit toujours à captiver le lecteur et à retenir son attention. Il parle de toutes choses avec un égal bonheur et sait dire chaque fois tout ce qu'il a à dire. Le lecteur le suit avec plaisir partout où sa fantaisie l'entraîne, sans éprouver en sa compagnie le moindre ennui, la moindre lassitude. L'intérêt ne languit pas un moment dans ses écrits ; c'est un penseur doublé d'un artiste charmant. Son esprit léger, et souvent ironique, lui inspire les boutades malicieuses qui émaillent ses productions.

Il traite avec un rare talent d'exposition les questions les plus délicates et les plus subtiles qui ont divisé les musulmans aux premières heures de l'Islam, touchant le pouvoir spirituel suprême, le Khalifat. Il plaide avec succès une cause et soutient l'opinion contraire avec la même force de persuasion.

Ces tours de force sont, pourrait-on dire, la spécialité de Djâhiz, qui presque dans toutes ses œuvres s'ingénie à vanter les mérites d'un personnage ou d'une idée pour employer, immédiatement après, toute son érudition à en peindre les défauts. Quoiqu'il en soit, il sait toujours charmer le lecteur et l'intéresse

BIANIS

LE LIVRE DE LA COURONNE

(KITAB EL TAW)

TEXTE ARABE

POUR SERVIR DE GUIDE AUX ÉCRIVAINS ET AUX TRADUCTEURS
ET POUR ÊTRE CONSULTÉ PAR LES ÉCRIVAINS ET LES TRADUCTEURS
ET POUR ÊTRE CONSULTÉ PAR LES ÉCRIVAINS ET LES TRADUCTEURS

1871

AHMED NEKI PACHA

MEMBRE DU CONSEIL DES MINISTRES
VICE-PRÉSIDENT DE LA SOCIÉTÉ ÉGYPTIENNE DE GÉOGRAPHIE
MEMBRE DE L'INSTITUT ÉGYPTIEN



LE CAIRO

IMPRIMERIE NATIONALE

1871

DJÂHIZ.

LE LIVRE DE LA COURONNE.

(KITAB EL TADJ.)

TEXTE ARABE

PUBLIÉ POUR LA PREMIÈRE FOIS D'APRÈS LES TROIS MANUSCRITS CONNUS,
ACCOMPAGNÉ D'UNE PRÉFACE EN FRANÇAIS
ET ENRICHÉ DE NOTES CRITIQUES ET DOCUMENTAIRES

PAR

AHMED ZÉKI PACHA

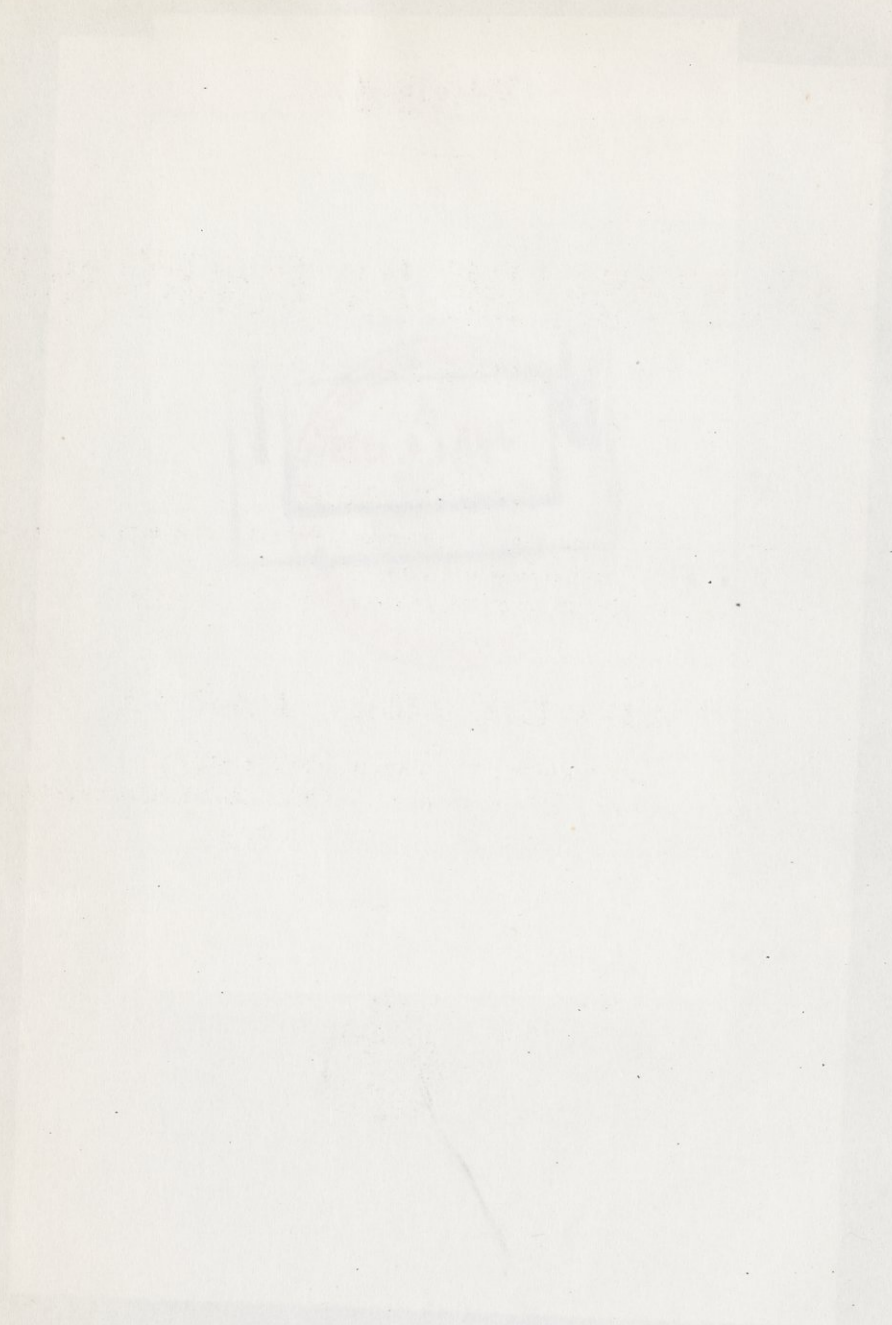
SECÉTAIRE DU CONSEIL DES MINISTRES,
VICE-PRÉSIDENT DE LA SOCIÉTÉ KHÉDIVIALE DE GÉOGRAPHIE,
MEMBRE DE L'INSTITUT ÉGYPTIEN.



LE CAIRE.

IMPRIMERIE NATIONALE.

1914.





New York University
 Bobst Library
 70 Washington Square South
 New York, NY 10012-1091

Phone Renewal:
 212-998-2482
 Web Renewal:
 www.bobcatplus.nyu.edu

DUE DATE

DUE DATE

DUE DATE

ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL

DUE DATE

SEP 30 2002

Bobst Library
 Circulation

RENEWED

JUN 09 2006

MAR 03 2006

DUE DATE

AUG 26 2006

BOBST LIBRARY
 CIRCULATION

PHONE/WEB RENEWAL DUE DATE



3 1142 00333 6891

DJÂHIZ.

LE LIVRE DE LA COURONNE.

(KITAB EL TADJ.)

